الشيخ الأكبر

محيي الدين ابن العربي

ترجمة حياته من كلامه

جمع وتأليف
محمود محمود الغراب

الشيخ الأكبر

محيي الدين ابن العربي

ترجمة حياته من كلامه

جَمع وتأليف

محمود محمود الغراب



الطبعة الثانية
١٤١١هـ - ١٩٩١م

مطبعة نضر
١٠٠٠ (ن)

الإهداء

إلى مشايخي أهل العرفان الذين أرشدوني ودفعوني دفعاً إلى طريق أهل الحق .

المرحوم سيدي العارف بالله محمد صادق العدوي إمام جامع سيدي الدردير وخطيب جامع الروم سابقاً بالقاهرة .

المرحوم سيدي العارف بالله محمد المختار بن يوسف الشنقيطي إمام في التجرد والتوكل بالمدينة المنورة .

المرحوم سيدي العارف بالله أحمد الحارون الحجار شيخ شيوخ زمانه بدمشق .

إلى والديّ

أبي المرحوم الشيخ محمود الغراب رئيس محكمة مصر الشرعية سابقاً، وأمي المرحومة فاطمة بنت محمد الخولي .

ألا إنَّ أوليـاء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنـون *
الـذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي
الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم *

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي ، هو فيما أحسب شيخ المحققين، ومربي العارفين ، إمام أهل الكشف والوجود من المتأخرين ، خاتم الولاية المحمدية الخاصة ، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله العربي الحاتمي الطائي ، سماه أكثر أهل العلم « بابن عربي » ليميزوا بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي المتوفى عام ٥٤٣ هـ ، واسمه « محمد بن عبد الله بن محمد العربي المعافري الإشبيلي المالكي » وهذا خطأ شائع ، فإن الشيخ الأكبر قد ذكر اسمه خمس مرات في الفتوحات المكية تحت اسم « محمد بن العربي » وهو ما أورده في ديوانه ص ٥٧ ، كما ذكر عن أبيه وعمه في كل من : رسالة روح القدس في محاسبة النفس، وفي كتابه محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ، حيث يقول: « وكان لي عم أخو والدي شقيقه اسمه عبد الله بن محمد بن العربي » . فلفظ العربي في نسب الشيخ ونسب أبيه ، فلا يصح أن يجرد منه ويطلق على القاضي محمد الإشبيلي المالكي ، فليس واحد منهما بأولى من الآخر في هذه التسمية ، وكلاهما ابن العربي على التحقيق ، وما ذهب إليه بعض أهل العلم إنما هو للتمييز فقط ، فمن حقق التسمية أطلق على الشيخ الأكبر « ابن العربي » لا « ابن عربي » .

لم يختلف أهل العلم في أحد مثل ما اختلفوا في الشيخ الأكبر رضي الله عنه ، وذلك راجع إلى أن كثيراً من أهل العلم لم يفهموا ما جاء به الشيخ في علوم التوحيد ، ولم يخاطَبوا أصلاً بإشاراته التي هي لأهل الكشف في مقام الإحسان ، ولم يُعنَوا بكتاباته إذ هي لأقرانه وأمثاله[1] ، فإن منتقدي الشيخ ومعارضيه لم يلتزموا في قراءة كتبه شرط المؤلف الذي نص عليه بنفسه ، وهو مبدأ مُجْمَعٌ عليه عند أهل العلم

(١) راجع من هم الذين يخاطبهم الشيخ ـ القسم الثاني من هذا الكتاب .

في جميع أنواع العلوم والفنون ، وقد أوضحنا ذلك في كتابنا « الرد على ابن تيمية » بصريح كلام الشيخ نفسه نقلاً من كتابه الفتوحات المكية طبعة الميمنية الجزء الأول ص ٤١٩ والجزء الثالث ص ٥٨ وص ٣٣٤ وغير ذلك من النصوص ، فليراجع .

ترجم له كثير من العلماء نذكر منهم ابن مُسْدي المتوفى عام ٦٣٣ هـ ، وحكى عنه ابن سبط الجوزي المتوفى عام ٦٥٤هـ، وكلاهما من معاصري الشيخ رضي الله عنه، وترجم له كل من الشيخ مجد الدين الفيروزآبادي صاحب القاموس المتوفى عام ٨١٧ هـ ، والإمام صفي الدين حسين بن الإمام جمال الدين أبي الحسن ، وترجم له أيضاً الإمام ابن حجر العسقلاني المتوفى عام ٨٥٢ هـ في كتابه «لسان الميزان» تحت رقم (١٠٣٨) ، جمع في ترجمته أقوال مادحي الشيخ رضي الله عنه والقادحين فيه ، وألف في حقه الحافظ السيوطي المتوفى عام ٩١١ هـ كتاباً سماه « تنبيه الغبي على تنزيه ابن عربي » وترجم له أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المقري المتوفي عام ١٠٤١ هـ في كتابه نفح الطيب ، ذكر فيه بعض فضائله ، وترجمته من أوسع التراجم ـ كل هؤلاء السادة الأعلام يجمعون على أنه توفي عام ٦٣٨ هـ وهذا يرد ما جاء به المؤرخ الدكتور عمر فروخ في كتابه « تاريخ الفكر العربي المطبوع في عام ١٩٦٦م » في ص ٥٢٧ حيث جاء بالتناقض في خمسة أسطر ، إذ يقول في ترجمته عن الشيخ رضي الله عنه « ثم إنه استقر في دمشق عام ٦٢٠ هـ إلى أن توفي بها عام ٦٣٨ هـ » ثم يستطرد بعد أربعة أسطر فيقول : « وشطح ابن عربي أمام العامة فقال : « أنتم وما تعبدون تحت قدمي هذه ، وفهم العامة جملته على ظاهرها فقتلوه ، وباطن الجملة أن الناس يعبدون المال » ا هـ وهذا غريب أن يسجل مثل هذا الكلام في كتاب يعُدُّ من المراجع العلمية من عالم مرموق ، فيذكر المؤلف كلاماً يتناقله العوام لا يستند إلى أي مرجع علمي موثوق ، إذ كيف لا تذكر هذه القصة في تراجم معاصري الشيخ أو القريبي عهد منه ، وكيف يوفق بين قوله « توفي » وبين قوله « قتله العوام » مع أنها قصة لا أساس لها من الصحة ، فالثابت من جميع التراجم المشار إليها أنه رضي الله عنه توفي على فراشه ـ .

لذلك نرى أن الدكتور عمر فروخ يتراجع عن زلته التي وردت في كتابه « تاريخ الفكر العربي » عندما أصدر كتابه « التصوف في الإسلام المطبوع عام ١٩٨١م » فلم يذكر هذه السقطة في ترجمته عن الشيخ الأكبر ، بل يعترف بوفاة الشيخ رضي الله عنه ، ولكنه أتى في هذا الكتاب بأقبح وأشنع من سقطته الأولى ، فنراه ينسب إلى الشيخ رضي الله عنه ما لم يقله ، مثال ذلك ، قوله في كتابه هذا ، ص ١٧٩ إن الشيخ « يرى أن الرسول قد يخطىء في التشريع وقد يصيب إلا أن خطأه لا يقدح فيه » ا هـ ، وكل من قرأ للشيخ عن فقهه وعن الرسل ومقامهم يجد عكس ما قاله فروخ ، فترى الشيخ يقول « فكل مجتهد مصيب كما أنه كل نبي معصوم »[1] ثم يشرح ذلك فيقول : « قالت العلماء : كل مجتهد مصيب ، فإما مصيب للحكم الإلهي فيها (أي المسألة التي يجتهد فيها) على التعيين ، أو مصيب للحكم المقرر الذي أثبته الله له إذا لم يعثر على ذلك الحكم المعين وأخطأه »[2] ويقول عن المجتهدين والرسل عليهم السلام « مع علمنا أن مرتبتهم دون مرتبة الرسل الموحى إليهم من عند الله ، حيث حجّر الاجتهاد على الأنبياء فيما شرعه »[3] اهـ . فبالله كيف يخطىء الرسول في التشريع مع عصمته وتحريم الاجتهاد عليه؟! (راجع كتابنا الفقه عند الشيخ الأكبر) ، ومثال آخر على افتراء عمر فروخ قوله في الولاية والرسالة إن الشيخ يقول أو يرى « فالولي قد يكون رسولاً فيكون حينئذ أفضل من الرسول الذي ليس بولي ، على أن الولاية قد ينالها من ليس برسول » اهـ ومثال ثالث يقلد فيه الدكتور عمر فروخ من سبقه من الجاهلين ومن لا علم له ، حيث يقول في نفس الصفحة : إن الشيخ رضي الله عنه يرى « أن خاتم الأولياء يطيع خاتم الرسل في الظاهر أي فيما يتعلق بالتشريع ، أما في الباطن فإن خاتم الأولياء أرفع درجة » اهـ وكذا دعواه الباطلة بأن الشيخ يقول : « بالاتحاد » الذي هو عند فروخ « وحدة الوجود »[4]. ثم يستنبط بفهمه القاصر أنَّ الشيخ يقول بالحلول والاتحاد[5] ، كل

---

(١) فتوحات ج ٣/٤٠٠ . (٢) فتوحات ج ٢/١٦٥ . (٣) فتوحات ج ٢/٢٥٢ .

(٤) كتاب عمر فروخ «التصوف في الإسلام»، ص ١٦٩ . (٥) نفس المصدر. ص ١٧٦ .

ذلك يدل على جهل الدكتور عمر فروخ بكل ما قاله الشيخ في هذه الأمور ، ولذلك لم يورد أي نص من كلام الشيخ يشير إلى ما ذهب إليه ، اللهم إلا إذا أتى بجزء مبتور من نص ، ولا أدل على عدم فهم الدكتور فروخ لكلام الشيخ الأكبر وأنه لا يعي حتى ما يكتب ، قوله في (ص١٧٥) من كتابه ما نصه « إن ابن عربي يرى بوضوح أن الـوجـود الوحيد هو هذا العالم المحسوس ، وأن هذا العالم المحسوس بدوره حقيقة ثابتة » اهـ ويغفل عمّا سطره في ص ١٧٤ من أن الشيخ ابن عربي يقول ما هذا نصه : « وعلى هذا ليس للعالم وجود حقيقي ، وهذا الوجود الخارجي الذي نشعر به بحواسنا ونسميه عالماً ليس سوى خيال » اهـ هذا مع تجاوزنا عمّا جاء في كتاب فروخ « سوء خيال » فإنا نعتبره خطأً مطبعياً لا عن قصد متعمد من فروخ ، وقد جاء في كتابنا « شرح كلمات الصوفية والرد على ابن تيمية » نص ما قاله الشيخ في هذه الأمـور كلها من مراجعها ، وهو يرد ويدحض افتراء الدكتور عمر فروخ ، ويفضح جهله بالتصوف معنى ومبنى ، ويرى المنصف أنه يخبط خبط الأعمى وأنه يهرف بما لا يعرف ، وبذلك يسقط كل تحليل له عن الشيخ الأكبر ، ويثبت أن كل ما جاء به في مؤلفاته إنما هو من محض خياله الفاسد وفهمه السقيم ، وصورة لسوء ظنه وجهله بالولاية ومرتبتها ، وأين هي من الرسالة وعلو شأنها ؟! ويرى القارىء له أنه يتبع في نظرته للتصوف عموماً وللشيخ الأكبر خصوصاً أثر زكي مبارك ومن هو على شاكلته .

أما عن تزوير الدكتور عمر فروخ للنص الذي يشير إلى مصدره فنراه يقول في ص ١٩١ من كتابه عند نقله للبيت الأخير من المنظومة الشعرية رقم ١١ ص ١٩ من ترجمان الأشواق قول الشيخ رضي الله عنه محرفاً فيه :

أديـن بدين الحب أنى توجهت   ركـائبـه فالحب ديني وإيماني!

فيضع علامة تعجب لينتصر بتزويره لما ذهب إليه من آراء فاسدة ، في حين أننا نجد نص البيت كما جاء في كتابين للشيخ ، وهما ترجمان الأشواق[1] ومحاضرة

(١) طبعة ١٣١٣ هـ ص ٤٠ ، طبعة ١٣٨٨ هـ ، ص ٥٠ .

الأبرار ومسامرة الأخيار[1] بالنص التالي :

أديـن بدين الحب أنّى توجهت ركـائبـه فالـدين ديني وإيماني

ولكي أوفر على القارىء جهد مطالعة ما أوردناه من نصوص في كتابنا « شرح كلمات الصوفية والرد على ابن تيمية » فإني أزيد هذا النص علاوة على ما أوردناه في كتابنا المشار إليه ، عسى أن يطلع عليه الدكتور عمر فروخ ، فيتوب إلى الله تعالى ويتوب قبل أن يعاجله الأجل ، يقول الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي في رسالة اليقين له التي ألفها عام ٦٠٢ هـ بالقدس الشريف ما هذا نصه : « قول النبي ﷺ في عيسى عليه السلام « لو ازداد يقيناً لمشى في الهواء » » فلم يكن عنده يقين يرفعه عن هذه الكرة كما رفع محمداً ﷺ ، ونحن ما مشينا في الهواء لقوة يقيننا ولا أننا أكبر من عيسى عليه السلام في اليقين ، بل كان ذلك بحكم تبعية إمامنا وهو محمد ﷺ ، لما مشى هو ﷺ مشينـا ، وكما مشى أصحاب عيسى عليه السلام على الماء بحكم التبعية الصحيحة لا بحكم اليقين ، كالأمراء عند السلطان إذا جعل لهم مراتب في حضرته ، لا يتعدونها ، ثم إننا نرى أميراً قريب المرتبة من السلطان وآخر أبعد منه وآخر أبعد من ذلك ، ولا يجسر أحد من الأمراء يتعدى مرتبته إلى غيره أصلاً ، فإذا دخل الأمير القريب مرتبة إلى مرتبته دخل معه مماليكه ، وتتأخر الأمراء عن الدخول لكون مرتبتهم دون ذلك ، فكل أمير في مرتبته حيث كانت مماليكه معه ، ومعلوم أن مرتبـة الأمراء أعظم من منزلة المماليك ، ورأينا مماليك صاحب المرتبة القريبة قد دخلوا مع أميرهم إلى مرتبته . فعلمنا قطعاً أن ذلك ليس لشرف مماليك هذا الأمير المقرب على هذا الأمير الذي هو دونه ، وأن هذا الأمير الذي هو دونه أشرف من مماليك المقرب عند السلطان ، لأن مرتبة الإمارة فوق مرتبة المأمورين عليهم ، فتيقنا أن دخـول المماليك في تلك المرتبة إنما هو من أجل سيدهم ، لا من حيث هم ، فكذلك شرفنا الذي أعطانا الله تعالى ، وقوتنا التي لم يعطها لنبي ليس ذلك لكوننا أشرف من الأنبياء صلى الله عليهم ، وأنه لما كان نبينا أشرف الأنبياء ونحن خدمه

(١) طبعة ١٩٠٦ م ص ١٨٥ ، طبعة ١٩٦٨ م ص ٣٢٠ الجزء الأول

وأتباعه وحشمه ، دخلنا معه مقامه الذي دخل بحكم التبعية ، وتأخر كل نبي عنه في مرتبته ، فتأخر عنا ضرورة ، فيتخيل كل من لا معرفة له ، أنه إنما مشى في الهواء لقوة يقينه وأنه أقوى من عيسى وغيره ، هيهات لما تخيل، بل النبي نبي وأنت أنت ، المتبوع يزاحم المتبوع ، والتابع يزاحم التابع ، لا التابع يزاحم المتبوع ، إنما نحن من جهة التحقيق في مقابلة أمة ذلك النبي الذي تأخر عن نبينا ، وذلك النبي في مقابلة نبينا ، فيقابل النبي بالنبي ، والصاحب بالصاحب ، والصدّيق بالصدّيق ، ولا تخلط بين الحقائق فتكون من الجاهلين » اهـ ، إذا لم يكف القارىء هذا النص وأراد الزيادة فليرجع إلى كتابنا المشار إليه .

وأما عن تراجم المستشرقين ، فإني أحب أن أشير إلى واحدٍ منها وهو ما نشره الدكتور عبدالرحمن بدوي عن المستشرق الإسباني « آسين بلاثيوس » في كتابه « ابن عربي ـ حياته ومذهبه » التي اعتبرها الدكتور عبدالرحمن بدوي أنها أوفى ما كتب عن هذا الصوفي العظيم ، فترجم كتاب هذا المستشرق الذي هو قسيس كهنوتي ، كافر برسالة ونبوة محمد ﷺ ، غير مؤمن بها مع ظهورها وشدة وضوحها ، فأنّى له أن يفهم ويشرح أحوال الولاية في الأمة المحمدية مع بطونها وشدة خفائها!؟ ، وقد عجز عن فهم ما جاء به الشيخ بعض مشايخ الإسلام مثل الإمام ابن تيمية وأمثاله ، ثم لننظر في تقدمة الدكتور عبد الرحمن بدوي لدراسة هذا المستشرق ، فنجده يقول في الصفحة الأولى من تقدمته « ينبغي أن نأخذ أقواله هنا فيما يتعلق بالتأثير والتأثر بأشد الحذر لأن منهجه هنا غير محكم » ويقول : « إن ما ذهب إليه غالباً من تأثيرات وتـأثـرات ينبغي أن يؤخذ بمنتهى الاحتياط إن لم يطرح إطراحاً تاماً » ويقول في ص ٧٨ من مقدمته عن هذا المستشرق « والمآخذ التي أخذناها عليه فيما يتصل بكتابه عن ابن عربي هي بعينها التي نأخذها على كتابه هذا عن الغزالي ، غلو وشطط في تلمس الأشباه والنظائر ، مع افتقار إلى الأسانيد المكتوبة أو الشفوية للدلالة على التأثر والتأثير » ثم يختم تقدمته بقوله « ولئن كان منهجه العلمي يستند إلى اللمحات البعيدة ، واللوامع العبقرية أكثر مما يستند إلى الوثائق والقواعد المنهجية الوثيقة ،

ويحفل بالفروض أكثر مما يُعنى بالوسائل الكفيلة بتحقيقها على أصول راسخة . . . ومن هنا جاء الكثير منها موحياً أكثر منه مقنعاً » . هذا هو تقييم الدكتور عبدالرحمن بدوي نفسه لهذا المستشرق ، فبالله ما الفائدة التي تعود على المسلمين أو على العلماء الباحثين من ترجمة كتاب هذا القسيس ونشره ، الذي يقول في أول الفصل الرابع من كتابه عن الكشف والكرامات التي ذكرها الشيخ عن نفسه ما يلي : « والظواهر الخارقة العديدة التي عاناها في حياته ووصفها بالدقة والتفصيل في كتابة « الفتوحات » . . كلها تحمل طابَعاً مَرَضياً يبين عن نوع من الاختلال العقلي » هذا هو فهم هذا القسيس عن الكرامات ، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول « العلماء ورثة الأنبياء » فهم لم يرثوا منهم العلم فحسب ، بل ورثوا الأذى الذي أوذي به الأنبياء من قبلُ ، وقد قال أمثال هذا القسيس من كفار قريش لرسول الله ﷺ « إنك لمجنون » « وقالوا معلم مجنون » .

وأما هذه الترجمة التي أقدمها عن الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي ، فإني أنحو فيها طريقتي في جمع وسرد ما ذكره الشيخ عن نفسه، في سلوكه وأحواله ومقاماته وعلومه ، ولم أنقل فيها ما ذكره المترجمون عنه ـ ولو كانوا قريبي عهد به ، أو من محبيه ومادحيه ـ فإنه لا أعرفَ بالشيء من نفسه ، حتى لا أدخلَ في بحث صدق الرواية أو عدمها ، بل اكتفيت من المصادر بكتب الشيخ المنسوبة إليه ، والتي يجد القارىء لها والخبير بها صحة نسبتها إلى الشيخ رضي الله عنه ، وسيجد القارىء لهذه الترجمة أموراً ينكرها من لا علم له بالولاية ، والاختصاص الإلهي ، من أحوال ومقامات وكرامات ، وهذا لا كلام لنا معه ، وأما المؤمنون بالولاية في البشر فهم أحد رجلين : إما شخص منور الباطن قام عنده صدق المتحدث أو الراوي فيما يذكره عن نفسه أو عن غيره ، وهو يعلم أن عطاء الله تعالى لا يُحَدّ ، وأن الله تعالى يزن ولا يوزن عليه ، فهو مؤمن بما يخبر به المتكلم عن نفسه وعن غيره ، إذ أن ما يذكره الراوي لا يقدح في قاعدة شرعية ولا أصولية ، فهو مصدق مؤمن لا اعتراض عنده ولا توقف ، إن لم يكن من أهل المقامات ذوقاً وشرباً ، والشخص الآخر لا

ينكر الولاية أصلاً في العموم ، ولكنه يتوقف في نسبتها إلى شخص ما ، فإنه لم يقم عنده دليل على ولايته وصدقه ، كما أنه يتوقف في قبول بعض الروايات التي يرى أن عقله لا يقبلها ، فإن ميزانه يرفضها ، فيشك في صدق الراوي ، ولو تبصّر من هذا حاله فيما ورد في القرآن الكريم عن آصف بن برخيا ، وهو ولي من أولياء بني إسرائيل ، وفيما قصه الله تعالى علينا من إتيانه بعرش بلقيس من سبأ اليمن إلى بيت المقدس قبل ارتداد الطرف ، حتى أعجز عفاريت الجن ، وهذا عطاء الحق تعالى لبعض أولياء بني اسرائيل ، فما ظنه بما يعطيه لأولياء الأمة المحمدية ، وهي خير أمة أخرجت للناس ، لسلّم هذا الناظر الأمر لقائله ، فإنه لم يقدح في أصل من الأصول ، ولا أتى بما نص عليه أنه اختصاص بالنبوة فادعاها هذا القائل وقد أغلِقَ بابها .

وأما العلوم التي يأتي بها القوم من علوم الأسرار ، مثل علم الحروف مثلاً ، فإنه لا ينكرها إلا جاهل أو جاحد ، فالجاحد يتأول ما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة وهو قوله : « أخذت عن رسول الله ﷺ وعاءين ، فأما أحدهما فبثثته بين الناس ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم » كل ذلك لينتصر المنكر لإنكاره ودعواه بأنه لا أسرار في الإسلام ، والجاهل الذي لا علم له غاب عن قول رسول الله ﷺ في دعائه المأثور « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، وباسمك العظيم الأعظم . . . الخ » فغاب عن أن الله سبحانه قد يختص من يشاء من عباده باسم خاص لا يعلمه أحد غيره من الخلق ، ونقول لمن لا علم له وللجاحد ، لو تبصرت فيما نص عليه القرآن العزيز في قوله تعالى عن آصف بن برخيا السابق ذكره « قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » فوصف آصف بأنه عنده علم من التوراة ، لا كل علوم التوراة ، وذكر عنه أنه أضاف الإتيان إلى نفسه ، فبالله أيها المنكر ، ما هذا العلم الذي هو من بعض علوم التوراة ، الذي تمكن به آصف أن يأتي بعرش بلقيس من سبأ اليمن إلى بيت المقدس قبل ارتداد

الطرف ؟ وهل القرآن ـ المهيمن على جميع الكتب ـ فيه مثل هذه العلوم أم هو خال منها ؟ وهل كان رسول الله ﷺ الذي علم علم الأولين والآخرين يعلم مثل هذا العلم أم يجهله ؟ فإن كان يعلمه فما هو هذا العلم ؟ وهل كتمه ﷺ عن الأمة أم اختص به من هو أهل له ؟ وهل علماء بني إسرائيل تعلم من أسرار التوراة ما تعلم ، وتجهل علماء الأمة المحمدية من أسرار القرآن مثل هذه العلوم ؟ فلو أنصف من لا علم له والجاحد لسلم الأمر إلى أهله ، وأقر بعجزه ، فإن الله يختص برحمته من يشاء ، وما أحسن ما ذكره الشيخ رضي الله عنه في ذلك حيث يقول : تكلم معي بحرم مكة ، رجل يقال له القاضي عبد الوهاب الأزدي من أهل الأسكندرية ، فقيه قد استحوذ عليه الشيطان ، بحيث صيره يعتقد أن الزمان فارغ من جميع المراتب في كل فن ، وإنما هي تلفيقات وخرافات ، فسألته : كم من بلد في معمورة الأرض للمسلمين ؟ فقال : كثير ، فقلت له : كم دخلت منها ؟ فذكر ستة بلاد أو سبعة ، قلت له : كم الخلق فيها ؟ قال : كثير ، فقلت له : مَنْ أكثر ، الذي رأيت أم الذي لم تره ؟ قال : الذي لم أره ، فضحكت وقلت له : حد المعتوه الأحمق الذي يرى الكثير ويبقى له القليل ، فيقيس القليل على الكثير، ويحمله عليه في الحكم ، وأما المؤمن الناصح نفسه فإنه يقول : ولعل في ذلك القليل ولو كان واحداً لم أره لعله ذلك السعيد ، كيف ومن يقول ما رأيت إلا القليل ، من البلاد ومن الناس ، ثم يعتقد ذلك، فلا خفاء بجهله ، اهـ ، وأما العاقل المعتنى به فيقول الشيخ رضي الله عنه فيه ، دخل أبو القاسم بن عفير ـ خطيب إشبيلية ـ على أبي عمران المارتلي ، فتكلم معه فيما يأتي به أهل هذه الطريقة من المعارف ، التي تقصر أفهام علماء الرسوم عنها ، لأنها علوم نبوية ، وهذه العلوم الخبرية لا يقوم دليل العقل عليها ، فلم يبق إلا مجرد الإيمان بها ، لأنها علوم إخبارية تحتمل الصدق والكذب ، وكذلك إذا أتى بها الرسول يتلقاها الفقهاء بالقبول ، فلو أحالها العقل لردت أبداً في كل حال ، فقال أبوالقاسم الفقيه لشيخنا : أما أنا فأنكرها ، فقال له الشيخ أبو عمران : أما أنا فأومن بها كلها ، وإياك ياأباالقاسم أن يجمع الله علينا فيها حرمانين ، لا نراها

من أنفسنا ولا نصدق بها من غيرنا ، فيكون العامي أحسن حالاً منا في ذلك عند الله ، فتنبه الفقيه أبوالقاسم الخطيب وقال : نبهتني رضي الله عنك ، اهـ .

وقد جعلت كتابي هذا قسمين ، القسم الأول ـ عن حياة الشيخ ونشأته وسلوكه ومقاماته ومكاشفاته ، والقسم الثاني ـ عن العلوم الإلهية التي أتى بها والعلوم الكونية التي ذكرها وتحدث عنها ، ومنها ما ثبتت صحتها بعد مئات السنين ، وتركت تحقيق سبقه إليها لأهل الاختصاص من العلماء المعنيين ، ولعل هذه العلوم تجد من العلماء الرغبة في تحقيقها لإثبات سبق الشيخ إليها أو كونه مسبوقاً ، أما عن الحقائق التي يوردها فيكفي فيها قوله :

لو يسلك الخلق الغريب محجتي   لم يسألوك عن الحقائق ما هي

فلننظر ما قاله عن هذه المحجة .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

محمود محمود الغراب

دمشق ـ ص . ب ٣٣٢

دمشق ١٠ رمضان ١٤٠٣ هـ

الموافق ١٠ حزيران ١٩٨٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الجزء الأول
الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي

مولده ونشأته :

ولد الشيخ ليلة الإثنين، أو ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة ٥٦٠ هـ[1] ، في مرسية من شرق الأندلس ، في دولة السلطان محمد بن سعد بن مرديس - وفي رواية مرذنيش - سلطان شرق الأندلس[2] ، في خلافة المستنجد بالله يوسف بن محمد ويكنى أبـالمظفر ، وكان انتقاله رضي الله عنه من مرسيه إلى إشبيلية مع والده عام ٥٦٨ هـ ، وعاصر بالأندلس خلافة كل من المستغني بالله الحسن بن يوسف بن محمد ، ثم أمير المؤمنين الناصر لدين الله ابي العباس أحمد بن الإمام الحسن ابن الإمام يوسف ابن الإمام محمد ، الذي بويع له في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة .
(مسامرات ج ١ / ٨٦ - ف ج ٤ / ٢٠٧) .

اجتمع بكثير من علماء عصره ، في مختلف البلاد التي زارها أو مر بها ، وكان منذ نشأته رضي الله عنه محباً لأهل الله ، وأوليائه من عباد الله الصالحين ، يدافع عنهم ، ويذب عنهم في المجالس ، ويشد الرحال إليهم مهما بعد السفر بغية الاجتماع بهم والاستفادة من بركاتهم ، فكان ذلك سبباً لما فتح الله به عليه من العلوم الإلهية والإشارات الربّانية .

قام برحلات كثيرة داخل الأندلس وخارجها ، وكانت أول رحلة قام بها إلى المغرب من الأندلس في حياة والدته عام ٥٩٠ هـ حتى وصل تونس ، ثم عاد إلى الأندلس عام ٥٩٥ هـ ، ثم رحل ثانية إلى المغرب في نفس السنة ، ثم عاد إلى الأندلس عام ٥٩٨ هـ ،

---

(١) الموافق ٢٧ تموز ١١٦٥ م .

(٢) نادى بعض الرعايا هذا السلطان فلم يجبه ، فقال الداعي : كلمني فإن الله تعالى كلم موسى ، فقال له السلطان : حتى تكون أنت موسى ، فقال له الداعي : حتى تكون أنت الله ، فمسك السلطان له فرسه حتى ذكر له حاجته فقضاها . (ف ح ٤ /٢٠٧) .

وخرج منها في نفس السنة ـ على الأرجح بعد وفاة والدته ـ في رحلته الثالثة إلى مراكش ، ومنها إلى تونس ، ومنها رحل قاصداً أداء فريضة الحج ماراً بالإسكندرية والقاهرة ، فوصل مكة عام ٥٩٨ هـ لأول مرة ، ولم يعد بعدها إلى الأندلس ، وهناك فتح الله عليه بما أودعه الفتح المكي أو ما يسمى بالفتوحات المكية ، وقد استغرق تدوين وتسطير هذا الكتاب سبعة وثلاثين عاماً ، ابتدأ تدوينه عام ٥٩٨ هـ وانتهى منه عام ٦٣٥ هـ[1] ، ورحلة الشيخ مدونة في نهاية هذا الكتاب .

أقام الشيخ بدمشق إقامة تامة من عام ٦٢٩ هـ إلى أن توفاه الله فيها ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٣٨ هـ ، ودفن بسفح جبل قاسيون بالصالحية ، وقبره مقصود من جميع البلدان ومن كل ذي عقيدة سليمة في أهل الله وخاصته .

وإليك تفصيل بعض ما أوجزناه .

نسبه :

يرتفع نسبه من أبيه إلى عبد الله بن حاتم ، أخي عدي بن حاتم الصحابي الجليل رضي الله عنه ، ومن جهة أمه واسمها نور إلى التابعي التقي النقي أبي مسلم الخولاني ، وفي ذلك يقول رضي الله عنه في الديوان ص ٢٤٨ :

إني لمن أصل أجواد ذوي حسب ... العم من طيّء والخال خولاني
وإن لي نسب التقوى يحققه ... إحسان عقدي بإسلامي وإيماني
كذاك لي نسب بالله متصل ... يقول أهل النهى به علا شاني

يريد رضي الله عنه بقوله : « لي نسب بالله متصل » هو ما جاء في الخبر « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » ويريد بنسب التقوى ، وهو ما جاء في الخبر في الحديث القدسي ، أن الله تعالى يقول يوم القيامة : اليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي ، أين المتقون ؟ ويقول رضي الله عنه في الديوان / ١٩٢ :

أنا أكرم الأسلاف في كل مشهد ... أعينٌ فيه من معم ومخول

---

(١) النسخة الأولى رسالة إلى صديقه الشيخ عبد العزيز القرشي بتونس ، ثم استمر التوسعة فيها إلى عام ٦٣٥ هـ .

ويقول في ف ج ٢/٦٢٦ :

ما أنـا من أهـل الـتـهـم ... ولا أنـا ممن أتهـم
وإنـي إن قلت لا ... أقـول من بعـد نعـم
ولا أقـول عكس ذا ... فإنـي بحـر خضـم
وإنـي ابـن حاتـم ... بيـت السـماح والـكـرم
فكـم لنـا مآثـر ... منـصـوبـة مثـل الـعـلـم
لِيُهتَدى بضـوئـهـا ... في عربٍ وفي عجـم
معـلومـة مشـهـورة ... مذكـورة بكـل فـم
محبـوبـة مشـكـورة ... ساريـة وكـم وكـم

ويقول في المسامرات ج١ / ٢٧١ وفي الديوان / ٤٧ .

لنـا همة إن الـثـريـا لدونها ... نعـم ولـنـا فوق السـماكـين منـزل
تقـدمـت سبقـاً في المكـارم والعُـلا ... وفي كل ما ينـكـي الـعـدا أنـا أوَّلُ
ولم ألـف صمـصـامـاً بقـدر عزيـمتي ... ولـو جمعـوا الأسيـاف عَزْمي أفْضَـلُ

ويقول في الديوان /٤٣٥ :

إن المـكـارم من خلقـي ومـن شيـمـي ... فقـد وسـعـت الـورى جوداً بأخـلاقي
لو أن لي كل مالحـوي خزائـنـه ... لما وفـت بالـذي عنـدي من أرزاق
إني فُطِرْتُ على أخـلاق خالـقـنـا ... والأمـر ما بين مرزوق ورزاق

ويقول في الديوان / ٤٤١ :

إني لمن خير آبـاءٍ لنـا سلفـوا ... لم يُعْـرفـوا قطُّ بالإمـسـاك والبُخْـلِ
إني ورثـت الـذي في الـنـفـس من كرم ... عن الجـدود وعـن أسـلافـنـا الأوَلِ

وإنما نبهت على أنني ابن حاتم ، من أجل الكرم الذي جبلت عليه ، ولي فيه الأصل المؤثل ، مثل ما قيل : الجياد تجري على أعراقها ، والأعراق هي الأصول في لسان العرب .

فإن قلت : كيف يفخر العارف ؟ قلنا : لا تعجل ، بل انظر ما يأتي في خاتمة الكتاب ، عندما يتحدث الشيخ معرفاً بنعم الله عليه ، وأن ما يذكره العارف من هذا القبيل ، ليس من باب الفخر ، وإنما هو من قبيل « وأما بنعمة ربك فحدث » .

والده :

نشأ الشيخ في سعة من العيش ، فقد كان أبوه علي بن محمد ، من خواص السلطان بإشبيلية ، قيل : كان أبوه وزير صاحب إشبيلية سلطان الغرب ، حيث انتقل من مرسية إلى إشبيلية سنة ثمان وستين وخمسمائة ، ومع ذلك لم يكن والده غريباً عن طريق أهل الله ، فيقول الشيخ عن والده : استدعيت الشيخ أبا محمد عبد الله القطان ليبيت عندي ، فلما أخذ مجلسه ، جاء والدي رحمه الله تعالى - وكان من أصحاب السلطان - فلما دخل وسلم عليه ، وكان والدي قد شاب ، فلما صلينا العشاء قدمت له الطعام ، وقعدت آكل ، وانضم إلينا والدي يغتنم بركته ، فرد إليه وجهه رضي الله عنه وقال : يا شيبة منحوسة ، أما آن لك أن تستحي من الله ؟ إلى متى تصحب هؤلاء الظلمة ؟ ما أقل حياءك ! ! أأمنت من الموت أن يأتيك وأنت على شر حالة ، أما لك في ابنك هذا - وأشار إليّ - موعظة ؟ شاب صغير في شهوته ، قمع هواه وطرد شيطانه ، وعدل إلى الله تعالى يصاحب أهل الله ، وأنت شيخ سوء على شفا حفرة من النار ؛ فبكى والدي واعترف ، وأنا من ذلك كله أتعجب ؛ وكان أبي كثيراً ماينشد :

الحمد لله ليس الرزق بالطلب ولا العطايا على فهم ولا أدب
إن قدّر الله شيئاً كنت نائله وليس ينفعني حرصي ولا نصبي

(روح القدس في محاسبة النفس - المسامرات ج ١ / ٣١٢) .

وفاة والده :

أخبرني والدي قبل أن يموت بخمسة عشر يوماً بموته ، وأنه يموت يوم الأربعاء ، وكذلك كان ، فلما كان يوم موته ، وكان مريضاً شديد المرض ، استوى قاعداً غير مستند ، وقال لي : ياولدي ، اليوم يكون الرحيل واللقاء ، فقلت له : كتب الله سلامتك في سفرك هذا ، وبارك لك في لقائك ، ففرح بذلك ، وقال لي : جزاك الله ياولدي عني خيراً ، كل ما كنت أسمعه منك تقوله ولا أعرفه ، وربما كنت أنكر بعضه ، هو ذا أنا أشهده ؛ ثم ظهرت على جبينه لمعة بيضاء ، تخالف لون جسده ، من غير سوء ، له نور يتلألأ ، فشعر بها الوالد ، ثم إن تلك اللمعة انتشرت على وجهه إلى أن عمت بدنه ، فقبلته وودعته وخرجت من عنده ، وقلت له : أنا أسير إلى المسجد الجامع إلى أن يأتيني نعيك ، فقال

لي : رح ولا تترك أحـداً يدخل عليّ ، وجمع أهله وبناته ، فلما جاء الظهر جاءني نعيه ، فجئت إليه ، فوجدتـه على حالة يشك الناظر فيه بين الحياة والموت ، وعلى تلك الحالة دفنّاه ، وكان له مشهد عظيم ، وما دفناه إلا على شك ، بما كان عليه في وجهه من صورة الأحياء ، ومما كان من سكون عروقه ، وانقطاع نفسه من صورة الأموات

(ف ج ١/٢٢٢).

عم الشيخ وخؤولته :

لم تكن نزعة الشيخ إلى طريق الله ، والعمل للآخرة ، بالغريبة عن أهله ، فقد كان عمه عبدالله بن محمد بن العربي من أهل طريق الله ، يقول رضي الله عنه عن عمه : دخل هذا الطريق في آخر عمره ، على يد صبي صغير لم يدر ما هذا الطريق ، دخله وهو في عمر الثمانين ، كان من عالم الأنفاس ومن رجال الروائح ، يعلم الأشياء بروائحها ، فكان له هذا المقام حساً ومعنى ، شاهدنا ذلك منه قبل رجوعنا لهذا الطريق زمان جاهليتي ، كان عمره من وقت رجوعه إلى هذا الطريق إلى أن مات ثلاثة أعوام خاصة ، ومات قبل أن أدخل هذا الطريق ، وكان عمي رحمه الله ينشدني للسهيس :

زمـان يمـرُّ وعـيش يمـرُّ(١) ودهـر يكـرُّ بما لا يسـرُّ
ونـفس تذوب وهـمٌّ ينـوب ودنـيـا تـنـادي بأن ليس حرُّ

ومن خؤولة الشيخ رضي الله عنه أبومسلم الخولاني ، الذي يقول عنه : كان خالي أبو مسلم الخولاني يقوم الليل ، فإذا أدركه الإعياء ضرب رجليه قائلاً : أنتما أحق بالضرب من دابتي ، أيظن أصحاب محمد صلوات الله عليه أن يفوزوا به دوننا ، والله لأزاحمنهم عليه حتى يعلموا أنهم خلفوا من بعدهم رجالاً . ومن خؤولة الشيخ رضي الله عنه الملك يحيى بن يوغان ملك تلمسان ، الذي ملك فزهد ، يقول عنه الشيخ : إنه كان في زمنه رجل فقيه عابـد منقـطع من أهل تونس ، يقال له أبو عبد الله التونسي ، كان بموضع خارج تلمسان يقال له العباد ، وكان قد انقطع بمسجد يعبد الله فيه ، فبينا هذا الصالح يمشي بمدينة تلمسان ، بين المدينتين أقادير والمدينة الوسطى ، إذ لقيه الملك يحيى بن يوغان ملك المـدينة في موكبه وفي خوله وحشمه ، فقيل له :ـ هذا أبو عبد الله التونسي عابد وقته ،

(١) من المرارة.

فمسك لجام فرسه وسلم على الشيخ ، فرد عليه السلام ، وكان على الملك ثياب فاخرة ، فكلمه بأشياء ، فمن بعض ما كلمه الملك أن قال له : يا شيخ هذه الثياب التي أنا لابسها تجوز لي الصلاة فيها ؟ فاستغرق العابد ضحكاً ، فقال له الملك : مم تضحك ؟ فقال : من سخف عقلك ، وجهلك بنفسك وحالك ، ما رأيت لك أيها الملك في هذه المسألة شبيهاً إلا الكلب ، قال : وكيف ؟ قال : الكلب يتمعك في الجيفة وأكلها وقذراتها ويتلطخ بدمها ، فإذا جاء يبول يرفع رجله حتى لا يصيبه البول ، وأنت وعاء مليء حراماً ، حرام كلك ، وتسأل عن ثيابك ومظالم العباد في عنقك ؛ فاستعبر الملك وبكى ، ونزل من حينه عن دابته ، وتجرد عن ثيابه ، فرمى عليه بعض العامة من أهل الدين ثوباً ، وخرج عن ملكه من حينه ، وقال لأهل دولته : انظروا لأنفسكم فلست لكم بصاحب ؛ واقتفى أثر العابد ولزم خدمته ، فصعد معه إلى العبادة بموضع عال بقبلة تلمسان ، فمسكه الشيخ ثلاثة أيام ، ثم جاءه بحبل فقال له : أيها الملك قد فرغت أيام الضيافة ، قم فاحتطب ؛ فكان يأتي بالحطب على رأسه ، ويدخل به السوق ، والناس ينظرون إليه ويبكون ، فيبيع ويأخذ قوته ويتصدق بالباقي ، ولم يزل في بلده ذلك حتى درج ، ودفن خارج تربة الشيخ ، وقبره اليوم بها يزار ، فكان الشيخ إذا جاءه الناس يطلبون أن يدعو لهم ، يقول لهم : التمسوا الدعاء من يحيى بن يوغان ، فإنه خرج عن قدرة ، ملك فزهد ، ولو ابتليت بما ابتلي به من الملك ربما لم أزهد .

(روح القدس ، ف ج ۱ /١٨٥ ، المسامرات ج ٢٦/٢ ف ج ٢ / ١٨) .

زوجاته رضي الله عنه :

لم يذكر الشيخ رضي الله عنه عن زوجاته بالمغرب شيئاً ، كما ذكر عن أزواجه بعد رحلته إلى المشرق ، كما لم يذكر أن أحداً من النساء رافقته في رحلته التي استقر بعدها في مكة ، بل على العكس من ذلك فإنه يترجح لدينا أنه لم يكن له زوجة بالمغرب ، حيث يذكر في سلوكه عند تجرده من الدنيا ، أنه يشترط في رمي ما تملكه اليد ، أن يكون المتجرد وحده ، لا تكون له عائلة ، وقد خرج رضي الله عنه من كل ما يملك ، حتى الثوب يلبسه يكون عارية ، فإنه يقول : النساء جعلهن الله زهرة حيث كُن ، فإذا كن في الدنيا ، كن زهرة الحياة الدنيا ، فوقع النعيم بهن حيث كن ، وأحكام الأماكن تختلف ، فهن وإن خلقن

للنعيم في الدنيا ، فهن فتنة يستخرج الحق بهن ما خفي عنا فينا ، مما هو به عالم ، ولا نعلمه من نفوسنا ، فيقوم به الحجة لنا وعلينا ، وهذا مقام أعطانيه الحق بمدينة فاس سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، قبل ذلك ما كان لي فيه ذوق ، فيحتمل أنه كان في بعض الأحيان يكون له من الجواري وملك اليمين من يقربهن ، فإنه يقول : لقد كنت من أكره خلق الله تعالى في النساء وفي الجماع ، في أول دخولي إلى هذا الطريق (أي عام ٥٨٠ هـ) وبقيت على ذلك نحواً من ثماني عشرة سنة ، إلى أن شهدت المقام الذي حبب الله النساء لمحمد ﷺ ، ومن أحب النساء حب النبي ﷺ لهن فقد أحب الله ، وكان قد تقدم عندي خوف المقت لذلك ، لما وقفت على الخبر النبوي ، أن الله حبب النساء لنبيه ﷺ ، فما أحبهن طبعاً ، ولكنه أحبهن بتحبيب الله إليه ، فلما صدقت مع الله في التوجه إليه تعالى في ذلك ، من خوفي مقت الله ، حيث أكره ما حببه الله لنبيه ، أزال عني ذلك بحمد الله ، وحببهن إلي ، فأنا أعظم الخلق شفقة عليهن ، وأرعى لحقهن ، لأني في ذلك على بصيرة ، وهو عن تحبب لا عن حب طبيعي ، ولا يعلم قدر النساء إلا من علم وفهم عن الله ما قاله في حق زوجتي رسول الله ﷺ عندما تعاونتا عليه وخرجتا عليه ، ويحتمل أنه رضي الله عنه لم يقرب النساء قط إلا بعد رحلته إلى المشرق وزواجه ممن ذكرهن ، حيث يقول : وكان لنا أهل تقر العين بها ، ففرّق الدهر بيني وبينها ، فتذكرتها ومنزلها بالحلة من بغداد فقلت :

خليلي عوجا بالكثيب وعرجا ... على لعلع واطلب مياه يلملم
فإن بها من قد علمت ومن لهم ... صيامي وحجي واعتماري وموسمي
فلا أنسَ يوماً بالمحصب من منى ... وبالمنحر الأعلى أموراً وزمزم

محصبهم قلبي لرمي جمارهم ... ومنحرهم نفسي ومشربهم دمي
فيا حادي الأجمال إن جئت حاجراً ... فقف بالمطايا ساعة ثم سلم

وناد القباب الحمر من جانب الحمى ... تحية مشتاق إليكم متيم
فإن سلموا فاهد السلام مع الصبا ... وإن سكتوا فارحل بهم وتقدم

إلى نهر عيسى حيث حلت ركابهم ... وحيث الخيام البيض من جانب الفم
وناد بدعد والرباب وزينب ... وهند وسلمى ثم لبنى وزمزم

وسـلهـن هل بالحـلة الـغـادة الـتي تريـك سنـا البيضـاء عند التبسم

(ف ج ٤ / ١٢٥ ، ٨٤ ـ المسامرات ج ٢ / ٥٨ ـ ترجمان الأشواق)

وقد تكون هذه الزوجة هي التي ذكر عنها في قوله : « لا إله إلا الله » سبعين ألف مرة عتق رقبة من النار ، حيث يقول : عملت أنا على هذا الحديث ورأيت له بركة في زوجتي لما ماتت . (ف ج ٤ / ٤٧٤) .

ومن زوجاته رضي الله عنه المرأة الصالحة مريم بنت محمد بن عبدون بن عبد الرحمن البجائي ، كان شخص يتعاهدها في الوقائع وما ترى له شخصاً قط ، فقال لها : تقصدين الطريق ؟ قالت فقلت له : إي والله أقصد الطريق ، ولكن لا أدري بماذا ، قالت فقال لي : بخمسة :ـ وهي التوكل واليقين والصبر والعزيمة والصدق ، فعرضت رؤياها على الشيخ الأكبر فقال لها : هذا مذهب القوم . (ف ح ١ / ٢٧٨ ـ ج ٢ / ٤١٦) .

ومن زوجاته رضي الله عنه فاطمة بنت يونس بن يوسف أمير الحرمين .

وقال أبوالحسن علي بن إبراهيم بن عبدالله بن يوسف البغدادي ، وكان في القرن الثامن الهجري ، ومن تلاميذ الفيروزآبادي : إن قاضي القضاة المالكية بدمشق زوج الشيخ ابنته ، كما أنه من المعلوم أن صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي هو ربيب الشيخ رضي الله عنه ، فقد تكون أمه هي إحدى من ذكرن[1] . (ف ج ٤ / ٥٥٩) .

أولاده :

عُلِمَ من الذكور: سعد الدين محمد الذي أمه فاطمة بنت يونس بن يوسف أمير الحرمين، ولد بملطية عام ٦١٨ هـ وتوفي بدمشق عام ٦٥٦ هـ، وعماد الدين أبو عبد الله محمد الذي توفي عام ٦٦٧ هـ، ومن البنات ذكر الشيخ عن ابنة له اسمها زينب وهي التي تكلمت في المهد كما سيأتي ذكره ، وماتت صغيرة فأنزلها بيده في لحدها، وفي ذلك يقول في الديوان / ٣٤٠ :

لحدت بنـتي بيـدي لأنها ذو جسـدي
أنـا على حكم النـوى فليس شيء بيـدي
مقـيّـد في وقـتـنـا ما بين أمس وغـد

(١) النظام المذكورة في ذخائر الأعلاق لم يتزوج بها الشيخ .

أخص أصحابه :

أقرب أصحابه إليه هو الشيخ **أبو محمد ـ عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي** نزيل تونس، كتب إليه رسالة روح القدس في محاسبة النفس، وكتاب الفتوحات المكية، ومما وصفه به قوله :ـ وقد فزت يا أخي ـ جعلني الله وإياك من الفائزين ـ في زمانك هذا بخلال، لم أقدر أن أراها من غيرك، منها :ـ معرفتك بمرتبة العلم وأهله، وعدم تعريجك على الكرامات والأحوال، ومنها انقيادك للحق، وتواضعك له، ونزولك إليه عند من وجدته، سواء كان ممن تلحظه العيون، أم لا يؤبه له، ولم تلحظ منزلتك الدنيوية، من تعظيم الناس لك، وتقبيلهم يدك، وإتيان السلاطين إلى بابك، وهذا غاية الإنصاف، ثبّتك الله وإيانا. ومنها قولك فيما لا تعلم : لا أعلم ؛ وفيما تعلم : أحب أن أسمعه من غيري، فقد حزت ـ والله يا وليّ ـ هذه الخصال التي تتطاير دونها رقاب الرجال، والمقام الذي لا تُغيِّره الأحوال، ولا تزيده حسناً ووضاءة رواتب الأعمال، ثم بحثك ـ الذي لم أره من غيرك ـ في معرفة الأنام والزمان، واعتقادك أنه من فروض الأعيان، من أعجب ما سمعته الآذان، وتسامرت به الخلان، وسارت به الركبان، ثم ما وهبك الله من الصولة والقوة على الفقهاء، بدلائل المكارم والفتوة، الجارية مع براهين النبوة.

(روح القدس في محاسبة النفس).

تلاميذه :

من أخص تلاميذ الشيخ خادمه **عبد الله بدر الحبشي**، عتيق أبي الغنائم بن أبي الفتوح الحراني، صحبه بإشبيلية منذ عام ٥٨٠ هـ، وخدم الشيخ بفاس عام ٥٩٤ هـ، وألف الشيخ من أجله كتاب مواقع النجوم بالمرية عام ٥٩٥ هـ حيث يقول فيه الشيخ :

ووهبنا ما وهبنا سر بدر الحبشي
وبعثناه رسولاً للرئيس الندسي
بكتاب رقمته كف ذات الحكمي
بعلوم وسمتها موقع النجم العلي
ومطالع هلالين بأفق قطبي
حرض الناس على نيل الوجود العملي

ونهايـات الـتـلقـي بالمـقـام الخـلقـي

(ف ح ٢/ ٣٤٨ - الديوان /٧)

وكتب له كتاب حلية الأبدال بالطائف عام ٥٩٩ هـ، وكتب له وللشيخ عبد العزيز القرشي الفتوحات المكية، وشرح تلبية لرغبته هو وإسماعيل بن سودكين ترجمان الأشواق؛ صحب الشيخ في رحلتـه من المغـرب إلى المشرق، ونال ببركته وصِدقِه في صحبته أعلى المقامات، فيقول الشيخ فيه:

فرأيـنـا مَنْ تعـالى بالـوجـود الخـلُقِـي
في لـطـيـف مَـلَكِـي وكـثـيـف بَشَـرِي
وسـألـنـاه بأسرار المـقـام الـقـدسي
نيـل ما قد نحـن نلنـاه لبـدر الحـبشي

(ف ح ١/ ١٠، الديوان / ٢٠)

ويقول في الديوان / ٥٤:

ألـبـسـت بدراً خريـقـة الخـلق لما حكـى نوره دُجـى الـغـسـق
وقـلـت يا بدر لا كُسِـفْـتَ ولا عدلت يومـاً عن أحسن الـطرق
ألبَسْتُـكَ الـزهـد والصيانـة إذ جردت ثوب المـجـون والـعـلق

ويقول في الفتوحات ح ١ / ١٩٨:

أحـب لحبـك الحـبـشـان طرأ وأعشق لاسمـك البـدر المنيرا

توفي في حياة الشيخ، وقد هاب غاسله أن يغسله مما كان في وجهه من صورة الأحياء، ففتح عينيه في المغتسل وقال له: اغسل. (المسامرات ح ١/ ٢٢٧، ف ح ١/ ٢٢١).

ومن تلاميذه إسماعيل بن سودكين النوري، شرح له كتابي الإسراء والمشاهد إملاءً، في كتـاب سماه «النجـاة عن حجب الاشتبـاه»، وشرح مشكل الفوائد من كتاب الإسراء والمشاهد»، ويقول الشيخ رضي الله عنه عن هذا التلميذ: ولقد نبهني الولد العزيز العارف شمس الدين إسماعيل بن سودكين النوري، على أمر كان عندي محققاً من غير الوجه الذي نبهنا عليه هذا الولد، وهو التجلي في الفعل، هل يصح أو لا يصح؟ فوقتاً كنت أنفيه بوجه، ووقتاً كنت أُثبته بوجه يقتضيه ويطلبه التكليف، إذ كان التكليف بالعمل، لا يمكن أن يكون من حكيم عليم يقول: اعمل وافعل، لمن يعلم أنه لا يعمل ولا يفعل، إذ لا قدرة

عليه، وقد ثبت الأمر الإلهي بالعمل للعبد، مثل أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، واصبروا وصابروا، ورابطوا وجاهدوا، فلابد أن يكون له في المنفعل عنه تعلق، من حيث الفعل فيه ، يسمى به فاعلاً وعاملاً، وإذ كان هذا، فبهذا القدر من النسبة يقع التجلي فيه، فبهذا الطريق كنت أثبته، وهو طريق مرضي في غاية الوضوح، يدل أن القدرة الحادثة لها نسبة تعلق بها يكلف عمله، لابد من ذلك، ورأيت حجة المخالف واهية في غاية الضعف والاختلال، فلما كان يوماً، فاوضني في هذه المسألة هذا الولد إسماعيل بن سودكين المذكور، فقال لي: وأي دليل أقوى من نسبة الفعل إلى العبد وإضافته إليه والتجلي فيه، إذ كان من صفته، من كون الحق خلق الإنسان على صورته، فلو جرد عنه الفعل لما صح أن يكون على صورته، ولما قبل التخلق بالأسماء، وقد صح عندكم وعند أهل الطريق بلا خلاف أن الإنسان مخلوق على الصورة، وقد صح التخلق بالأسماء، فلم يقدر أحد أن يعرف ما دخل علي من السرور بهذا التنبيه، فقد يستفيد الأستاذ من التلميذ أشياء من مواهب الحق تعالى، لم يقض الله للأستاذ أن ينالها إلا من هذا التلميذ، فالحمد لله الذي استفدنا من أولادنا مثل ما استفاده شيوخنا منا، أموراً كانت أشكلت عليهم.

(ف ح ٣/٢١٦ - ح ٢/٤٩، ٦٨١).

وفيه قال الشيخ رضي الله عنه يخاطبه في الديوان/ ١٨١ :

جزاك الله خيراً من ولي عليم بالخفي وبالجلي
رعاك الله من شخص تعالى عن الأمثال بالنعت العلي
صدوق الوعد أنزله كتاباً فإسماعيل ذو الخلق الرضي

يقول الشيخ إنه جمع ونديه بدراً الحبشي وإسماعيل بن سودكين بختم الولاية المحمدية « يعني نفسه » ودعا لهما وانتفعا به ، وتوفي إسماعيل بن سودكين عام ٦٤٦ هـ

(ف ج ٢/ ٤٩) .

أما تلميذاته فهن :

أم محمد وفيها يقول في الديوان / ٥٧ :

ألبست ام محمد ثوب التصوف معلماً
بشروطها مستوثقاً منها بذاك ومحكماً

دنيا وفيها يقول في الديوان / ٥٤ :

ألـبـسـت بنـتي دُنـيـا لبـاس ديـنٍ وتـقـوى
عـسـى أراهـا على ما قد كلف الله تقـوى
فإن دارك هذي دار اختبـار وبلوى

بنت زكي الدين وفيها يقول في الديوان / ٥٦ :

ألبست بنت زكي الـدين خرقتنـا من بعـد صحبتهـا إيّاي بالأدب
تخلقت فصفت منهـا مواردهـا وقـدست ذاتها عن أكثر الـريب
لما حويت علومـاً أنت أكثـرهـا أخـذتهـا عن مربٍ صادق وأب
فَلْتَلْبس البنتُ من شاءتـه خرقتنا بعـد التحقق بالأسـماء والنسب
لكـل إنسٍ وجنٍّ بعـد صحبتهم على الشروط التي أودعتهـا كتبي

زينب وفيها يقول في الديوان / ٥٩ ، ٢٢٣ :

ألبست زينب ثوب الفضل والدين من يد من هو مسكين ابن مسكين
هو الفقـير الـذي قد باع مُتَّجـراً إضـلالَـه بالهـدى لله والـديـن
على الـتـخـلق بالأسـماء أجمعهـا أسماء ديَّان يوم الفصل والدين
واعـكف على كل خير أنت فاعله فإنـها الخير في التشريع بالـدين

زمرد وفيها يقول في الديوان / ٥٩ :

سألـتـنـا زمـرد تلبس الخـرقـة الـتي
ثم لما أجـبـتـهـا لبـسـتـهـا وولـت
نحـو مصرٍ بيـنـتـهـا تبـتـغـي سد خلة

ست العابدين وفيها يقول في الديوان / ٥٧ :

ألبست ست العـابـديـ ـن خرقـة الـتصـوف
ألـبـسـتـهـا من رغبتي فيـهـا ومـن تخوفي
على انـكـسـار راعـني منهـا ومـن تشـوف
ألـبـسـتـهـا بمكـة في الحـج بالمـعـرّف

ست العيش وفيها يقول في الديوان / ٥٣ :

ألبست ست العيش مثل الذي ألبسني أهل التقى والسماح
خرقة أهل الله فخراً وما على الذي يلبسها من جناح
وشرطها أن تلبسيها على الشرط الذي يلبس أهل الصلاح
مقامها الفوز غداً والنجاح في كل ما تطلبه والفلاح

سفرى وفيها يقول في الديوان / ٥٧ :

ألبست بنتي سفرى خرقة أهل الأدب
ألبستها ثوب تقى من كل خلق معجب
وقلت : يابنت اسلكي طريقتي ومذهبي
فمذهبي شرع النبي الهاشمي العربي
فهكذا ألبستُها من كل شيخ منجب
أقول هذا وأنا محمد بن العربي

شرف وفيها يقول في الديوان / ٥٦ .

سألتنا شرف نلبسها خرقة القوم على شرط الوفا
حين تابت عندنا من كل ما كان منها قبل هذا سلفا
فأجبناها إلى ما سألت باعتقاد ووداد وصفا
وأمرناها بأن تلبسها كل من كان بخير عرفا

صفية وفيها يقول في الديوان / ٥٣ ، ٥٩ :

لبست صفية خرقة الفقراء لما تحلت حلية الأمناء
وأتت بكل فضيلة وتنزهت عن ضدها فعلت على النظراء
وتكاملت أخلاقها وتقدست وتخلقت بجوامع الأسماء
جاءت لها الأرواح في محرابها فهي البتول أُخَيَّةُ العذراء
وهي الحصان فما تزن بريبة وهي الرزان شُقَيقَة الحمراء
نزلت تبشرها ملائكة السما ليلاً بنيل وراثة النُبَآء

فاطمة وفيها يقول في الديوان / ٥٣ :

ثوب التقى والهدى ألبست فاطمة ... وما أرى للباس الخير من عوض
ألبستها خرقة علياء جامعة ... تزيل عن قلبها ما فيه من مرض
جمعت والله في إلباس ما لبست ... مني من الخير بين الذات والعرض
قد كان لي غرض في أن تكون لنا ... بتاً وربي فيها قد قضى غرضي
فلنشكر الله لا أرجو سواه لها ... على الذي قدّر الرحمن حين رضي

وأما معاصروه، الذين بكل فضل وصفوه، وعلى أنفسهم ميزوه ، فمنهم الإمام فخر الدين محمد بن عمر حسين الرازي، والإمام شيخ الإسلام عزالدين بن عبدالسلام، وشهاب الدين عمر بن محمد السهروردي ، والشيخ سعد الدين محمد بن المؤيد الحموي ، والشيخ كمال الدين الزملكاني ، وقاضي القضاة المالكية ولعله زين الدين الزواوي ، والقاسم بن الحافظ بن عساكر ، وابن النجار ، وابن الدبيثي ، والقاضي أبو يحيى زكريا بن محمد بن محمود الأنسي القزويني ، على ما جاء في مناقب ابن عربي لأبي الحسن البغدادي .

تحصيل الشيخ وشيوخه في العلم الظاهر :

قرأ القرآن بالسبع ، وسمع كثيراً من كتب الحديث والفقه على الشيوخ ، وأما عن الحديث النبوي الشريف ، فإنه رضي الله عنه لا يروي حديثاً إلاّ مسنداً إلى صاحبه سماعاً متصلاً ، أو كتابة إليه رضي الله عنه متصلاً بالسند إلى كاتبه ، وقد جمع حفظاً كل ما سمعه من الكتب الستة وغيرها ، وأجيز في روايتها ، ويذكر بعض شيوخه وبعض مسموعاته ، فيقول رضي الله عنه : فمن شيوخنا أبو بكر محمد بن خلف بن صاف اللخمي ، قرأت عليه القرآن العظيم بالقراءات السبع ، وكتاب الكافي لأبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني المقري في مذهب القرّاء السبعة المشهورين ، وحدثني به ابن المؤلف شريح الرعيني عن أبيه المؤلف ، ومن شيوخنا في القرآن أيضاً أبو القاسم عبد الرحمن بن غالب الشراط من أهل قرطبة ، وقرأت عليه أيضاً القرآن الكريم بالكتاب المذكور، وحدثني أيضاً عن ابن شيخنا بمؤلف أبي الحسن شريح عن أبيه المؤلف محمد بن شريح المقري . ومن شيوخنا القاضي أبو محمد عبد الله الباذلي قاضي مدينة فاس ، حدثني بكتاب التبصرة في مذاهب القرّاء

السبعة لأبي محمد مكي المقري عن أبي بحر سفيان بن القاضي عن المؤلف بجميع تآليف مكي أيضاً ، وأجازني إجازة عامة . ومن شيوخنا القاضي أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي حمزة. سمعت عليه كتاب التيسير في مذاهب القرّاء السبعة لأبي عمرو عثمان بن أبي سعيد الداني المقري ، حدثني به عن أبيه عن المؤلف وبجميع تآليف الداني وأجازني إجازة عامة . ومن شيوخنا القاضي أبو عبد الله بن سعيد بن دربون سمعت عليه كتاب اليقعي لأبي لأبي عمرو يوسف بن البر اليموي الشاطبي ، وحدثني به عن أبي عمران موسى بن أبي بكر المؤلف وبجميع تأليفه ، مثل الاستذكار والتمهيد والاستيعاب والانتقا ، وأجازني إجازة عامة . ومن الروايتين ، أجاز لي أن أرويه عنه وجميع تآليفه . ومن شيوخنا المحدث أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الإشبيلي ، حدثني بجميع مصنفاته في الحديث ، وعين لي من أسمائها ، تلقين المبتدي ، والأحكام الصغرى ، والوسطى والكبرى ، وكتاب التمجيد ، وكتاب الوافية ونظمه ونثره ، وحدثني بكتاب الإمام أبي محمد بن أحمد ابن حزم ، عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح عنه ، ومن شيوخنا عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل بن الحرستاني ، سمعت عليه صحيح مسلم ، حدثني به عن العراوي عن عبد الغافر الفارسي الجلودي ، عن إبراهيم المروزي عن مسلم وأجازني إجازة عامة . ومن شيوخنا يونس بن يحيى بن أبي الحسين العباسي الهاشمي نزيل مكة ، سمعت عليه كتباً كثيرةً في الحديث والرقائق ، منها كتاب صحيح البخاري ، حدثني به عن أبي الوقت عن الداودي عن الحموي عن الفربري عن البخاري . ومن شيوخنا المكين أبو أبو شجاع زاهر ابن رستم الأصفهاني إمام المقام بالحرم ، سمعت عليه كتاب الترمذي - أبي عيسى - حدثني به عن الكرخي الهروي ، عن الجراحي عن المحبوبي عن الترمذي وأجازني إجازة عامة ، ومن شيوخنا البرهاني - نصر بن أبي الفتوح - بن عمر الحصري إمام مقام الحنابلة بالحرم الشريف ، سمعت عليه كتباً كثيرة منها السنن لأبي داود السجستاني ، حدثني بها عن أبي جعفر بن محمد بن علي بن محمد السمناني ، عن أبي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب ، عن أبي عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي البصري ، عن أبي علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي ، عن أبي داود وأجازني إجازة عامة . وحدثني بكتب ابن ثابت الخطيب عن أبي جعفر السمناني . ومن شيوخنا سالم بن رزق الله الإفريقي ، سمعت

عليه كتاب المعلم بفوائد مسلم للمازري ، حدثني به عنه وبجميع مصنفاته وتآليفه وأجازني إجازة عامة . ومن شيوخنا محمد بن الوليد بن أحمد بن محمد بن سبيل ، قرأت عليه كثيراً من تآليفه، وناولني كتاب نهاية المجتهد، وكفاية المعتضد، والأحكام الشرعية، من تآليفه . ومن شيوخنا أبو عبدالله بن عيشون ، حدثني بكتاب القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله العربي المعافري وأجازني إجازة عامة . ومن شيوخنا أبو سعيد عبد الله بن عمر بن أحمد منصور الصفا ، حدثني بكتب الواحدي كتابة عن عبد الجبار بن محمد بن أحمد الحواري عنه . ومن شيوخنا أبو الوابل بن العربي ، سمعت عليه سراج المهتدين للقاضي ابن العربي - ابن عمه - حدثني به عنه وأجازني إجازة عامة . ومن شيوخنا أبو الثنا محمود بن المظفر اللبان ، حدثني بكتب ابن خميس عنه ، وحدثني الحميدي ، ومنهم محمد بن محمد بن محمد البكري ، سمعت عليه - رسالة القشيري - وحدثني بها عن أبي الأسعد عبد الرحمن ابن عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن القشيري عن جده عبد الكريم المؤلف وأجازني إجازة عامة ، ومنهم ضياء الدين بن عبد الوهاب بن علي بن علي بن سكينة ، شيخ الشيوخ ببغداد ، أجازني إجازة عامة وأخذ عني وأخذت عنه ، وسمعت عليه بمدينة باب السلام بحضور ابنه عبد الرزاق. ومنهم أبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني القزويني ، حدثني بتآليف البيهقي وأجازني إجازة عامة ، ومنهم أبو الطاهر أحمد بن محمد - بن إبراهيم السلفي الأصفهاني ، أجازني إجازة عامة ، وهو يروي عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني المقري ، وأيضاً ممن أجازني وكتب إلي أن أروي عنه كتبه ، عبد الرحمن السلمي ، حدثني عن محمد نصار البيهقي عنه . ومنهم جابر بن أيوب الحضرمي وأجازني إجازة عامة ، وهو يروي عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني المقري ، وممن أجازني إجازة عامة محمد بن إسماعيل بن محمد القزويني ، والحافظ الكبير - ابن عساكر - صاحب تاريخ دمشق ، ومنهم أبو القاسم خلف بن بشكوال ، وهو القاسم بن علي بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن الشافعي يوسف بن الحسن بن أبي النقاب بن الحسن ، وأجازنا أخوه أبو العباس أيضاً. ومنهم أبو القاسم ذاكر بن كامل بن غالب الخفاف ، ومنهم محمد ابن يوسف بن علي الغزنوي . ومنهم أبو حفص عمر بن عبد المجيد بن عمر بن حسن بن عمر بن أحمد القرشي المياستي . ومنهم عبد الرحمن بن علي - بن الجوزي - الحافظ ، كتب

إلي بالرواية عنه بجميع تآليفه ونظمه ونثره ، وسمى لنا من كتبه صفوة الصفوة، ومثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، وغير ذلك ، ومنهم أبو بكر بن أبي الفتح الشيخان. ومنهم المبارك بن علي بن الحسين الطباخ ، ومنهم عبد الرحمن ابن الأستاذ المعروف بابن علوان. ومنهم الزنجاني ، ومنهم أبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود بن شداد الموصلي. ومنهم أحمد بن أبي منصور ، ومنهم محمد بن أبي المعالي، عبد الله بن موهب بن جامع بن عبدون البغدادي الصوفي يعرف بابن السنا . ومنهم محمد بن أبي بكر الصوفي . ومنهم المهذب بن علي بن هبة الله الطبيب الضرير ، ومنهم ركن الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر الطوسي الخطيب ، وأخوه شمس الدين أبو عبد الله ، ومنهم القرماني ببغداد بعلوي خزائن الأنصاري ، ومنهم ثابت بن عين الحاوي ، قرأت عليه من كتبه وتآليفه، ووقفها بروايته بمسجد العماد بن الجلادين بالموصل ، ومنهم عبد العزيز بن الأحضر ، ومنهم أبو عمر عثمان بن أبي يعلى بن عمر الأبهري الشافعي عن أولاد البراء بن عازب ، ومنهم سوه بن محمد بن أبي المعالي ، ومنهم عبد الحميد بن محمد بن علي بن أبي المرشد القزويني. ومنهم أبو النجيب القزويني. ومنهم محمد بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي قرأت عليه جميع مصنفاته ، ومنهم أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن الرازي ، ومنهم أحمد ابن منصور الجوزي، ومنهم أبو محمد إسحق بن يوسف بن علي. ومنهم أبو عبد الله بن عبد الله محمد الحجري، ومنهم أبو الصبر أيوب بن أحمد المقري، ومنهم أبو بكر محمد بن عبد الله السكسكي. ومنهم ابن مالك حدثني بمقامات الحريري عن مصنفها، ومنهم عبد الودود بن سمحون قاضي النبكب، ومنهم عبد المنعم بن القرشي الخزرجي، ومنهم علي ابن عبد الواحد بن جامع المحامد. ومنهم أبو بكر بن حسين قاضي مرسيه، ومنهم أبو جعفر يحيى الورعي ، ومنهم علي بن هزيل . ومنهم أبو زيد السهيلي ، حدثني بالروض الأنف في شرح السيرة والمغازي والأعلام وجميع تآليفه منها ملقى السيد ، ومنهم أبو عبد الله ابن المالقي المحدث. ومنهم أبو الحسن الصانع، وقيل الصائغ الأنصاري . ومنهم عبد الجليل مؤلف ـ المشكل في الحديث ـ وشعب الإيمان . ومنهم أبو عبد الله بن المجاهد ، ومنهم أبو عمران موسى بن عمران المريتلي ، ومنهم علي بن النضران ، ولولا خوف الملال ، وضيق الوقت ، لذكرنا من سمعنا عليه ولقيناه .

(ف ج ٤ / ٥٥٠ ، المسامرات ج ١ / ١٣ ، الإجازة للملك المظفر) .

الشيخ إمام صاحب مذهب مستقل :

لا يعرف أكثر أهل العلم أن الشيخ الأكبر رضي الله عنه إمام صاحب مذهب مستقل ، بل ينسبونه إلى المذهب الظاهري خطأً ، وبعضهم ينسب إليه تقليد الإمام ابن حزم ، فيرد عليهم بقوله في الديوان / ٤٧ :

نسبوني إلى ابن حزم وإني لست ممن يقول قال ابن حزم

لا ولا غيره فإن مقالي قال نص الكتاب ذلك علمي

أو يقول الرسول أو أجمع الخلـ ـق على ما أقول ذلك حكمي

لم يتوغل السادة العلماء في فهم معنى الظاهر عند الشيخ ، ولم يحققوا ما يعنيه ، ولو تتبعوا المعاني التي شرحها الشيخ في مفهوم الظاهر ، لعلموا أن مذهبه التيسير ورفع الحرج عن الأمة ، وأنه يعني « بالظاهر » كل مذهب فقهي يحمل اللفظ على معنى من معانيه الواردة في اللغة ، وعدم التأويل ، الذي يخرج اللفظ عما يحتمله من المعنى في لغة العرب ، أو ما نص عليه الشارع ، ولو أن السادة الفقهاء شغلوا نفوسهم بما أتى به الشيخ من الناحية الشرعية والفقهية ، لوجدوا بحوراً من العلم زاخرة ، وفهماً نادراً ، وأسراراً عظيمة ، لا تأتي إلا عن طريق الفتح الإلهي والإلهام الربّاني ، ولوقفوا على مسائل في الأصول والفروع ، يثبت بها اجتهاد الشيخ ، لم يسبقه بها أحد من الأئمة الفقهاء ، ومما يدل على علو كعب الشيخ ، واتساع علمه ، وسعة اطلاعه على أقوال العلماء والفقهاء ، قوله رضي الله عنه : السعادة إنما هي مع أهل الظاهر ، وهم في الطرف والنقيض من أهل الباطن ، والسعادة كل السعادة مع الطائفة التي جمعت بين الظاهر والباطن ، وهم العلماء بالله وبأحكامه ، وكان في نفسي - إن أخر الله في عمري - أن أضع كتاباً كبيراً ، أقرر فيه مسائل الشرع كلها ، كما وردت في أماكنها الظاهرة وأقررها ، فإذا استوفينا المسألة المشروعة في ظاهر الحكم ، جعلنا إلى جانبها حكمها في الباطن ، في باطن الإنسان ، فيسري حكم الشرع في الظاهر والباطن ، فإن أهل طريق الله ، وإن كان هذا غرضهم ومقصدهم ، ولكن ما كل أحد منهم يفتح الله له في الفهم ، حتى يعرف ميزان ذلك الحكم في باطنه ، فقصدنا في هذا الكتاب (الفتوحات المكية) إلى الأمر العام من العبادات ، وهي الأركان الخمسة لكونها من قواعد الإسلام التي بني الإسلام عليها . (ف ج ١ / ٣٣٤) .

اجتماع الشيخ بعلماء عصره :

أما عن اجتماع الشيخ بعلماء عصره ، فنراه يقول : إني ما أعرف منزلاً ولا نحلةً ولا ملةً إلا رأيت قائلاً بها ومعتقداً لها ومتصفاً بها باعترافه من نفسه ، فما أحكي مذهباً ولا نحلةً إلا عن أهلها القائلين بها ، فإنه ما من مذهب أو نحلةٍ إلا وقد رأيت قائلاً به ، وإن كنا قد علمناها من الله بطريق خاص ، ولكن لابد أن يرينا الله قائلاً بها ، لنعلم فضل الله علي وعنايته بي ، حتى إني علمت أن في العالم من يقول بانتهاء علم الله في خلقه ، وأن الممكنات متناهية ، وأن الأمر لابد أن يلحق بالعدم والدثور ، ويبقى الحق حقاً لنفسه ولا عالَم[1] فرأيت بمكة من يقول بهذا القول ، وصرح لي به معتقداً له من أهل السوس من بلاد المغرب الأقصى ، حج معنا وخدمنا ، وكان يصر على هذا المذهب حتى صرح به عندنا ، وما قدرت على رده عنه ، ولا أدري بعد فراقه إيانا هل رجع عن ذلك أو مات عليه ؟ وكان لديه علوم جمة وفضل ، إلا أنه لم يكن له دين ، وإنما كان يقيمه صورةً عصمةً لدمه ، هذا قوله لي ، ويعطيه مذهبه ، وليس في مراتب الجهل أعظم من هذا الجهل .

(ف ج ٣ / ٥٢٣ ، ٧٥) .

ولقد أضافني واحد من علماء عبدة الشمس ، وهم الشمسية ، رأينا منهم خلقاً كثيراً ببلاد يونان ، فسألته : ـ لم أشركتم مع الله في عبادته عبادة الشمس ؟ وأخذت معه في عبادتهم للشمس وسجودهم لها ، فقال لي : ما ثَمَّ إلا الله ، وهذه الشمس أقرب نسبة إلى الله ، لما جعل الله فيها من النور والمنافع ، ونحن نعظمها لما عظمها الله بما جعل لها ، وقد اجتمع الشيخ بأحد أحبار اليهود وأفحمه[2] : ولقيت من العلماء من يقول : رويت ، فلا يطلب المزيد ، رأيت منهم جماعة وهم أجهل الطوائف ، ورأيت أئمة من الأشاعرة على هذه القدم ، يرون أنهم يعرفون الله كما يعلم نفسه سبحانه من غير مزيد ، فهؤلاء مستريحون بجهلهم ، قد يئسنا من فلاحهم . (ف ج١ / ٥١٣ ، ٧٠٦) .

ولقيت أبا عبد الله بن جنيد القبرفيقي ، ضيعة من أعمال رندة ببلاد الأندلس ، جاء

---

(١) مذهب الجهمية هم أصحاب جهم بن صفوان. يقولون : الجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى .

(٢) راجع القسم الثاني «علم الحروف» .

إلى زيارتنا بإشبيلية ، فسألته عن التخلق بالاسم القيوم ، فقال : يجوز التخلق ، ثم منع من ذلك ، وما أدري سبب منعه ، فلم أزل به ألاطفه في أصحابه وأتباعه بقريته ـ لكونه كان معتزلي المذهب ـ حتى انكشف له الأمر ، فرجع عن مذهب الاعتزال ، القائلين بإنفاذ الوعيد وبخلق الأفعال ، وعرف محل ذلك فأنزله في موضعه ، ولم يتعد به رتبته ، وشكرني على ذلك ، ورجع لرجوعه جميع أصحابه وأتباعه ، وحينئذ فارقته . (ف ج ٤ / ١٧٩) .

وممن لقيته أبا الحسن علي المسفر ، شيخ جليل القدر ، كان حكيماً عارفاً غامضاً في الناس ، محمود الذكر ، رأيته بسبتة ، له تصانيف منها منهاج العابدين ، الذي يُعزى لأبي حامد الغزالي ، وليس له وإنما هو من مصنفات هذا الشيخ ، وكذلك النفخ والتسوية ، الذي يُعزى إلى أبي حامدٍ أيضاً ، وتُسمَّية الناس المصون الصغير ، وله أيضاً القصيدة المشهورة وهي :

قل لإخوانٍ رأوني ميتاً فبكوني إذ رأوني حزناً
أتظنون بأني ميْتكم لست ذاك الميت والله أنا

مسامرات ج ١ / ٢٢٤ .

اجتماع الشيخ بالفلاسفة :

الفيلسوف معناه محب الحكمة ، لأن سوفيا باللسان اليوناني هي الحكمة ، وقيل المحبة ، فالفلسفة معناها حب الحكمة ، غير أن أهل الفكر خطؤهم في الإلهيات أكثر من إصابتهم ، سواء كان فيلسوفاً ، أو معتزلياً ، أو أشعرياً ، أو ما كان من أصناف أهل النظر . فما ذُمَّت الفلسفة لمجرد هذا الاسم ، وإنما ذُموا لما أخطأوا فيه من العلم الإلهي ، مما يعارض ماجاءت به الرسل عليهم السلام ، بحكمهم في نظرهم بما أعطاهم الفكر الفاسد في أصل النبوة والرسالة ، ولماذا تستند ؟ فتشوش عليهم الأمر ، فلو طلبوا الحكمة حين أحبوها من طريق الله لا من طريق الفكر ، لأصابوا في كل شيء . (ف ج ٢ / ٥٢٣) .

اجتماع الشيخ بابن رشد :

دخلت يوماً بقرطبة على قاضيها أبي الوليد بن رشد ، وكان يرغب في لقائي ، لما

سمع وبلغه ما فتح الله به علي في خلوتي ، فكان يظهر التعجب مما سمع ، فبعثني والدي إليه في حاجـة ، قصـداً منه حتى يجتمع بي ، فإنه كان من أصدقائه ، وأنا صبي مابَقَلَ وجهي ، ولا طرَّ شاربي ، فعندما دخلت عليه قام من مكانه إليّ محبة وإعظاماً ، فعانقني وقال لي : نعم ؟ قلت له : نعم ، فزاد فرحه بي لفهمي عنه ، ثم إني استشعرت بما أفرحه من ذلك ، فقلت له : لا ، فانقبض وتغيّر لونه وشك فيما عنده ، وقال : كيف وجدتم الأمر في الكشف والفيض الإلهي ؟ هل هو ما أعطاه لنا النظر ؟ قلت له : نعم لا ، وبين نعم ولا تطير الأرواح من موادّها ، والأعناق من أجسادها ، فاصفر لونه ، وأخذه الأفكل ، وقعد يحوقل ، وعرف ما أشرت به إليه ، وطلب بعد ذلك من أبي الاجتماع بنا ، ليعرض ما عنده علينا ، هل يوافق أو يخالف ؟ فإنه كان من أرباب الفكر والنظر العقلي ، فشكر الله تعالى الذي كان في زمان ، رأى فيه من دخل خلوته جاهلاً ، وخرج مثل هذا الخروج ، من غير درس ولا بحث ولا مطالعة ولا قراءة ، وقال : هي حالة أثبتناها وما رأينا لها أرباباً ، فالحمد لله الذي أنا في زمان فيه واحد من أربابها ، الفاتحين مغاليق أبوابها ، والحمد لله الذي خصني برؤيته ، ثم أردت الاجتماع به مرة ثانية فأقيم لي رحمه الله في الواقعة ، في صورة ضرب بيني وبينه فيها حجاب رقيق ، أنظر إليه منه ولا يبصرني ، ولا يعرف مكاني ، وقد شغل بنفسه عني ، فقلت : إنه غير مرادٍ لما نحن عليه ، فما اجتمعت به حتى درج ، وذلـك سنة خمسٍ وتسعين وخمسمائة ، بمدينة مراكش ، ونقل إلى قرطبة وبها قبره ، ولما جعل التابوت الذي فيه جسده على الدابة ، جعلت تواليفه تعادله من الجانب الآخر ، وأنا واقف ومعي الفقيه الأديب أبو الحسين محمد بن جبير ، كاتب السيد أبي سعيد ، وصاحبي أبو الحكم عمرو بن السراج الناسخ ، فالتفت أبو الحكم إلينا وقال : ألا تنظرون إلى من يعـادل الإمام ابن رشد في مركوبه ؟ هذا الإمام وهذه أعماله ، يعني تواليفه ، فقال ابن جبير : ياولدي نعم ما نظرت لا فُضّ فوك ؛ فقيدّتها عندي موعظة وتذكرة ، رحم الله جميعهم ، وما بقي من تلك الجماعة غيري وقلنا في ذلك :

هذا الإمـــام وهـــذه أعـــمالـــه   ياليت شعـري هل أتت آمـاله

(ف ح ١/١٥٣).

شرح كلمة الشيخ : بين نعم ولا تطير الأرواح من موادها والأعناق من أجسادها :

صاحب النظر ـ وإن آمن تقليداً ـ ، فإنه يريد البحث عن الأدلة ، والنظر فيما آمن به ، لا على الشك ، ليحصل له العلم بالدليل الذي نظر فيه ، فيخرج من التقليد إلى العلم ، أو يعمل على ما قلد فيه ، فينتج له ذلك العمل العلم بالله ، فيفرّق به بين الحق والباطل ، عن بصيرة صحيحة ، لا تقليد فيها ، وهو علم الكشف ، فصاحب العلم عن العقل بنظره الفكري في العالم ، والآخذ للعلم بالمجاهدة والأعمال ، اجتمعا في النتيجة ، وزاد صاحب العمل أنه على بصيرة فيما علم ، لا يدخله شبهة ، وصاحب النظر ما يخلو عن شبهة تدخل عليه في دليله ، فصاحب العمل أولى باسم العالم من صاحب النظر ، فإن العقلاء والحكماء انفردوا في نفوسهم بالعلوم الإلهية ، من توحيد الله وما ينبغي لجلاله من التعظيم والتقديس ، وصفات التنزيه ، وعدم المثل والشبيه ، وحرضوا الناس على النظر الصحيح ، وأعلموهم أن للعقول ـ من حيث أفكارها ـ حداً تقف عنده لا تتجاوزه ، وأن لله على قلوب بعض عباده فيضاً إلهياً يعلمهم فيه من لدنه علماً ، ولم يبعد ذلك عندهم ، وأن الله قد أودع في العالم العلوي أموراً ، استدلوا عليها بوجود آثارها في العالم العنصري ، فبحثوا عن حقائق نفوسهم ، لما رأوا أن الصورة الجسدية إذا ماتت ، ما نقص من أعضائها شيء ، فعلموا أن المدرك والمحرك لهذا الجسد إنما هو أمر آخر زائد عليه ، فبحثوا عن ذلك الأمر الزائد ، فعرفوا نفوسهم ، ثم رأوا أنه يعلم بعد ما كان يجهل ، فعلموا أنها ـ وإن كانت أشرف من أجسادنا ـ ، فإن الفقر والفاقة يصحبها ، فاعتلّوا بالنظر من شيء ، إلى شيء لا يفتقر إلى شيء ، ولا مثله شيء ، ولا يشبه شيئاً ، ولا يشبهه شيء ، فوقفوا عنده ، وقالوا : هذا هو الأول ، وينبغي أن يكون واحداً لذاته من حيث ذاته ، وإن أوليته لا تقبل الثاني ، ولا أحديته ، لأنه لا شبه له ولا مناسب ، فوحدوه توحيد وجود ، ثم لما رأوا أن الممكنات لأنفسها ، لا تترجح لذاتها ، علموا أن هذا الواحد أفادها الوجود ، فافتقرت إليه ، وعظمته ، بأن سلبت عنه جميع ما تصف ذواتها به ، فهذا حد العقل فبينا هم كذلك ، إذ قام شخص من جنسهم ، لم يكن عندهم من المكانة في العلم بحيث أن يعتقدوا فيه أنه ذو فكر صحيح ، ونظر صائب ، فقال لهم : أنا رسول الله إليكم ، فقالوا :

الإنصاف أولى ، انظروا في نفس دعواه ، هل ادعى ما هو ممكن أو ادعى ما هو محال ؟ فقالوا : إنه قد ثبت عندنا بالدليل ، أن لله فيضاً إلهياً ، يجوز أن يمنحه من يشاء ، كما أفاض ذلك على أرواح هذه الأفلاك ، وهذه العقول ، والكل قد اشتركوا في الإمكان ، وليس بعض الممكنات بأولى من بعض فيما هو ممكن ، فما بقي لنا نظر إلا في صدق هذا المدعي أو كذبه ، ولا نقدم على شيء من هذين الحكمين بغير دليل ، فإنه سوء أدب مع علمنا ، فقالوا : هل لك دليل على صدق ما تدعيه ؟ فجاءهم بالدلائل ، فنظروا في دلالته ، وفي أدلته ، ونظروا أن هذا الشخص ما عنده خبر مما تنتجه الأفكار ، ولا عُرِفَ منه ، فأسرعوا إليه بالإيمان به ، وصدقوه ، وعلموا أن الله قد أطلعه على ما أودعه في العالم العلوي من المعارف ، ما لم تصل إليه أفكارهم ، ثم أعطاه من المعرفة بالله ما لم يكن عندهم ، ورأوا نزوله في المعارف بالله إلى العامي الضعيف الرأي بما يصلح لعقله من ذلك ، وإلى الكبير العقل الصحيح النظر بما يصلح لعقله من ذلك ، فعلموا أن الرجل عنده من الفيض الإلهي ما هو وراء طور العقل ، وأن الله قد أعطاه من العلم به والقدرة عليه ما لم يعطه إياهم ، فقالوا بفضله ، وتقدمه عليهم ، وآمنوا به وصدقوه واتبعوه ، فعين لهم الأفعال المقربة إلى الله تعالى ، وأعلمهم بما خلق الله من الممكنات فيما غاب عنهم ، وما يكون منه سبحانه فيهم في المستقبل ، وجاءهم بالبعث والنشور ، والحشر والجنة والنار ، فعلموا أن هذا الأمر أتم ، وأنه من عند الله بلا شك ، فقبلوا ما أعلمهم به من الغيوب ، وما عاند أحد منهم ، إلا من لم ينصح نفسه في علمه ، واتبع هواه ، وطلب الرياسة على أبناء جنسه ، وجهل نفسه وقدره ، وجهل ربه .

فكان أصل الشريعة في العالم وسببها ، طلب صلاح العالم ، ومعرفة ما جُهِلَ من الله مما لا يقبله العقل ، ولا يستقل به العقل من حيث نظره ، فنزلت بهذه المعرفة الكتب المنزلة ، ونطقت بها ألسنة الرسل والأنبياء عليهم السلام ، فعلمت العقلاء عند ذلك ، أنها نقصها من العلم بالله أمور ، تممتها لهم الرسل ، ولا أعني بالعقلاء المتكلمين اليوم في الحكمة ، وإنما أعنى بالعقلاء ، مَنْ كان على طريقتهم ، من الشغل بنفسه ، والرياضات والمجاهدات والخلوات ، والتهيؤ لواردات ما يأتيهم في قلوبهم ، عند صفائها من العالم العلوي ، الموحى في السموات العلا ، فهؤلئك أعني بالعقلاء ، فإن أصحاب اللقلقة

والكلام والجدل ، الذين استعملوا أفكارهم في مواد الألفاظ ، التي صدرت عن الأوائل ، وغابوا عن الأمر الذي أخذها عنه ، وأمثال هؤلاء الذين عندنا اليوم ، لا قدر لهم عند كل عاقـل ، فإنهم يستهزئون بالدين ، ويستخفون بعباد الله ، ولا يعظم عندهم إلا من هو معهم على مدرجتهم ، قد استولى على قلوبهم حب الدنيا ، وطلب الجاه والرياسة ، فأذلهم الله كما أذلوا العلم ، وحقرهم وصغرهم ، وألجأهم إلى أبواب الملوك والولاة من الجهال ، فأذلتهم الملوك والولاة ، فأمثال هؤلاء لا يعتبر قولهم ، فإن قلوبهم قد ختم الله عليها ، وأصمهم ، وأعمى أبصارهم ، مع الدعوى العريضة أنهم أفضل العالم عند نفوسهم ؛ فالفقيه المفتي في دين الله ـ مع قلة ورعه بكل وجه ـ أحسن حالاً من هؤلاء ، فإن صاحب الإيمان مع كونه أخذه تقليداً ، هو أحسن حالاً من هؤلاء العقلاء على زعمهم ، وحاشى العـاقل أن يكون بمثل هذه الصفة[1] ، وقد أدركنا ممن كان على حالهم قليلاً ، وكانوا أعرف الناس بمقدار الرسل ، ومن أعظمهم تبعاً لسنن الرسول ﷺ ، وأشدهم محافظة على سننه ، عارفين بما ينبغي لجلال الحق من التعظيم ، عالمين بما خص الله عباده ـ من النبيين وأتباعهم من الأولياء ـ من العلم بالله من جهة الفيض الإلهي الاختصاصي ، الخارج عن التعلم المعتاد ، من الدرس والاجتهاد ، ما لا يقدر العقل من حيث فكره أن يصل إليه ، ولقد سمعت واحداً من أكابرهم (وهو الإمام ابن رشد) وقد رأى مما فتح الله به عليّ من العلم به سبحانه ، من غير نظر ولا قراءة ، بل من خلوة خلوت بها مع الله ، ولم أكن من أهل الطلب ، فقال : الحمد لله الذي أنا في زمان ، رأيت فيه من آتاه رحمة من عنده ، وعلمه من لدنه علماً ، فالله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

فكل ما أعطاه الفكر للنفس الناطقة ، وكان علماً في نفس الأمر ، فهو من الفكر بالموافقة ، وأما الكشف الذي يكون للإنسان ، إنما يكشف له عن العلم الذي فطره الله عليه ، فيرى معلومه ، وأما بالفكر فمحالٌ الوصول به إلى العلم ، وأما العلم عن الإعلام الإلهي ، فتتلقاه النفس الناطقة من ربها ، كشفاً وذوقاً ، من الوجه الخاص ، الذي لها ولكل موجود سوى الله ، فالفكر الصحيح لا يزيد على الإمكان ، وما يعطي إلا هو ، وأما ما كان من علم الله وإعلامه ، فلا يُدرَك بالفكر . (ف ح ١ /٣٧٢، ٣٢٤ ـ ح ٢ /٤٨٩).

(١) راجع فقهاء الزمان.

إسلام أحد الفلاسفة واعترافه بحضرة الشيخ :

اتفق لنا في مجلس حضرنا فيه سنة ست وثمانين وخمسمائة ، وقد حضر عندنا شخص فيلسوف ، ينكر النبوة على الحد الذي يثبتها المسلمون ، وينكر ما جاءت به الأنبياء من خرق العوائد ، وأن الحقائق لا تتبدل ، وكان زمان البرد والشتاء ، وبين أيدينا منقل عظيم ، يشتعل ناراً ، فقال المنكر المكذب : إن العامة تقول : ـ إن إبراهيم عليه السلام ألقي في النار فلم تحرقه ، والنار محرقة بطبعها الجسوم القابلة للإحراق ، وإنما كانت النار المذكورة في القرآن في قصة إبراهيم الخليل ، عبارة عن غضب نمرود عليه ، وحنقه ، فهي نار الغضب ، وكونه ألقي فيها ، لأن الغضب كان عليه ، وكونها لم تحرقه ، أي لم يؤثر فيه غضب الجبار ، لما ظهر به عليه من الحجة ، بما أقامه من الأدلة ، فيما ذكر من أفول الأنوار ، وأنها لو كانت آلهة ما أفلت ، فركب له من ذلك دليلاً ، فلما فرغ من قوله ، قال له بعض الحاضرين ممن كان له مقام الخلة والتمكن : فإن أريتك أنا صدق ما قاله الله تعالى في النار ، أنها لم تحرق إبراهيم ، وأن الله جعلها عليه كما قال برداً وسلاماً ، وأنا أقوم لك في هذا المقام مقام إبراهيم عليه السلام في الذب عنه ، لا أن ذلك كرامة في حقي ، فقال المنكر : هذا لا يكون ، فقال له : أليست هذه هي النار المحرقة ؟ قال : نعم ، قال : تراها في نفسك ، ثم ألقى النار التي في المنقل في حِجْر المنكر ، وبقيت على ثيابه مدة يقلبها المنكر بيده ، فلما رآها ما تحرقه تعجب ، ثم ردها إلى المنقل ، ثم قال له : قرب يدك أيضاً منها ، فقرب يده ، فأحرقته ، فقال له : هكذا كان الأمر ، وهي مأمورة ، تحرق بالأمر ، وتترك الإحراق كذلك ، والله تعالى الفاعل لما يشاء ، فأسلم ذلك المنكر ، واعترف .

(ف ح ٢ / ٣٧١)

توبة فيلسوف آخر على يد الشيخ في مسألة علمية :

اتفق لي في مسألة ، أن المؤمن الجاهل ، يدخل دار السعادة ، وعليه خلعة عِلْمِ العالِمِ المستحق دار الشقاء ، وأن هذا العالم يعطى جهل المؤمن الجاهل ، وذلك أشد حسرة تمر عليه ، لأن العلم هو السعادة ، فإن الله إذا أراد شقاوة العبد ، أزال عنه العلم ، [فإنه لم يكن له العلم ذاتياً ، بل اكتسبه ، وما كان مكتسباً فجائز زواله]، ويكسوه حلة الجهل ، فإن عين انتزاع العلم جهل ، ولا يبقى عليه من العلم إلا العلم بأنه قد انتزع عنه العلم ،

فلو لم يبق الله تعالى عليه هذا العلم بانتزاع العلم لما تعذب ؛ اتفق لي في هذه المسالة عجباً ، وذلك أن بعض الفلاسفة سمع مني هذه المقالة ، فربما أحالها في نفسه ، أو استخف عقلي في ذلك ، فأطلعه الله بكشف لم يشكّ فيه في نفسه ، بحيث أن تحقق الأمر على ما قلناه ، فدخل عليّ باكياً على نفسه وتفريطه ، وكانت لي معه صحبة ، فذكر لي الأمر ، وأناب واستدرك الفائت وآمن ، وقال لي : مارأيت أشد منها حسرة .

(ف ح ٢/ ٢٨٤ - ح ٣/ ٢٤٥ - ح ٢/ ٢٨٤).

اجتماع الشيخ بإمام من أئمة أهل الكلام :

رأيت بفاس أبا عبد الله الكتاني ، إمام أهل الكلام في زمانه بالمغرب ، وقد سألني يوماً في الصفات الإلهية ، فقلت له ما هو الأمر عليه عندنا ، ثم قلت له : فما قولك أنت فيها ؟ هل أنت مع المتكلمين ؟ أو تخالفهم في شيء مما ذهبوا إليه فيها ؟ فقال لي : أنا أقول لك ما عندي ، أما إثبات الزائد على الذات المسمى صفة ، فلا بد منه عندي وعند الجماعة ، وأما كونه ذلك الزائد عيناً واحدة ، لها أحكام مختلفة كثيرة ، أو لكل حكم معنى زائد أوجبه ، ما عندنا دليل على أحديته ، ولا على تكثره ، هذا هو الإنصاف عندي في هذه المسألة ، وكل من تكلف في غير هذا دليلاً فهو مدخول ، والزائد لابد منه ، غير أنا نقول : - ما هو هو ، ولا هو غيره ، لما قد علمت ياسيدنا من مذهب أهل هذا الشأن في الغيرين ، فقلت له : يا أبا عبد الله أقول لك ما قال رسول الله ﷺ لأبي بكر في تعبيره الرؤيا : أصبت بعضاً ، وأخطأت بعضاً ، فقال لي : لا أتهمك والله فيما تعلمه ، ولا أقدر أرجع عن الحكم بالزائد ، إلا إن فتح الله لي بما فتح الله به عليك ، مع اختلاف أهل النظر فيما ذهبت إليه ، هذا قوله . فتعجبت من إنصافه ومن تصميمه ، مع شهادته على نفسه أنه ما يتهمني ، وهو يخالفني ، فأشبه من أضله الله على علم ، ولكن لا يقدح ذلك عندي في إيمانه ، وإنما يقدح في عقله . (ف ج ٤ / ٢٢) .

وقد اختلف الناس في العلم الموهوب الذي من شأنه أن يدركه العاقل بفكره ، ويوصله إليه دليل النظر ، فقال بعضهم : مثل هذا العلم إذا وهبه الله مَنْ وهبه ، وهبه بدليله ، فيعلم الدليل والمدلول ، لابد من ذلك ، ورأيت أبا عبد الله الكتاني بمدينة فاس ، إماماً من أئمة المسلمين في أصول الدين والفقه يقول بهذا القول ، فقلت له : هذا

ذوقك ، هكذا أعطاكه الحق ، فذوقك صحيح ، وحكمك غير صحيح ، بل قد يعطيه العلم الذي لا يحصل إلا بالدليل النظري ، ولا يعطيه دليله ، وقد يعطيه إياه ، ويعطيه دليله ، وهو أكمل من الذي يعطى العلم الذي يوصل إليه بالدليل ولا يعطى الدليل .
(ف ح ١ / ٣١٩ ـ ح ٣ /٨) .

قول الشيخ عن فقهاء زمانه :

أصحاب علوم الرسوم ، لما أكبوا على حب الجاه والرياسة ، والتقدم على عباد الله ، وافتقار العامة إليهم ، فلا يفلحون في أنفسهم ولا يفلح بهم ، وهي حالة فقهاء الزمان ، الراغبين في المناصب ، من قضاء ، وشهادة ، وحسبة ، وتدريس ، وأما المتنمسون منهم بالدين ، فيجمعون أكتافهم ، وينظرون إلى الناس من طرف خفي ، نظر الخاشع ، ويحركون شفاههم بالذكر ، ليعلم الناظر إليهم أنهم ذاكرون ، ويتعجمون في كلامهم ويتشدقون ، ويغلب عليهم رعونات النفس ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، لا ينظر الله إليهم ، هذا حال المتدين منهم ، لا الذين هم قرناء الشيطان ، لا حاجة لله بهم ، لبسوا للناس جلود الضأن من اللين ، إخوان العلانية ، أعداء السريرة ، فالله يراجع بهم ، ويأخذ بنواصيهم إلى ما فيه سعادتهم . (ف ح ٣ / ٣٣٥ ، ٣٣٦) .

وإياك ياأخي ـ عافاك الله من الظن السوء ـ من أن تظن في أني أذم الفقهاء من أجل أنهم فقهاء ، أو لتعلمهم الفقه ، لا ينبغي أن يُظن هذا بمسلم ، وإن شرف الفقه وعلم الشرع لا خفاء به ، ولكن أذم من الفقهاء الصنف الذي تكالب على الدنيا ، وطلب الفقه للرياء والسمعة ، وابتغى به نظر الناس ليقال ، ولازم المراء والجدل ، وأخذ يرد على أبناء الآخرة ، الذين اتقوا الله ، فعلمهم الله من لدنه علماً ، فأخذت الفقهاء ـ أعني هذا الصنف منهم ـ في الرد عليهم في علم لا يعلمونه ، ولا عرفوا أصوله ، ولو سئل أحدهم عن شرح لفظة مما اصطلح عليه علماء الآخرة ما عرفها ، وكفى به جهلاً ، ولو نظر في قول الله تعالى : ﴿ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ، فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علم ﴾ الآية ، لاعتبر وتاب ، (روح القدس في محاسبة النفس) .

إذا سمع الله العليم مقالتي ... وإن مدى أمري إليه يؤول
فلست أبالي من يخوض بفكره ... ويزعم أني بالأمور جهول

فيرخي عنان القول فيَّ ويفتري — عليَّ بشيء ما عليه دليل
ويطنب في الذم الذي أنا أهله — ويوسع فينا بالهوى ويقول
وإن كنت معصوماً فعصمة عرضنا — محال وفرض ما إليه سبيل
(ديوان / ١٥٩) .

وقد ذم النبي ﷺ العلماء الذين طلبوا العلم لغير الله ، وتصرفوا به في غير مرضاة الله ، لا لكونهم علموا ، كما مدح الصنف الآخر من العلماء بالخشية وغير ذلك . فلا أنكر مرتبة الفقه وقد سمعت من النبي ﷺ يقول : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ولما كان هذا الصنف من الفقهاء غلبت عليهم نفوسهم وشهواتهم ، واستولى عليهم الشيطان ، وعلى أيديهم جرى الضرر على أولياء الله ، وبشهادتهم هلكوا ، فأصحابنا اليوم يجدون غاية الألم ، حيث لا يقدرون يرسلون ما ينبغي أن يرسل عليه سبحانه ، كما أرسلت الأنبياء عليهم السلام ، وإنما منعهم أن يطلقوا عليه ما أطلقت الكتب المنزلة والرسل عليهم السلام ، عدم إنصاف السامعين من الفقهاء ، لما يسارعون إليه من تكفير من يأتي بمثل ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام في جنب الله ، وتركوا معنى قوله تعالى ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ وأكثر علماء الرسوم عُدِموا علم ذلك ذوقاً وشرباً ، فأنكروا مثل هذا على العارفين ، حسداً من عند أنفسهم ، إذ لو استحال إطلاق مثل هذا على الله تعالى ، ما أطلقه على نفسه ، ولا أطلقته رسله عليهم السلام عليه ، ومنعهم الحسد أن يعلموا أن ذلك رد على كتاب الله ، وتحجير على رحمة الله أن تنال بعض عباد الله ، وأكثر العامة تابعون للفقهاء في هذا الإنكار ، تقليداً لهم ، لا بل بحمد الله أقل العامة ، وأما الملوك فالغالب عليهم عدم الوصول إلى مشاهدة هذه الحقائق ، لشغلهم بما دفعوا إليه ، فساعدوا علماء الرسوم فيما ذهبوا إليه ، إلا القليل منهم ، وبقي العلماء بالله تحت ذل العجز والحصر معهم ، كرسول كذبه قومه ، وما آمن به واحد منهم ، فسبحان من أعمى بصائرهم ، حيث أسلموا وسلموا ، وآمنوا بما به كفروا ، ولهذا نرى الشيخ رضي الله عنه يقول عن كتابه التنزلات الموصلية في الباب الأول : هذا كتاب أودعت فيه لطائف الأسرار ، وأضواء علوم الأنوار ، فهو مبني على اللغز والرمز ، وهو الكلام الذي يعطي ظاهره ، ما لم يقصده قائله ، وإنما قصدت ستر هذه المعاني الإلهية ، في هذه الألغاز

الخطابية ، غيرة من علماء الرسوم ، عقوبة لهم من أجل إنكارهم ، كما ختم الله على قلوبهم ، وعلى سمعهم ، وجعل غشاوة على أبصارهم ، فلم يدركوا من روائح الحقائق شمة ، ولم يميزوا في قلوبهم بين اللمة[1] واللمة، تأسياً بمثل من أخذ مثل هذه العلوم من النبي المعصوم[2] ﷺ .

(روح القدس في محاسبة النفس ـ ف ج ١ / ٢٧٢ ، ١٧٤ ، ٢٧٢) .

وأما العلماء العاملون المنصفون ، الراسخون في العلم ، فهم السادة الذين هداهم الله ، فهم مصابيح الهدى ، وأعلام التقى ، وارثو رسول الله ﷺ في العلم والعمل والإخلاص ، والوصف الذي به نسب التقوى ، فإذا سمعتني أذم الفقهاء في كتاب ، فإنما أعني هذا الصنف المدبر ، الذي اتبع شهوته ، وغرض نفسه الأمارة بالسوء ، فإنه لما غلبت الأهواء على النفوس ، وطلبت العلماء المراتب عند الملوك ، تركوا المحجة البيضاء ، وجنحوا إلى التأويلات البعيدة ، ليمشوا أغراض الملوك فيما لهم فيه هوى نفس ، ليستندوا في ذلك إلى أمر شرعي ، مع كون الفقيه ربما لا يعتقد ذلك ، ويفتي به ، وقد رأينا منهم جماعة على هذا ، من قضاتهم وفقهائهم ، ولقد أخبرني الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في مثل هذا ـ وقد وقع بيني وبينه كلام ـ فنادى بمملوك وقال : جئني بالحرمدان ، فقلت : ما شأن الحرمدان ؟ قال : أنت تنكر عليّ ما يجري في بلدي ومملكتي من المنكرات والظلم ، وأنا والله أعتقد مثل ما تعتقد أنت فيه ، من أن ذلك كله منكر ، ولكن والله ياسيدي ما منه منكر إلا بفتوى فقيه ، وخط يده عندي بجواز ذلك ، فعليهم لعنة الله ، ولقد أفتاني فقيه هو فلان ـ عينّ لي أفضل فقيه عنده في بلده في الدين والتقشف ـ بأنه لا يجب عليّ صوم شهر رمضان هذا بعينه ، بل الواجب عليّ شهر في السنة ، والاختيار لي فيه ، أي شهر شئت من شهور السنة ، قال لي السلطان : فلعنته في باطني ولم أظهر له ذلك ، وهو فلان ، وسماه لي رحم الله جميعهم .

وقد رأينا جماعة من المدرسين الفقهاء ، يسخرون بأهل الله المنتمين إلى الله ، المخبرين عن الله بقلوبهم ما يرد عليهم من الله فيها ، فيأمر الله تعالى من هذه صفته إلى

(١) اللَّمَّة : الشدة ، وبالضم : الصاحب والمؤنس ، وبالكسر : الشعر المجاور شحمة الأذن (القاموس) .

(٢) يقصد الشيخ رضي الله عنه أمثال أبي هريرة رضي الله عنه فيما ورد عنه في صحيح البخاري .

الجنة ، حتى ينظر إلى ما فيها من خير ، فيسرون كما يسر أهل الله في حال استهزائهم بهم ، ويتخيلون أنهم صادقون فيما يظهرون به إليهم ، فإذا وفى الله جزاء عملهم ، وانفقهت لهم الجنة بخيرها ، أمر الله بهم أن يصرفوا عنها إلى النار ، فتصرفهم الملائكة إلى النار ، فذلك استهزاء الله بهم ، كما يفعل بالمنافقين ، كذلك بعض المؤمنين يضحكون من أهل الله في الدنيا ، ولاسيما الفقهاء ، إذا رأوا العامة على الاستقامة ، يتحدثون بما أنعم الله عليهم في بواطنهم ، يضحكون منهم ، ويظهرون لهم القبول عليهم ، وهم في بواطنهم على خلاف ذلك ، فلا أقلّ ياأخي إذا لم تكن منهم ، أن تسلم لهم أحوالهم ، فإنك ما رأيت منهم ما ينكره دين الله ، ولا ما يرده العلم الصحيح النقلي العقلي ، ﴿ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ، وإذا مروا بهم يتغامزون ﴾ هكذا والله ، رأيت فقهاء الزمان مع أهل الله ، يتغامزون عليهم ويضحكون منهم ، ويظهرون القبول عليهم وهم على غير ذلك ، فاحذر من هذه الصفة ، ومن صحبة من هذه صفته ، لئلا يسرقك الطبع .

(ف ج ٤ /٤٨٣).

قول الشيخ عن زمانه وعن المهدي:

هذا زمان قد ذهب شبابه، وخَلُقَ إهابه، بصره حديد، وشيطانه مريد، وقرينه عنيد، وجباره عتيد، حطت فيه أقدار الأحرار، وطمس فيه وميض الأنوار، وانفطرت فيه سماء الأسرار، وجُهِلَتْ مقادير الأعيان، وحُجِبَتْ القلوب بمشاهدة الأكوان، جُهِلَتْ مقادير الشيوخ، أهل المشاهد والرسوخ، واستُنْزِلَتْ ألفاظهم جهلاً وكان لها شموخ، جعلني الله ممن أحيا رسمها، وعلاّ منصبها واسمها بمنّه. (ف ح ٣/٣٢٨).

قد تاه غلمانـنـا علينـا ... فما لنـا في الـوجـود قدر
أذنـابـنـا صُيِّرت رؤوسـاً ... ما لي على ما أراه صبر
قد أوذي الله مثـل هذا ... فالـوقـت حلوٌ وقـتـاً ومـر
هذا هو الـدهـر ياخـلـيـلي ... فمـن يقـاسـيـه فهـو دهـر

فهذا زمان التعوذ، واتخاذ التمائم، وأوان الرقى، واستعمال العزائم، فإن الذاء قد طم، وبلاءه قد عَمَّ، اللهم لا نملك ضراً ولا نفعاً، ولا قوة ولا جمعاً، أنكروا علينا الإخبار عنك، والإشارة إليك، وحسدونا على ما وهبتنا من الحِكَم، وأسبغت علينا من النِعَم،

وأرجوك دافعاً ومعيناً، وظهيراً ونصيراً، ولا أرجو سواك، فأنت مالك الأملاك.
(تاج الرسائل).

ولقد رأيت رجلاً بمكة من أهلها، يزيد على الثلاثين سنة عمره، ما حج قط ولا اعتمر ولا طاف بالبيت، فكان أول عمرة اعتمرها معي، وكنت أعلمته كيف يصنع فيها، وأُخبرت عن رجل بجَدّة - على ليلةٍ من مكة - يكون عمره بضعاً وثمانين سنة، ما حج قط.
(ف ح ١/٧٤٧).

فإذا خرج الإمام المهدي، فليس له عدو مبين إلا الفقهاء خاصة، فإنه لا تبقى لهم رياسة، ولا تميز عن العامة، ولا يبقى لهم علم بحكم إلا قليل، ويرتفع الخلاف من العالم في الأحكام، بوجود هذا الإمام، ولولا أن السيف بيد المهدي، لأفتى الفقهاء بقتله، ولكن الله يظهره بالسيف، والكرم، فيطمعون ويخافون، فقد جاءكم زمانه، وأظلكم أوانه، وظهر[1] في القرن الرابع[2] اللاحق بالقرون الثلاثة الماضية، قرن رسول الله ﷺ، وهو قرن الصحابة، ثم الذي يليه، ثم الذي يلي الثاني، ثم جاء بينهما فترات، وحدثت أمور، وانتشرت أهواء، وسفكت دماء، وعاثت الذئاب في البلاد، وكثر الفساد إلى أن طم الجور وطمى سيله، وأدبر نهار العدل بالظلم حين أقبل ليله، فشهداؤه خير الشهداء، وأُمناؤه أفضل الأمناء، فيخرج هذا الخليفة وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً، فيملؤها قسطاً وعدلاً، لو لم يبقَ من الدنيا إلا يومٌ واحدٌ، طوّل الله ذلك اليوم، حتى يلي هذا الخليفة، من عترة رسول الله ﷺ، من ولد فاطمة، يواطىء اسمه اسم رسول الله ﷺ، جدُّه الحسن بن علي بن أبي طالب، يبايع بين الركن والمقام، يشبه رسول الله ﷺ في خَلْقِه بفتح الخاء، وينزل عنه في الخُلُق بضم الخاء. (ف ح ٣/٣٣٦، ٣٢٨).

أما قوله عن متصوفة الزمان:

وكما أني قد ذممت الصوفية، ولم أُرد به الصادقين، وإنما أعني الصنف الذي تزيّا بزيهم عند الناس، وباطنه مع الله بخلاف ذلك، قال الله تعالى: ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله

---

(١) استخدم الفعل الماضي لتأكيد الوقوع.

(٢) يعني القرن الذي سيظهر فيه المهدي، هو القرن الرابع الملحق بالقرون الثلاثة الفاضلة «خير القرون قرني ثم الذي يليه ثم الذي يليه» - الحديث.

في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ﴾ الآية - فالمسخ في القلوب اليوم كثير، وكان في بني إسرائيل ظاهراً، حين جعلهم الله قردة وخنازير، والمدّعون الذين يفترون على الله الكـذب في زماننا منهم كثير، وإرداف النعم مع المخالفة موجود اليوم كثير، في المنتمين إلى طريق الله، وعاينت من الممكور بهم خلقاً كثيراً، لا يحصي عددهم إلا الله، وهو أمر عام، وأما إبقاء الحال مع سوء الأدب فهو في أصحاب الهمم، وهم قليلون، على أنّا رأينـا منهم جماعة بالمغرب وبهذه البلاد، وهو أنهم يسيئون الأدب مع الحق بالخروج عن مراسمه، مع بقاء الحالة المؤثرة في العالم عليهم، مكراً من الله، فيتخيّلون أنهم لو لم يكونوا على حق في ذلك، لتغير عليهم الحال، نعوذ بالله من مكره الخفي، وأصحاب الدعاوى في هذه الطريقة كالمنافقين في المسلمين، فإنهم شاركوهم في الصورة الظاهرة، وبانوا بالبواطن، فذمي الصوفية إنما أذم هذا الصنف الذي ذكرت، فإن **الحلولية والإباحية** وغيرهم من هذا الطريق ظهروا، وتظاهروا بالدعاوي واتصفوا، فهم قرناء الشيطان، وحلفاء الخسـران، نوّر الله بصائرنا وبصائرهم، وأصلح سرائرنا وسرائرهم، وأوقفهم على عيوبهم، لعلهم يرجعون، فكثر مسخ البواطن في هذا الزمان، كما ظهر المسخ في الصورة الظاهرة في بني إسرائيل، حين جعلهم الله قردة وخنازير، فهو في هذه الأمة في باطنها، تمييزاً لها، ولابد في آخر الزمان أن يظهر في هذه الأمة، فلا تقوم الساعة حتى يظهر في صورها شيء من ذلك، مع خسف وقذف، كذا ورد الخبر عن رسول الله ﷺ، ولكن في اليهود منها لا في المسلمين، فإن الإيمان يحفـظهم، فما يمسخ في هذه الأمة إلا يهودي أو منافق يظهر الإسلام ويخفي اليهودية. (روح القدس - ف ح ٢/٥٥٣، ٣٠٢، ٥٣٠، ٦٠٢ - روح القدس - ف ح ٢/٦٢١، ٥٥٣).

الشطح :

من كان يشهد الحق في الملكوت مليكاً، وكل مشاهد لابد أن يلبس صورة مشهوده، فيظهر صاحب هذا الشهود بصورة الملك، فيظهر بالاسم الظاهر في عالم الكون، بالتأثير والتصريف والحكم والدعوى العريضة والقوة الإلهية، وأصحاب هذا المقام على قسمين: منهم من يحفظ عليه أدب اللسان، ومنهم من تغلب عليه الشطحات لتحققه بالحق، فيظهر العلو على أمثاله وأشكاله، وعلى مَنْ هو أعلى منه في مقامه، وهذا عندهم في الطريق سوء

أدب بالنظر إلى المحفوظ عليه، ورأيت أقواماً يشطحون على الله، وعلى أهل الله، من شهود في حضرة خيالية، فهؤلاء ما لنا معهم كلام، فإنهم مطرودون من باب الحق، مبعدون عن مقعد صدق، فتراهم في أغلب أحوالهم لا يرفعون بالأحكام الشرعية رأساً، ولا يقفون عند حدود الله، مع وجود عقل التكليف عندهم، فالشطح عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة دعوى، وهي نادرة أن توجد من المحققين أهل الشريعة، فإن الشطح نقص بالإنسان، لأنه يلحق نفسه فيه بالرتبة الإلهية، ويخرج عن حقيقته، فيلحقه الشطح بالجهل بالله وبنفسه، فالشطح زلة المحققين إذا لم يؤمروا به، فهو رعونة نفس، فإنه لا يصدر من محقق أصلاً، فإن المحقق ما له شهود سوى ربه، وعلى ربه ما يفتخر وما يدعي، بل هو ملازم عبوديته، مهيأ لما يرد عليه من أوامره فيسارع إليها، وينظر جميع من في الكون بهذه المثابة، فإذا شطح فقد انحجب عما خُلِق له، وجهل نفسه وربه، ولو انفعل عنه جميع ما يدعيه من القوة، فيحي ويميت ويولي ويعزل، وما هو عند الله بمكان، بل حكمه في ذلك حكم الدواء المسهل أو القابض، يفعل بخاصية الحال، لا بالمكانة عند الله، كما يفعل الساحر بخاصية الصنعة في عيون الناظرين، فيخطف أبصارهم عن رؤية الحق فيما أتى به، وكل من شطح فعن غفلة شطح، وما رأينا ولا سمعنا عن ولي ظهر منه شطح لرعونة نفس - وهو ولي عند الله - إلا ولابد أن يفتقر ويذل، ويعود إلى أصله ويزول عنه ذلك الزهو الذي كان يصول به، فذلك لسان حال الشطح، هذا إذا كان بحق، وهو مذموم، فكيف لو صدر من كاذب؟!!. (ف ح ٣/ ٥٦٠ - كتاب اصطلاح الصوفية - ف ح ٢/ ٢٣٢، ٣٨٧).

فالشطح كلمة صادقة صادرة من رعونة نفس، عليها بقية طبع، تشهد لصاحبها ببعده عن الله، في تلك الحال، وإذا وقع مثل هذا من السادة، فعليهم يقع العتب منا، وقد يشطح الأدنى على الأعلى، كمثل الشطحات على مراتب الأنبياء، وهي أعظم عند الله في المؤاخذة من شطحهم على الله، فإن مرتبة الإله تكذبهم بالحال وعند السامع، وأما شطحهم على الأنبياء فموضع شبهة، يمكن أن تقبل الصحة في نفس الأمر، فيغتر بها السامع، الحسن الظن به، الذي لا معرفة عنده بمراتب أصناف الخلق عند الله، فيغار الله لذلك حيث هو حق للغير، وما يؤثر من الضلالة في الناس، فيؤاخذ صاحب الشطحة بها، ولاسيما إن ظهرت منه في حال صحو، والعالم بالله المكمل هو الذي يحمي نفسه أن

يجعل لله عليه حجة بوجه من الوجـوه[1] ، ومن أراد أن يسلم من ذلك فليقف عند الأمر والنهي ، وليرتقب الموت ، ويلزم الصمت إلا عن ذكر الله من القرآن خاصة ، فمن فعل ذلك فلم يَدَعِ للخير مطلباً، ولا من الشر مهرباً، وقد استبرأ لنفسه، وأعطى كل ذي حق حقه كما أعطى الله كل شيء خلقه ، وهذا هو العاقل مقصود الحق من العالم ، وما فوق هذه المرتبة مرتبة لمخلوق أصلاً ، وبالجملة فالإدلال على الله لا يصح من المقربين من أهل الله جملة واحـدة، ومن ادعى التقـريب مع الإدلال، فلا علم له بمقام التقريب ولا الأهلية الصحيحة . (ف ج ٢ / ٣٨٨ ، ٢٣٢ - ج ٣ / ٥٦١) .

خرق العوائد :

خرق العوائد في ظاهر الكون، التي اتخذتها العامة دلائل على الولاية ليست بدلائل عند أهل الله ، وإنما القوم يختبر بعضهم بعضاً فيما يدعونه في العلوم الإلهية والأسرار ، فإن خرق العوائد عند الصادقين ، إنما ذلك في بواطنهم وقلوبهم ، بما يهبهم الله من الفهم عنه ، مما لا يشاركهم فيه ذوقاً من ليس من جنسهم . (ف ج ٢ /١٦) .

مكانة الشيخ عند علماء زمانه : :

لقـد سبق وورد ما يشير إلى مكانة الشيخ عند علماء الكلام ، كما جاء في اجتماعه بالإمام أبي عبد الله الكتاني ، ونجده يقول عن اجتماعه بالفقهاء في زمانه : « وقد تصدعنا في هذه المسألة (لمس النسـاء) مع علماء الرسوم » أما عن طريق أهل الله ، فقد كان الشيخ في زمانه هو الذي يُرْجَع إليه في علم هذا الطريق ، ونراه يقول : بتنا ليلة عند أبي الحسين بن عمـرو بن الطفيل بإشبيلية ، سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ؛ وكان كثيراً ما يحتشمني ويلتزم الأدب بحضوري ، وبات معنا أبو القاسم الخطيب وأبو بكر بن سام وأبو الحكم بن السراج ، وكلهم قد منعهم احترام جانبي الانبساط ، ولزموا الأدب والسكون ، فأردت أن أعمـل الحيلة في مباسطتهم ، فسألني صاحب المنزل أن يقف على شيء من كلامنا ، فوجدت طريقاً إلى ما كان في نفسي من مباسطتهم ، فقلت له : عليك من تصانيفنا بكتاب الإرشاد في خرق الأدب المعتاد ، فإن شئت عرضت عليك فصلاً من فصوله ، فقال لي : أشتهي ذلـك ، فمـددت رجلي في حجره وقلت له : كبسني ، ففهم عني ما قصدت ،

(١) راجع أحوال الشيخ، امتثال الشيخ لأمر عيسى عليه السلام.

وفهمت الجماعة ، فانبسطوا وزال ما كان بهم من الانقباض والوحشة ، وبتنا بأنعم ليلة في مباسطة دينية . (ف ج ١ / ٥٣٩) .

صحبة الشيخ ومكانته عند الملوك والسلاطين : :

متى لم يعتز العبد في حماه، عن قيام الصفات الربانية به في العموم ، فما اعتز قط ، لأنه ما امتنع عنها ، وذلك إذا حكمت فيه عن غير أمر الله ، كفرعون وكل جبار ، ومن له هذه الصفة الحجابية ، وإن أخذها عن أمر الله ، ولكنه لما قام بها في الخلق ، وظهر بها ، اعتز في نفســه على أمثالـه ، فلحق بالأخسرين أعـمالاً ، وهـم ملوك الإسـلام وسـلاطينهم وأمراؤهم ، فيفتخرون بالرياسة على المرؤوسين جهلاً منهم ، ولذلك لا يكون أحد أذل منهم في نفوسهم ، وعند الناس ، إذا عزلوا عن هذه المرتبة ، ومن كان في ولايته ، حاله مع الخلق حاله دون هذه الولاية ، ثم عزل ، لم يجد في نفسه أمراً لم يكن عليه ، فبقي مشكوراً عند الله ، وعند نفسه وعند المرؤوسين الذين كانوا تحت حكم رياسته ، وهذا هو المعتز بالله ، بل العزيز، الذي منع حماه أن يتصف بها ليس له، إلا بحكم الجعل .
(ف ج ٤ / ٢٣٠) .

وطلبني بعض السلاطين للولاية وعزم عليها فيها ، فامتنعت عليه إلى أن قال : ما يمنعك أن ترغب في عز الولاية ؟ قلت : ذل العزل ، قال : لا أعزلك وعليَّ العهد بذلك ، قلت : الأحـوال بروق تلمع ولا تقيم ، وهذه الحالة منك غير دائمة ، ولاسيما إذا جاء سلطان نقضها . فإياك وصحبة الملوك ، فإنك إن أكثرت مخالطة الملك ملّك ، وإن تركته أذلّك ، فخذ وأعط إن ابتليت بصحبتهم . (مسامرات ج٢ / ١١ - ف ج ٤ / ٥٠٦) .

موقف الشيخ من السلطان أبي العلا بالمغرب :

اتفق لي يوماً بمدينة سبتة ، والشيخ أبو محمد عبد الله بن إبراهيم المالقي المعروف بالقلفاط بها مع ابن طريف ، أن وجه إليّ السلطان أبوالعلا مائدتين ، ولم أكن حاضراً ، فأخذهما الفقراء الذين كانوا وصلوا إلى الموضع من أجلي وأكلوا ، وانقبض خواص أصحابي عنها ، فلما كان في الليلة الثانية وجه إلينا كذلك مائدتين ، فلم أقبل ولم أرد ، وكانوا قد أتوا إلينا فقراء بالقصد ، لما سمعوا أن السلطان يبعث إلينا ، فأقمت صلاة العشاء فصليت ، فقال بعض الفقراء ممن يدعي التمشيخ : لا صلاة بحضرة طعام ، فسكت عنه ، فغضب

حيث لم اجبه ، فقلت : أنا لم أقبل هذا الطعام ، ولا أرى أن آكله ، فإنه عندي حرام ، ولا يتمكن لي أن آمركم بأكله ، فإني أحب لكم ما أحب لنفسي ، ثم بيّنت وجه الحرام فيه ، ثم قلت : هذا طعام حاضر ، مَنْ استحله أكله ومَنْ لم يستحله تركه ، ودخلت إلى البيت الذي كنت فيه وأدخلت معي خواص أصحابي ، فلما أصبح مشى ذلك الشخص، ووشى عند الوزير، بأني أقول فيهم إنهم أهل حرام وغير ذلك ، فاغتاظ الوزير ، وقال : إن السيد والله هو الذي يتناول توجيه ذلك الطعام بنفسه ، ولا يبرح حتى يحمل أمامه ؛ وقام لذلك وقعد ، فوصلت المسألة إلى السلطان ـ وكان عاقلاً ـ ، فقال : نحن ما قصدنا إلا الخير وهو أعرف بحاله ، لا ندخل عليه مضرة، ولا ما يسوءه ، وقبض ذلك عني ، فبلغ ذلك صاحبنا القلفاط ، فاجتمع بي وقد خاف علي وعلى أصحابي ، مما يعرف من البلاد ، وعاتبني على ذلك ، وقال : يافلان هذا في حق نفسك حسن ، غير أن المضرة تنسحب على الطائفة ، وهؤلاء القوم ما يحتملون مثل هذا ، وقد قال بعضهم : ذل من ليس له ظالم يعضده ، وضل من ليس له عالم يرشده ، فلما رأيت أن الرحمة غلبت عليه في حق الناس ، وتشديد الأمور ، والأخذ بالأرجح في المصلحة الدنيوية ، قلت له : حق الله أحق ، ونفضت يدي وقمت ، فانصرف ، فلقيت ابن طريف والخبر عنده فقال لي : السياسة أولى ، فقلت له : ما دام رأس المال محفوظاً فلا بأس ، فسكت رضي الله عنه . (روح القدس ـ ف ج ٤ / ٥٤٠) .

موقف الشيخ من أحد الخلفاء :

لقد جرى لي ـ مع بعض الخلفاء رضي الله عنه ـ ذات يوم وكنا نمشي ومعنا جماعة ، وإذا بالخليفة مقبل ، فتنحينا عن الطريق ، وقلت لأصحابي : مَنْ بدأه بالسلام أرذلت به عنده ، فلما وصل وحاذانا بفرسه ، انتظر أن نسلم عليه ـ كما جرت عادة الناس في السلام على الخلفاء والملوك ـ ، فلم نفعل ، فنظر إلينا وقال : سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، بصوت جهير ، فقلنا له بأجمعنا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، فقال : جزاكم الله عن الدين خيراً ، وشكرنا على فعلنا وانصرف ، فتعجب الحاضرون ، فإن الشرع أن يبدأ الراكب بالسلام على الماشي ، والماشي على القاعد . (ف ح ٤ / ٤٩٢) .

موقف آخر مع صاحب تونس :

« هدية من شفعت فيه شفاعة ربا » :

دعاني كبير من كبراء تونس ـ من بلاد إفريقية ـ يقال له ابن معتب ـ إلى بيته لكرامة استعدها لي ، فأجبت الداعي ـ فعندما دخلت بيته وقدم الطعام ، طلب مني شفاعة عند صاحب البلد ، وكنت مقبول القول عنده متحكماً ، فأنعمت له في ذلك ، وقمت وما أكلت له طعاماً ، ولا قبلت منه ما قدّمه لنا من الهدايا ، وقضيت حاجته ، ورجع إليه ملكه ، ولم أكن وقفت على الخبر النبوي الذي نهى عن قبول هدية من شفعت فيه شفاعة ، فإن ذلك من الربا ، وإنما فعلت ذلك مروءة وأنفة . . . فكان عصمة من الله في نفس الأمر ، وعناية إلهية بنا . (ف ج ٤ / ٤٨٩) .

الملك الظاهر صاحب حلب :

لما ذقت مقام اللين ، الذي هو خفض الجناح والمداراة والسياسة واتحدت به ، اتفق لي أن صحبت الملوك والسلاطين ، وما قضيتُ لأحدٍ من خلق الله عند واحد منهم حاجة إلا من هذا المقام ، وما ردني أحد من الملوك في حاجة التمستها منه لأحدٍ من خلق الله ، وذلك أني كنت إذا أردت أن أقضي عنده حاجة أحد ، أبسط له بساطاً استدرجه فيه ، حتى يكون الملك هو الذي يسأل ، ويطلب قضاء تلك الحاجة ، مسارعاً على الفور ، بطيب نفس وحرص ، لما يرى له فيها من المنفعة ، فكنت أقضي للسلطان حاجة ، بأن أقبل منه قضاء حاجة ذلك الإنسان ، ولقد كلمت الملك الظاهر بأمر الله ـ صاحب حلب ـ في حوائج كثيرة ، فقضى لي في يوم واحد مائة حاجة وثماني عشرة حاجة للناس ، ولو كان عندي في ذلك اليوم أكثر من هذا قضاه ، طيب النفس راغباً ، وإذا حصل للإنسان هذه القوة انتفع به الناس عند الملوك . (ف ج ٣ / ٤٧٢) .

ولما كانت لي كلمة مسموعة ، عند الملك الظاهر غازي بن الملك الناصر لدين الله صلاح الدين يوسف بن أيوب ، قضى لي هذه الحوائج كلها ، وكان منها أن كلمته في رجل أظهر سره وقدح في ملكه ، وكان من جملة بطانته ، وعزم على قتله ، وأوصى به نائبه في القلعة ، بدر الدين أيدمور ، أن يخفي أمره حتى لا يصل إليّ حديثه ، فوصلني حديثه ، فلما كلمته في شأنه أطرق ، وقال : حتى أعرِّف المولى ذنب هذا المذكور ، وأنه من الذنوب التي

لا تتجاوز الملوك عن مثله ، فقلت له : **ياهـذا** ، تخيلت أن لك همة الملوك، وأنـك سلطان ، والله ما أعلم أن في العالم ذنباً يقاوم عفوي ، وأنا واحد من رعيتك ، فكيف يقاوم ذنب رجل عفوك في غير حدٍ من حدود الله ؟ إنك لدني الهمة ، فخجل وسرحه وعفا عنه ، وقال لي : جزاك الله خيراً من جليس ، مثلك من يجالس الملوك ، والملك يعفو عن كل شيء إلا عن ثلاثة أشياء ، فإنه لا يعفو عنها، إذ لا عفو فيها ، وما يتفاضل الملوك إلا في صورة العقوبة ، والثلاثة الأشياء التي لا عفو فيها عند الملوك : التعرض للحرم، وإفشاء سره، والقدح في الملك[1] ، وكان هذا الشخص قد جاء لهذا الملك بما يقدح في الملك ، فعزم على قتله ، فلما وقع لي بالعفو عن ذلك الشخص ، قلت له : فاجعل عقوبته إنزاله عن الرتبة التي أوجبت له عندك أن تطلعه على أسرارك ، حتى ركب مركباً يقدح في الملك ، فإني كما كنت له في دفع القتل عنه ، أنا أيضاً للملك معين فيما يدفع عن القدح في ملكه ، ففرح الملك بذلـك وسرَّ ، وقال لي : جزاك الله خيراً عني ، ثم صعد من عندي إلى قلعته ، وأخرج ذلك المحبوس وبعث به إليَّ حتى رأيته ، فوصيَّته بما ينبغي ، وتعجبت من عقل الملك وتأدبه وشكرته على صنيعه ، وبعد ذلك ما رفعت إليه حاجة إلا سارع في قضائها لفوره من غير توقف، كانت ما كانت .

(ف ج ٤ / ٥٣٩ ـ ج ٣ / ٤٠٦ ـ ج ٤ / ٥٣٩) .

الملك أبو بكر بن أيوب :

ولقد رأيت ملوكاً كثيراً ، ولم أر منهم من تحقق بمثل ما تحقق به الملك العادل أبوبكر بن أيوب مع صغار أولاده ، فإنه كان يضاحكهم بما ينزل إليهم في حركاتهم ، حتى يضحك الصغير في دسته ، بحضور أمرائه والرسل عنده ، وأنا حاضر بميافارقين ، وكنت أرى ذلك من جملة فضائله ، ويعظم به في عيني ، وشكرته على ذلك ، ورأيت من رفقه بالحريم، وتفقد أحوالهن، وسؤاله إياهن ما لم أر لغيره من الملوك ، وأرجو أن الله ينفعه بذلك ، فقد كان رسول الله ﷺ يمازح العجوز والصغير ، يباسطهم بذلك ويفرحهم .

(ف ج ٤ /٢٢٥) .

وقد كتب الشيخ رضي الله عنه إجازة إلى هذا الملك وأولاده ، يجيزه فيها بالرواية

---

(١) هذه الأمور الثلاثة ذكرها أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور (مسامرات ج ٢ / ٢٩)

عنه، في جميع ما رواه عن أشياخه، من قراءة وسماع ومنازلة وكتاب وإجازة ، وجميع ما ألفه وصنفه من ضروب العلم ، وما له من نثر ونظم ، على الشرط المعتبر بين أهل هذا الشأن ، وذلك في غرة محرم سنة اثنتين وثلاثين وستمائة .

السلطان عز الدين كيكاوس :

كتبت إلى عز الدين كيكاوس ـ سلطان بلاد الروم ـ جواب كتاب كتب به إليّ من أنطاكية ، وكنت مقيماً بملطية :

كتبت كتابي والدموع تسيل … وما لي إلى ما أرتضيه سبيل
أريد أرى دين النبي محمد … يقام ودين المبطلين يزول
فلم أر إلا الزور يعلو وأهله … يعزون والدين القويم ذليل
فيا عزّ دين الله سمعاً لناصح … شفيق فنصّاح الملوك قليل
وحاذر بتأييد الإله بطانة … تشير بأمر ما عليه دليل
ليُنمي بيت المال والبيت ساقط … فجد وتوكل فالإله كفيل

(ف ج ٤ / ٥٣٣) .

وكتبتُ إليه نصيحةً جواب كتاب كتب به إلينا سنة تسعٍ وستمائة .

بسم الله الرحمن الرحيم .

وصل الاهتمام السلطاني، الغالب بأمر الله العزّي ـ أدام الله عدل سلطانه ـ إلى والده الداعي له ، محمد بن العربي ، فتعين عليه الجواب بالوصية الدينية، والنصيحة السياسية الإلهية ، على قدر ما يعطيه الوقت، ويحتمله الكتاب ، إلى أن يقدر الاجتماع ويرتفع الحجاب، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله، فقال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وأنت يا هذا بلا شك من أئمة المسلمين ، وقد قلدك الله هذا الأمر ، وأقامك نائباً في بلاده ، ومتحكماً بما توفق إليه في عباده ، ووضع لك ميزاناً مستقيماً، تقيمه فيهم ، وأوضح لك محجة بيضاء، تمشي بهم عليها ، وتدعوهم إليها ، على هذا الشرط ولاّك ، وعليه بايعناك ، فإن عدلت فلك ولهم ، وإن جرت فلهم وعليك ، فاحذر أن أراك غداً ـ بين أئمة المسلمين ـ من أخسر الناس أعمالاً ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، ولا يكون

شكرك لما أنعم الله به عليك، من استواء ملكك، بكفران النعم، وإظهار المعاصي، وتسليط النواب السوء بقوة سلطانك على الرعية الضعيفة، فإن الله أقوى منك، فيتحكمون فيهم بالجهالة والأغراض، وأنت المسؤول عن ذلك. **فياهذا**، قد أحسن الله إليك، وخَلَعَ خِلَعَ النيابة عليك، فأنت نائب الله في خلقه، وظله الممدود في أرضه، فأنصف المظلوم من الظالم، ولا يغرنك أن الله وسّع عليك سلطانك، وسوّى لك البلاد ومهدها، مع إقامتك على المخالفة، والجور وتعدي الحدود، فإن ذلك الاتساع مع بقائك على مثل هذه الصفات إمهال من الحق لا إهمال، وما بينك وبين أن تقف على أعمالك، إلا بلوغ الأجل المسمى، وتصل إلى الدار التي سافر إليها آباؤك وأجدادك، ولا تكن من النادمين، فإن الندم في ذلك الوقت غير نافع، **يا هذا**، ومن أشد ما يمر على الإسلام والمسلمين ـ وقليل ما هم ـ رفع النواقيس، والتظاهر بالكفر، وإعلاء كلمة الشرك ببلادك، ورفع الشروط التي اشترطها أمير المؤمنين ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ على أهل الذمة، من أنهم لا يحدثون في مدينتهم، ولا ما حولها كنيسة، ولا ديراً ولا قليّة ولا صومعة راهب، ولا يجدّدون ما خرب منها، ولا يمنعون كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال، يطعمونهم، ولا يؤون جاسوساً، ولا يكتمون غشاً للمسلمين، ولا يعلمون أولادهم القرآن، ولا يظهرون شركاً، ولا يمنعون ذوي قرباتهم من الإسلام إن أرادوه، وأن يوقروا المسلمين، وأن يقوموا لهم من مجالسهم، إذا أرادوا الجلوس، ولا يتشبهون بالمسلمين في شيء من لباسهم، في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين، ولا فرق شعر، ولا يتسمون بأسماء المسلمين، ولا يتكنون بكناهم، ولا يركبون سرجاً، ولا يتقلدون سيفاً، وأن لا يتخذوا شيئاً من سلاح، ولا ينقشوا خواتيمهم بالعربية، ولا يبيعوا الخمور، وأن يجزوا مقادم رؤوسهم، وأن يلزموا زيهم حيث ما كانوا، وأن يشدوا الزنانير على أوساطهم، ولا يظهروا صليباً ولا شيئاً من كتبهم في طريق المسلمين، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم، ولا يضربوا بالناقوس إلا ضرباً خفيفاً، ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة في كنائسهم، في شيء من حضرة المسلمين، ولا يخرجوا سعايين[1]، ولا يرفعوا مع أمواتهم

---

(١) هكذا في الأصل، ولعلها شعانين من شعن، من شعر مشعون، أي مُشْعَث، ومشعان الرأس أي ثائره وأشعثه.

أصواتهم ، ولا يظهروا النيران معهم ، ولا يشتروا من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين ، فإن خالفوا شيئاً مما شورطوا عليه فلا ذمة لهم ، وقد حل للمسلمين منهم ، ما يحل من أهل المعاندة والشقاق ، فهذا كتاب الإمام العادل ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ ، قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : لا تبنى كنيسة في الإسلام ، ولا يجدد ما خرب منها ، فتدبر كتابي ترشد ـ إن شاء الله ـ ما لزمت العمل به ، والسلام ، ثم أوقعت له بشعر عملته في الوقت أخاطبه به وهو :

إذا أنت أعززت الهدى وتبعته ... فأنت لهذا الدين عز كما تُدْعى
وإن أنت لم تحفل به وأهنته ... فأنت مذل الدين تخفضه وضعا
فلا تأخذ الألقاب زوراً فإنكم ... لتسأل عنها يوم يجمعكم جمعا
يقال لعز الدين أعززت دينه ... ويسأل دين الله عن عزكم قطعا
فإن قال دين الله كنت بملكه ... ذليلاً وأهلي في ميادينه صرعى
ومازلت في سلطانه ذا مهانة ... وفي زعمه أنه بي محسن صنعا
فما حجة السلطان إن كان قوله ... كما قلت فليسكب لما قلته الدمعا
وأدمنْ لباب الله إن كنت تبتغي ... تجاوزه عن ذنبك الضرب والقرعا
عسى جوده يوماً يجود بفتحه ... فيبرز عفو الله يدفعه دفعا
فيا رب رفقاً بالجميع فيا لها ... إذا اجتمع الخصمان من وقعة شنعا
فأنت إمام المتقين ورأسهم ... إذا لم تزل تجبر لدين الهدى صدعا
لكم نائب في الأمر أصبح ملحداً ... وأضحى لأهل الدين يقطعهم قطعا
فما لك لم تغلبه واسمك غالب ... وما لك لم تعزله إذ آثر النفعا
فيأيها السلطان حقق نصيحتي ... لكم وارعني منكم لما قلته سمعا
فإني لكم والله أنصح ناصح ... أذود الردى عنكم وأمنعه منعا
وأجلب للسلطان من كل جانب ... من الدين والدنيا العوارف والنفعا

والله ينفعني بوصيتي ويجازيني على نيتي والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

(ف ح ٤ / ٥٤٧).

رثاؤه للملك العزيز :

رثى الشيخ رضي الله عنه ، الملك العزيز ـ ابن الملك العادل ـ لما مات ، وكان موته يوم الإثنين العاشر لشهر رمضان سنة ثلاثين وستمائة ، وذلك ببستانه بالناغة بظاهر دمشق .

طلبت ذلــول عزيــزهــا لتزيله ... عن ظهــرهــا كرمــاً به فأجـابـا
عن إذن خالقهــا دعتــه لنفسهـا ... فلذاك لبــى طائــعــاً وأنــابــا
قد ألــبستــه من الــتراب لغــيرة ... قامــت بها حبــاً له جلبــابــا
مما تحب مقــامــه في بطنهــا ... ألــقــت عليــه جنــادلاً وتــرابــا
حتى يقيم بها إلى اليــوم الــذي ... يدعى ليحضر موقفــاً وحســابــا
فيــفــوز بالخــير الأعــم ويجتلي ... نحـــو الكثيب ليبصر الأحبــابــا

(الديوان / ٢٣٨) .

السلطان النور بن الرشيد :

رأينا ـ ونحن بسيواس في شهر رمضان ـ ، والسلطان الغالب في ذلك الزمان النور بن الـرشيد يحاصر أنطاكية ، فرأيت كأنه نصب عليها المجانيق، ورماها بالأحجار فقتل زعيم القوم ، فأولت الحجارة آراءه السديدة، وعزائمه التي يرميهم بها ، وأنه فاتحها إن شاء الله تعالى ، فكان كما رأيت بحمد الله، وفتحها يوم عيد الفطر ، وكان بين الرؤيا والفتح عشرون يوماً ، وذلك سنة اثنتي عشرة وستمائة ، فكتبت إليه ـ من ملطية قبل فتحه إياها ـ بأبيات أذكـر فيهـا رؤياي ، وأذكر ما قاله رسول الله ﷺ حين رأى في النوم جبريل عليه السلام، وقد جاءه بعائشة أم المؤمنين قبل أن يتزوج بها في سرقة حرير ، فقال له : هذه زوجتك ، فلما استيقظ رسول الله ﷺ وذكرها قال : إن كان من عند الله سيمضيه . فقلنا نحن كذلك أدباً واقتداء ، فكان من عند الله، وفتح الله على السلطان بها، كما كان زواج رسول الله ﷺ لعائشة ، وكانت الأبيات لزومية اتفاقاً وهي :

قصــدت بلاد الكفـر تبغي فتـوحهـا ... فأبشر فإن الــروم فيــك لفـي خسر
رأيــت لكـم رؤيــا تدل على الـنصر ... وفتــح بلاد الكفـــر والقتـل والأسر
قتـلتـم بأحـجــار المجــانيق كبشهم ... فأولـــتــهـــا الآراء تمـضــد بالـنصر
فدونــك فانهض أيهــا الملك الــذي ... علا أمــره فوق الســاكـين في النسر

وخـذهـا من الله الكـريم بشـارة تدل على التـأيـيـد والقهـر والقسر
فإن كان عن حق سيمضي وجودهـا وإن لم يكن ما فيه في الملك من عسر
بذا جاء لفظ الشرع إذ جاء وحـيـه برؤيـاه في أمـر الحـمـيراء بالسر
إذا جاء نصر الـله والفتـح فلتجـد بها لك من خير على العسر واليسر

(مسامرات ج ٢/٤٢١).

كتابه لصديق يحذره من صحبة السلاطين :

وكتبت إلى صاحب لي ببلاد الروم اسمه إسحق بن محمد من أصحاب السلطان، ممن تخدمه الدولة وتظهر به السنّة .

إسحق فاسمـع لوعظ من أخي ثقـة ولا يغـرنّـك تقـريب السـلاطين
إن الملوك قد استغنـوا بملكهم عنـا وعـما بأيـديهـم من الـديـن
فاسـتـغن بالله عن مُلك الملوك وعن سؤال من هو مسكـين ابن مسكين
فالـله يكـفيـك ياعيني ويـاولـدي شر المـلوك وأشرار الـشـيـاطـين
بالبيت بالحجـر بالأركـان أسـألـه بالـلوح بالـقلم الأعـلى وبـالنـون
إن قلت صدقـني أو بت سامـرني ولا يزال ينـاديـني ويـسـليـني

(مسامرات ج ١/٢٨٨).

اجتماع الشيخ بطبقات الأولياء الأحياء في زمانه :

يقول الشيخ رضي الله عنه :ـ إني رأيت من أولياء الله ما لا أحصيهم عدداً ، نفعنا الله بهم ، فما من طبقة من الأقطاب والأئمة والأوتاد والأبدال والنقباء والنجباء والرجبيين والأفراد إلا وقد رأيت منهم ، وعاشرتهم ببلاد المغرب، وبلاد الحجاز والشرق ؛ إلا أني لم أر أحداً أعطي النبوة المطلقة، التي لا تشريع لها، إلا إن كان وما عرفته[1]، فهذا لا يبعد ، وقد التقى الشيخ برجال عالم الأنفاس ، وهم أولياء الله الذين على مراتب لا يتعدونها ، لا يزيدون ولا ينقصون في كل زمان ، يقول الشيخ عنهم :ـ لقيت هؤلاء العالم كلهم، ولازمتهم وانتفعت بهم ، وقد لقينا جماعة من عقلاء المجانين وعاشرناهم واقتبسنا من فوائدهم ، ولقد وقفنا على واحد منهم ـ والناس قد اجتمعوا عليه ـ وهو ينظر إليهم وهو

(١) هذا تقرير لحضرة الإطلاق الإلهي، فإنه ما من نبي إلا وهو على شريعة.

يقول لهم : أطيعوا الله يامساكين ، فإنكم من طين خلقتم ، وأخاف عليكم أن تطبخ النار هذه الأواني، فتردها فخاراً ، فهل رأيتم قط آنية من طين تكون فخاراً من غير أن تطبخها نار ؟ يامساكين لا يغرنكم إبليس، بكونه يدخل النار معكم وتقولون : الله يقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ، إبليس خلقه الله من نار ، فهو يرجع إلى أصله ، وأنتم من طين، تتحكم النار في مفاصلكم ، يامساكين انظروا إلى إشارة الحق في خطابه لإبليس بقوله : لأملأن جهنم منك ، وهنا قف ، ولا تقرأ ما بعدها ، فقال له : جهنم منك ، وهو قوله : خلق الجان من مارج من نار ، فمن دخل بيته وجاء إلى داره، واجتمع بأهله، ما هو مثل الغريب الوارد عليه ، فهو راجع إلى ما به افتخر ، وقال : أنا خير منه خلقتني من نار ، فسروره رجوعه إلى أصله ، وأنتم يامناحيس تتفخّر بالنار طينتكم ، فلا تسمعوا من إبليس ولا تطيعوا ، واهربوا إلى محل النور، تسعدوا. يامساكين ، أنتم عُمْي ما تبصرون الـذي أبصره أنـا ، تقـولـون : سقف هذا المسجد ما يمسكه إلا هذه الأسـطوانـات ، أنتم تبصرونها أسـطوانات من رخام ، وأنا أبصرها رجالاً يذكرون الله ويمجدونه ، بالرجال تقوم السموات ، فكيف هذا المسجد ؟ ما أدري إما أنا هو الأعمى لا أبصر الأسطوانات حجارة ، وإما أنتم هم العُمْي لا تبصرون هذه الأسطوانات رجالاً ، والله يالإخواني ما أدري ، لا والله أنتم هم العمي ؛ ثم استشهدني دون الجماعة فقال : ياشاب ، ألست أقول الحق ؟ قلت : بلى ، ثم جلست إلى جانبه ، فجعل يضحك وقال : ياناس الأستاه المنتنة تصفر بعضها لبعض ، وهذا الشاب منتن مثلي ، هذه المناسبة جعلته يجلس إلى جانبي ويصدقني ، أنتم الساعة تحسبونه عاقلاً وأنا مجنون ، هو أجن مني بكثير ، وإنما أنتم كما أعماكم الله عن رؤية هذه الأسطوانات رجالاً ، أعماكم أيضاً عن جنون هذا الشاب ، ثم أخذ بيدي وقال : قم امش بنا عن هؤلاء ، فخرجت معه ، فلما فارق الناس، ترك يدي من يده وانصرف عني ؛ وهو من أكبر من لقيته من المعتوهين ، كنت إذا سألته : ما الذي ذهب بعقلك ؟ يقول لي : أنت هو المجنون حقاً ، لو كان لي عقل، كنت تقول لي ما الذي ذهب بعقلك ؟ أين عقلي حتى يخاطبك ؟ قد أخذه معه ، وما أدري ما يفعل به ؟ وتركني هنا من جملة الدواب آكل وأشرب ، وهو يدبرني ، قلت له : فمن يركبك إذا كنت دابة ؟ قال : أنا دابة وحشية لا أُرْكَبُ ، ففهمت أنه يريد خروجه عن عالم الإنس ، وأنه

في مفاوز المعرفة ، فلا حكم للإنس عليه ، وكذلك كان محفوظاً من أذى الصبيان وغيرهم ، كثير السكوت مبهوتاً ، دائم الاعتبار ، يلازم المسجد ويصلي في أوقات ، فربما كنت أسأله عندما أراه يصلي ، أقول له : أراك تصلي ، يقول لي : لا والله ، إنما أراه يقيمني ويقعدني ، ما أدري ما يريد بي ؟ أقول له : فهل تنوي في صلاتك هذه أداء ما افترض الله عليك ؟ فيقول لي : أي شيء تكون النية؟ أقول له: القصد بهذه الأعمال القربة إليه، فيضحك ويقول: أنا أقول له أراه يقيمني ويقعدني ، فكيف أنوي القربة إلى من هو معي، وأنا أشهده ولا يغيب عني ؟ هذا كلام المجانين ما عندكم عقول .

(ف ح ٢/٧٦ - ح ١/١٩٩ - ح ٢/١١ - ح ١/٢٤٩).

وفي زماننا اليوم جماعة من **أصحاب عيسى عليه السلام ويونس** يحيون ، وهم منقطعون عن الناس ، فأما القوم الذين هم من قوم يونس ، فرأيت أثر قدم واحد منهم بالساحل ، كان صاحبه قد سبقني بقليل ، فشبرت قدمه في الأرض ، فوجدت طول قدمه ثلاثة أشبار ونصفاً وربعاً بشبري ، وأخبرني صاحبي أبو عبد الله بن خرز الطنجي أنه اجتمع به في حكاية ، وجاءني بكلام من عنده مما يتفق في الأندلس في سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وهي السنة التي كنا فيها ، وما يتفق في سنة ست وثمانين مع الإفرنج ، فكان كما قال ما غادر حرفاً . (ف ج ١ / ٢٢٣ - ج ٢ / ٤١٥) .

وما من طبقة ذكرناها من **أهل الورع** إلا وقد رأينا منهم جماعة، من رجال ونساء ، بإشبيلية، وتلمسان، وبمكة، وبمواضع كثيرة ، وكانت لهم براهين تشهد بصحة ما يقولونه ، وأما نحن فلا نحتاج مع أحد منهم لبرهان فيما يدعيه ، فإن الله قد جعل لكل صنف علامة يعرف بها ، فإذا رأينا تلك العلامة عرفنا صدق صاحبها من حيث لا يشعر ، وكم رأينا ممن يدعي ذلك كاذباً، أو صاحب خيال فاسد ، فإن علمنا منه أنه يرجع نصحناه ، وإن رأيناه عاشقاً لحاله محجوباً بخياله الفاسد تركناه . (ف ج ١ / ٢٧٤) .

ورأينا جماعة ممن صحبوا الجن حقيقة ، وظهرت لهم براهين على صحة ما ادعوه من صحبتهم ، وكانوا أهل جد واجتهاد وعبادة ، ولكن لم يكن عندهم من جهتهم شمة من العلم بالله ، ورأينا فيهم عزة وتكبراً ، فما زلنا بهم حتى حلنا بينهم وبين صحبتهم ، وطلبهم الأنفس ، كما رأينا ضد ذلك منهم ، فما أفلح ولا يفلح من هذه صفته، إذا كان

صادقاً ، وأما الكاذب فلا نشتغل به ، فإن مجالسة الجن رديئة جداً، قليل أن تنتج خيراً .
(ف ح ١/ ٢٧٤)

ورأينا جماعةً ممن يدركون العلوم من الروائح بالقوة الشمية ، رأيتهم بإشبيلية وبمكة وبالبيت المقدس ، وفاوضناهم في ذلك مفاوضة حال، لا مفاوضة نطق ، كما أني فاوضت طائفة أخرى من أصحاب النظر البصري ، فكنت أسأل وأُجاب ، ونُسأل ونجيب ، بمجرد النظر ، ليس بيننا كلام معتاد، ولا اصطلاح بالنظر أصلاً ، لكن كنت إذا نظرت إليه علمت جميع ما يريده مني ، وإذا نظر إليَّ، علم جميع مانريده منه ، فيكون نظره إلي سؤالاً وجواباً ، ونظري إليه كذلك ، فنحصل علوماً جمة بيننا من غير كلام ، فإن الحواس طريق موصلة إلى العلم ، والعلم بالأمر هو المطلوب، لا بها حصل ، فقد رأيت الأكمه يدرك الفرق بين الألوان مع فقد حس البصر ، وجعل الله بصره في لمسه يبصر بها به يلمس . (ف ج ١ / ٢١٧ - ج ٣/ ٣٥٧) .

وليس في المنازل الإلهية كلها على كثرتها من يعطي الإنصاف، ويؤدي الحقوق ، ولا يترك عليه حجة لله ولا لخلقه ، فيوفي الربوبية حقها، والعبودية حقها - وما ثَمَّ إلا عبد ورب - إلا منزل العظمة الجامعة للعظمات المحمدية خاصة ، هكذا أعلمنا الله بها ألهمه أهل طريق الله ، الذي جرت به العادة أن يعلِّم الله منه ورثة أنبيائه ، وهو منزل غريب عجيب ، أوله يتضمن كلَّه ، وكلُّه يتضمن جميع المنازل كلِّها ، وما رأيت أحداً تحقق به سوى شخص واحد مكمل في ولايته ، لقيته بإشبيلية وصحبته ، وهو في هذا المنزل ، وما زال عليه إلى أن مات رحمه الله ، وغير هذا الشخص فما رأيته . (ف ج ٣ / ٥٢٣) .

ولقينا من **أقطاب الركبان** ، وهم من يركب نُجُبَ الهِمَم ، أو يركب نجب الأعمال ، لقيت منهم بجبل أبي قبيس بمكة في يوم واحد، ما يزيد على السبعين رجلاً .
(ف ج ١ / ٢٠١) .

وأما **الحالة البرزخية** ، فلا يقام فيها إلا من عظَّم حرمات الله، وشعائر الله، من عباده ، وهم أهل العظمة ، وما لقيت أحداً من هذا الصنف إلا واحداً بالموصل ، من أهل حديثة الموصل ، كان له هذا المقام ، ووقعت له واقعة مشكلة، ولم يجد من يخلصه منها ، فلما سمع بنا جاء به إلينا من كان يعتقد فيه ، وهو الفقيه نجم الدين محمد بن شائي

الموصلي ، فعرض علينا واقعته ، فخلصناه منها ، فسر بذلك وثلج صدره ، واتخذناه صاحباً ، وكان من أهل هذا المقام ، وما زلت أسعى في نقلته منه إلى ما هو أعلى من بقائه على حاله ، فإن النقلة في المقامات ما هي بأن تترك المقام ، وإنما هو بأن تحصل ما هو أعلى منه ، من غير مفارقة للمقام الذي تكون فيه ، فهو انتقال إلى كذا ، لا من كذا ، بل مع كذا ، فهكذا انتقال أهل الله ، وهكذا الانتقال في المعاني ، لا يلزم مَنْ انتقل مِنْ علم إلى علم ، أن يجهل العلم الذي كان عليه ، بل لا يزال معه ، إذا كان عالماً
(ف ج ٣/٢٢٥) .

وأما رجال الهيبة والجلال، فأربعة في كل زمان ، لا يزيدون ولا ينقصون ، اجتمع في هؤلاء الأربعة عبادة العالم كله ، شأنهم عجيب وأمرهم غريب ، ما لقيت فيمن لقيت مثلهم ، لقيتهم بدمشق ، فعرفت أنهم هم ، وقد كنت رأيتهم ببلاد الأندلس واجتمعوا بي ، ولكن لم أكن أعلم أن لهم هذا المقام ، بل كانوا عندي من جملة عباد الله ، فشكرت الله على أن عرفني بمقامهم ، وأطلعني على حالهم . (ف ج ٢ / ١٣) .

وأقطاب هذه الأمة المحمدية على أقسام مختلفة ، منهم كل من دار عليه أمر جماعة من الناس ، في إقليم أو جهة ، كالأبدال في الأقاليم السبعة ، لكل إقليم بدل هو قطب ذلك الإقليم ، والأوتاد الأربعة ، لهم أربع جهات ، يحفظها الله بهم ، من شرق وغرب وجنوب وشمال ، لكل جهة وتد ، وكأقطاب القرى ، فلابد في كل قرية من ولي لله تعالى ، به يحفظ الله تلك القرية ، سواء كانت تلك القرية كافرة أو مؤمنة ، فذلك الولي قطبها ، وكذا أصحاب المقامات ، فلابد للزهاد من قطب ، يكون المدار عليه في الزهد في أهل زمانه ، وكذلك في التوكل والمعرفة وسائر المقامات والأحوال ، لابد في كل صنف صنف من أربابها ، من قطب يدور عليه ذلك المقام ، وهؤلاء غير الاثني عشر قطباً ، الذين عليهم مدار الأمة المحمدية ، وكذا غير القطب الغوث صاحب الزمان ، الذي هو واحد في كل عصر ، خليفة الله في أرضه . (ف ج ٤ / ٧٤) .

ولقد أطلعني الله على قطب المتوكلين ، فرأيت التوكل يدور عليه ، كأنه الرحى ، حين تدور على قطبها ، وهو عبد الله بن الأستاذ المورووري ، من مدينة مورور ببلاد الأندلس ، كان قطب التوكل في زمانه ، عاينته وصحبته بفضل الله ، وكشفه لي ، ولم

اجتمعت به عرفته بذلك، فتبسم، وشكر الله تعالى . (ف ج ٤ / ٧٦) .

ورأيت **السبعة الأبدال** بمكة، لقيناهم خلف حطيم الحنابلة، وهنالك اجتمعنا بهم ، فما رأيت أحسن سمتاً منهم، ولا أكثر شغلاً منهم بالله ، ما رأيت مثلهم إلا سقيط الرفرف ابن ساقط العرش بقونية ، وكان فارسياً ، وكنا قد رأينا منهم موسى السدراني بإشبيلية ، سنة ستٍ وثمانين وخمسمائة ، وصل إلينا بالقصد واجتمع بنا ، ومنهم شيخ الجبال محمد بن أشرف الرندي . (ف ج ٢ / ٧ ، ٤٥٦ ، ٧) .

وأما **الأوتاد الأربعة** فإن لكل وتد ركناً من أركان البيت ، فالذي على قلب آدم عليه السلام له الركن الشامي ، والذي على قلب إبراهيم عليه السلام له الركن العراقي ، والذي على قلب عيسى عليه السلام له الركن اليماني ، والذي على قلب محمد ﷺ له ركن الحجر الأسود ، وهو لنا بحمد الله ، وكان الشيخ أبو علي الهواري قد أطلعه الله عليهم في كشفه قبل أن يعرفهم ، وتحقق صورهم ، فما مات حتى أبصر منهم ثلاثة في عالم الحس والبصر ، ربيعاً المارديني ، وأبصر الآخر وهو رجل فارسي ، ولازمنا إلى أن مات سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، أخبرني بذلك ، وقال لي ماأبصر الرابع ، وهو رجل حبشي .

(ف ج ١ / ١٦٠).

لقد قال لي شخص أمين بمكة	عن السيد المختار ما أنا قائل
سألت رسول الله في الأمر قال لي	ألا إن قولي ما يقول الأوائل
وقلت لكم عني خذوه فإنه	هو الحق لا عنهم وهنّ الفواضل
نفوس كريمات أتين بكلّ ما	أتتكم به الأرسال والحق فاصل
فمن شاء فليرحل ومن شاء فليقم	فإني إلى الله المهيمن راحل
فقلت له نامت جفونك إنها	لبشرى فقل ما شئت إنك فاضل
ويشرني أيضاً بأن نصيبنا	من البيت ركن قبّلته الأفاضل
ولازمني حتى أتته بمكة	منيته فاغتمّ عال وسافل
أتاني رسول بالوراثة فاضل	بإشبيلية الغراء في العلم كامل
فقال لنا علم الحروف دليلنا	على أنك الندب الإمام الحُلاحل[1]

(١) الحُلاحل. بضم الحاء الأولى، وهو السيد الركين، والجمع بفتحها.

فلست ترى في الرقم حرفاً مسطراً تعـينَ إلا وهـو للكـل شامـل
وفي كل حرف اختصـاص مُبَـيِّنٌ يراه على التعيـين من هو عامـل
بها في حروف الـرقم واللفظ عالِمٌ يذبُّ به عن نفسـه ويـنـاضـل
عن أمـر إلهـي يكـون مُقَـدَّراً بتقـديـر من تُرجى لديـه الوسائل
يحل به في كل رحـب ومـارق إذا هي حلَّت بالنفـوس النـوازل
(ديوان / ٣٤٨)

ولقد عاينت في سياحتي **الإمام الأقصى** ، إمام الميمنة ، عبد ربه ، فما رأيت ممن رأيت من الصالحين أشد خوفاً منه على عباد الله ، ولا أعظم رحمة ، فقلت له : لِمَ لا تأخذك الغيرة لله ؟ فقال : إني لا أريد أن يغار الله من أجلي ، ولكن أريد أن يُسأل الله من أجلي ، ليرحمني ويتجاوز ، فلا أحب لعباد الله إلا ما أحبه لنفسي .

أما **الإمام الأدنى** إمام الميسرة ، عبد الملك ، فقد أنعم علي ببشارة بشرني بها ، وكنت لا أعرفها من حالي ، وكانت حالي ، فأوقفني عليها ، ونهاني عن الانتماء إلى من لقيت من الشيوخ ، وقال لي : لا تنتم إلا لله ، فليس لأحد ممن لقيته عليك يد مما أنت فيه ، بل الله تولاك بعنـايته ، فاذكر فضل من لقيت إن شئت ، ولا تنتسب إليهم ، وانتسب إلى ربك ، وكان حال هذا الإمام مثل حالي سواء ، لم يكن لأحدٍ ـ ممن لقيه ـ عليه يد في طريق الله إلا الله ، هكـذا نقل لي الثقة عندي عنه ، وأخبرني الإمام بذلك عن نفسه ، عند اجتماعي به في مشهد برزخي اجتمعت به فيه ، لله الحمد والمنة على ذلك .
(ف ج ٢ / ٥٧٢ ، ٥٧٣) .

اجتماع الشيخ بالقطب الغوث :

وأما القطب الغوث صاحب الزمان ، الذي هو واحد في كل عصر ، خليفة الله في أرضه ، فإنه لا يكون في الزمان إلا واحداً ، وهو الذي ينفرد به الحق ، ويخلو به دون خلقه ، فإذا فارق هيكله المنـور انفرد بشخص آخر ، لا ينفرد بشخصين في زمان واحد ، وهذه الخلوة الإلهية من علم الأسرار التي لا تذاع ولا تفشى ، وما ذكرناها وسميناها إلا لتنبيه قلوب الغافلين عنها ، بل الجاهلين بها ، فإني ما رأيت ذكرها أحد قبلي ولا بلغني ، مع

علمي بأن خاصة أهل الله بها عالمون ، وذلك العبد، عين الله في كل زمان ، لا ينظر الحق في زمانه إلا إليه ، وهو الحجاب الأعلى والستر الأزهى، والقوام الأبهى ، فيحجب الحق ظهوره بطريق الخدمة في نفس الأمر ، فيُرى مع هذا القرب الإلهي خلقاً بلا حق ، كما يرى العامة بعضهم بعضاً ، ويُشاهَد الحق فيه إذا تجلى في صورة حق ، قال رسول الله ﷺ في أولياء الله : هم الذين إذا رؤوا ذكر الله ، ولقد رأيته في هذا التجلي ، ورأيت كثيرين من أهل الله لا يعرفونه وينكرونه ، وتعجبت من ذلك ، حتى أعلمت بأنهم وإن كانوا من أهل الله ، من حيث أنهم عاملون بأوامر الله لا عالمون ، فهم أهل إيمان . (ف ج ٤ / ٧٦) .

وقد اجتمعت بقطب الزمان سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بمدينة فاس ، أطلعني الله عليه في واقعة وعرّفني به ، فاجتمعنا يوماً ببستان بن حيون بمدينة فاس ، وهو في الجماعة لا يؤبه له ، فحضر في الجماعة ، وكان غريباً من أهل بجاية ، أشل اليد ، وكان في المجلس معنا شيوخ من أهل الله معتبرون في طريق الله ، ومنهم أبو العباس الحصار وأمثاله ، وكانت تلك الجماعة بأسرها إذا حضروا يتأدبون معنا ، فلا يكون المجلس إلا لنا ، ولا يتكلم أحد في علم الطريق فيهم غيري ، وإن تكلموا فيما بينهم رجعوا فيها إلي ، فوضع ذكر الأقطاب وهو في الجماعة ، فقلت لهم : يا إخواني ، إني أذكر لكم في قطب زمانكم عجباً ، فالتفت إليّ، ذلك الرجل الذي أراني الله في منامي أنه قطب الوقت ـ وكان يختلف إلينا كثيراً ويحبنا ـ فقال لي : قل ما أطلعك الله عليه، ولا تسم الشخص الذي عين لك في الواقعة ، وتبسم وقال : الحمد لله ، فأخذت أذكر للجماعة ما أطلعني الله عليه في أمر ذلك الرجل ، فتعجب السامعون ، وما سميته ولا عينته ، وبقينا في أطيب مجلس، مع أكرم إخوان إلى العصر ، ولا ذكرت للرجل بأنه هو ، فلما انقضت الجماعة ، جاء ذلك القطب وقال : جزاك الله خيراً ، ما أحسن ما فعلت حيث لم تسم الشخص الذي أطلعك الله عليه ، والسلام عليك ورحمة الله ، فكان سلام وداع ولا علم لي بذلك ، فما رأيته بعد ذلك في المدينة إلى الآن . (ف ج ٢ / ٥٥٥) .

معرفة الشيخ لجميع الأقطاب بأسمائهم إلى يوم القيامة وامتناعه عن ذكرهم :

السبب الذي منعني أن أذكر فيه بقية الأقطاب من زماننا هذا إلى يوم القيامة ، هو

أن الكتب الموضوعة لا تبرح إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وفي كل زمان لابد من وقوف أهل ذلك الزمان عليها ، ولابد في كل زمان من وجود قطب عليه يكون مدار ذلك الزمان ، فإذا سميناه وعيّناه ، قد يكون أهل زمانه يعرفونه بالاسم والعين، ولا يعرفون رتبته ، فإن الولاية أخفاها الله في خلقه ، وربما لا يكون عندهم في نفوسهم ذلك القطب بتلك المنزلة، التي هو عليها في نفس الأمر ، فإذا سمعوا في كتابي هذا بذكره، أداهم إلى الوقوع فيه ، فينزع الله نور الإيمان من قلوبهم ، كما قال رويم ، وأكون أنا السبب في مقت الله إياهم ، فتركت ذلك، شفقة مني على أمة محمد ﷺ وما أنا في قلوب الناس، ولا في نفس الأمر، ولا عند نفسي بمنزلة الرسول ، يجب الإيمان بي عليهم، وبما جئت به ، ولا كلفني الله إظهار مثل هذا، فأكون عاصياً بتركه ، ولا هذه المسألة بمنزلة قوله تعالى : ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ وبسط الرحمة على الكافة أولى من اختصاصها في حقنا . (ف ج٤ / ١٩٤) .

اجتماع الشيخ بالخضر عليه السلام :

الخضر عليه السلام واسمه [بليا بن ملكان] بن فالغ بن غابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام ، كان في جيش ، فبعثه أمير الجيش يرتاد لهم ماء ، وكانوا قد فقدوا الماء ، فوقع بعين الحياة، فشرب منه فعاش إلى الآن ، وهذا عين الحياة، ماء خص الله به من الحياة شارب ذلك الماء ، ثم عاد إلى أصحابه فأخبرهم بالماء ، فسارع الناس إلى ذلك الموضع ليستقوا منه ، فأخذ الله بأبصارهم عنه فلم يقدروا عليه ، وكان الخضر لا يعرف ما خص الله به من الحياة شارب ذلك الماء ، فهو لا زال على قيد الحياة في الأرض ، وهو من الأفراد الأمناء ، فإنه لولا أن الله أمره أن يظهر لموسى عليه السلام بما ظهر، لما ظهر له بشيء من ذلك ، فإنه من الأنبياء، وليس له نبوة تشريع ، وهو الفتى الذي يقتله الدجال في زعمه ، لا في نفس الأمر ، وهو فتى ممتلىء شباباً ، هكذا يظهر له في عينه ، وقد قيل إن الشاب الذي يقتله الدجال في عزمه أنه واحد من أصحاب الكهف ، وليس ذلك بصحيح عندنا من طريق الكشف ، وقد رأينا من رآه ، لقيته بإشبيلية واتفق لنا في شأنه أمر عجيب ، وأفادني التسليم للشيوخ، وأن لا أنازعهم ، وكنت في ذلك اليوم قد نازعت شيخاً لي في مسألة ، وذلك أن شيخنا أبا العباس العريبي رحمه الله، جرت بيني وبينه مسألة، في حق

شخص كان قد بشر بظهوره رسول الله ﷺ فقال لي : هو فلان بن فلان ، وسمّى لي شخصاً أعرفه باسمه وما رأيته ، ولكن رأيت ابن عمته ، فربما توقفت فيه ولم آخذ بالقبول ـ أعني قوله فيه ـ لكوني على بصيرة في أمره ، ولا شك أن الشيخ رجع سهمه عليه ، فتأذى في باطنه ، ولم أشعر بذلك فإني كنت في بداية أمري ، فانصرفت إلى منزلي وخرجت من عنده ، فكنت في الطريق فلقيني شخص ـ لا أعرفه بقوس الحنية ـ ، فسلم علي ابتداء، سلام محب مشفق ، وقال :ـ يا محمد صدِّق الشيخ أبا العباس فيما ذكر لك عن فلان ، وسمى لنا الشخص الذي ذكره أبو العباس العريبي ، أو قال لي : سلِّم إلى الشيخ مقالته ، فقلت له : نعم ، وعلمت ما أراد ، ورجعت من حيني إلى الشيخ لأعرفه بما جرى ، فعندما دخلت عليه ، كلمني قبل أن أكلمه وقال لي : يا أبا عبد الله ، أحتاج معك إذا ذكرت لك مسألة يقف خاطرك عن قبولها ، إلى الخضر يتعرض إليك يقول : صدق فلاناً فيما ذكره ، وأن يوصيك بالتسليم للشيوخ ، ومن أين يتفق لك هذا في كل مسألة تسمعها مني فتتوقف ؟ قلت : إن باب التوبة مفتوح ، فقال : وقبول التوبة واقع ، فعلمت أن ذلك الرجل كان الخضر ، فقلت مستفهماً الشيخ : يا سيدنا أهو هو؟ ذلك هو الخضر الذي أوصاني، قال :ـ نعم هو الخضر ، قلت له : الحمد لله ، هذي فائدة ، ومع هذا فما هو الأمر إلا كما ذكرت لك ، فلما كان بعد مدة ، دخلت على الشيخ فوجدته قد رجع إلى قولي في تلك المسألة ، وقال لي : إني كنت على غلط فيها وأنت المصيب ، فقلت له : يا سيدي علمت الساعة أن الخضر ما أوصاني إلا بالتسليم ، ما عرفني بأنك مصيب في تلك المسألة ، فإنه ما كان يتعين عليّ نزاعك فيها ، فإنها لم تكن من الأحكام المشروعة التي يحرم السكوت عنها ، وشكرت الله على ذلك ، وفرحت للشيخ الذي تبين له الحق فيها .

(ف ج ٢ / ١٩ ، ٢٠ ـ ج ١ / ١٨٦ ـ ج ٣ / ٣٣٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣٦) .

ثم اتفق لي مرة أخرى أني كنت بمرسى تونس بالحفرة ، في مركب في البحر ، فأخذني وجع في بطني ، وأهل المركب قد ناموا ، فقمت إلى جانب السفينة وتطلعت إلى البحر ، فرأيت شخصاً على بُعدٍ في ضوء القمر ـ وكانت ليلة البدر ـ وهو يأتي على وجه الماء حتى وصل إلي ، فوقف معي ورفع قدمه الواحدة واعتمد على الأخرى ، فرأيت باطنها وما أصابها بلل ، ثم اعتمد عليها ورفع الأخرى ، فكانت كذلك ، ثم تكلم معي بكلام كان

عنده ، ثم سلم وانصرف يطلب المنارة ، مُحْرِساً على شاطىء البحر ، على تل بيننا وبينه مسافة تزيد على ميلين ، فقطع تلك المسافة في خطوتين أو ثلاث ، فسمعت صوته وهو على ظهر المنارة يسبح الله تعالى ، وربما مشى إلى شيخنا جراح بن خميس الكتاني ـ وكان من سادات القوم مرابطاً بمرسى عبدون ، وكنت جئت من عنده بالأمس من ليلتي تلك ، فلما جئت المدينة لقيت رجلاً صالحاً ، فقال لي : كيف كانت ليلتك البارحة في المركب مع الخضر ؟ ما قال لك وما قلت له ؟

فلما كان بعد ذلك التاريخ ، خرجت إلى السياحة بساحل البحر المحيط ، ومعي رجل ينكر خرق العوائد للصالحين ، فدخلت مسجداً خراباً منقطعاً لأصلي فيه أنا وصاحبي صلاة الظهر ، فإذا بجماعة من السائحين المنقطعين دخلوا علينا ، يريدون ما نريده من الصلاة في ذلك المسجد ، وفيهم ذلك الرجل الذي كلمني على البحر ، الذي قيل لي : إنه الخضر ، وفيهم رجل كبير القدر أكبر منه منزلة ، وكان بيني وبين ذلك الرجل اجتماع قبل ذلك ومودة ، فقمت فسلمت عليه ، فسلم علي وفرح بي ، وتقدم بنا يصلي ، فلما فرغنا من الصلاة ، خرج الإمام وخرجت خلفه ، وهو يريد باب المسجد ، وكان الباب في الجانب الغربي ، يشرف على البحر المحيط بموضع يسمى بكة ، فقمت أتحدث معه على باب المسجد ، وإذا بذلك الرجل الذي قلت إنه الخضر ، قد أخذ حصيراً صغيراً كان في محراب المسجد ، فبسطه في الهواء على قدر علو سبعة أذرع من الأرض ، ووقف على الحصير في الهواء يتنفل ، فقلت لصاحبي : أما تنظر إلى هذا وما فعل ؟ فقال لي : سر إليه وسله ، فتركت صاحبي واقفاً وجئت إليه ، فلما فرغ من صلاته ، سلمت عليه وأنشدته لنفسي .

شُغِلَ المحبُّ عن الهواء بسرِّه ... في حب من خلق الهواء وسخره
العارفون عقولهم معقولة ... عن كل كون ترتضيه مطهرة
فهمو لديه مكرمون وفي الورى ... أحوالهم مجهولة ومستَّرة

فقال : يافلان ، ما فعلت ما رأيت، إلا في حق هذا المنكر ، وأشار إلى صاحبي ، الذي كان ينكر خرق العوائد ـ وهو قاعد في صحن المسجد ينظر إليه ـ ليعلم أن الله يفعل ما يشاء، مع من يشاء ، فرددت وجهي إلى المنكر وقلت له : ما تقول ؟ فقال : ما بعد العين ما يقال : ثم رجعت إلى صاحبي وهو ينتظرني بباب المسجد ، فتحدثت معه ساعة

وقلت له : من هذا الرجل الذي صلى في الهواء؟ وما ذكرت له ما اتفق لي معه قبل ذلك، فقال لي: هذا الخضر ، فسكت وانصرفت الجماعة ، وانصرفنا نريد روطة ، موضع مقصود يقصده الصلحاء من المنقطعين ، وهو بمقربة من بشكنصار على ساحل البحر المحيط ، فهذا ما جرى لنا مع هذا الوتد نفعنا الله برؤيته . (ف ج ١ / ١٨٦) .

سلوك الشيخ رضي الله عنه :

أقر الشيخ رضي الله عنه طريق التصوف المعتمد لدى الأكابر من أهل الله ، وهو ما ذكره أبو طالب المكي في كتابه (قوت القلوب) وهي الأربعة الظاهرة « العزلة والصمت والجوع والسهر » عند التابعين للشريعة والسالكين طريق الحق . ثم أشار إلى خمسة باطنة هي « التوكل واليقين والصبر والعزيمة والصدق » راجع الفتوحات المكية الجزء الأول الباب الثالث والخمسين وكتابه (حلية الأبدال) وقد ألف كتابه « مواقع النجوم » للمريد عند فقد الشيخ المربي ، وإليك بعض ماذكره عن سلوكه وعن الطريق .

الطريق والطريقة :

المطرّق الشارع ، والطريق المطرّقة الشريعة ، فمن سافر في هذه الطريق وصل إلى الحقيقة ، وأول ما وصلت إلى هذه البلاد (يعني مصر) سألت عن أهل هذه الطريقة المثلى ، عسى أن أجد منهم نفحة الرفيق الأعلى ، فحملت إلى جماعة قد جمعتهم خانقاة عالية البناء واسعة الفناء ، فنظرت إلى مغزاهم المطلوب ومنحاهم المرغوب ، تنظيف مرقعاتهم بل مشهراتهم وترجيل لحاهم ، غير أنهم يدّعون أن أهل المغرب أهل حقيقة لا طريقة ، وهم أهل طريقة لا حقيقة ، وكفى بهذا الكلام فساداً ، إذ لا وصول إلى حقيقة إلا بعد تحصيل الطريقة ، ولا طريق لنا إلى الله إلا ما شرعه ، فمن قال بأن ثَمّ طريقاً إلى الله خلاف ما شرع فقوله زور ، فلا يقتدى بشيخ لا أدب له، وإن كان صادقاً في حاله

لا تقتدي بالذي زالت شريعته عنه ولو جاء بالأنبا عن الله

فالطريق هي مراسم الحق المشروعة التي لا رخصة فيها ، من عزائم ورخص في أماكنها ، فإن الرخص في أماكنها لا يأتيها إلا ذو عزيمة ، فإن كثيراً من أهل الطريق لا يقول بالرخص ، وهو غلط ، فإنه يفوته محبة الله في إتيانها ، فلا يكون له ذوق فيها ، والعالم الصالح من استبرأ لدينه في كل أحواله ، في حق نفسه، وفي حق غيره ، وإلى الآن ما رأيت

أحداً من أهل الانتماء إلى الدين وإلى العلم على هذا القدم ، فالحمد لله الذي وفقنا لاستعماله ، وحال بيننا وبين إهماله ، فلا تصح المنكرات إلا بما لا يتطرق إليها الاحتمال ، وهذا يغلط فيه كثير من المتدينين ، لا من أصحاب الدين ، فإن أصحاب الدين المتين أول ما يحتاط على نفسه ، ولاسيما في الإنكار خاصة .

(ف ح ٢/٣٨٣ - روح القدس - ف ح ٢/٣٦٦، ٣٦٤، ١٣٣ - ح ٣/٥٦٣) .

الإيمان :

لقد آمنا بالله وبرسوله وما جاء به مجملاً ومفصلاً ، مما وصل إلينا تفصيله وما لم يصل إلينا ، أو لم يثبت عندنا ، فنحن مؤمنون بكل ما جاء به في نفس الأمر ، أخذت ذلك عن أبويَّ أخذ تقليد ، ولم يخطر لي ما حكم النظر العقلي فيه ؟ من جواز وإحالة ووجوب ، فعملت على إيماني بذلك حتى علمت من أين آمنت ، وبماذا آمنت ، وكشف الله عن بصري وبصيرتي وخيالي ، فرأيت بعين البصر ما لا يدرك إلا به ، ورأيت بعين الخيال ما لا يدرك إلا به ، ورأيت بعين البصيرة ما لا يدرك إلا بها ، فصار الأمر لي مشهوداً ، والحكم المتخيل المتوهم بالتقليد موجوداً ، فعلمت قدر من اتبعته، وهو الرسول المبعوث إليَّ محمد ﷺ ، فما زحزحني علم ما رأيته وعاينته عن إيماني ، فلم أزل أقول وأعمل ما أقوله وأعمله لقول النبي ﷺ لا لعلمي ولا لعيني ولا لشهودي ، فواخيت بين الإيمان والعيان ، وهذا عزيز الوجود في الأتباع ، فإن مزلة الأقدام للأكابر إنما تكون هنا ، إذا وقعت المعاينة لما وقع به الإيمان ، فتعمل على عين لا على إيمان ، فلا يجمع بينهما ، ففاته من الكمال أن يعرف قدره ومنزلته ، فهو وإن كان من أهل الكشف ، فما كشف الله له عن قدره ومنزلته ، فجهل نفسه ، فعمل على المشاهدة ، والكامل من عمل على الإيمان مع ذوق العيان ، وما انتقل ولا أثر فيه العيان ، وما رأيت لهذا المقام ذائقاً بالحال ، وإن كنت أعلم أنّ له رجالاً في العالم ، لكن ما جمع الله بيني وبينهم في رؤية أعيانهم وأشخاصهم وأسمائهم ، فقد يمكن أن أكون رأيت منهم وما جمعت بين عينه واسمه ، وكان سبب ذلك أني ما علقت نفسي قط إلى جانب الحق أن يطلعني على كون من الأكوان ، ولا حادثة من الحوادث ، وإنما علقت نفسي مع الله أن يستعملني فيما يرضيه ، ولا يستعملني فيما يباعدني عنه ، وأن يخصني بمقام، لا يكون لمتبع أعلى منه ، ولو أشركني فيه جميع من في العالم ، لم أتأثر لذلك ، فإني

عبد محض ، لا أطلب التفوق على عباده بل جعل الله في نفسي من الفرح أن أتمنى أن يكون العالم كله على قدم واحدة، في أعلى المراتب ، فمطلبي من الحق العبودية المحضة، التي لا تشوبها ربوبية ، لا حساً ولا معنى (ف ح ٣ / ٣٢٣ - ج ٢ /١٢٢).

الاتباع :

إن الله رزقنا الاتباع الإلهي والاتباع النبوي ، فأما الاتباع الإلهي فهو قوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ فالله في هذه المعية يتبع العبد حيث كان ، فنحن أيضاً نتبعه تعالى حيث ظهر بالحكم ، فنحن وقوف حتى يظهر بأمر ، يعطي ذلك الأمر حكماً خاصاً في الوجود ، فنتبعه فيه ، ولا نظهر في العامة بخلافه ، كسكوتنا عن التعريف به أنه هو ، إذا تجلى في صورة ينكر فيها، مع معرفتنا به ، فهو المقدم بالتجلي وحكم الإنكار ، فنحن نتبعه بالسكوت وإن لم ننكر ولا نقر ، فهذا هو الاتباع الإلهي[1] وأما الاتباع النبوي الذي رزقنا الله فهو قوله : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ . (ف ج ٣ / ٤٩٦) .

الدخول على الله :

فمن أراد الدخول على الله فليترك عقله، ويقدم بين يديه شرعه ، فإن الله لا يقبل التقييد ، والعقل تقييد ، بل له التجلي في كل صورة ، كما له أن يركبك في أي صورة شاء ، فالحمد لله الذي ركبنا في الصورة التي لم تقيده سبحانه بصورة معينة ، ولا حصرته فيها ، بل جعلت له ما هو له بتعريفه أنه له ، وهو تحوله في الصور ، فما قدر اللهَ حق قدره إلا اللهُ ، ومَنْ وقف مع الله فيما وصف به نفسه ، لم يُدخله تحت حكم عقله من حيث نفسه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ولا شيء أضر بالعبد من التأويل في الأشياء ، فالله يجعلنا على بصيرة من أمرنا ، ولا يتعدى بنا ما يقتضيه مقامنا ، والذي أسأل الله تعالى ، أن يرزقنا أعلى مقام عنده يكون لأعلى ولي ، فإن باب الرسالة والنبوة مغلق ، وينبغي للعالم أن لا يسأل في المحال ، وبعد الإخبار الإلهي بغلق هذا الباب فلا ينبغي أن يسأل فيه ، فإن السائل فيه يضرب في حديد بارد ، إذ لا يصدر هذا السؤال من مؤمن أصلاً قد عرف هذا ، ويكفي الوليَّ من الله أن جعله على بصيرة في الدعاء إلى الله تعالى ، من حيث ما يقتضيه

---

(١) ومن ذلك عدم الاعتراض على الأقدار الإلهية في خلقه ، مع القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإيمان بـ «كل من عند الله».

مقام الولاية والاتباع ، كما جعل الرسول يدعو إلى الله على بصيرة من حيث ما يقتضيه مقام الرسالة والتشريع ، ويعصمنا الله من مكره ، ولا يجعلنا من أهل النقص ، ويرزقنا المزيد من الترقي دنيا وآخرة . (ف ج ٣ / ٥٦٥ ـ ج ٤ / ٢٠٤ ـ ج ٢ / ٥٣١) .

صحبة الصالحين :

كان عندنا بإشبيلية رجل عابد ، حسن الصوت ، كثير الاجتهاد ، سريع الدمعة ، دائم العبرة ، كثير الفكرة والتهجد ، بت معه ليالي عدة ، فلم يكن يفتر ، فربما أسمعه في بعض الأحايين ينشد بصوت طيب غرد ، ودموعه تنحدر على خديه

قطع الليل رجال ورجال وصلوه
رقدوا فيه أناس وأناس سهروه
لا يميلون إلى النوم ولا يستعذبوه
فكأن النوم شيء لم يكونوا يعرفوه
لبسوا ثوباً من الخدمة حتى خلعوه
مع جلباب من الحزن فما أن نزعوه

ولقد رأيت من فتح الله عليه بصحبتي ، واستفاد أحوالاً وعلوماً وخرق عوائد ، أعطاه الله ذلك من حسن معاملته مع الله ، وأخبرني أنه ما استفاد شيئاً مما هو عليه إلا مني ، وأنا لا علم لي بذلك ، إنما أدعو إلى الله ، والله يعلم من يجيب .

(مسامرات ج ٢ /٥٢ ـ ف ج ٤ / ٨٠) .

محاسبة النفس :

العارف يقدم قيامته في موطن التكليف التي يؤول إليها جميع الناس ، فيزن على نفسه أعماله ، ويحاسب نفسه هنا قبل الانتقال ، وقد حرّض الشرع على ذلك فقال : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » فكان أشياخنا يحاسبون أنفسهم على ما يتكلمون به وما يفعلونه ، ويقيدونه في دفتر ، فإذا كان بعد صلاة العشاء ، دخلوا بيوتهم وحاسبوا أنفسهم ، وأحضروا دفترهم ونظروا فيما صدر منهم في يومهم ، من قول وعمل ، وقابلوا كل عمل بما يستحقه ، إن استحق استغفاراً استغفروا ، وإن استحق توبة تابوا ، وإن استحق شكراً شكروا ، إلى أن يفرغ ما كان منهم في ذلك اليوم ، وبعد ذلك ينامون ، ولنا في هذا المقام

مشهد عظيم عايناه ، وانتفعنا بهذه المحاسبة فيه ، فلم تَعُدْ علينا في الموطن الذي يُحَاسبُ الناس فيه ، وما أخذت هذا المقام إلا من شيخنا أبي عبد الله بن المجاهد وأبي عبد الله بن قسوم بإشبيلية ، فإنه كان حالهما ، وزدت على ابن قسوم في ذلك ، بمحاسبة نفسي بالخواطر ، وكان الشيخ لا يحاسب نفسه إلا على الأفعال والأقوال لا غير ، فزدنا عليهم في هذا الباب بتقييد الخواطر ، فكنا نقيد ما تحدثنا به نفوسنا وما تهم به ، زائداً على كلامنا وأفعالنا ، وكنت أحاسب نفسي مثلهم في ذلك الوقت ، وأحضر الدفتر وأطالبها بجميع ما خطر لها وما حدثت به نفسها ، وما ظهر للحس من ذلك من قول وعمل ، وما نوته في ذلك الخاطر والحديث ، فقلَّت الخواطر والفضول إلا فيما يعني ، قال رسول الله ﷺ : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، ولقد أشهدني الله في هذا مشهداً عظيماً بإشبيلية سنة ست وثمانين وخمسمائة .

(ف ج ٢ / ٦٢٨ - ج ١ / ٢١١ - ج ٢ / ٦٢٨ - ج ١ / ٢١١ - ج ٤ / ٤٧٥ ، ٤٧٦) .

مكارم الأخلاق :

من يقدر على الاغتبان ولا يظهر للغابن أنه اغتبن ، فقد تمكن من حكم نفسه غاية التمكن ، لأن طبع النفس يطلب أن يُعرَفَ الخيرُ منها ، ولا خير مثل الاغتبان ، فإنه نظير الحلم مع القدرة في نفس الأمر ، وهو يظهر للجاني أنه عجز عن مؤاخذته ، وهو ما ترك مؤاخذته إلا حِلماً لا عجزاً ، وذلك لا يصدر إلا من قوي على حكم طبعه ونفسه ، فأهل الله أولى بالتجاوز عن عباد الله إذا عاملوهم بما يستحق الانخداع ، ونحن ممن تحقق به غاية التحقق ، وهو من أعظم مكارم الأخلاق الإلهية . (ف ج ٤ / ١٤٥) .

إذا كنت في قوم ولم أك عينهم　　وسرهمو سري وجهرهمو جهري
فما أنا فيهم ذو وفاء وإنني　　إذا حقق الأقوام شأني لفي خسر

ولما قبل الله تعالى توبة عباده وستر على بعض عباده ، وما أخبرنا بذلك إلا لنكون بتلك الصفة الإلهية مع عباده في معاملتهم إيانا ، فمن صدقنا رأينا له منزلة صدقه ، ومن كذب لنا لم نفضحه ، وتغاضينا عن كذبه وأظهرنا له قبول قوله .

(ديوان / ١٧٢ - ف ج ٤ / ١٥٩) .

حسن الظن بالناس :

إن الإنكار لا يصح إلا بما لا يتطرق إليه الاحتمال ، فلا ينكر صاحب الدين مع الظن وقد سمع قوله تعالى ﴿ إن بعض الظن إثم ﴾ فلعل هذا من ذلك البعض ، وإثمه أن ينطق به وإن وافق العلم في نفس الأمر ، فإن الله يؤاخذه بكونه ظن وما علم ، فنطق فيه بأمر محتمل ، ولم يكن له ذلك ، وسوء الظن بنفس الإنسان أولى من سوء ظنه بالغير ، لأنه من نفسه على بصيرة، وليس هو من غيره على بصيرة ، فالعالم الصالح من استبرأ لدينه في كل أحواله ، في حق نفسه وفي حق غيره ، وإلى الآن ما رايت أحداً من أهل الانتماء إلى الدين وإلى العلم على هذا القدم ، فالحمد لله الذي وفقنا لاستعماله وحال بيننا وبين إهماله .

(ف ج ٥٦٣/٣) .

حسن الخلق :

يا ولي الله ما عاقبت أحداً يجب علي أدبه في حال غضبي ، فإذا ذهبت عني حالة الغضب والغيظ ورأيت المصلحة له في الأدب أدبته ، وأما ما يرجع إليّ فأعفو عنه ، عن طيب نفس وعدم إقامة على دغل وحقد ، وابذل جهدي في إيصال خير إليه ، وأسارع إلى قضاء حوائجه ، وما أدري أني أقرضت أحداً قرضاً وفي نفسي أني أطلبه منه فلا أطلبه ، وإن جاء به وأرى حاجتي إليه آخذه منه ولا أعلمه ، وإن علمت أنه ضيّق على نفسه فيه أنظرته إلى ميسرة ، هذا فيما يختص بنفسي ، وحكم العيال حكم الجار الأقرب له حق يطلبه ، أنا مأمور بإيصاله إليه إذا قدرت عليه . (ف ج ٤ / ٥٣٩) .

عواقب الأمور :

من أهل الله مَنْ يجعل عاقبة الأمور استفتاحاً فيردها أولاً ، إذ كان المطلوب عين العواقب ، فيكون استفتاح العمل بالعاقبة ، وهي طريقة عجيبة عملنا عليها وناجينا بها ، ولكن لابد أن تكون النجوى بسمع الحق وكلام الحق . (ف ج ٢ / ٤٧) .

الاعتبار :

وقد عاينت بمدينة تلمسان من عالم بصفة الرمي وإنشاء القسي والنبال ، فرأيته : يرمي بالسهم ، فإذا انتهى السهم إلى مرماه عاد إلى الرامي وحده ، فكان ذلك لي عبرة في

كون الأعمال ، ترجع على عامليها ، فإن علم الاعتبار لا يخص حالاً من حال ولا جهة من جهة ، وإنه علم عام يعطي الدلالة لمن رجع إلى الله بالصورة . (ف ج ٣ / ١٨٠) .

التهيؤ لانتظار الفجآت :

التهيؤ لانتظار الفجآت لأنه لا يدرى بما يأتي ، وهذا مقام لم أر أحداً أتم مني فيه ، لله الحمد على ذلك . (ف ج ٣ / ١٨٥) .

الخلوة وثمرتها :

لابد لكل طالب ربه أن يخلو بنفسه مع ربه في سره ، لأن الله ما جعل للإنسان ظاهراً وباطناً إلا ليخلو مع الله في باطنه ، ويشاهده في ظاهره في أسبابه ، بعد أن ينظر إليه في باطنه ، حتى يميزه في عين الأسباب ، وإلا فلا يعرفه أبداً ، فما يرجع من يرجع إلى الخلوة مع الله في باطنه إلا لأجل هذا ، فباطن الإنسان بيت خلوته لو عقل عن الله ، فلما علمت في أول الأمر أن الشأن على ما ذكرته ، تجردت عن هيكلي هذا تجرداً علمياً حالياً ، لجهلي بمكانة الحق من هذا الهيكل ، وعدم علمي بأن لله وجهاً خاصاً في كل شيء ، فلما صرت عن هذا الهيكل أجنبياً ، نظرت إليه كأنه سبجة سوداء مظلم الأقطار ، لم أر فيه من النور شيئاً ، فسألت عن هذه الظلمة من أين لحقت ؟ فقيل لي : هذه ظلمة الطبيعة ، فإن الظلمات ثلاث، تراكم بعضها على بعض . فالظلمة حجاب إلهي تحجب عن وجود الحق ، فقلت : ما هذه الظلمات الثلاث؟ فقيل لي: الظلمة الأولى المشهودة لك ظلمة الطبيعة، فهي الطبقة الأولى التي تلي بصرك، ثم إن هذه الطبيعة ما وجدت إلا في المرتبة الثالثة، ففوقها ظلمة السبب الحادث الممكن التي وجدت عنها، فهي وجود محدث عن محدث، وهي النفْسُ، فهي الظلمة الثانية، فاشتد ظلام الطبيعة، وتضاعف بظلمة النفس، فأشهدت النفْسَ، فرأيت ظلمة فوق ظلمة، ثم قيل لي: فوق هذه الظلمة الثانية ظلمة ثالثة ، وهي السبب الذي وجدت عنه هذه النفس ، وهو العقل الأول ، فكشف لي عنه ، فرأيت ظلاماً ، متراكماً بعضه فوق بعض ، فقلت : أفلهذا سبب آخر وجد عنه ؟ فقيل لي : لا بل هذا أوجده الحق لا عند سبب ، فقلت : فما باله مظلماً ؟ فقيل لي : هذه الظلمة له ذاتية ، وهي ظلمة إمكانه ، يستمدها من ظلمة الغيب الذي لا يقع عليه شهود ، كما يقع على المغيَّب فيه إذا ظهر منه وفارقه وصار شهادة ، فعن هذه الظلمات الثلاث كان الإنسان ،

من حيث هو جسم حيواني في بطن أمه في ظلمات ثلاث ، ظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، وظلمة البطن ، فإذا ولد اندرجت ظلمته فيه ، فكان ظاهره نوراً وباطنه ظلمة ، فلا يتمكن له المشي في ظلمة باطنه إلا بسراج العلم ، إن لم يكن له هذا السراج فإنه لا يهتدي فيها ، فلما رأيت هيكلي وظلمته ، وعلمته أنه لو لم يكن له نور بوجه ما ، ما صح نظري إليه ، ولا إدراكي إياه ، فسألت عن النور الذي أعده لتعلق رؤيتي به ، فقيل لي : نور الوجود به رأيته ، فنظرت إلي من حيث أني راءٍ لتلك الظلمة ، فرأيت ظلها ينبسط علي ، وما رأيت نوري يزيلها، فتعجبت، فقيل لي: لا يزول عنك ظلام إمكانك، فإنه نعت ذاتي لك ، فإنك لست بواجب الوجود لذاتك ، فقلت : فمن لي بنور لا ظلمة فيه ؟ قيل لي : لا تجده أبداً ، فقلت : إذاً فلا أشاهد موجدي أبداً ، فإنه النور المحض والوجود الخالص ، فقيل لي : لا تشاهده أبداً إلا منك ، لا تراه أبداً في صورة واحدة ، فلا تحيط به علماً ، فلا يتجلى ولا يُشْهَدُ كما يَشهَد نفسه ، فإنه غني عن العالمين ، فما يُستَدلّ عليه إلا به ، فلا يُعرَف إلا من طريق الكشف والشهود على حد ما ذكرناه ، وأما بالإدلة النظرية فلا يُعلَم إلا حكمه لا عينه ، فلهذا يحكم العقل بدليله على ما يستلزمه هذا الموجود الواجب الوجود ، مما يفتقر الممكن إليه فيه ، فهذا القدر يدل عليه ، ويعطيه الشهود رتبة فوق هذا ، تذاق ولا تنقال ولا تنحكي ، فلما أشهدني الله ذاتي وأشهدني هيكلي ، أشهدني بعد هذا نسبة العالم كله إلي ، وتوجهه عليَّ في إيجاد عيني ، فرأيت تقدمه عليّ وآثاره فيّ ، وعلمت انفعالي عنه ، وأنه لولاه ما كان لي وجود عيني ، فذللت في نفسي ، حيث أنا تحت قهر ممكن مثلي ، وعلمت عند ذلك أني من القليل الذي يعلمون أن خلق السموات - وهي الأسباب العلوية لوجودي - ، والأرض - وهي الأسباب السفلية لوجودي - ، أكبر من خلق الناس قدراً ، لأن لها نسبة الفاعلية ، وللناس نسبة الانفعال ، فأدركني انكسار يكاد أن يؤيسني عن مشاهدة الحق من حيث ما تشاهده هذه الأسباب ، التي لها عليَّ في القدر شفوف الفاعلات ، فلما حصل عندي ذلك الإنكسار ، قيل لي: هذه الأسباب وإن كان لها هذا القدر عليك في المرتبة فيما ظهر ، فاعلم أنك العين المقصودة ، فما وجدت هذه الأسباب ، إلا بسببك لتظهر أنت ، فما كانت مطلوبة لأنفسها ، فإن الله لما أحب أن يُعرَف ، لم يمكن أن يعرفه إلا من هو على صورته، وما أوجد الله على صورته أحداً إلا الإنسان الكامل ، لا

الإنسـان الحيوان ، فإذا حصل حصلت المعرفة المطلوبة ، فأوجد ما أوجد من الأسباب لظهـور عين الإنسـان الكـامـل ، فاعلم ذلك ، فجبر هذا التعريف الإلهي انكساري ، وعلمت أني من الكمل ، وأني لست بإنسان حيوان فقط ، فشكرت الله على هذه المنة ، فلما أشهدني نسبة العالم إليّ ، ونسبتي إلى العالم ، وميزت بين المرتبتين ، وعلمت أن العالم كله لولا أنـا ما وجـد ، وأنه بوجودي صح المقصود من العلم الحادث بالله ، والوجود الحادث ، الذي هو على صورة الوجود القديم ، وعلمت أن العلم بالله المُحْدَث الذي هو على صورة العلم بالله القديم ، لا يتمكن أن يكون إلا لمن هو في خلقه على الصورة ، وليس غير الإنسـان الكـامـل ، ولهـذا سمي كاملاً ، وأنه روح العالَم ، والعالَم مسخر له علوه وسفله ، وأن الإنسان الحيوان من جملة العالم المسخر له ، وأنه يشبه الإنسان الكامل في الصورة الظاهرة ، لا في الباطن من حيث الرتبة ، كما يشبه القرد الإنسان في جميع أعضائه الظاهرة ، فتأمل درجة الإنسان الحيوان من درجة الإنسان الكامل ، واعلم من أي الأناسي أنت ؟ فأنت على استعداد قبول الكمال لو عقلت ، ولهذا تعين التنبيه والإعلام من العالِم ، فلو لم تكن على استعداد يقبل الكمال لم يصح التنبيه، ولكان التعريف بذلك عبثاً وباطلاً، فلا تلومن إلا نفسك في عدم القبول لما دُعيتَ إليه ، فإن الداعي ما دعا إلا على بصيرة ليلحقـك بذاته في البصيرة ، فإذا علمت هذا ، وأشهدك الحق نسبة العالم إليك ، بقي عليك أن تعلم نسبة الحق إليك ونسبتك إليه ، فأوقفني الحق على نسبة الأسماء الإلهية إليّ ، لتحصل لي الصورة المقصودة ، فتنطلق عليّ جميع الأسماء الإلهية التي تنطلق عليه تعالى ، لا يفوتني منها اسم بوجه من الوجوه . (ف ج ٣ / ٢٦٥) .

مقام الخلة والمحبة :

إذا علمت أن الله لا يستحيل عليه خلة عباده ، فاجهد أن تكون أنت ذلك الخليل ، بأن تنظر إلى ما يؤدي إلى تحصيل هذه الخلة الشريفة ، فإنك لا تجد لها سبباً إلا الموافقة ، ولا علم لنا بموافقتنا الحق إلا موافقتنا شرعه ، فما حرّم حرمناه ، وما أحل أحللناه ، وما أباحه أبحناه ، وما كرهه كرهناه ، وما ندب إليه ندبنا إليه ، وما أوجبه أوجبناه ، فإذا عمَّك هذا في نفسك ، وكانت هذه صفتك وقمت فيها مقام حق ، صحت لك الخلة ، لا بل

المحبة التي هي أعظم وأخص من الخلة ، لأن الخليل يصحبك لك ، والمحب يصحبك لنفسه ، فشتان ما بين الخلة والمحبة ، فالخليل يعتضد بخليله ، والحبيب يبطن في محبه ، فيقيه بنفسه ، فالحق مجن المحبوب ، والخليل مجن خليله ، ألا ترى إلى ما أجرى الله في نفوس العالم ، حيث يجعلون الخبز والملح سبباً موجباً لأن يكون كل واحد من الشخصين الذين بينهما المالحة فداء لصاحبه ، يقيه من كل مكروه ، ويحفظ عليه حفظه على نفسه . وكذلك هو الأمر عليه في عينه ، ولما شهدناه مع الحق مشاهدة عين ، ووقعت المالحة ، ورأيت أثرها بحمد الله برهاناً قاطعاً ، قلت في ذلك :

لآكــلَنَّ الخـبـز والمـلحـا ... حتى أرى البرهـان والفتحـا
وأنـظر الأمـر الـذي قد بدا ... يثبت في اللوح فلا يُمحى
وأطلب الحرب من أجل العدا ... لا أطلب السلم ولا الصلحـا
فلو أتـاني الأمـر من عنده ... أمر يُريني الكشف والشرحـا
ألـزمت نفسي طلباً للعلا ... أن تُؤثِـرَ المعروف والنصحـا
وقلت للباني ألا فابـن لي ... من عمل الأرواح لي صرحـا
عسى أرى بلقيس إذ شمرت ... عن ساقها إذ أبصرت صرحـا
تخيَّلت بأنه لجـة" ... فأضربت عن عرشها صفحـا
ما عرفت إذ أبصرْت نفسها ... ستراً ولا كشفاً ولا لمحـا

فأعطاه الخبز والملح أن لا يتخذ عدواً لله محبوباً ولا محباً ، وانظر ما أثر عند الخليل إيثاره لجناب الحق، من عداوة أبيه في الله تعالى . فالله يجعلنا ممن آثر الحق، على هواه ، وأن يجعل ذلك مناه . (ف ج ٣ / ٢٧٢) .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ، تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول وإياكم ﴾ . فهنا ينبغي أن تسكب العبرات ، فالسعيد من وجد ذلك من نفسه ، فلم يدخل تحت هذا الخطاب ، وعلى قدر ما ينقصك من هذا الحال، ينقصك من المعرفة بالله ، ومن الوقت الذي فتح الله علي في هذا الطريق، ما لقيت أحداً على هذا القَدَم فعرفته به، وإن كان عليه في نفس الأمر، ولكن ما عرفني الله به ، وربما عرّضت له به فلم أجد عنده إلا النقيض ، لكني أعلم أن في

الأرض عباداً لهم هذا المقام ، فالحمد لله الذي فتح عليَّ به ، ونرجو إن شاء الله ا عليه ، فإن أكثر أبواب المعرفة بالله تحول بين هذا المقام وبين المؤمنين والعلماء ، فهو مقام غامض ، صعب التصور ، تقدح فيه معارف إلهية كثيرة ، ومتى لم يحصل لأحد هذا المقام ذوقاً ، فاعلم أنه بينه وبين من هو عدو لله مناسبة ، ولتلك المناسبة لم يتبرأ منه إذا تبين له ، لأنه قبل التبيين يعذر ، والله ولي الإعانة والتوفيق . (ف ج ٣ / ٢٧١) .

ومع هذا ينبغي للإنسان طالب مقام الخلة أن يحسن عامة لجميع خلق الله ، كافرهم ومؤمنهم ، طائعهم وعاصيهم ، وأن يقوم في العالم مع قوته مقام الحق فيهم ، من شمول الرحمة وعموم لطائفه ، من حيث لا يشعرهم أن ذلك الإحسان منه ، ويوصل الإحسان إليهم من حيث لا يعلمون ، فمن عامل الخلق بهذه الطريقة ـ وهي طريقة سهلة ـ فإني دخلتها وذقتها ، فما رأيت أسهل منها ولا ألطف ، وما فوقها لذة ، فإذا كان العبد بهذه المثابة صحت له الخلة ، وإذا لم يستطع بالظاهر لعدم الموجود ، أمدّهم بالباطن فدعا الله لهم في نفسه، بينه وبين ربه ، هكذا تكون حالة الخليل ، فهو رحمة كله ، قال رسول الله ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله » وقال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (ف ج ٢ / ٣٦٣) .

مقام الصديق :

مقام الصديق في قوله : « ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله » من شهوده صدور الأشياء ، فهو في شهود دائم والتكوينات تحدث ، فما من شيء حادث يحدث عن الله إلا والله مشهود له قبل ذلك الحادث ، وما نبّه أحد فيما وصل إلينا على هذا الوجه وما يتكون منه في قلب المعتكف على شهوده إلا أبو بكر الصديق ، ولكن نحن ما أخذناه من تنبيه أبي بكر الصديق عليه ، لكوننا ما فهمنا عنه ما أراد ، ولا فكرنا فيه ، وإنما اعتنى الله بنا فيه ، ففاجأنا العلم به ابتداءً ولم نكن نعرفه ، فأنكرنا ذلك وقلنا : هذا من أين ؟ ففتح الله بيننا وبينه ذلك الباب ، فعلمنا ما لنا من الحق على الخصوص ، وعرفنا أن هذا هو الوجه الخاص ، الذي من الله عز وجل لكل كائن عنه ، فلزمته واسترحت ، وعلامة من يدعيه لزوم الأدب الشرعي ، وإن وقعت منه معصية بالتقدير الإلهي الذي لابد من نفوذه ، فإن كان يراها معصية ومخالفة للأمر المشروع فيعلم أنه من أهل هذا الوجه ، وإن كان يعتقد

خلاف هذا فنعلم أن الله ما أطلعه قط على هذا الوجه الخاص ، ولا فتح له فيه ، وأنه شخص لا يعبأ الله به ، فإنه ما من أحد أعظم أدباً مع الشرع ، ولا اعتقاداً حقيقياً فيه أنه الحق كما يعلمه العامي سواء ، إلا أهل هذا الوجه ، فإنهم يعلمون الأمور على ما هي عليه ، فيعلمون أن حظهم من هذا الأمر المشروع والتكليف ، وحظ الآتي به وهو الرسول ، وحظُ العامة المخاطبين أيضاً به على السواء ، لا فضل لأحدهم على الآخر فيه ، لأنه لذاته ورد لا لأمر آخر ، فالذي يجرم بالعموم في الخطاب المشروع على واحد، يعم جميع المكلفين من غير اختصاص ، حتى لو قال بتحليل ذلك في حق شخص يتوجه عليه به لسان الذم في الظاهر كان كافراً عند الجميع ، وكان كاذباً في دعواه أنه من أهل هذا الوجه ، فإن أخص علوم هذا الوجه ما جاءت به الشرائع . (ف ج ٣ / ٥٥٩) .

الموت في عين الحياة الدنيا :

قال ﷺ : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، وأُخبِرنا في الكشف بالإخبار الإلهي المنفوث في الروع من الوجه الخاص ، فقيل لنا : « من استحى من لقاء الله آنسه الله وأزال خجله » وذلك أن العبد ما يجعله يستحيي ، إلا ما ظهر به من المخالفة أو التقصير عن حق الاستطاعة ، وما ثَمَّ غير هذين ، فأُنس الحق في ذلك أن يقول له : يا عبدي إنما كان ذلك بقضائي وقدري ، فأنت موضع جريان حكمي ، فيأنس العبد بهذا القول ، فلو قال هذا القول العبد لله لأساء الأدب مع الله ، ولم يسمع منه ، وبهذا بعينه يؤنسه الحق ، فهو من جانب الحق في غاية الحسن ، ومن جانب الخلق في غاية القبح ، قال ﷺ : الحياء خير كله ، وقال : الحياء لا يأتي إلا بخير ، وأي خير أعظم من هذا الخير ، أن يقيم الحق حجة العبد أنساً له ومباسطة ، وإزالة خجل ، ورفع وَجلٍ ، فسبحان اللطيف الخبير المنعم المتفضل - ولما ورد عليّ هذا التعريف الإلهي لم يسعني وجود ، بل ضاق عني الوجود ، مما امتلأت من هذا الخطاب والتعريف الإلهي ، حيث جعلني محلاً لخطابه ، وأهّلني لما أهّل له أهل خصوصه ، وقد علمنا أن لقاء الله لا يكون إلا بالموت ، وعلمنا معنى الموت فاستعجلناه في الحياة الدنيا ، فمتنا في عين حياتنا عن جميع تصرفاتنا وحركاتنا وإراداتنا ، فلما ظهر الموت علينا في حياتنا ، التي لا زوال لها عنا حيث كنا ، التي بها تسبح ذواتنا وجوارحنا وجميع أجزائنا ، لقينا الله فلقينا ، فكان لنا حكم من

يلقاه محباً للقائه ، فإذا جاء الموت المعلوم في العامة ، وانكشف عنا غطاء هذا الجسم ، لم يتغير علينا حال ، ولا زدنا يقيناً على ما كنا عليه ، فما ذقنا إلا الموتة الأولى ، وهي التي متناها في حياتنا الدنيا ، فوقانا ربنا عذاب الجحيم ، فضلاً من ربك ، ذلك هو الفوز العظيم .
(ف ج ٣ ٢٢٣) .

فما من أحد من المؤمنين إلا ولابد أن يناجي ربه وحده ، ليس بينه وبينه ترجمان ، فيضع كنفه عليه ، وهو عموم رحمته به ، فذلك محل تحصيل ما يختص به ، كانت القيامة لهذا العبد حيث كانت ، لأنه من عباد الله من تعجل له قيامته ، فيرى ما يؤول إليه أمره في الدار الآخرة ، وهي البشرى التي للمؤمن في الحياة الدنيا ، وقد رأيناها ذوقاً ، وكان لنا فيها مواقف ، منها في ليلة واحدة مائة موقف ، بأخذ ورجوع ، لو قسمت تلك الليلة على قدر الوقوف ما وسعته ، وذلك بمدينة فاس سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، أشاهد في كل موقف من اتساع الرحمة ما لا يمكنني النطق به . (ف ج ٤ / ١٥٣) .

دخول الشيخ المقامات القدسية :

لما دخلت الحضرة الندسية[1] ، والمقامات القدسية ونزلت بفنائها ، وأحطت علماً بما أمكن من أسمائها ، تلقاني الاسم الجامع للمضار والمنافع ، فأهَّل ورحَّب وسهَّل ، وبذل وأوسع ، وجاد وما منع ، فكان مما جاد به على المملوك ، نظم السلوك في مسامرة الملوك ، فاتخذته هِجّيراً ، واتخذني سميراً ، فجرى بنا السمر ، والليل قد أقمر ، إلى حديث النزول الإلهي في الثلث الباقي من الليل الإنساني ، وسؤاله عبادَه التائبين والداعين المستغفرين ، ليجود عليهم بالمنح ، وأنواع الطُرف والمِلَح ، فكان أحد الداعين الواعين ، شخصاً ضخم الدسيعة من العلماء بالطبيعة ، ممن ثبتت قدمه في العلم بها ورسخ ، وكان له المقام الأشمخ ، فسأل ربه : أين الطبيعة من النفس ، ومن المقام العقلي الأقدس ؟ فقال : هي عين النَفَس فيمن تنفس ، لها الاسم الرحمن الذي له الاستواء على الأكوان ، هو الآتي من قبل اليمن ، ولكن إلى مَنْ ؟ وإن كنا نعرف إتيانه ممن ، فالكُرَب تطلبه ، والمسرات تعقبه ، وهي التي تذهب به وتُذْهِبُه ، فيه ترويح القلوب ، وتنفيس الكروب ، إن لج حج ، وإن حج عج وثج ، وإن اعتمر أعمر ، وإن أملى شغل ، وإن أخلى أغفل ، وإن أحرم أحرم ،

(١) الندسية بمعنى الفهم أو الصوت الخفي .

وإن وقف بعرفات أحيا العظام النخرات ، وإن نام بالمزدلفة ، ألّف النفوس المختلفة ، وإن أضحى بمنى ، بلغ بالرمي المنى ، وإن أفاض آض[1] ، وهو راض ، في البسط والانقباض . (ف ج ٤ / ٣٤٧) .

رجوع الشيخ إلى الله تعالى :

كان رجوع الشيخ إلى الله تعالى عن واقعة رآها فإنه يقول : العلة عند القوم تنبيه من الحق ، ولما كانت العلة التنبيه الإلهي ، فتنبيهات الحق لا تنحصر إلا من طريق ما ، وهو أن التنبيه الإلهي لا يخلو إما أن يكون من خارج أو من داخل ، فإن كان من خارج فقد يثبت وقد لا يثبت ، وإن كان من داخل فإنه يثبت ولابد ، وقد يكون التنبيه الإلهي من واقعة ، ومن الواقعة كان رجوعنا إلى الله ، وهو أتم العلل ، لأن الوقائع هي المبشرات ، وهي أوائل الوحي الإلهي ، وهي من داخل فإنها من ذات الإنسان ، فإن العلة إذا كانت من الداخل ثبتت أي أثرت ، وسميت علة لأنها تورث ألماً في النّفْس على ما فاته من الحق الذي خُلِق له ، ويتوهم أنه لو مات في حالة المخالفة كيف يكون وجهه عند الله ؟ ولو غفر له أما كان يستحيي منه حيث عصاه بنعمته ؟ ومن نعتمه عليه أن أمهله ولم يؤاخذه بما كان منه ، كما قلنا في نظم لنا :

يا من يراني ولا أراه　　كم ذا أراه ولا يراني

فقال لي بعض إخواني : كيف تقول إنه لا يراك وأنت تعلم أنه يراك ؟ فقلت له في الحال مرتجلاً :

يا من يراني مجرماً　　ولا أراه آخذاً
كم ذا أراه منعماً　　ولا يراني لائذاً

(ف ج ٢ / ٤٩٠ ، ٤٩١) .

أقول : ولعل الشيخ رضي الله عنه قد اجتمع بروحانية عيسى عليه السلام في هذه المبشرة ، حيث إنه يقول : عيسى عليه السلام هو شيخنا الأول الذي رجعنا على يديه ، فإن رجوعنا إلى هذا الطريق كان مبشرة على يد عيسى وموسى ومحمد عليهم السلام ، ويقول رضي الله عنه : وصاحبت من الرسل وانتفعت به سوى محمد ﷺ جماعة ، منهم

(١) يعني عاد.

إبراهيم الخليل قرأت عليه القرآن ، وعيسى تبت على يديه ، وله بنا عناية خاصة لا يغفل عنا ساعة واحدة ، وكنت كثير الاجتماع بعيسى عليه السلام في الوقائع ، وعلى يده تبت ، ودعا لي بالثبات على الدين في الحياة الدنيا وفي الأخرة ، ودعاني بالحبيب ، وأمرني بالزهد والتجريد ، وأرجو أن أدرك زمان نزوله إن شاء الله .

(ف ج ٣ / ٣٤١ -ج ٤ / ١٧٢ ، ٧٧ -ج ٣ / ٣٤١ -ج ٢ / ٤٩ -ج ٣ / ٣٤١ - التنزلات الموصلية) .

لم أقف على ما يؤيد ما جاء في مناقب ابن عربي لأبي الحسن علي بن إبراهيم بن عبد الله ابن إبراهيم بن يوسف الكاوي البغدادي، وكان في القرن الثامن الهجري ومن تلاميذ الفيروز آبادي ، حيث يذكر أن بعض الملوك من أصحاب والد الشيخ محيي الدين دعا الشيخ ودعا جماعة من أبناء الملوك ، فلما حضر الشيخ محيي الدين رضي الله عنه وأخذ القدح بيده وأراد شربه سمع قائلاً يقول : يا محمد ما لهذا خلقت ، فرمى بالقدح (أي قدح الراح) وخرج مدهوشاً ، فلما وصل إلى باب داره رأى بالباب راعي غنم الوزير (يعني والد الشيخ) قد وصل بالتراب الذي عليه كل يوم ، فاستصحبه إلى ظاهر البلد وأخذ ثيابه وساح إلى أن وصل بعد ساعات إلى جبانة ، وكانت على نهر جار ، فقصد الإقامة بالجبانة ، فوجد في وسطها قبراً قد خسف به وانهدم ، وصار مثل المغارة الصغيرة ، فدخله واشتغل بالذكر لا يخرج إلا وقت الصلاة ، ونقل عن الشيخ رضي الله عنه أنه قال : أقمت بتلك الجبانة أربعة أيام وخرجت بعدها بهذه العلوم كلها .

صحيح أن الشيخ ذكر عن نفسه أنه انقطع في القبور مدة منفرداً بنفسه ، كما سيأتي ذكر ذلك عند حديثه عن شيخه أبي يعقوب يوسف بن يخلف الكومي ، ولكن كان ذلك في عام ٥٨٦ هـ ، أي وهو في سن السادسة والعشرين ، وكان دخوله الطريق عام ٥٨٠ هـ ، في حين أن الله تعالى قد فتح عليه قبل أن يتعرف على أحد من الشيوخ ، وأنه فتح عليه صبياً كما ورد ذلك عند اجتماعه بابن رشد في قرطبة .

امتثال الشيخ لأمر عيسى عليه السلام وتجرده عن الدنيا قبل دخوله الطريق :

إني وصلت إليه بالعناية لم أصل إليه بما عندي من الحيل

اعلم أن الذوق يختلف باختلاف التجلي ، فإن كان التجلي في الصور فالذوق خيالي ، وإن كان في الأسماء الإلهية والكونية فالذوق عقلي ، والذوق الخيالي أثره في النفس ، والذوق العقلي أثره في القلب ، فيعطي حكم أثر الذوق النفسي المجاهدات البدنية على اختلافها ، ومنها رمي ما تملكه اليد إن كان وحده لا تكون له عائلة ، ولا شيخ ، فإن كان بين يدي شيخ معتبر يربيه فيرمي ما بيده بين يدي ذلك الشيخ ، ويخرج عنه بالكلية ظاهراً وباطناً ، ولا يبقى له ملكاً ، وهكذا كان خروجنا عما بأيدينا ولم يكن لنا شيخ نحكمه في ذلك ولا نرميه بين يديه ، فحكمنا فيه الوالد رحمه الله لما شاورناه في ذلك ، فإنا تركنا ما بأيدينا ولم نسند أمره إلى أحد ، لأنا لم نرجع على يد شيخ ولا كنت رأيت شيخاً في الطريق ، بل خرجت عنه خروج الميت عن أهله وماله ، فلما شاورنا الوالد وطلب منا الأمر في ذلك حكمناه في ذلك ، ولم أسأل بعد ذلك ما صنع فيه إلى يومي هذا ، هذا ما يعطيه حكم ذوق النفس ، ولابد منه لكل طالب ، وأصله إتيان أبي بكر بجميع ما يملكه إلى النبي ﷺ ، وأما حكم ذوق العقل فهو الرياضات النفسية وتهذيب الأخلاق .

(ديوان / ٣٤٣ - ف ج ٢/ ٥٤٨).

ومن الزمان الذي حصل لي فيه مقام الحرية من الأكوان ما ملكت حيواناً أصلاً ، بل ولا الثوب الذي ألبسه ، فإني لا ألبسه إلا عارية لشخص معين ، أُذنَ لي في التصرف فيه ، والزمان الذي أتملك الشيء فيه ، أخرج عنه في ذلك الوقت إما بالهبة أو بالعتق ، إن كان ممن يُعْتَق ، وهذا حصل لي لما أردت التحقق بعبودية الاختصاص لله ، قيل لي : لا يصح لك ذلك حتى لا يقوم لأحد عليك حجة ، قلت : ولا لله إن شاء الله ، قيل لي : وكيف يصح لك الّا يقوم لله عليك حجة ؟ قلت : إنما تقام الحجج على المنكرين لا على المعترفين ، وعلى أهل الدعاوي وأصحاب الحظوظ لا على من قال ما لي حق ولا حظ .

(ف ج ١/ ١٩٦).

وكانت عادتي إذا دخلت على مَنْ دخلت عليه - من شيخ أو فقير - أدفع إليه كل درهم يكون عندي ، لا أمسك شيئاً ، فدخلت على شيخنا أبي محمد عبد الله الباغي الشكاز بغرناطة ، فلم يكن عندي سوى درهم واحد في ذلك اليوم ، فدفعته إليه ، وذلك سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وهو من أكبر من لقيته في هذا الطريق ، لم أر في طريقه مثله في

الاجتهاد . (روح القدس في محاسبة النفس ـ ف ح ٤ / ٩) .

فالعلماء ورثة الأنبياء وما ورثوا ديناراً ولا درهماً بل ورثوا العلم يقول ﷺ إنا معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا صدقة ، فمن كان عنده شيء من هذه الدنيا فليوقفه صدقة على من يراه من الأقربين إلى الله ، فهو النسب الحقيقي ، أو يزهد ولا يترك شيئاً يورث عنه إن أراد أن يلحق بهم ولا يرث ، فالحمد لله الذي أعطانا من هذا المقام الحظ الوافر .

وكنت أطلب بيت المقدس فدخل علي شاب كالعود ، عليه أثر السياحة ، وأنا بمسجد بظاهر بيسان ، وكان صاحبي عبد الرحمن بن علي اللواتي يعمل لي شغلاً بين يدي ، فدنا منه ، وأخذ السكين من يد عبد الرحمن ، فأصلح به نعلاً كان له ، ثم قال لي : أتكون فقيراً وتمشي بعدة ؟ فقلت له : يا فقير تراك قد احتجت إليها ، فلو كانت ما يضرك ، فقال لي : لما احتجت وجدتك فأصلحت شأني وأراحني الله من حملها ، فكن مثلي واتركها ، فإذا احتجت إليها وجدت حاجتك عند مثلك ، وتكون بينهما سالم الحال مع الله ، ثم خرج مسرعاً ، فطلبته فلم أره حتى الآن ، سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، أستغفرك وأتوب إليك . (مسامرات ج ١ / ١٩٢) .

ما استفاده الشيخ من روحانية عيسى عليه السلام :

يذكر الشيخ رضي الله عنه عند اجتماعه بروحانية عيسى عليه السلام أن روح الله عليه السلام شهد له بالإيمان بالغيب والشهادة ، وبالإسلام بالتمام ، وأن الإحسان قد ظهرت من الشيخ أعلامه ، وانتشرت فيه أحكامه ، وأن سر الشيخ ظاهر وقاهر ، وقال له : صحيحاً ياحبيبي كل ما رأيت ، لقد جمع لك بين مشاهدة العين ومكاشفة الكون ، فأنت الإمام الذي لا يُجارى ، والعلاّم الذي لا يُبارى ، ثم أمر الشيخ بالزهد والسعاية والجد ، ثم منحه عوارف اللطائف ، وفنون المعارف ، وترتيب المواقف ، ومنازل العلوم ، وأسرار ما تحمله في سباحتها النجوم ، وميز له بين الخواطر ، وأوقفه على المراتب والكراسي والأسرة والمنابر ، وأدخله حضرة الإلهام والوحي ، وحذره موارد القياس والرأي ، ورفع له عن منازل المبشرات ، وكشف له عن معادن النبوات ، ونصب له موازين الفكر ، وعرض عليه مقادير النظم والنثر ، وخاطبه بغرائب السجع والشعر ، وأبان له عن سر الصعود بالتحليل ، وفرق له بين التحقيق والتخييل ، وأوقفه على غلطات الأذهان ،

والتفرس في الأعيان ، وسر المشي على الماء ، وإبراء الاكمه والأبرص ، وإحياء الموتى ، وكشف له عن خواص سر المعادن والأحجار ، وقال له : ليس أقبل للسر من الفرار ، ولقد تطاول إليه الحيوان ، وما حواه نبات المعارف في كل جنات ، ثم قال له : عِ ما أسمعتك ، وخذ ما أودعتك ، وانزل به في الآن ، فسترى في أعيان الأكوان .

(التنزلات الموصلية / ١٦٦ - ١٧٠).

مشايخ الشيخ في طريق أهل الله :

لقد تقدم فتح الشيخ سلوكه كما سيأتي ذكره ، وذلك قبل أن يدخل طريق أهل الله ، ولذلك فهو ينتمي إلى الله تعالى وحده ، ليس لأحد ممن لقيه من الشيوخ عليه يد مما هو فيه ، بل الله قد تولاه بعنايته ، وقد كان دخول الشيخ الطريق عام ٥٨٠ هـ أي لما بلغ العشرين من عمره ، فلقي من ذكرهم من الشيوخ في رسالتيه ، الدرة الفاخرة فيمن انتفعت به في طريق الآخرة ، وفي رسالة روح القدس في محاسبة النفس ، وأما قوله في كتبه ومن شيوخنا أو قال شيخي ، فإن ذلك من باب ذكر الفضل لا الانتماء .

عدم اجتماع الشيخ الأكبر بالشيخ أبي مدين :

يذكر بعض أهل العلم أو يظن ، أن الشيخ أبا مدين شعيباً من مشايخ الشيخ ، فإنه كان معاصراً له في المغرب وفي طريق رحلته ، وليس كذلك ، إذ نراه يقول : قعدت بعد صلاة المغرب بمنزلي بإشبيلية في حياة الشيخ أبي مدين ، وتمنيت أن لو اجتمعت به ، والشيخ في ذلك الزمن ببجاية مسيرة خمسة وأربعين يوماً ، فلما صليت المغرب تنفلت بركعتين خفيفتين ، فلما سلمت دخل علي موسى أبو عمران السدراني ، فسلم فأجلسته إلى جانبي ، وقلت : من أين ؟ فقال : من عند الشيخ أبي مدين من بجاية ، قلت : متى عهدك به ؟ قال : صليت معه هذا المغرب فرد وجهه إلي وقال : إن محمداً بن العربي بإشبيلية خطر له كذا وكذا ، فسر إليه الساعة وأخبره عني بكذا وكذا ، وذكر ما خطر لي من رغبتي في لقاء الشيخ ، وقال لي : يقول لك أما الاجتماع بالأرواح فقد صح بيني وبينك وثبت ، وأما الاجتماع بالأجسام في هذه الدار فقد أبى الله ذلك ، فسَكِّن خاطرك ، والموعدُ بيني وبينك عند الله في مستقر رحمته ، ثم زار الشيخ قبر أبي مدين بعد وفاته ، عند زيارته تلمسان بصحبة ابن يخلف . (روح القدس - المسامرات ج ٢/١١٥ - ٤١٧).

وإنما أذكر هنا ثلاثة من أكبر من لقيهم الشيخ وكان لهم بعض الأثر في سلوكه في طريق أهل الله .

أبو العباس العريبي ويقال عنه أبو جعفر :

وصل الشيخ أبو العباس إلى إشبيلية في أول دخول الشيخ الأكبر إلى هذه الطريقة ، فكان الشيخ محي الدين أول من سارع إليه ، وقال للشيخ : أوصني قبل أن تراني ، يقول الشيخ الأكبر رضي الله عنه فقال لي : عزمتَ على طريق الله تعالى ؟ فقلت : أما العبد فعازم والمثبِّت الله ، فأوصاه الشيخ أبو العباس أول ما دخل عليه وقبل أن يرى وجهه ، فقال له : هذه همة شريفة عالية ، يا ولدي سدّ الباب ، واقطع الأسباب ، وجالس الوهّاب ، يكلمْك من غير حجاب ، فعملت عليها حتى فتح لي ورأيت بركتها ، ودخلت عليه بعد ذلك فرأى خلعتها عليَّ ، فقال : هكذا هكذا وإلا فلا لا ، ثم قال لي : امح ما كتبت ، وانس ما حفظت ، واجهل ما علمت ، وكن هكذا معه على كل حال ، لا تتحدث معه بما قد علمته ، فإن في ذلك تضييع الوقت ، واطلب المزيد كما أمرك في قول نبيه ﷺ يأمره وأمته « وقل رب زدني علماً » (روح القدس ـ ف ج ٤ / ٥٢٩) .

وكان شيخنا أبو العباس العريبي عيسوياً في نهايته ، وهي كانت بدايتنا ، أعني نهاية شيخنا في هذا الطريق كانت عيسوية ، ثم نقلنا إلى الفتح الموسوي الشمسي ، ثم نقلنا إلى هود ، ثم بعد ذلك نقلنا إلى جميع النبيين عليهم السلام ، ثم بعد ذلك نقلنا إلى محمد ﷺ هكذا كان أمرنا في هذا الطريق ، ثبته الله علينا ، ولا حاد بنا عن سواء السبيل ، فأعطانا الله من أجل هذه النشأة التي أنشأنا الله عليها في هذا الطريق وجه الحق في كل شيء ، فليس في العالم عندنا في نظرنا شيء موجود إلا ولنا فيه شهود عين حق ، نعظمه منه ، فلا نرمي بشيء من العالم الوجودي ، فأول مشهد ذقناه من هذا الباب ، وهو من الرياضة النفسية وتهذيب الأخلاق ، الناتج عن الذوق العقلي ، من التجلي في الأسماء الإلهية والكونية ، أني حملت يوماً في يدي شيئاً محقراً مستقذراً في العادة عند العامة ، وهو ذو رائحة خبيثة من هذا السمك المالح ، لم يكن أمثالنا يحمل مثل ذلك ، من أجل ما في النفوس من رعونة الطبع ، ومحبة التميز على من لا يلحظ بعين التعظيم ، لما كان يقتضيه منصبي في الدنيا ، فرأيت الشيخ ومعه أصحابه مقبلاً ، فتخيل أصحابي أني حملته مجاهدة لنفسي ،

لعلو منصبي عندهم عن حمل مثل ذلك ، فقال أصحاب الشيخ له : ياسيدنا هذا فلان قد أقبل وما قصر في الطريق ، لقد جاهد نفسه ، نراه يحمل في وسط السوق حيث يراه الناس كذا ، وذكروا له ما كان بيدي ، فقال الشيخ : حتى نسأله بأي نية حمله ، لعله ما حمله مجاهدة لنفسه ، قالوا له : ما ثَمَّ إلا هذا ، قال : فاسألوه إذا اجتمع بنا ، فلما وصلت إليهم سلمت على الشيخ ، فقال لي بعد رد السلام وسألني بحضور الجماعة ، بأي خاطر حملت هذا في يدك؟ وهو أمر محقر مستقذر ؟ وأهل منصبك من أرباب الدنيا لا يحملون مثل هذا في أيديهم لحقارته واستقذاره ؟ وذكر لي ما ذكروه ، فقلت له : ياسيدنا حاشاك من هذا النظر ، ما هو نظر مثلك ، إن الله تعالى ما استقذره ، ولا حقره لما علق القدرة بإيجاده ، كما علقها بإيجاد العرش وما تعظمونه من المخلوقات ، فكيف بي - وأنا عبد حقير ضعيف - استحقر واستقذر ما هو بهذا المثابة ؟ وقلت للجماعة : أخطأتم في التأويل عليَّ ، والله ما نويت شيئاً من ذلك ، ولكني رأيت الله على علو قدره ما نزَّه نفسه عن خلق مثل هذا ، فأنزِّه نفسي عن حمله ؟ فقبلني الشيخ وشكرني ودعا لي ، وقال لأصحابه : أين هذا الخاطر من حمل المجاهد نفسه ؟ فتعجب الأصحاب ، بل والله في حملي إياه شرفي ، فإنه نظير القدرة في ايجاد عينه ، ولا فرق عند العارفين بين العالي والدون المعتاد ؛ هذا خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك ، وأين إدراك الشم من الرائحتين ؟ فلا تنظروا في الأشياء المتفاضلة إلا بارتباطها بالحقائق الإلهية ، وإذا كان هذا نظركم فإنكم لا تحقرون شيئاً من العالم ، فلا تقس الله ولا تحمله على نفسك ، وخذ الأشياء على ما تعطيها الحقائق ، فعند أهل الكشف والوجود ، كل جزء من العالم ، بل كل شيء في العالم أوجده الله . لابد أن يكون مستنداً في وجوده إلى حقيقة إلهية ، فمن حقره واستهان به ، فإنما حقر خالقه واستهان به . (ف ج ١ / ٢٢٣ ، ٥٨٨ ، ٥٠٦ - ج ٣ / ٥٢٦) .

أبو عمران موسى المارتلي :

رأيت له رؤيا تدل على انتقاله من مقامه إلى ما هو أعلى منه ، فقال لي : بشرتني بشرك الله بالجنة ، فلم يكن إلا يسيراً ونال المقام الذي رأيت له ، فدخلت عليه في اليوم الذي حصل فيه ، والسرور باد على وجهه ، فقام وعانقني ، قلت له : هذا تأويل رؤياي من قبل ، وبقيت دعوتك أن يبشرني الله بالجنة ، فقال : يكون إن شاء الله تعالى ، فما تم الشهر حتى

بشرني الله بالجنة ، بإيجاد آية منه ظهرت لي مصدقة لدعوى المبشر عن الله تعالى ، تحدى بها على صدق بشراه لي بالجنة ، فأنا أقطع بها ولا أشك البتة في أني من أهل الجنة ، كما أنه لا أشك في نبوة محمد ﷺ ، غير أنه لا أدري ، أتمسني النار أم لا ؟ عافانا الله تعالى وإياكم ، وأرجو من كرمه أن لا يفعل .

كانت همته متعلقة بالله في حفظنا وعصمتنا من الفتن والرجوع ، فقضى حاجته في ذلك ، وشهد لي بها وبشرني ، وقال لي منه بمحضر صاحبي عبد الله بدر الحبشي : كنت أتخوف عليك جداً لصغر سنك ، وعدم المعين وفساد الزمان ، وما ظهر لي في أهل هذه الطريقة من الفساد ، وهم الذين ألزموني العزلة لما عاينت من فساد الأحوال ، فالحمد لله الذي أقر عيني بك ، وكان الشيخ أبو عمران قد لزم بيته منذ ستين سنة لا يخرج .

(روح القدس) .

ولقد لقي بعض أصحابنا بعض الأبدال في سياحته ، فأخذ يذكر له ما هم الناس عليه من فساد الأحوال في الملوك والرعايا ، فغضب البدل وقال له : ما لك وعباد الله ؟ لا تدخل بين السيد وعبده ، فإن الرحمة والمغفرة والإحسان لهؤلاء يطلبون ، أتريد أن تبقى الألوهية معطلة الحكم ؟ اشتغل بنفسك، وأعرض عن هذه الأشياء ، وليكن نظرك إليه تعالى وشغلك بالله ، ولقد اتفق في بدايتي - وما ثَمَّ إلا بداية وأما النهاية فمقولة غير معقولة - دخلت على شيخنا أبي العباس العريبي وأنا في مثل هذه الحال ، وقد تكدر علي وقتي، لما أرى الناس فيه من مخالفة الحق ، فقال لي صاحبي : عليك بالله ، فخرجت من عنده ودخلت على شيخنا أبي عمران الميرتلي وأنا على تلك الحالة ، فقال لي : عليك بنفسك ، فقلت له : ياسيدنا قد حرت بينكما ، هذا أبو العباس يقول عليك بالله ، وأنت تقول عليك بنفسك ، وأنتما إمامان دالان على الحق ، فممن أسمع ؟ فبكى أبو عمران وقال لي : يا حبيبي الذي دلّك عليه أبو العباس هو الحق وإليه الرجوع ، أنا مع نفسي، وأحمد مع ربه ، وكل واحد منا دلك على مايقتضيه حاله ، وأرجو إن شاء اللهُ أن يلحقني بالمقام الذي أشار إليه أبو العباس ، فاسمع منه فإنه أولى بي وبك ، فما أحسن إنصاف القوم ، فرجعت إلى أبي العباس وذكرت له مقالة أبي عمران ، فقال لي : أحسن في قوله ، هو دلك على الطريق وأنا دللتك على الرفيق ، فاعمل بما قال لك، وبما قلته لك ، فتجمع بين الرفيق والطريق . (ف ج ٢ / ١٧٧) .

يوسف بن يخلف الكومي أبو يعقوب :

دخلت تحت أمره فربى وأدب ، فَنِعْمَ المؤدب ونِعْمَ المربي ، رأيته في النوم وقد انشق صدره، وفيه مصباح يضيء كأنه الشمس ، يقول : يامحمد هات ، فأتيته بحقين أبيضين كبيرين ، فتقيأ فيهما لبناً حتى ملأهما ، ثم قال : اشرب ، فشربت ، جُلُّ ما أنا فيه من بركتـه وبركة أبي محمد الموروري ، كنت إذا قعدت بين يديه وبين يدي غيره من شيوخنا أرعد ، مثل الورقة في يوم الريح الشديد ، ويتغير نطقي وتتخدر جوارحي ، حتى يعرف ذلك في حالي ، فيؤنسني ويطمع أن يباسطني ، فلا يزيدني ذلك إلا مهابة وإجلالاً ، كان رضي الله عنه يحبني ولا يظهر ذلك لي ، ويقرب غيري ويطردني ، ويصوب كلام غيري، ويوبخني في المحافل والمجالس ويشتمني ، حتى كان أصحابي الذين معي ينسبوني إلى قلة الهمة ، وهم معي تحت نظره، وفي خدمته ، فما برع من تلك الجماعة غيري ولله الحمد ، ما راضني أحد من مشايخي سوى شيخنا أبي يعقوب يوسف بن يخلف الكومي ، فانتفعت به في الرياضة، وانتفع بنا في مواجيده ، فكان لي تلميذاً وأستاذاً ، وكنت له مثل ذلك ، وكـان الناس يتعجبون من ذلك ، ولا يعرف واحد منهم سبب ذلك ، وذلك سنة ست وثمانين وخمسمائة ، فإنه كان قد تقدم فتحي على رياضتي ، وهو مقام خطر ، فأفاء الله عليّ بتحصيل الـــرياضـة على يد هذا الشيخ ، جزاه الله عني كل خير ، كان من صدقي في صحبته ، أني أتمناه بالليل في بيتي لمسألة تخطر لي فأراه أمامي ، فأسأله ويجيبني ثم ينصرف ، فأخبره بذلك بكرة ، ويتفق لي معه هذا بالنهار في منزلي إن اشتهيته .

أما عن استفادة الشيخ أبي يعقوب من الشيخ الأكبر في مواجيده فإنه يقول : إذا نزلت الأرواح على شخص ما، يجد مَنْ تنزل عليه الثقل، وضيق النفس ، ولقد كنت انقطعت في القبور مدة منفرداً بنفسي ، فبلغني أن شيخنا يوسف بن يخلف الكومي قال : إن فلاناً ـ وسماني ـ ترك مجالسـة الأحياء وراح يجالس الأمـوات ، فبعثت إليه لو جئتني لرأيت مَنْ أجالس ، فصلى الضحى وأقبل إليَّ وحده ، فطلب عليَّ فوجدني بين القبور قاعداً مطرقاً ، وأنا أتكلم على من حضرني من الأرواح ، فجلس إلى جانبي بأدب قليلاً قليلاً ، فنظرت إليه فرأيته قد تغير لونه وضاق نَفَسه ، فكان لا يقدر يرفع رأسه من الثقل الذي نزل عليه ، وأنا أنظر إليه وأتبسم ، فلا يقدر أن يبتسم لما هو فيه من الكرب ، فلما فرغت من الكلام وصدر

الوارد ، خُفِّفَ عن الشيخ واستراح ، ورد وجهه إليَّ فقبل بين عيني ، فقلت له : ياأستاذ من يجالس الموتى أنا أو أنت ؟ قال : لا والله بل أنا أجالس الموتى ، ولو تمادى عليّ على الحال فطست ، وانصرف وتركني ، فكان يقول : من أراد أن يعتزل عن الناس فليعتزل مثل فلان . (روح القدس - ف ج ١ / ٦١٦ - ج ٣ / ٤٥) .

لبس الشيخ للخرقة :

أصلها في الطريق من القرآن قميص يوسف عليه السلام وإلقاؤه على وجه يعقوب عليه السلام فارتد بصيراً ، الخرقة المعهودة في الطريق ألبسنيها رجل من شيوخنا ممن اجتمع بالخضر ، وهو علي بن جامع ، من أصحاب عليّ المتوكل وأبي عبد الله قضيب البان ، وكان يسكن بالمقلى خارج الموصل في بستان له ، وكان الخضر قد ألبسه الخرقة، بحضور قضيب البان ، وألبسنيها الشيخ بالموضع الذي ألبسه فيه الخضر من بستانه ، وبصورة الحال التي جرت له معه في إلباسه إياها ، وقد كنت لبست خرقة الخضر بطريق أبعد من هذا ، من يد صاحبنا تقي الدين عبد الرحمن بن علي بن ميمون بن آب الوزري ، ولبسها هو من يد صدر الدين - شيخ الشيوخ بالديار المصرية - وهو ابن حمويه ، وكان جده قد لبسها من يد الخضر ، ومن ذلك الوقت قلت بلباس الخرقة ، وألبستها الناس لما رأيت الخضر قد اعتبرها ، وكنت قبل ذلك لا أقول بالخرقة المعروفة الآن ، فإن الخرقة عندنا إنما هي عبارة عن الصحبة والأدب والتخلق ، ولهذا لا يوجد لباسها متصلاً برسول الله ﷺ ولكن توجد صحبة وأدباً ، وهو المعبر عنه بلباس التقوى ، فجرت عادة أصحاب الأحوال إذا رأوا أحداً من أصحابهم عنده نقص في أمر ما ، وأرادوا أن يكملوا له حاله ، يتحد به هذا الشيخ ، فإذا اتحد به أخذ ذلك الثوب الذي عليه في حال ذلك الحال ، ونزعه وأفرغه على الرجل الذي يريد تكملة حاله ، فيسري فيه ذلك الحال ، فيكمل له ذلك ، فذلك هو اللباس المعروف عندنا، والمنقول عن المحققين من شيوخنا[1] . (ف ج ١ / ١٨٧) .

---

(١) الشاهد في ذلك من القرآن العزيز هو قول يوسف عليه السلام «اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً» والشاهد من الحديث الشريف هو قول رسول الله ﷺ لأبي هريرة: ابسط ثوبك، وأشار ﷺ إلى الثوب، ثم أمر أبا هريرة بضمه إلى صدره، فما عاد نسي حديثاً من رسول الله ﷺ بعد.

أذكار الشيخ في سلوكه :

الهجّير هو الكثرة من الذكر دائماً ، ولا فائدة للهجير إلا أن يفتح لصاحبه فيه بعلم ، فإذا رأيت ذا هجير لا يفتح له فيه ، فاعلم أنه صاحب هجير لسان ، ظاهره لا يوافقه لسان باطنه ، ومَنْ هو بهذه المثابة فما هو مقصودنا بأصحاب الهجيرات ، فلابد أن يكون لصاحب الهجير خصوص وصف يتميز به ، فالْمُسْتَهْتَر بالذكر لا يزال مواظباً عليه مع الأنفاس ، فلا يخرج منه نفس في يقظة ولا نوم إلا به، فيكون صاحب هجير، قالت عائشة : كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه، ولنا[1] منه ميراث وافر، وهو أمر يختص بباطن الإنسان . (ف ج ٤ / ٩٠، ١٢٧، ١٨٩، ٨٨ - ج ١ / ١٤٧) .

الذكر بالاسم المفرد :

لولا أن قول الإنسان : الله ، الله ، له حفظ العالم الذي يكون فيه هذا الذكر ، لم يقرن بزواله زوال الكون الذي زال منه وهو الدنيا ، وهذا كان ذكرنا، وذكر شيخنا الذي دخلنا عليه ، وهو أبو العباس العريبي ، وكان مستهتراً بذكر الاسم الله ، لا يزيد عليه شيئاً ، فقلت له : ياسيدي لم لا تقول : لا إله إلا الله ؟ فقال لي : ياولدي الأنفاس بيد الله ما هي بيدي ، فأخاف أن يقبض الله روحي عندما أقول : لا إله، فأقبضَ في وحشة النفي لا في أُنس الإيجاب ، وسألت شيخاً آخر عن ذلك فقال لي : ما رأت عيني ، ولا سمعت أذني من يقول : أنا الله ؛ غير الله ، فلم أجد مَنْ أنفي ، فأقول كما سمعته يقول : الله الله ؛ وما في فوائد الأذكار أعظم من فائدته . فلما قال الحق ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ ، ولم يذكر صورة ذكر آخر ، مع كثرة الأذكار بالأسماء الإلهية ، فاتخذه أهل الله ذكراً وحده ، فأنتج لهم في قلوبهم أمراً عظيماً، لم ينتجه غيره من الأذكار ، فإن بعض علماء الرسوم لم ير هذا الذكر ، لارتفاع الفائدة عنه فيه ، إذ كل مبتدأ لابد له من خبر ، فيقال له : لا يلزم ذلك في اللفظ ، بل لابد له من فائدة ، وقد ظهرت في الذاكر به حين ذكره بهذه الكلمة خاصة ، فنتج له في باطنه من نور الكشف ما لا ينتجه غيره ، بل له خبر ظاهر لا في اللفظ ، كإضافة

---

(١) الكلام هنا للشيخ رضي الله عنه .

إلى تنزيه أو ثناء بفعل ، ومعلوم أنه إذا ذكر أمر ما ، ثم ذكر أمر ما وكرر على طريق التأكيد له ، أنه يعطي من الفائدة ما لا يعطيه من ليس له هذا الحكم ولا قصد به ، فهو أسرع وأنجح في طلب الأمور

(ف ج ٣/ ٣٠٠ - ج ١/ ٣٢٩ - ح ٣/ ٣٠٠).

لما دخلت الخلوة على ذكر[1] سهل بن عبد الله ، فتح لي به من ليلتي تلك ، الفتح الخاص بذلك الذكر ، فانكشف لي بنوره ما كان عندي غيباً ، ثم أفل ذلك النور المُكَاشَف به ، فقلت : هذا مشهد خليلي ، فعلمت أني وارث من تلك الساعة لملةٍ أَمَرَ الله رسوله، وأمرنا باتباعها ، وذلك قوله « ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل » وتحققت أبوته وبنوتي ، وقد كان شيخنا صالح البربري بإشبيلية قد قال لي : « يا ولدي إياك أن تذوق الخل بعد العسل » فعلمت مراده ، فجئت الشيخ بكرة وقلت له ما كان في منظوم نظمته - إلهي - لا عن روية ولا تعمل

كان مثل الخل من بعد العسل ... فمضى المصباح عني وأفل
وبدت ظلمة ليل حالك ... أورثت في القلب أسباب العلل
قلت ربي قال لبيك فما ... تبتغيه؟ قلت نوراً بعمل
عَلِمَ الحق الذي قد قلته ... قال باب مغلق؟ قلت أجل
قلت هب لي نورك الخالص لي ... فبدا النور بلا ضرب مثل
في سمائي ثم أرضي ثم ما ... بين هذين إلى غير أجل
والذي يفهم قولي قد درى ... أنني الأمر الذي منه نزل

فسُرَّ الشيخ بهذه النَفَس ، وقال : هذا من تجلي الغلس ، قلت له : صدقت كذلك كان ، قال : الحمد لله المنعم على كل حال ، لو علم الناس النعمة السارية في الأحوال ما فرقوا بين السراء والضراء ، واتحد الحمد ، قلت له : بل توحد ، فقال : صدقت يا ولدي وأخطأ الشيخ ، فقبلت يده وقبل رأسي .

(ف ج ٣/ ٤٨٨).

---

(١) ذكر سهل بن عبد الله هو «الله معي ، الله ناظر إليّ ، الله شاهد عليّ».

أذكار أخرى للشيخ :

﴿ إنما يستجيب الذين يسمعون ﴾ هذا الذكر لما وفقنا الله تعالى لاستعماله بإشبيلية من بلاد الأندلس ، سنة ست وثمانين وخمسمائة ، بقينا فيه ثلاثة أيام ، فرأينا له بركة في تلك الأيام ، وكنا به ثلاثة أنا وعبد الله النزهوني ، قاضي شرف وكان عبداً صالحاً ضابطاً فقيهاً وشخصاً ثالثاً من أهل البلد . (ف ج ٤ / ١٦٢) .

﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره . . ففرّوا إلى الله ﴾ هذه آية جاءت إلينا يوم الجمعة بعد الصلاة في المقابر بإشبيلية ، سنة ست وثمانين وخمسمائة ، فبقيت فيها سكران ، ما لي تلاوة في صلاة ولا يقظة ولا نوم إلا بها ، ثلاث سنين متوالية ، أجد لها حلاوة ولذة لا يقدر قدرها ، وهي من الأذكار المفرقة بين الله وبين الخلق تفريق تمييز ، فهو تفريق في جَمْعٍ وفرقان في قرآن . (ف ج ٤ / ١٥٦) .

﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ﴾ هذا الذكر كان لنا من الله عز وجل لما دعانا الله تعالى إليه ، فأجبناه إلى ما دعانا إليه مدة ، ثم حصلت عندنا فترة ، وهي الفترة المعلومة في الطريق عند أهل الله ، التي لابد منها لكل داخل في الطريق ، فلما أدركتنا الفترة وتحكمت فينا ، رأينا الحق في الواقعة فتلا علينا هذه الآيات : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بُشراً بين يدي رحمته ﴾ - راجع أحوال الشيخ رؤيته للحق . (ف ج ٤ / ١٧٢) .

﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً ﴾ كل ما ذكرناه في كتابنا مواقع النجوم فإنه بعض ما يعطيه هذا الذكر . (ف ج ٤ / ١٦٩) .

﴿ ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ﴾ إني التزمت هذا الذكر أيضاً سنين متعددة ، حتى كنت أسمّى به في بلدي ، كما كنت أسمى أيضاً بغيره من الأذكار ، ورأيت له بركات ظاهرة .
(ف ج ٤/ ١٩٤).

﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ راجع أحوال الشيخ في مشاهدة الملائكة .
(ف ج ٤ / ١٨٨) .

﴿ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذا تفيضون فيه ﴾ هذا هجير لزمته سنين كثيرة ، حتى ما كنت أسمى إلا به مما كنت مستهتراً به متحداً ، ورأينا له بركات لا أحصيها ، وهو الذي أطلعت منه على المراقبة ، فكنت رقيباً على نفسي نيابة عن الله ـ راجع أحوال الشيخ : مشاهدته تكوين الأشياء .

(ف ج ٤/ ١٧٤).

﴿ ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾ راجع أحوال الشيخ عند زيارته قبر النبي ﷺ . (ف ج ٤ / ١٩٣) .

تحصيل الشيخ أنواع الفتوح الثلاثة :

فتوح العبارة :

لا يكون إلا للمحمدي الكامل من الرجال ولو كان وارثاً لأي نبي كان ، وأقوى مقام صاحب هذا الفتح الصدق في جميع أقواله وحركاته وسكونه ، إلى أن يبلغ به الصدق أن يعرف صاحبه وجليسه ما في باطنه من حركة ظاهرة ، لا يمكن لصاحب هذا الفتح أن يصور كلاماً في نفسه ويرتبه بفكره ثم ينطق به بعد ذلك ، بل زمان نطقه زمان تصوره لذلك اللفظ ـ الذي يعبر به عما في نفسه ـ زمان قيام ذلك المعنى في نفسه وصورته ، وليس لغير صاحب هذا الفتح هذا الوصف ، ويكون التنزل على صاحب هذا الفتح من المرتبة التي نزل فيها القرآن خاصة من كونه قرآناً ، لا من كونه فرقاناً ، ولا من كونه كلام الله ، ولهذا التنزل في قلب الولي حلاوة نذكرها في النوع الثاني ، ومن علامة صاحب هذا الفتح عند نفسه استصحاب الخشوع ، وتوالي الاقشعرار عليه في جسده ، بحيث أن يحس بأجزائه قد تفرقت ، فإن لم يجد ذلك في نفسه ، فيعلم أنه ليس ذلك الرجل المطلوب ولا هو صاحب هذا الفتح ، وهذا فتح ما رأيت له في عمري فيمن لقيته من رجال الله أثراً في أحد ، وقد يكون في الزمان رجال لهم هذا الفتح ولم ألقهم ، غير أني منهم بلا شك عندي ولا ريب ، فلله الحمد على ذلك ، وإني لأجد من قوة الوارد وازدحام تموج المعارف في باطني ما أجده ، ولا أقدر على إذاعة ما أجده ، مع القوة التي أعطاني الله على التعبير عنه وإيصاله إلى الأفهام القاصرة ، فأحرى ما فوقها من الإفهام ، ولكن الغيرة الإلهية ، وحجاب العزة الأحمى المنصوب بين عيني يمنع من ذلك ، فإن نكتاً وأسراراً إلهية غاب عنها أكثر العارفين ، لا

يمكننا كشفها لإخواننا إلا مشافهة . (ف ج ٢ / ٥٠٦ - كتاب ذخائر الأعلاق) .

فتوح الحلاوة :

هو في الباطن وهو سبب جذب الحق بأعطافه ، فهذه الحلاوة وإن كانت معنوية ، فإن أثرها عند صاحبها يحس به كما يحس ببرد الماء البارد ، وصورة الإحساس بها كصورة الإحساس بكل محسوس ، وطريقها في الحس من الدماغ ينزل إلى محل الطعم فيجدها ذوقاً ، فيجد عند حصول هذا الذوق استرخاء في الأعضاء والمفاصل ، وخدراً في الجوارح لقوة اللذة ، واستفراغاً لطاقته ، ومن أصحاب هذا الفتح من تدوم معه هذه الحلاوة ساعة ويوماً وأكثر من ذلك ، ليس لبقائها زمان مخصوص ، فإنه اختلف علينا بقاؤها ، فوقتاً نزلت علينا في قضية فدامت معنا ساعة ثم ارتفعت ، ثم نزلت في واقعة أخرى فدامت أياماً ليلاً ونهاراً وحينئذ ارتفعت ، فإذا ارتفعت زال ذلك الخدر من الجوارح ، وهذه الحلاوة لا يمكن أن يشبهها لذة من اللذات المحسوسة ، لأنها غريبة لكونها معنوية في غير مادة محسوسة ، فما تشبه حلاوة العسل ولا حلاوة الجماع ولا حلاوة شيء محسوس ، كما أنها أيضاً لا تشبه حلاوة حصول العلوم المعشوقة للطالب، بل هي أعلى وأجل، وأثرها في الحس أعظم من أثر الحلاوة المركبة في المواد المحسوسة، كحلاوة كل حلو ، وتميزها عن لذات المعاني إنما هو بما لها من الأثر في الحس ، ولما سماني الحق عبداً بأسمائه ، وفتح لي في هذه الحلاوة ، ما رأيت أشد أثراً منها في الاسم العزيز ، فلما ناداني بيا عبد العزيز ، ومعنى ذلك أن يقام الإنسان ، عبداً في كل اسم إلهي ، ليُحَصِّل الفرقان بين الحقائق، لتحصيل العلوم الإلهية ، وجدت لهذا النداء من الحلاوة ما لم أجد لغيره من الأسماء ، ونظرت في سبب ذلك ، فوجدت أن مقام العزة يقتضي أن يكون الأمر كذلك ، وهذه الحلاوة وإن تميزت عن حلاوة المحسوسات والمعاني ، فهي متنوعة في نفسها ، فحلاوة أمر ما منها خلاف حلاوة أمر آخر ، يجد الذائق الفرق بينهما ، كحلاوة السكر يجد الإنسان الفرق بينها وبين حلاوة العسل وإن اشتركا في الحلاوة ، وكذلك الأمر هنا ، ولا تحصل هذه الحلاوة لأحد من أهل الله إلا بالعطف الإلهي ، فإذا ورد العطف الإلهي على العبد ، رزقه الله وجدان هذه الحلاوة في باطنه ، فيجذبه إليه تعالى ، لأن النفس مجبولة على الميل إلى كل ما تستلذه ، وَمِنْ أشدِ حلاوةٍ من هذا الفتح مرّ عليّ في هذا الزمان لما تُلِيَ عليّ ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ فلم أجد

لذة أعظم من لذة ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ فهذه أعظم بشرى وردت عليّ ، ثم إنه تليت عليّ مرتين في زمانين متتابعين ، فزادني إعجاباً بها تكرار التلاوة عليّ بها ، وتكرار التلاوة فينـا مثل تكرار نزول الآية ، أو السورة على الرسول مرتين ، كما جاء في سورة المرسلات وغيرها أنها نزلت مرتين ، فإذا عطف الحق على عبده بهذه الحلاوة فجذبه إليه بها ليمنحه علماً لم يكن عنـده ، فإن لم يجد علماً فليس بجذب ، ولا تلك حلاوة فتح ، فذلك من علامات فتح الحلاوة . (ف ج ٢ / ٥٠٦) .

فتوح المكاشفة :

هو سبب معرفة الحق ، والمكاشفة سبب معرفة الحق في الأشياء ، والأشياء على الحق كالستور ، فإذا رفعت وقع الكشف لما وراءها فكانت المكاشفة ، فيرى المكاشف الحق في الأشياء كشفاً ، فلا يُعرَفُ الحق في الأشياء إلا مع ظهور الأشياء وارتفاع حكمها ، فأعين العامة لا تقع إلا على حكم الأشياء ، والذين لهم فتوح المكاشفة لا تقع أعينهم في الأشياء إلا على الحق ، وجعلت الأنبياء العالم دليلاً على الحق ، قال عليه السلام : « من عرف نفسه عرف ربه » ما قال « من عرف ربه عرف نفسه » من كونه رباً للعالم ، وأعظم فتح المكـاشفـة في مثل هذه المسألة أن يرى الحق ، فيكون عين رؤيته إياه عين رؤيته العالم ، للارتباط المحقق ، فيكشف العالم من رؤيته الله تعالى ، وهذا من خصائص الكشف ، هذا أبلغ ما يمكن أن تحقق به هذه المسألة ، من تقدم العلم بالله من كونه إلهاً للعالم على العلم بالعالم ، فهذا لا يعرف إلا من فتوح المكاشفة ، وما رأيت أحداً من المتقدمين من أهل الله تعالى نبه في هذا الفتوح الكشفي على هذه المسألة على التعيين ، فأحمد الله تعالى حيث أجرى على لساني الإبانة عن هذه المسألة ، فإنه ما كان في نفسي أن أشير إليها فأحرى أن أصرح بها ، وإنما الغيرة غلبت عليّ ، والحرص على نصح العباد الذي أمرني الحق بنصحهم على التخصيص ، أداني إلى شرح هذا القدر في فتوح المكاشفة .

القـــول طوع يميـني إذ تصرفــه ... في كل نثــر وأشـــعــار وأمـــثــال

(ف ج ٢ / ٥٠٧ ـ الديوان / ٣٧٦) .

ذكر بعض أحوال الشيخ وأذواقه :

أذكـر هنا بعض أحوال الشيخ الناتجة عن ذوقه في أنواع الفتوح ، وقد رتبتها على

اجتهاد مني ، اعتماداً على ذكر الأماكن أو التاريخ الذي يذكره الشيخ ، فنراه يقول عن :

اجتماعه بأقطاب الأمة المحمدية الاثني عشر وإن كانوا درجوا من الدنيا :

أقطاب هذه الأمة اثنا عشر قطباً ، عليهم مدار هذه الأمة ، كما أن مدار العالم الجسمي والجسماني في الدنيا والآخرة على اثني عشر برجاً ، قد وكلهم الله بظهور ما يكون في الدارين من الكون والفساد المعتاد وغير المعتاد ، وأما المفردون فكثيرون ، والختمان منهم ، أي من المفردين ، فما هما قطبان ، وليس في الأقطاب من هو على قلب محمد ﷺ ، وأما المفردون فمنهم من هو على قلب محمد ﷺ ، والختم منهم أعني خاتم الأولياء الخاص ، فأما الأقطاب الاثنا عشر فهم على قلوب الأنبياء عليهم السلام ، فالواحد منهم على قلب، وإن شئت قلت على قدم وهو أولى ، فإني هكذا رأيته في الكشف بإشبيلية ، وهو أعظم في الأدب مع الرسل ، والأدب مقامنا، وهو الذي أرتضيه لنفسي ولعباد الله ، فنقول : إن الأول ـ أعني واحداً منهم ـ على قدم نوح عليه السلام ، والثاني على قدم إبراهيم الخليل عليه السلام ، والثالث على قدم موسى عليه السلام ، والرابع على قدم عيسى عليه السلام ، والخامس على قدم داود عليه السلام ، والسادس على قدم سليمان عليه السلام ، والسابع قد قدم أيوب عليه السلام ، والثامن على قدم إلياس عليه السلام ، والتاسع على قدم لوط عليه السلام ، والعاشر على قدم هود عليه السلام ، والحادي عشر على قدم صالح عليه السلام ، والثاني عشر على قدم شعيب عليه السلام ، وإني شاهدت هؤلاء الأقطاب ، أشهدنيهم الحق وإن كانوا درجوا في الدنيا .

(ف ج ٤/ ٧٧ ـ ج ٣/ ٣٢٣ ـ ج ٤/ ٨٢) .

سماع الشيخ تسبيح الحجر ونطقه وتسبيح كل شيء :

قد سمعنا بحمد الله في بدء أمرنا تسبيح حجر ونطقه بذكر الله ، فنحن زدنا ـ مع الإيمان بالأخبار ـ الكشف ، فقد سمعنا الأحجار تذكر الله رؤية عين بلسان ناطق ، تسمعه آذاننا منها ، وتخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله مما ليس يدركه كل إنسان ، فمن كرامات الصالحين أن يسمعهم الله نطق الأشياء ، فلو لم يفدهم ذلك علماً ، لم يكن ذلك إكراماً من الله بهم . (ف ج ١ / ٣٨٢ ، ١٤٧ ـ ج ٢ / ٤٨٥) .

تنــاجـيني العنـاصر مفصحـات بما فيهـا من العلم الغـريب
فأعلم عند ذاك شفوف جسمي على نفسي وعـقـلي من قريـب
فيـاقـومي علوم الكشف تعلو بما تعـطي على علم القـلوب
فإن العـقـل ليس له مجال بميـدان المَشـاهـد والغيـوب
فكـم للفكـر من خطأ وعجـز وكـم للعـين من نظر مصـيـب
ولـولا العـين لم يظهـر لعقـل دليـل واضـح عنـد اللبيـب

أما قولنا وكم للعين من نظر مصيب، فإنما جئنا به صنعة شعرية لما قلنا قبل في صدر البيت، وإنما المذهب الصحيح أن العين لا تخطىء أبداً، لا هي، ولا جميع الحواس، فإن إدراك الحواس الأشياء إدراك ذاتي.

قال تعالى : ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ فكل نطق في الوجود تسبيح ، وإن انطلق عليه اسم الذم ، وبعلم هذا فَضُلْنا غيرنا بحمد الله .

(ف ج ٢/ ٦٢٨ - ج ٤/ ٤٠٤).

سماع نطق الجوارح :

عليك بحفظ جوارحك ، فإنه من أرسل جوارحه أتعب قلبه ، وذلك أن الإنسان لا يزال في راحة حتى يرسل جوارحه ، فربما نظر إلى صورة حسنة تعلق قلبه بها ، ويكون صاحب تلك الصورة من المنعة بحيث لا يقدر هذا الناظر على الوصول إليها ، فلا يزال في تعب من حبها ، يسهر الليل ولا يهنأ له عيش ، هذا إذا كان حلالاً ، فكيف به إن كان أرسله فيما لا يحل له النظر إليه ، فاحذر يا أخي يوماً تشهد فيه عليك الجلود والجوارح ، وانصف من نفسك ، وعامل جوارحك بما تشكرك به عند الله ، ولقد رأينا ذلك عياناً في الدنيا في زمان الأحوال التي كنا فيها ، أعني نطق الجوارح ، إذا أراد العبد أن يصرفها فيما لا يجوز شرعاً ، تقول له الجارحة : يا هذا لا تفعل ، لا تجبرني على فعل ما حجّر عليك فعله ، فإني شهيد عليك يوم القيامـة ، فاجعلني شاهـداً لك لا عليك ، واصحبني بالمعروف ، وهو في غفلة لا يسمع ، فإذا وقع منه الفعل تقول الجارحة : يارب قد نهيته كما نهيته فلم يسمع ، اللهم إني أبرأ إليك مما وصل إليه من مخالفتك بي .

(ف ج ٤/ ٤٧٥).

وعلى كل حال فإرسال الجوارح يؤدي إلى تعب القلب ، فإن الله خلقك لك ، واصطفى منك لنفسه قلبك ، وذكر أنه يسعه إذا كان مؤمناً تقياً ذا ورع ، فإذا شغلته بما تصرفت فيه جوارحك ، كنت ممن غصب الحق فيما ذكر أنه له منك ، وأي ظلم أعظم من ظلم الحق ، فلا تجعل الحق خصمك ، فإن لله الحجة البالغة كما ذكر عن نفسه ، وبكل وجه أشهدني الله حجته على خلقه ، كيف تقوم ، وذلك في أن العلم يتبع المعلوم[1] إن فهمت ، فأكثر من هذا التصريح ما يكون . (ف ج ٢ / ٣٢٥) .

عدم الحس بالألم المعتاد من كون العبد مراداً :

لا يلزم الألم بوجود الحركات السببية في وجوده في العادة بالمزاج الخاص المحس للألم ، فقد نرى الضرب والقطع والحرق في الوجود ظاهراً ، ولكن لا يلزم عن تلك الأفعال ألم ولابد ، وقد شاهدنا هذا في نفوسنا في هذا الطريق ، وهذا من شرف الطريق ، وفيه يقول أصحابنا : ليس العجب من ورد في بستان ، فإنه المعتاد ، وإنما العجب من ورد في وسط النيران ، لأنه غير معتاد ، يريد أنه ليس العجب ممن يجد اللذة في المعتاد ، وإنما العجب ممن يجد اللذة في غير السبب المعتاد ، وهو كان مطلوب أبي يزيد في قوله :

وكــل مآربي قد نلت منهــا ... سوى ملذوذ وجــدي بالعــذاب

وقد رأيت المرأة الصالحة بمكة ، فاطمة بنت التاج ، ضربها أبوها ضرباً مبرحاً من غير جناية ، فما أحست بذلك ، وكانت تحس بشيء يحول بين ظهرها ومواقع السياط ، فيقع السوط في ذلك الحائل ، وتسمع وقع السوط بأذنها ، وتتعجب حيث لا تحس به ، وقد جرى لنا مثل هذا في بدايتنا في حكاية طويلة ، فالمراد قد يعطيه الله اللذة دائماً ، بكل شيء يقوم به من بلاء ونعمة ، أما عند الإحساس بالألم ، فنراه رضي الله عنه يقول : ولقد أصابني ألم في ذراعي ، فرجعت إلى الله بالشكوى رجوع أيوب عليه السلام ، أدباً مع الله ، حتى لا أقاوم القهر الإلهي ، كما يفعله أهل الجهل بالله ، ويدّعون في ذلك أنهم أهل تسليم وتفويض وعدم اعتراض ، فجمعوا بين جهالتين ، ولما تحققت ما حققني الله به في ذلك الوجع قلت :

---

(١) راجع كتاب الفقه لنا والقسم الثاني من هذا الكتاب «العلم تابع للمعلوم».

شكـــوت منـــه ومـــن ذراعـــي وذاك مـــني لضـــيـــق بـاعـــيّ
فقـلـت للنـفـس تدعـيــه فأيــن دعـــواك في اتـســاعـي

فخف عني ما أكنت أجده ، وغاب عني ما كنت أشهده .

(ف ج ٢ / ٦٧٣ ، ٥٢٤ - ج ٣ / ٢٤٦) .

علامات الحق لأهل الورع :

جعل الله لأهل الورع علامات ، يعرفون بها الحلال من الحرام ، في المطاعم وغيرها ، إلى أن ارتقوا عن العلامات إلى خرق العوائد عندهم في الشيء المتورع فيه ، فيستعملونه ، فيظن من لا علم له بذلك أنهم أتوا حراماً ، وليس كذلك ، فاتسع عليهم ذلك الضيق والحرج « وقد ذقنا هذا من نفوسنا » فنفّس الرحمن عنهم بما جعل لهم من العلامات في الشيء ، وفي حق قوم بالمقام الذي ارتقوا إليه ، فيأكلون طيباً ويستعملون طيباً ، إذا كانوا على بينة من ربهم في مطاعمهم ومشاربهم . (ف ح ١/٢٧٣).

الأخذ من الغيب :

إذا كنت يا أخي ممن يجلس مع الله بترك الأسباب ، فتحفظ من السؤال ، فلا تسأل أحداً ، وإياك أن تقتدي بهؤلاء أصحاب الزنابل اليوم ، فإنهم من أدنى الناس همة ، وأخسهم قدرا عند الله ، وأكذبهم على الله ، فإما يقين صادق ، وإما حرفة فيها عز نفسك ، فإن ذلك خير لك عند الله ، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لأن يحتزم أحدكم حزمة من حطب على ظهره ، خير له من أن يسأل رجلاً - وفي حديث أعطاه أو منعه » - فإما يقين صادق وإما شغل موافق . (ف ج ٤ / ٤٨٥) .

ولقد لطف الله بي في بدء أمري ودخولي إلى هذا الطريق ، إذا فرغت نفقتي وبقيت بلا شيء ، سقط علي من الهواء وبين يدي قدر ما أشتري به ما أحتاج إليه من القوت ، فأنفق منه ، فإذا فرغ جاءني مثل ذلك من عند الله ، لكني ما كنت أرى شخصاً ، قال تعالى في حق مريم ابنة عمران : ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً ، قال : يا مريم أنى لك هذا؟ قالت : هو من عند الله ﴾ . (ف ج ٤ / ٥٥٠) .

وراثة الشيخ للنبي ﷺ في مبيته عند ربه يطعمه ويسقيه :

في حضرة الخيال الحقيقي إن أكلت شبعت ، وإن مسكت فيه شيئاً من ذهب أو ثياب أو ما كان ، بقي معك على حاله لا يتغير ، وقد وجدنا هذا المقام من نفوسنا ، وأخذناه ذوقاً في أول سلوكنا مع روحانية عيسى عليه السلام ، فمن كان حاله في إمساكه يطعمه ربه ويسقيه في مبيته ؛ في حال كونه ليس بآكل ولا شارب في ظاهره ، فهو مفطر وإن كان صائماً ، وقد ذقت هذا ، ومن هنا علمت أن قوله ﷺ : لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني ؛ أنه نفى أن تشبهه تلك الجماعة التي خاطبهم ، فلم يكن لهم هذه الحالة ، ما أراد بذلك أنه مختص به دون أمته ، بل خاطب الجماعة التي خاطبهم أنهم ليست لهم هذه الحالة ، إذ لو أراد الأمة كلها ما ذقته ، وقد وجدته ذوقاً من نفوسنا والحمد لله ، فبتنا في حال الوصال ، فأطعمنا ربنا وسقانا في مبيتنا ليلة وصالنا ، فأصبحنا أقوياء لا نشتهي طعاماً ، ورائحة الطعام الذي أكلناه الذي أطعمناه ربنا يشم منا ، ويتعجب الناس من حسن رائحته ، فسألونا : من أين لك هذه الرائحة في هذا الذي طعمت ، فما رأينا مثلها ؟ فمنهم من أخبرته بالحال ومنهم من سكت عنه . فلو كان هذا خصوصاً برسول الله ﷺ ما نلناه ، فصح لنا الوصال والفطر ، فجمع لنا بين الأجرين والفرحتين ، وإن لم يكن العبد ممن يطعمه ربه ويسقيه في حال صومه ، فهو متطفل على من هذه صفته ، وهو كلابس ثوبي زور ، ولذلك يكره له الوصال إذا لم تكن له هذه الصفة حالاً ، يشهدها ذوقاً في نفسه ويظهر أثرها عليه في يقظته . (ف ج ٣ / ٤٣ - ج ١ / ٦٥٧ . ٦٣٨) .

ذوق الشيخ للفترة في الطريق :

إذا حصلت الفترة ، إما أن يعقبها رجوع إلى الحال الأول من العبادة والاجتهاد ، وهم أهل العناية الإلهية الذين اعتنى الله عز وجل بهم ، وإما أن تصحبه الفترة فلا يفلح أبداً ، فلما أدركتنا الفترة وتحكمت فينا ، رأينا الحق في الواقعة ، فتلا علينا هذه الآيات ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء » الآية ثم قال : ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ﴾ فعلمت أني المراد بهذه الآية ، وقلت ينبه بها تلاه علينا على التوفيق الأول الذي هدانا الله به ، على يد عيسى وموسى ومحمد سلام الله على جميعهم ، فإن رجوعنا إلى هذا الطريق كان بمبشرة على يد

عيسى وموسى ومحمد عليهم السلام ﴿ بين يدي رحمته ﴾ وهي العناية بنا ﴿ حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً ﴾ وهو ترادف التوفيق ﴿ سقناه لبلد ميت ﴾ وهو أنا ﴿ فأحيينا به الأرض بعد موتها ﴾ وهو ما ظهر علينا من أنوار القبول والعمل الصالح والتعشق به . ثم مثّل فقال : ﴿ كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾ يشير بذلك إلى خبر ورد عن النبي ﷺ في البعث - أعني حشر الأجسام - من أن الله يجعل السماء تمطر مثل منيّ الرجال - الحديث - ثم قال : ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ﴾ وليس سوى الموافقة والسمع والطاعة لطهارة المحل ﴿ والذي خبث ﴾ وهو الذي غلبت عليه نفسه والطبع وهو معتنى به في نفس الأمر ﴿ لا يخرج إلا نكداً ﴾ مثل قوله : إن لله عباداً يقادون إلى الجنة بالسلاسل ؛ وقوله : ﴿ ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً ﴾ فقلنا طوعاً يا إلهنا .

(ف ج ٤/ ١٧٢).

الحفظ في الفناء مع القيام بالتكاليف :

ولقد ذقت المقام الذي يكون الروح فيه غائباً في شهود الحق . ولا تكون أذن واعية لحفظ السماع من خارج . وهو لصاحب الحال الذي أفناه الجلال أو هيّمه الجمال فلا يعقل . فيكون الحق متوليه في تلك الغيبة في جسه بما شاء أن يجريه عليه . وقد أقمت أنا في هذه الحالة مدة . ولم أخل بشيء من حركات الصلاة - الظاهرة - بالجماعة على أتم ما يمكن إماماً . ولا علم لي بشيء من هذا كله . فلما أفقت ورددت إلى حسي في عالم الشهادة . أعلمني الحاضرون أنه ما فاتني شيء مما توجه علي من التكليف . كما يتوجه على العاقل الذاكر . ومن أهل طريقنا من لا تكون له هذه الحالة . وهي حالة شريفة حيث لم يجر علي لسان ذنب . فقد مر عليّ وقت أؤدي فيه الصلوات الخمس إماماً بالجماعة - على ما قيل لي - بإتمام الركوع والسجود . وجميع أحوال الصلاة . من أفعال وأقوال . وأنا في هذا كله لا علم لي بذلك . لا بالجماعة ولا بالمحل ولا بالحال ولا بشيء من عالم الحس . لشهود غلب علي غبت فيه عني وعن غيري . وأخبرت أني كنت إذا دخل وقت الصلاة أقيم الصلاة وأصلي بالناس . فكان حالي كالحركات الواقعة من النائم ولا علم له بذلك . فعلمت أن الله حفظ عليّ وقتي ولم يجر عليّ لسان ذنب . (ف ج ١ / ٢٥٠ . ٤٧٩ ، ٢٥٠) .

وصليت مع شيخي أبي جعفر العربي الصبح في دار ولي وصفي . أبي عبد الله محمد

الخياط المعروف بالعصاد وأخيه أبي العباس أحمد الحريري . فقرأ الإمام « عم يتساءلون » فلما وصل إلى قوله تعالى : ﴿ ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً ﴾ غبت عن قراءة الإمام وما سمعت شيئاً . ورأيت شيخنا أبا جعفر وهو يقول : المهاد العالم والأوتاد المؤمنون ، والمهاد المؤمنون والأوتاد العارفون ، والمهاد العارفون والأوتاد النبيون . والمهاد النبيون والأوتاد المرسلون ، وذكر من الحقائق ما شاء الله أن يذكر ، فرددت إليّ والإمام يقرأ ﴿ وقال صوابا ذلك اليوم الحق ﴾ فلما فرغت الصلاة سألته (يعني الشيخ أبا جعفر) فوجدته قد خطر له في تلك الآية ما شهدته . (روح القدس في محاسبة النفس) .

التروحن للبشر وتعدد الصورة :

نشأة الإنسان في الآخرة لا تشبه نشأة الدنيا، وإن اجتمعتا في الأسماء والصورة الشخصية ، فإن الروحانية على نشأة الآخرة أغلب من الحسية ، وقد ذقناه في هذه الدار الدنيا مع كثافة هذه النشأة ، فيكون الإنسان بعينه في أماكن كثيرة ، وأما عامة الناس فيدركون ذلك في المنام (ف ج ١ / ٣١٨) .

مشاهدة الشيخ أنوار الرياح :

أنوار الرياح أنوار عنصرية أخفاها شدة ظهورها ، فغشيت الأبصار عن إدراكها ، وما شاهدتها إلا في الحضرة البرزخية ، وإن كان الله قد أتحفنا برؤيتها حساً بمدينة قرطبة يوماً واحداً ، اختصاصاً إلهياً ، وورثاً نبوياً محمدياً ، وهذه الأنوار الرياحية لها سلطان وقوة على جميع بني آدم إلا أهل الله . (ف ج ٢ / ٤٨٨) .

مشاهدة الشيخ بعض آيات الرياح :

ومما رأيته من آيات الرياح ذوقاً من نفسي ، جرينا بالريح الشديد من ضحى يومنا إلى غروب الشمس مسيرة عشرين يوماً في موج كالجبال ، فكيف لو كان البحر فارغاً والريح من ورائنا ؟ كنا نقطع أكثر من ذلك ، ولكن الله أراد أن يرينا آيات كل صبار شكور .

(ف ج ٣/ ٣٤٤).

رؤية الشيخ لأصحاب الكهف :

قال تعالى عن أصحاب الكهف يخاطب رسول الله ﷺ : ﴿ لو اطلعت عليهم

لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ﴾ . فإنه ﷺ لا يملأ مع شجاعته وحماسته رعباً إلا من شيء يهوله ، فلو لم ير منهم ما هو أهول مما رآه ليلة إسرائه ما امتلأ رعباً ، وقد رأيناهم ، وما ملئنا رعباً ، لأنا ما شهدنا منهم إلا صور أجسامهم ، فرأيناهم أمثالنا ، فما ينهزم ﷺ إلا من أمر يريد إعدامه لا عن رؤيته أجسامهم ، أليسوا أناسيّ مثله ؟ (ف ج ٣ / ٥٤٦) .

رؤية الشيخ أثر قدم واحد من قوم يونس عليه السلام :

في زماننا اليوم جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ويونس عليه السلام ، يحيون ، وهم منقطعون عن الناس ، فأما القوم الذين هم قوم يونس ، فرأيت أثر قدم واحد منهم بالساحل ، كان صاحبه قد سبقني بقليل ، فشبرت قدمه في الأرض ، فوجدت طول قدمه ثلاثة أشبار ونصفاً وربعاً بشبري ، وأخبرني صاحبي أبو عبد الله بن خرز الطنجي أنه اجتمع به في حكاية ، وجاءني بكلام من عنده مما يتفق في الأندلس في سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وهي السنة التي كنا فيها ، وما يتفق في سنة ست وثمانين مع الإفرنج ، فكان كما قال ما غادر حرفاً ، وأما الذي في الزمان من أصحاب عيسى ، فمنهم زريب بن برثملا ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إن بعض أوصياء عيسى ابن مريم عليه السلام نزل بجبل بناحية العراق ؛ وإن تكلم في طريق هذا الحديث ، فهو صحيح عند أمثالنا كشفاً (ف ج ١ /٢٢٣) .

الحضرات التي دخلها رضي الله عنه ذكر منها :

حضرة الاسم البديع : يمد أيضاً هذا الاسم أهل التفرقة ، وهم الذين يميزون ما تعطيه أعيان المظاهر في الظاهر باستعدادتها ، وهذا مقام عجيب لا يعرفه أكثر أهل التفرقة ، وأكثر علم أهل التفرقة العلم بمعاني الأسماء الإلهية من حيث معانيها ، لا من جهة دلالتها على الذات . . . ومنتهى العالم في هذا الباب الذي شاهدناه كشفاً ألف من العالمين ، لا زائد على ذلك ، والذي شاهدنا ذوقاً وجاريناهم قدماً بقدم وسابقناهم وسبقناهم في حضرتين ـ حضرة النكاح وحضرة الشكوك ـ ستة عشر عالماً من ثماني حضرات ـ وباقي العالم كشفاً وتعريفاً لا ذوقاً ، فدخلنا في كل ما ذكرناه في هذه الإمدادات الإلهية ذوقاً مع عامة أهل الله ، وزدنا عليهم باسم إلهي وهو الآخر ، أخذنا منه الرياسة وروح الله الذي يناله المقربون من قوله تعالى : ﴿ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان

وجنة نعيم ﴾ ونلت هذه المقامات في دخولي هذه الطريقة سنة ثمانين وخمسمائة ، في مدة يسيرة في حضرة النكاح مع أهل الصفاء ، وفي حضرة الشكوك مع أهل القهر والغلبة ، من أجل الاختلال في الشروط ، وهي المواثيق التي أخذت على العالم بالله ، فمنا من غدر ومنا من وفى ، فكنا ممن وفى بحمد الله ، وهذه علوم غريبة وأذواق عزيزة ، لقينا من أربابها رجالاً بالمغرب ورجالاً بالإسكندرية ، ورجلين أو ثلاثة بدمشق ورجلاً بسيواس ، كان قد نقصه من هذا المقام شيء قليل ، فعرضه علينا فأتممناه له حتى تحقق به في زمان يسير ، وكان غريباً لم يكن من أهل البلاد ، كان من أهل أخلاط . (ف ج ٢ / ٤٢٥)

حضرة الاسم القهار : لم يتجل الحق للشيخ في اسمه القهار ولا القاهر ، فإنه يقول : أكبر العلماء من لا يكون له حظ في حضرة القهر ، فلا يكون له اسم عبد القهار ولا عبد القاهر ، وهو العارف المكمل المعتنى به ، بل هو المعصوم ، وما تجلى لي الحق بحمد الله من نفسي في هذا الاسم ، وإنما رأيته من مرآة غيري ، لأن الله عصمني منه في حال الاختيار والاضطرار ، فلم أنازع قط ، وكل مخالفة تبدو مني لمنازع فهي تعليم لا نزاع ، فإني ما ذقت في نفسي التقهر الإلهي قط ، ولا كان له من هذه الحضرة فيّ حكم ، فإن النزاع رياسة وسلطنة . (ف ج ٤ / ٢١٥) .

حضرة العزة : ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ هذه الحضرة الداخل فيها يدعى في الملأ الأعلى عبد العزيز ، لم أذق في كل ما دخلته من الحضرات ذوقاً ألذ منه ولا أوقع في القلب . (ف ج ٤ / ٢٠٦) .

حضرة المؤمن : إن كل حضرة لها اسم ، ومن هذه الحضرات عبد المؤمن ، وتحققت بهذه العبودية بعد دخولي هذا الطريق سنة أو سنتين ، تحققاً لم ينله في علمي أحد في زماني غيري ، ولا ابتلي فيه أحد ما ابتليت فيه ، فقطعته بحيث أنه ما فاتني منه شيء ، وصفا لي الجو ، ولم يحل بيني وبين خبر السماء ، وعصمني الله من التفكر في الله - راجع علوم الشيخ - السنة العالم أقوال الله . (ف ج ٤ / ٢٠٤) .

حضرة اللطف : نلت منها في خلقي الحظ الوافر ، بحيث أني لم أجد أحداً فيمن رأيت وضع قدمه فيها حيث وضعت ، إلا إن كان وما رأيته ، لكني أقول أو أكاد أقول : إنه إن كان ثم فغايته أن يكون معي في درجتي فيها ، وأما أن يكون أتم فما أظن ، ولا أقطع

على الله تعالى ، فأسراره لا تحد وعطاياه لا تعد . (ف ج ٤ / ٢٣٩) .

أجوع مع الوجدان من أجل جائع مخافة أن أنساه والله سائلي
وأطلب قرضاً اقتداءً بخالقي وأرهن فيه للتأسي غلائلي
وأحفظ خلق الله دوني فإنني على خلق الرحمن جم الفضائل
وقال لنا من كان يعرف أصلنا على ذا جرت أسلافكم في الأوائل
فأخوالنا خولان والعم طيء بناة العلا في كل عالٍ وسافل
يجودون إنعاماً على كل نائل وما الناس إلا بين معط ونائل
بحور ذوو بأس صدور أئمة فلا مادر فيهم ولا عي باقل
يرون لمن يولونه يد نعمة عليهم فهم أهل الندى والوسائل

وأما عن مقام ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ هذا مقام عزيز ، مارأيت من أهله أحداً إلى الآن ، أعني أهل الذوق الذين لهم فيه شهود ، وإن كنت رأيت من يصمت عند خطاب الجاهل . (ديوان / ٢٦٧ - ف ج ٤ / ٢٠٣) .

حضرة عبد السميع وعبد البصير وعبد العليم وعبد الحي : راجع كتاب تاج الرسائل للشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي .

حضرة أم الجمع : صدر عن أم الكتاب الذي عنده سبحانه حضرة تسمى أم الجمع ، أدخلني الحق إياها ، فرأيتها ورأيت ظاهرها وباطنها ، وعاينت مكان العقل الذي خلق بتقدير الله العزيز العليم ، وأودع فيه من صفة القدرة لا صفة غيرها ، خصه بذلك من أبناء جنسه ، فعاينت مكان هذا العقل منها نكتة سوداء مستترة نقية ، ما بين حمرة وصفرة ، وعاينت الرقيقة التي بين المكانة وهذا المكان المعين ، ورأيت موسى وهارون ويوسف عليهم السلام ، ناظرين إلى هذا العقل الذي له أثر انفعال بمكانته ، في منزل افلاك للهوى والنفس ، حيث شخص سبحانه مقام الصدق والصفاء ، وعين فيه اثنتين وسبعين مرقاة ، كل منها تعطي علوماً لمن يرقى فيها . للصفاء الذي استلزمته هذه الصورة ، فهي علوم كشف ، إلى أن ينتهي إلى ذروتها ، فتقابله حضرة الأم بذاتها ، فتعطيه من التنزيه الإلهي والثناء بالوحدانية والصدق والقهر والنصر والإخلاص والذلة . ولما أدخلني الله هذه المراقي ، رأيته سبحانه قد حجبها عن الأعين بظلمة الطبيعة ، حجاباً لا

يرفع ، فليس اليوم لراق فيها قدم موضوعة ، لكنه يكاشف بها من خلف ظلمة الطبع ، ولا يحصل له فيها قدم ، كذا رأيته ، ورأيت معي من حقائق العارفين جملة كثيرة ، على مراتب مختلفة من عال وأعلى ، وهم فيها بهذه المثابة ، فأمر لهذا العقل المخصوص بهذا المنزل أن يرقى فيها شخصه مما ذكرناه ، واجتمعت العقول إليه ، وأنا أنظر ما يصنع وما يقول لأستفيد منه ، ثم رأيته شُخِّص ولم يتكلم ، ولا أدري بأمر إلهي أُشخِصَ ؟ فرأيت عليه حين رجع أثر كآبة وقهر وانزعاج ، فعلمت أنه في مقام إنذار من الإنذارات الحق للأرواح - روي في خبر أن جبريل وميكائيل عليهما السلام قعدا يبكيان ، فأوحى الله إليهما : ما هذا البكاء ؟ فقالا : إنا لا نأمن من مكرك ، فأوحى الله إليهما : كذلك فلتكونا ، فلما ألقى إلينا ما ألقى إليه بخشوع وذلة ، واتفق أني اطلعت على اليسار ، فرأيت الهوى والشهوة وهما يتناجيان ، وقد أعطى الله من القوة النافذة لهذا الهوى ما يظهر بها على أكثر العقول ، إلا أن يعصم الله تعالى ، فوقف الهوى في ذلك الموقف وقال : وأنا الإله المعبود[1] عند كل موجود ، وأعرض عن العقل وما جاء به من النقل ، فاتبعته الشياطين ، والشهوة بين يديه ، حتى توسط بحبوحة النار ، ففُرِشَ له فراش من القطران ، واعتمد على أمر تخيل أنه ينجيه من عذاب الله ، فحال الله بينه وبين من اعتمد عليه واستند إليه ، فهلك ومَنْ تبعه بنعيم السعداء، وكان مشهداً كريهاً هائلاً مفزعاً ، ما صدقنا التخلص منه أنا وكل عارف حضره معنا في ذلك اليوم ، ثم إني أردت أن أحيط بها في هذا المنزل من المراتب والحقائق والأسرار والعلوم ، فأخذ بيدي ذلك العقل ، صاحب هذا المنزل وبسببه ظهر هذا المنزل ، وقال لي : هذا منزل الهلاك ومصرع الهلاّك ، فرأيت فيه خمسة أبيات ، في البيت الأول أربع خزائن ، على الخزانة الأولى ثلاثة أقفال ، وعلى الثانية مثل ذلك ، وعلى الثالثة ستة أقفال ، وعلى الرابعة ثلاثة أقفال ، فأردت فتحها فقال لي : سر حتى ترى ما في كل بيت من الخزائن ، وبعد ذلك تفتح أقفالها وتعرف ما فيها ، ثم أخذ بيدي وقمنا فخرجنا إلى البيت الثاني ، فدخلته ، فرأيت فيه أربع خزائن ، على الخزانة الأولى ستة أقفال ، وعلى الخزانة الثانية ثلاثة أقفال ، وعلى الخزانة الثالثة أربعة أقفال ، وعلى الخزانة الرابعة ستة أقفال ، ثم أخذ بيدي فخرجنا من ذلك البيت ، وكل ذلك أدخل من باب وأخرج من باب

---

(١) راجع بيان خطأ الدكتور أبي العلا عفيفي - كتابنا شرح كلمات الصوفية .

آخر ، فدخلت البيت الرابع ، وإذا فيه ثلاث خزائن ، على الخزانة الأولى سبعة أقفال ، وعلى الخزانة الثانية خمسة أقفال ، وعلى الثالثة خمسة أقفال ، ثم أخذ بيدي فخرجنا منها ، فدخلت البيت الخامس ، فرأيت فيه ثلاث خزائن ، على الخزانة الأولى سبعة أقفال ، وعلى الخزانة الثانية ثلاثة أقفال ، وعلى الخزانة الثالثة خمسة أقفال ، ثم أخذ بيدي وخرجنا نطلب البيت الأول ، لنفتح تلك الأقفال فنبصر ما تحوي عليه تلك الخزائن مع الودائع ، فدخلت البيت الأول إلى الخزانة الأولى ، فرأيت معلقاً على كل قفل مفتاحه ، وبعض الأقفال عليه مفتاحان وثلاثة ، فرأيت على القفل الأول ثلاثة مفاتيح ، تحوي تلك المفاتيح على أربعمائة حركة ، فمددت يدي وفتحت ذلك القفل ، ثم رأيت على القفل الثالث كذلك ثلاثة مفاتيح ، تحوي على أربعمائة حركة ، ففتحت الثالث ورجعت إلى الثاني وعليه مفتاحان ، وهو قفل مطبق ، فهما قفلان في قفل واحد ، يحوي على أربع حركات في حركتين ، فلما فتحت الأقفال : وأطلعت في الخزائن ، بدا لي من صور العلوم على قدر حركات مفاتيح تلك الخزانة ، لا تزيد ولا تنقص ، فرأيت علوماً مهلكة ، ما اشتغل بها أحد إلا هلك ، من علوم العقل المخصوصة بأرباب الأفكار من الحكماء والمتكلمين ، فرأيت منها ما يؤدي صاحبها إلى الهلاك الدائم ، ورأيت منها ما يؤدي صاحبه إلى هلاك ثم ينجو ، غير أنه ليس لنور الشرع فيها أثر البتة ، قد حرمت صاحبها السعادة ، فيها من علوم البراهمة كثير ، ومن علوم السحر وغير ذلك ، فحصلت جميع ما فيها من العلوم لنجتنبها ، وهي أسرار لا يمكن إظهارها ، وتسمى علوم السر ، وكان ممن اختص بها من الصحابة رضي الله عنهم حذيفة بن اليمان ، خصه بها رسول الله ﷺ فلذلك كان بين الصحابة يقال له صاحب علم السر ، وبه كان يعرف أهل النفاق ، حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استحلفه يوماً بالله : هل فيّ من ذلك شيء ؟ قال : لا ، ولا أقوله لأحد بعدك ، وكان عمر بن الخطاب لا يصلي على جنازة بحضور حذيفة ، حتى يرى حذيفة يقول بالصلاة عليها ، فإن صلى حذيفة صلى عمر ، وإلا فلا ، فمن علمها ليحذرها فقد سعد ، ومن علمها يعتقدها ويعمل عليها فقد شقي ، فلما حصلتها وأحطت بها علماً ، ونزهت نفسي بما عصمني الله به من العناية الإلهية عن العمل بها والاتصاف بأثرها ، شكرت الله على ذلك ، وفي هذه المقامات هلك كثير من سالكي هذه الطريقة ، لأنهم يرون علوماً تتعشق بها النفوس ، ويكونون بها أرباباً ويكونون

بها أشياخاً . والنفوس تطلب الشفوف والرياسة على أبناء جنسها ، فيخرجون بها فيستعملونها في عالم الملك ، فيضلون ويضلون ، فأضلوا كثيراً وضلوا عن سوء السبيل ، ثم إني انتقلت إلى الخزانة الثانية ، فرأيت على قفلين منها مفاتيح ، والقفل الثالث لا مفتاح عليه ، فرأيت على القفل الأول ثلاثة مفاتيح ، تحوي على عشر حركات ففتحته ، ثم جئت القفل الثاني ، فوجدت عليه مفتاحاً واحداً ، يحوي على أربع حركات ، فأخذته وفتحت به القفل ، ثم جئت إلى القفل الثالث ، فلم أر عليه مفتاحاً ، فحرت ولم أدر كيف أصنع ، فقيل لي : اقرأ على كل قفل لا مفتاح له ﴿ إن ربك هو الفتاح العليم ﴾ ثم قيل لي : هذا القفل مفتاحه من مفاتيح الغيب لا يعلمه إلا هو ، ففعلت ذلك فانفتح القفل وانفتحت الخزانة ، فرأيت صور العلوم على عدد حركات المفاتيح ، ورأيت صورة علم زائد على ما رأيت من الصور ، التي ظهرت على عدد حركات المفاتيح ، فقلت : ما هذا العلم ؟ فقال : العلم الساري في المعلومات والعلوم ، فجميع العلوم معلومات بهذا العلم لا بأنفسها ، فعلمت أن أبا المعالي الجويني لما قال : إذ بالعلم يعلم العلم كما يعلم به سائر المعلومات ، وأراد أن العلم الذي به يعلم معلوم ما ، به يعلم نفس العلم ، وليس الأمر كما زعم ، بل يعلم العلم بهذا العلم الساري ، فتكون العلوم به معلومة وهو لا يُعْلَم ، فاعلم ذلك ، فهذا هو الذي أعطاه الكشف ، كشف المعاني لا كشف الصور ، وهذه العلوم التي رأيت في هذه الخزانة الثانية ، علوم القدرة والاقتدار ، والعلوم التي تتكون عنها الأشياء ، وتظهر بها الأعيان المضافة إلى الأكوان ، وهي أعيان أفعال منسوبة إلى العباد ، فهذا المنزل يحكم عليها بالهلاك ، بسبب العلم الساري ، الذي صحبها ، وهو هلاك إضافة ونسبة ، لا هلاك عين ، فالذي هلك إنما هو نسبة هذه الأفعال إلى العباد ، فيعطيه هذا المنزل أن هذه النسبة ليست بصحيحة ، وهو عين هلاكها ، وأطلعه العلم الساري أنها أفعال الله ، فأعيان أفعال العباد بريئة من الهلاك ، فحصلت من هذه الحركة علوم التكوين ، وسر قوله ﴿ كن ﴾ الساري في كل متكون ، ثم إني انتقلت إلى الخزانة الثالثة ، التي عليها ستة أقفال ومفاتيحها على أقفالها ، فعلى القفل الأولى مفتاح واحد ، يحوي على حركة واحدة ، وعلى الثاني مفتاحان يحويان على حركتين ، وعلى الثالث مفتاحان يحويان على عشر حركات ، وعلى الرابع مفتاح واحد ، يحوى على ثلاثين حركة ، وعلى الخامس مفتاح واحد ، يحوي

على خمس حركـات ، وعلى السادس مفتاحان ، يحويان على حركتين ، فأخذت المفاتيح وفتحت الأقفـال ، فلما انفتحت الخـزانة رأيت جهنم تحطم بعضها بعضاً ، وفي وسطها روضة خضراء ، ورأيت رجلاً قد أخرج من النار ووقف به في تلك الروضة ساعة ، ثم رد إلى النار ، فيعذب بستة أنواع من العذاب ، ثم يعاد إلى الروضة ساعة ثم يخرج منها إلى النار ، فيعذب بستة أنواع من العذاب ، فحصلت من علم ما يتقى به ذلك العذاب المؤلم والنـار المحرقة ، من ماء شربته من تلك الروضة ، كانت في تلك الشربة عصمتي ، ثم انتقلت إلى الخزانة الرابعة ، فرأيت على القفل الأول منها مفتاحاً واحداً . له ست حركات هنـدسية ، وعلى القفل الثاني ثلاثة مفاتيح ، تحوي الثلاثة المفاتيح على أربعمائة حركة ، بصنعةٍ معلومة ، وعلى القفل الثالث وهو قفلان في قفل يعرف بالقفل المطبق ـ مفتاحان ، يحويان على حركتين في أربع حركات ، ففتحت الأقفال ، فرأيت بقية علوم الخزانة الأولى من هذا البيت ، غير أن تلك العلوم التي في الخزانة الأولى من هذا البيت يتعلق إهلاكها بأعيان الصفات ، وهذه العلوم التي في الخزانة الرابعة يتعلق إهلاكها بأعيان الذوات ، الموصوفين بتلك الصفات الهالكة ، فحصلت علومها أيضاً لأتقيها وأجتنب الأفعال التي تطلبها بالخاصية . وصور العلوم فيها أيضاً على قدر ما تحويه المفاتيح من الحركات ، وهكذا هي علوم هذا المنزل كلها ، عددها على عدد حركات مفاتيحها ، ولها تفاصيل وأحوال أضربنـا عن ذكـرهـا مخافـة التطويل ، ثم انتقلنا إلى البيت الثاني لأطلع أيضاً على ما في خزائنه ، وهي أربع خزائن ، فجئت الخزانة الأولى فإذا عليها ستة أقفال ، على القفل الأول مفتـاح واحـد يحوي على أربعين حركة ، ولم أر للقفل الثاني مفتاحاً ، ففتحته بالاسم ، وفتحت القفل الخامس بمفتاحين وجدتها عليه ، يحويان على تسعمائة حركة ، كل حركة لا تشبه الأخرى ، وفتحت القفل الخامس بمفتاحين وجدتها عليه ، يحويان على خمسين حركة هندسية ، وجئت القفل السادس فلم أر عليه مفتاحاً ، ففتحته بالاسم ، وقد يظهر لبعض المكاشفين ـ الداخلين هذا المنزل ـ هذا القفل السادس وعليه مفتاحان ، يحويان على عشر حركـات ، وعـدم المفتاح أصح من وجوده لهذا القفل ، في حضرة الخطاب الفهواني ، والذي يرى له المفتاح فإنما يراه من اللوح المحفوظ ، فلما فتحت هذه الخزانة ، رأيت صور العلوم المخزونة فيها على عدد حركات المفاتيح سواء ، لا ينقص ولا يزيد ، وهي علوم

الفناء عن الأمر الذي يستند إليه من لا معرفة له بربه سبحانه وتعالى ، فحصلت جميع ما فيها من العلوم ، من علوم الفناء ، وكأنها تدل على حصر الأمور التي يستند إليها ، ثم خرجت من هذه الخزانة وجئت الخزانة الثانية ، فرأيت عليها ثلاثة أقفال ، على القفل الأول مفتاح ، وعلى الثاني مفتاحان ، وعلى الثالث مفتاح ، تحوي هذه المفاتيح على مائة وخمس وعشرين حركة ، ففتحت الخزانة ، فإذا علوم من صور علوم لا تؤخذ إلا عنه ، فهي مآخذ عزيزة المنال ، فحصلتها كلها في لحظة واحدة ، ثم جئت الخزانة الثالثة ، فإذا عليها أربعة أقفال ، على القفل الأول والثالث والرابع مفتاح مفتاح ، تحوي هذه المفاتيح على إحدى وسبعين حركة ، والقفل الثاني لا مفتاح له ، ففتحت تلك الأقفال بالمفاتيح والاسم ، فإذا صور العلوم التي أضل بها السامري قومه وما هدى ، فحصلتها لأتقي شرها ، وأخذت بها مصرفاً مرضياً عند الله لأتبعه فيه ، ثم جئت الخزانة الرابعة وعليها ستة أقفال ، وعلى القفل الأول والثاني والرابع والخامس مفتاح مفتاح ، والثالث لا مفتاح له ، والسادس عليه مفتاحان ، يحوي جميع المفاتيح على ثلاثمائة وتسع وستين حركة ، ففتحت الأقفال بالاسم الإلهيّ والمفاتيح ، فرأيت صور العلوم التي تحويها ، وهي العلوم التي تنال بالكسب لا بطريق الوهب ، وهي العلوم المدركة بالفكر ، فحصلتها بطريق العمل حتى لا تبرح مكتسبة ، ثم إني خرجت إلى البيت الثالث ، فدخلته فرأيت فيه ثلاث خزائن ، فقصدت الخزانة الأولى ، فإذا عليها خمسة أقفال ، على القفل الثاني ثلاثة مفاتيح ، والقفل الخامس لا مفتاح له ، وبقية الاقفال عليها مفتاح مفتاح ، ففتحتها بالاسم والمفاتيح ، فرأيت فيها صور علوم الاصطلام ، وهي من علوم الأحوال ، فحصلتها من طريقها ، وخرجت عنها وقصدت الخزانة الثانية ، فرأيت عليها أربعة أقفال ، القفل الثاني والرابع لا مفتاح عليه ، والقفل الأول عليه مفتاحان ، يحويان على خمسين حركة ، والقفل الثالث عليه مفتاح يحوي على مائتي حركة ، ففتحتها بالاسم والمفاتيح ، فإذا هي تحوي على علوم الخوف والمجاهدة ، وأحوال الشوق والاشتياق ، وعلم السعير من جهنم لا علم الزمهرير ، وعلم ما يكون عنه نضج الجلود في جهنم ، إذ لا يكون عن النار ولا عن الزمهرير ، بل عذاب متولد بينهما من مجاورة كل واحد منهما لصاحبه ، فيتولد من امتزاجهما حالة ثالثة ليس هي عين واحد منهما ، تلك الحالة الحادثة هي العذاب الذي به ينضج

الجلود في جهنم ، وعلم تبديلها من أي حضرة تبدل ، وهو مشهد عظيم ، فإن التبديل قد ورد النص به في الجلود والسموات والأرض ، ونفاه عن الخلق فقال : ﴿ لا تبديل لخلق الله ﴾ ونفاه عن القول الإلهي فقال : ﴿ ما يبدل القول لدي ﴾ وقال : ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ كل هذا تتضمنه هذه الخزانة ، ثم جئت الخزانة الثالثة ، فرأيت عليها ستة أقفال ، فيها شبه بأقفال الخزانة التي خرجت منها إلى هذه ، فالقفل الثاني لا مفتاح له ، والقفل الأول له مفتاحان ، والقفل الثالث عليه ثلاثة مفاتيح ، والقفل الرابع والخامس لكل واحد منهما مفتاح ، والقفل السادس عليه مفتاحان ، تحوي هذه المفاتيح على ألف ومائة وسبع وثلاثين حركة ، ففتحتها بالاسم والمفاتيح ، فإذا فيها صور علوم الارتقاءات والمعارج ،

ومعرفة اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة ، ولكن إذا كانت الارتقاءات والمعارج من المريدين لا من المرادين ، فتكون عن شوق ومجاهدة ورياضة ومكابدة ، ثم جئت إلى البيت الرابع فدخلته ، فإذا فيه ثلاث خزائن ، والخزانة الأولى عليها سبعة أقفال ، القفل الثاني منها لا مفتاح عليه ، والقفل الأول له مفتاح فيه ست حركات ، والقفل الثالث يحوي مفتاحه على أربعين حركة ، وبقية الأقفال تحوي على ستمائة حركة وست حركات ، جميع حركات مفاتيحها ستمائة واثنتان وخمسون حركة ، ففتحتها فإذا فيها علم النكاح ، وكيف يصحب الإنسان زوجته إذا كانت لا تعينه على طاعة ربه ، ويقف على قوله ﴿ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ وهل يستعين الإنسان في عبادة ربه في وضوئه بغيره من صب الماء عليه إذا توضأ ؟ فإن بعض العلماء كره ذلك ، وقد رأى النفيس ابن وهبان السلمي في واقعته كراهة ذلك من النبي ﷺ : وأخبرني به ، فمن هذه الخزانة يعرف ذلك ، ثم جئت الخزانة الثانية ، فرأيت عليها خمسة أقفال ، القفل الثاني منها مطبق ، والقفل الثالث لا مفتاح له ،

والأول له مفتاح ، وكذلك الثاني والخامس ، وأما الرابع فله ثلاثة مفاتيح ، تحوي هذه المفاتيح على أربعمائة وثمان وسبعين حركة ، ففتحتها فإذا هي تناسب التي قبلها وتزيد عليها بأمور ليست فيها ، ثم جئت الخزانة الثالثة فإذا عليها خمسة أقفال ، القفل الأول لا مفتاح له ، والثاني والثالث والرابع ذو مفتاح مفتاح ، والخامس مفتاحان ، تحوي هذه المفاتيح على ست وأربعين حركة ، ففتحتها فإذا هي معرفة الحجارة التي توقد بها النار في الآخرة ، وكيف تكون الحجارة تقبل الوقود وهي يابسة ، واليابس لا يفـ ، الوقود في علم الطبائع ،

وهل يجوز ما طبعه أمر ما أن يزال عنه طبعه مع بقاء عينه وذاته ؟ فإن في هذا العلم زل كثير، وجهل ممن أثبت ذلك ونفاه ، وكلتا الطريقتين غير محمودتين ، ولا صحيحتين ، وكل واحد منهما أثبته من غير وجهه، ونفاه من غير وجهه ، قال تعالى : ﴿ يانار كوني برداً ﴾ وشبه هذا ، ثم جئت البيت الخامس ، فرأيت فيه ثلاث خزائن ، الخزانة الأولى عليها سبعة أقفال ، القفل الأول والثاني والثالث والرابع لكل واحد منها مفتاحان ، والخامس والسادس لكل واحد مفتاح ، والسابع لا مفتاح له ، تحوي هذه المفاتيح على مائة وثلاث عشرة حركة ، ففتحتها فإذا فيها علوم الحس والمحسوس ، والخيال والمتخيل ، والفكر وما يفكر فيه ، والحافظ والمحفوظ ، والعقل والمعقول ، وجميع القوى التي تدرك بها العلوم ، ومعرفة الجماعات والأنوار ، واستشرافات ومجاري الأرواح في طرق السموات ، ومجاري الطبيعة في الحيوانات والنبات والجماد ، وما يختص به عالم الأنفاس من العلوم ، ويقف على نَفَس الرحمن الذي أتى من قبل اليمن إلى رسول الله ﷺ ، ثم جئت الخزانة الثانية ، فرأيت عليها ثلاثة أقفال ، على الأول والثالث مفتاح مفتاح ، وعلى الثاني مفتاحان ، تحوي هذه المفاتيح على أربعين حركة ، ففتحتها فإذا فيها علم الأسباب العامة في الوجود ، والخاصة بأهل الله ، وأسباب النزول المضافة إلى الله التي يعتمد عليها، ويوصل إلى الله من يعتمد عليها، وضرد من يتركها من باب الله ومن سعادته ، وهي علوم شريفة ، زهد فيها أكثر الناس فشقي ، واستعملها بعض الناس فسعد ، وتحوي على علم الشرائع المنزلة ، لا علم الشريعة الحكمية ، ثم جئت الخزانة الثالثة ، فرأيت عليها خمسة أقفال ، القفل الأول عليه مفتاح ، وكذلك بقية الأقفال ، وتحوي أقفالها على أربعمائة وأربع وثلاثين حركة ، ففتحتها فإذا فيها صور علوم الالتفاف ، التفاف الأرواح بالأجساد ، والتفاف أرواح المحبين والمحبوبين ، والتفاف الساقين ، والتفاف اللام بالألف ، ومعنى قوله ﴿ والتفت الساق بالساق ﴾ والتفاف المتضايفين ، وهذه كلها علوم الارتباطات رب ومربوب ، وإله ومألوه ، وقادر ومقدور ، وعالم ومعلوم ، فهذه الخزانة تتضمن جميع العلوم ، فهذا قد ذكرنا جميع ما يحويه هذا المنزل : (منزل الهلاك للهوى والنفس من المقام الموسوي) من خزائن العلوم ، قال تعالى : ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ غير أني تركت عند الدخول إلى هذا المنزل بيتاً واحداً في دهليز هذا المنزل ، لا يفتح لكل أحد ، وقد فتح لي

ودخلته وعرفت ما فيه ، وهو يتضمن ويخزن فيه جميع مفاتيح الخزائن كلها ، التي تضمنتها هذه المنازل التي في هذا الكتاب « الفتوحات المكية » وهو يحوي على أمور جليلة ، وللعارف به تحقق في إيجاد الكائنات عنه . (ف ج ٢ / ٥٨٢ ، ٥٨٣) .

مشاهدة الشيخ للملائكة :

قال تعالى : ﴿ وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون ﴾ وقال تعالى : ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ وينتج هذا الذكر لصاحبه مشاهدة الحق عند قوله وقبوله له ، ومن شاهد الحفظة فمن هذا المقام شهدهم ، ولما أشهدنيهم الحق تعالى تعذبت بشهودهم ، ولم أتعذب بشهود الحق ، فلم أزل أسأل الله في حجبهم عني فلا أبصرهم ولا أكلمهم ، ففعل الله معي ذلك وسترهم عن عيني . (ف ج ٤ / ١٨٨) .

سريان الحال في الغير :

قد رأيناه لبعض شيوخنا ، جاء لأقوام من العامة فيقول لي : هذا شخص عنده استعداد ، فيقرب منه ، فإذا لمسه أو ضربه بصدره في ظهره قاصداً أن يهبه ما أراد ، سرى فيه ذلك الحال من ساعته ، وخرج مما كان فيه وانقطع إلى ربه ، ولما دخلت منزل الأرض الواسعة وأنا بتونس ، وقعت مني صيحة ما لي بها علم أنها وقعت مني ، غير أنه ما بقي أحد ممن سمعها إلا سقط مغشياً عليه ، ومَنْ كان على سطح الدار من نساء الجيران مستشرفاً علينا غشي عليه ، ومنهن من سقط من السطوح إلى صحن الدار على علوها ، وما أصابه بأس ، وكنت أول من أفاق ، وكنا في صلاة خلف إمام ، فما رأيت أحداً إلا صاعقاً ، فبعد حين أفاقوا ، فقلت : ما شأنكم ؟ فقالوا : أنت ما شأنك ؟ لقد صحت صيحة أثرت ما ترى في الجماعة ، فقلت : والله ما عندي خبر أني صحت[1] . (ف ح ١ /٢٢٧ ، ١٧٣) .

اطلاع الشيخ على بعض الأحداث الكونية قبل وقوعها :

ومن منزل مبايعة النبات القطب ، صاحب الوقت في كل زمان[2] ، علمنا حين وقفنا

---

(١) شرح هذا الحال : راجع التدبيرات الإلهية الباب الرابع من السابع عشر وهو الباب الحادي والعشرون ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥ . وفي الصحيح : حديث جابر بن عبد الله وبعيره ، وحديث أبي طلحة وفرسه .

(٢) راجع الفتوحات ج ٣ ص ١٤ .

عليه سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، نصر المؤمنين على الكفار قبل وقوعه، بمدينة فاس من بلاد المغرب. (ف ح ٣/ ١٤٠).

ذوق الشيخ إرثاً من النبي ﷺ من قوله واجعلني نوراً :

منزل سرّ صدقَ فيه بعض العارفين، فرأى نوره كيف ينبعث من جوانب ذلك المنزل، وهو من الحضرات المحمدية، وهو منزل من منازل التوحيد والأنوار، أدخلنيه الله تعالى مرتين، وفي هذا المنزل صرت نوراً كما قال ﷺ في دعائه: واجعلني نوراً، ومن هذا المنزل علمت الفرقان بين الأجسام والأجساد، فالأجسام هي هذه المعروفة في العموم، لطيفها وشفافها وكثيفها، ما يُرَى منها وما لا يرى، والأجساد هي ما يظهر فيها الأرواح في اليقظة الممثلة في صور الأجسام، وما يدركه النائم في نومه من الصور المشبهة بالأجسام فيما يعطيه الحس، وهي في نفسها ليست بالأجسام، ولما أعطيت هذا المنزل سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وأقمت فيه، شُبِّه لي بالماء في النهر لا يتميّز فيه صورة، بل هو عين الماء لا غير، فإذا حصل ما حصل منه في الأواني، تعين عند ذلك ماء الجب من ماء الجرة من ماء الكوز، وظهر فيه شكل إنائه ولون إنائه، فحكمت عليه الأواني بالتجزي والأشكال، مع علمك أن عين ما لم يظهر فيه شكل إذا كان في النهر، عين ما ظهر إذا لم يكن فيه.

(ف ح ٣/ ١٨٦، ١٨٧).

رجال الغيب :

يعلم صاحب الكشف أن أي واحد أو جماعة قلّت أو كثرت، لابد أن يكون معهم من رجال الغيب واحد عندما يتحدثون، فذلك الواحد ينقل أخبارهم في العالم، ويجد ذلك الناس في نفوسهم في العالم، يجتمع جماعة في خلوة أو يحدث الرجل نفسه بحديث لا يعلم به إلا الله، فيخرج أو تخرج تلك الجماعة فتسمعه في الناس، *والناس يتحدثون به، ولقد عملت أبياتاً، من الشعر بمقصورة ابن مثنى بشرقي جامع تونس من بلاد أفريقية، عند صلاة العصر في يوم معلوم معين بالتاريخ عندي بمدينة تونس، فجئت إشبيلية وبينهما مسيرة ثلاثة أشهر للقافلة، فاجتمع بي إنسان لا يعرفني فأنشدني بحكم الاتفاق تلك الأبيات عينها، ولم أكن كتبتها لأحد، فقلت له: لمن هذه الأبيات؟ فقال لي: لمحمد بن العربي وسماني، فقلت له: ومتى حفظتها؟ فذكر لي التاريخ الذي عملتها فيه والزمان،

مع طول هذه المسافة . فقلت له : ومن أنشدك إياها حتى حفظتها ؟ فقال لي : كنت جالساً في ليلة بشرق إشبيلية في مجلس جماعة على الطريق ، ومر بنا رجل غريب لا نعرفه ، كأنه من السياح ، فجلس إلينا فتحدث معنا ، ثم أنشدنا هذه الأبيات فاستحسناها وكتبناها ، فقلنا له : لمن هذه الأبيات ؟ فقال : لفلان ، وسماني لهم ، فقلنا له : فهذه مقصورة ابن مثنى ما نعرفها ببلادنا ؟ فقال : هي بشرقي جامع تونس ، وهنالك عملها في هذه الساعة وحفظتها منه ، ثم غاب عنا فلم ندر ما أمره ، ولا كيف ذهب عنا وما رأيناه ، وأما الأبيات التي أنشدنيها لي فهي هذه :

مقصورة ابن مثنى أمسيت فيها مُعَنّى
بشادن تونسي حلو اللمى يتمنى
خلعت فيه عذاري فاصبح الجسم مُضنىٰ
سألته الوصل لمّا رأيته . يتجنّى
وهز عطفيه عجباً كالغصن إذ يتثنّى
وقال أنت غريب إليك ياهذا عنا
فذبت شوقاً ويأساً ومت وجداً وحزناً

ولقد كنت بجامع العديس بإشبيلية يوماً بعد صلاة العصر ، وشخص يذكر لي عن رجل كبير من أهل الطريق من أكابرهم ، اجتمع به في خراسان فذكر لي فضله ، وإذا بشخص أنظر إليه قريباً منا والجماعة معي لا تراه ، فقال لي : أنا هو هذا الشخص الذي يصفه لك هذا الرجل الذي اجتمع بنا في خراسان ، فقلت للرجل المخبر : إن هذا الرجل الذي رأيته بخراسان، أتعرف صفته ؟ فقال : نعم ، فأخذت أنعته له بآثار كانت فيه وحلية في خلقه ، فقال الرجل : هو والله على صورة ما وصفت ، هل رأيته ؟ فقلت له : هو ذا جالس يصدقك عندي فيما تخبر به عنه ، وما وصفته لك إلا وأنا أنظر إليه ، وهو عرفني بنفسه ، ولم يزل معي جالساً حتى انصرفت ، فطلبته فلم أجده .

(ف ج ٣/ ٣٣٨).

ذوق الشيخ لنزول القرآن عليه :

كل كلام إلهي من كلمة مركبة من حرفين إلى ما فوق ذلك من تركيبات الحروف ،

والكلمات المنسوبة إلى الله بحكم الكلام ، فإنه قرآن لغة ، وله أثر في النزول في المحل المنزل عليه إذا كان في استعداده التأثر بنزوله ، فإن لم يكن فلا يشترط ، والاستعداد من المحل أن يكون حاله العبودة والعبودية ، وأثره في حال العبودية أتم منه في حال العبودة ، فإن سمعَ المحلُ أو نزل عليه في حال كون الحق سمعه ، حصل له النزول ولم يظهر له أثر عليه ، لأنه حق في تلك الحالة ، فينتفي عنه الخشوع ، وهذا أصل يطرد في كل وصف لا يكون له في الألـوهـة مدخل ، كالذلة والافتقار والخشوع والخوف والخشية ، فإنه يتأثر صاحب هذا الحال ، وكل كون يكون حالة نعت إلهي كالكرم والجود والرحمة والكبرياء فإنه لا يؤثر في صاحبه أصلاً ، فإنه نعت حق ، فله العزة والمنعة ، هذا مطرد ، وقد نزل علينا من القرآن ذوقاً ، عرفنا من ذلك صورة نزوله على نبيه ﷺ فوجدنا له ما لم نجد لحفظ حروفه ولا لتدبر معانيه ، ونزل علينا في الحالين ، فأثر في الحال الواحد الكوني ، ولم يؤثر في الحال الإلهي إلا لذة خاصة من فرح وابتهاج وسرور ، ولم نجد خشوعاً ولا ذلة ، فهو سرور بكمال ، فإنه لابـد من هذه اللذة ، ولهذا ينسب إلى الجناب الإلهي الأقدس ما ينسب من الفرح وهو التذاذ ، فمن استظهر القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه ، كذا قال ﷺ ، وهو تنزيله عليه ذوقاً ، وهذا الفرق بين تنزله على النبي ﷺ : وبين تنزله علينا ، فإنه منزل في النبي ﷺ على قلبه وفي صدره ، فنبوته له مشهودة ، وينزل علينا بين جنبينا من وراء حجابنا ، فهو لنا في الظهر لا في الظهور ، فنبوتنا مستورة عنا مع كوننا محلاً لها ، قال رسول الله ﷺ في الذي أوتي القرآن ، إن النبوة أدرجت بين جنبيه ، وهذا الفرق بين الأنبياء والأولياء الأتباع ، فإنه وإن كان للأولياء من النبوة شرب فمن بعض مقاماتها لا كلها ، كالرؤيا جزء من أجزاء النبوة وغـيرها ، **وأما النبوة بالجملة فلا تكون إلا لنبي ، وأما الولي فلا ، إلا أن يكون له من ظهـره تمده وتقـويه وتؤيده هكذا أخذتها مشاهدة من نفسي ، وأخبرت أن كل ولي كذا يأخذها من المكملين في الولاية ، ويترجم عنها ولكن من حجاب الظهر ، ويكون للنبي من الفوق أو من الأمام ، تنزل على قلبه ويخاطب بها في سمعه ، فالولي يجد أثرها ذوقاً ، وهو فيها** كالأعمى الذي يحس بجانبه شخصاً ولا يعرف من هو ذلك الشخص ، فالنبي ذو عين مفتوحة لمشاهدة النبوة ، والولي ذو عين مفتوحة لمشاهدة الولاية ، ذو عين عمياء لمشاهدة النبوة فإنها من خلفه ، **فهو فيها** كحافظ القرآن ، لأن من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة

بين جنبيه ، ولم يقل في صدره ولا بين عينيه ولا في قلبه ، فإن تلك رتبة النبي لا رتبة الولي .
(ف ج ٢ / ١٩٤ - ج ٣ / ٩٤ ، ١٤) .

﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ هذه الآية تليت علينا تلاوة تنزل إلهي من أول السورة إلى قوله ﴿ زنيم ﴾ عرفنا الحق في هذه التلاوة المنزلة من عند الله ، في المبشرة التي أبقى الله علينا من الوحي النبوي ، ووراثة نبوية لله الحمد ، ورثته فيها من قوله ﴿ ولا تك في ضيق مما يمكرون ﴾ وفي قوله ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ وقوله : ﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ﴾ فشكرت الله إلى ما حققني به من حقائق الورث النبوي ، وأرجو أن أكون ممن لا ينطق عن هوى نفسه ، جعلنا الله منهم ، فإن ذلك هو عين العصمة الإلهية . (ف ج ٤ / ١٧٨) .

سورة الشيخ من القرآن : .

لكل شخص من القرآن سورته ... وسورتي من كتاب الله تنزيل
أتى بها الملأ العلوي يقدمه ... عند التنزّل ميكال وجبريل
أتى بها تنثني ليناً معاطفها ... وفي جوانبها هَدْيٌ وتضليل
إذا نظرت ترى في آيها عجباً ... نار ونور وتنزيه وتمثيل
بكر النواظر في أجفانها دعج ... لم يقترع طرفها بكحله الميل

تجلت لنا هذه السورة بمدينة حلب وقيل لي لما رأيتها : هذه سورة لم يطمثها إنس ولا جان ؛ فرأيت لها ومنها ميلاً عظيماً إلى جانبي ، وقد مثلت لي في شبه هذا المنزل الذي كنت دخلته قبل ذلك ثم قيل لي : هي خالصة لك من دون المؤمنين ؛ فلما قيل لي ذلك فهمت الإشارة وعلمت أنها ذاتي وعين صورتي لا غيري ، فإنه ما لموجود شيء مُخْلَصٌ له ليس لغيره - قديمه وحديثه - إلا ذاته خاصة ، فقلت : ها أنا ذا ، فعلمت عند ذلك معنى التخليص وعلمت ما تلي علي فيها أنزل علي من القرآن عند التلاوة ، وذلك أنه لما نزل الإلهام بتلاوة سورة الإخلاص رزقت عين الفهم في تسميتها بهذا الاسم دون غيرها من السور ، فإنها كلها نَسَبُ الله وصفته ، وهي عين مجموع العالم ، ففهمت الإشارة بها في أنّ العالم مع كونه هو الحق المبين من حيث مجموعه لا من حيث جزء منه ، فتخلص النسب لله من حيث ذاته ، فهذا المجموع هو في الحق عين واحدة ، وهو في العالم عين الحق المبين
(ف ج ٣/ ١٨١)

لكـل شخص من القـرآن سورته وسـورتي عنـدمـا أتلو لإيـلاف
(ف ح ٤/٢٧٥)

وراثة الشيخ للنبي ﷺ للرؤية من خلفه وذوقه للتنزيل قرآناً وفرقاناً :

من أدرجت النبوة بين جنبيه وجاءه القرآن فاستقر في صدره عن ظهر غيب ، أعطي الرؤية من خلفه كما أعطيها من أمامه ، إذ كان القرآن لا ينزل إلا مواجهة ، فهو للنبي ﷺ من وجهين ، وجه معتاد ، ووجه غير معتاد ، وهو للوارث من وجه غير معتاد ، فسُميَّ ظهراً بحكم الأصل ، وهو وجه بحكم الفرع ، ولما ذقنا ذلك لم نر لأنفسنا تمييز جهة من غيرها ، وجاءنا بغتة ، فما عرفنا الأمر كيف هو إلا بعد ذلك ، فمن وقف مع القرآن من حيث هو قرآن ، كان ذا عين واحدة أحدية الجمع ، ومن وقف معه من حيث ما هو مجموع ، كان في حقه فرقاناً ، فشاهد الظهر والبطن والحد والمطلع فقال : لكل آية ظهر وبطن وحد ومطلع ، وذلك الآخر لا يقول بهذا ، والذوق مختلف ، ولما ذقنا هذا الأخر كان التنزل فرقـانياً ، فقلنـا : هذا حلال وهـذا حرام وهـذا مبـاح ، وتنوعت المشارب، واختلفت المذاهب، وتميزت المراتب ، وظهرت الأسماء الإلهية والآثار الكونية . (ف ج ٣/ ٩٤).

واعلم أن النور الذي بين يديك هو النور الذي تقتدي به ، والنور الذي من خلفك هو النور الذي يسعى بين يدي من يقتدي بك ، ويتبعك على مدرجتك ، وبذلك النور يرى به الداعي إلى الله مِنْ خِلْفِه مثل ما يرى من بين يديه ، واعلم أن النبي ﷺ كله وجه بلا قفا ، فإنه قال ﷺ : « إني أراكم من خلف ظهري » فأثبت الرؤيا لحاله ومقامه ، فثبتت الوجهية له ، وذكر الخلف والظهر لبشريته ، فإنهم ما يرون رؤيته ويرون خلفه وظهره ، وهذا مقام نلته وورثته ﷺ في هذا المقام ، سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بمدينة فاس ، في صلاة العصر ، وأنا أصلي بجماعة بالمسجد الأزهر بجانب عين الجبل ، فرأيته نوراً يكاد يكون أكشف من الذي بين يدي ، غير أني لما رأيته زال عني حكم الخلف ، وما رأيت لي ظهراً ولا قفاً ، ولم أفرق في تلك الرؤية بين جهاتي ، بل كنت مثل الأكرة ، لا أعقل لنفسي جهة إلا بالفرض لا بالوجود ، وكان الأمر كما شاهدته ، مع أنه كان تقدم لي قبل ذلك كشف الأشياء في عرض حائط قبلتي ، وهـذا كشف لا يشبه هذا الكشف ، وكنت إذا

دخلت المحراب أرجع بذاتي كلها عيناً واحداً ، فأرى من جميع جهاتي كما أرى قبلتي ، لا يخفى عليّ الداخل ولا الخارج ولا واحد من الجماعة ، حتى إنه ربما يسهو من أدرك معي ركعة من الصلاة ، فإذا سلمت ورددت وجهي إلى الجماعة أدعو ، أرى ذلك الرجل يجبر ما فاته فيخل بركعة ، فأقول له : فاتك كذا وكذا ، فيتم صلاته ويتذكر ، فلا يعرف الأشياء ولا هذه الأحوال إلا من ذاقها ، ومن كانت هذه حاله فحيث كانت القبلة فهو مواجهها ، هكذا ذقته بنفسي . (ف ج ٢ / ٤٨٦) .

أخذ الحق بعض من افترى على الشيخ :

وفي معرفة سرعة الأخذ الإلهي ما سببها ؟ فإنه لما أطلعني الله تعالى على إنزال هذه الآية : بالإنـزال الذي يرد على أمثالنا ممن ليس بنبي ، فإن القرآن وكل كلام ينزل على التالين والمتكلمين في حال تلاوتهم وكلامهم ، ولولا ذلك ما تلوا ولا تكلموا ، وهنا لطائف إلهية لمن نظر ، فقيل لي : اقرأ ، قلت : وما أقرأ ؟ قيل لي : اقرأ ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ فقرأت هذه الآية على ما كنت أحفظها فقيل لي لما وصلت إلى قوله تعالى : ﴿ إن أخذه ﴾ قيل لي : قل : « بك » فقلت : ما هو في القرآن ولا نزل كذا ؟ فقيل لي : لا تقل هكذا بل هكذا هو وكذا نزل ، قل : « بك » وشدد عليّ ، فقرأت ﴿ إن أخذه بك أليم شديد ﴾ فطلبت معنى ذلك ، فأقيم لي شخص كنت أعرفه ، وكان قد افترى علي ، فقيل لي : هذا مأخوذ بك أي بسببك ، فاقرأ : ﴿ إن أخذه بك أليم شديد ﴾ وهو ممدود بين يدي ، فلما فرغ ذلك التنزيل استدعيت بالشخص وقلت له : ما رأيت ، فتأفف عليّ وأظهر التوبة ، وخرج عني وهو على حاله من الفرية ، فلم يكمل الشهر حتى قتله الله بحجر شدخ رأسه ، وما أَخَذَ القاتل من ثيابه ولا فرسه ولا ماله شيئاً ، فشاع الخبر وانتهى إلى السلطان ، وقرروا عند السلطان أني كنت سبب قتله ، فما التفت السلطان ، فلما كان بعد ثلاث سنين جاء القاتل واعترف بين يدي السلطان بقتله ، فسأله : ما سبب ذلك ؟ فقال : ما له سبب ولا فعل معي قبيحاً ، إلا أني مررت عليه وهو نائم في خربـة ولجـام فرسه في يديه ، فزين لي قتله ، فعمدت إلى حجر كبير فاقتلعته ، ووازنت رأسه ورميت عليه الحجر فما تحرك ، ولا أخذت له شيئاً وما طمعت في شيء من ذلك ولا اكترثت ، فقتله السلطان به ، وبعث إلي الخبر بذلك ، وهذا من أعجب التنزلات

وجود مثل هذه الزيادة ، فيعرف العارف من أين صدرت . (ف ح ٢ / ٦٩٣).

البشرى للشيخ في الحياة الدنيا :

لابد لكل مقرّب عند الله من أمر يختص به ، فيضع الحق كنفه عليه وهو عموم رحمته به ، فذلك محل تحصيل ما يختص به ، كانت القيامة لهذا العبد حيث كانت ، لأنه من عباد الله من تعجل له قيامته ، فيرى ما يؤول إليه أمره في الدار الأخرة ، وهي البشرى التي للمؤمن في الحياة الدنيا ، وقد رأيناها ذوقاً وكان لنا فيها مواقف ، منها في ليلة واحدة مائة موقف بأخذ ورجوع ، لو قسمت تلك الليلة على قدر الوقوف ما وسعته ، وذلك بمدينة فاس سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، أشاهد في كل موقف من اتساع الرحمة ما لا يمكنني النطق به . (ف ج ٤ / ١٥٣) .

عتاب الحق للشيخ في سر أذاعه :

لقد سمعت أذناي ما لا أبثه   وقد جاءني الأمر الذي لا يخالف
فقلت له سمعاً إلهي وطاعة   وقد كان لي فيها ذكرت مواقف

اعلم أن الأسرار التي يمنحها الحق عباده من أهل هذه الطريقة على قسمين : منها أسرار تعطيك بذاتها أن تظهرها في الأكوان ، من غير حرج في ذلك عليك، ولا تحتاج في إظهارها للغير إلى إذن إلهي ، وأسرار لا تعطيك بذاتها هذا الحكم ، وهي على قسمين : قسم منها يحتاج في إظهاره إلى إذن إلهي ، فإن أظهرته من غير إذن قوبلت ، ووقع الحرج والجناح عليك في إظهاره ، وقد وقع لي مثل هذا ، ولكن بحمد الله قوبلت بالعتاب لا بالعقاب ، رحمة من الله بي وعناية ، وأسرار أخر لا يعطيها الحق لأحد بواسطة ، فلو طلبت الإذن فيها ـ إذا أطلعك الحق عليها ـ أن توصلها ما أذن لك ، فإنها أذواق لا تعرفها من غيرك بمجرد العبارة عنها ، فإنها مما ينفرد الحق بإيصالها من الحق إلى العبد ، كما يفعل بالأحوال ، فلو رام أحد أن يعبر عن الشوق الذي يجده إلى من اشتاق إليه ما أطاق ذلك ، ولا وصل إلى فهم الأخر منه شيء ، إلا أن يقوم الشوق به مثل ما قام بصاحبه ، فيعرف عند ذلك حقيقة مسمى هذا اللفظ ، وكذلك ما في معناه ، فعلوم الأذواق لا تنقال ولا تنحكي ، ولا يعرفها إلا من ذاقها ، وليس في الإمكان أن يبلغها من ذاقها إلى من لم يذقها ،

وبين أهل الأذواق في ذلك تفاضل ، لا يعرف ولا يمكن أن يعرف عين ما فضله به .

(ديوان / ٣٩٥ - ج ٢ / ٦٣٣ - ج٣ / ٢٦٠) .

وقد منحني الله سراً من أسراره بمدينة فاس سنة أربع وتسعين وخمسمائة فأذعته ، فإني ما علمت أنه من الأسرار التي لا تذاع ، فعوتبت فيه من المحبوب ، فلم يكن لي جواب إلا السكوت ، إلا أني قلت له : تولَّ أنت أمر ذلك فيمن أودعتُه إياه إن كانت لك غيرة عليه ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وكنت قد أودعته نحواً من ثمانية عشر رجلاً ، فقال لي : أنا أتولى ذلك ، ثم أخبرني أنه سلَّه من صدورهم ، وسلبهم إياه ، وأنا بسبته ، فقلت لصاحبي عبد الله الخادم: إن الله أخبرني أنه فعل كذا وكذا ، فقم بنا نسافر إلى مدينة فاس حتى نرى ما ذكر لي في ذلك ، فلما جاءتني تلك الجماعة وجدت الله قد سلبهم ذلك وانتزعه من صدورهم ، فسألوني عنه فسكت عنهم ، وهذا من أعجب ما جرى ، فلله الحمد حيث لم يعاقبني بالوحشة . (ف ج ٢ / ٣٤٨) .

وهبتني كرماً سراً فبحت به	ولم يكن أدباً ما قاله فمه
عتبت عبدك فيه ثم قمت به	عنه لتحفظه إذ أنت تلهمه
محوته من صدور أنت تعرفها	بسِنةٍ أو نُعاسٍ فاحتمى دمه
ما كنت أعلم أن الأمر فيه كذا	عند الإله وأنَّ العتب يلزمه
لولا محبته فينا لعذبنا	ولا يهان من الرحمن مكرمه

(ديوان / ٢٤٣) .

رؤية الشيخ ليلة القدر :

ليلة القدر تدور في السنة كلها ، وقد رأيناها في شعبان ، ورأيناها في رمضان ، في كل وتر منه ، وفي ليلة الثامن عشر من شهر رمضان على حسب صيامنا في تلك السنة ، فأي ليلة شاء الله أن يجعلها محلاً من ليالي السنة للقدر الذي به تسمى ليلة القدر جعل ذلك .

(ف ج ٣/ ١٥٩) .

مشاهدة الشيخ تكوين الأشياء في ذاته وفي ذات غيره :

﴿ وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ﴾ هذا هجير لزمته سنين كثيرة ، حتى ما كنت أسمى إلا به مما كنت مستهتراً

به متحداً ، ورأينا له بركات لا أحصيها ، وهو الذي أطلعت منه على المراقبة ، فكنت رقيباً على نفسي نيابة عن الله ، حين أمرها أن تكون على وصف خاص معلوم في الشرع المطهر المنزل على لسان المعصوم ﷺ ، ورقيباً على آثار ربي فيما يورده على قلبي ، وفي جميع حركاتي وسكناتي ، ورقيباً أيضاً عى ربي بموازنة حده المشروع في عباده ، فكنت أقيم الوزن بين أمره ونهيه وبين إرادته ، لأرى مواقع الخلاف ممن خالف والوفاق ممن وافق ، وما جعلني في ذلك إلا ما شيب رسول الله ﷺ وما هو عندي إلا قوله : ﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ فإذا وافق الأمر الإرادة، كانت الاستقامة كما أمر، وحصل الوفاق، وإذا لم يوافق الأمر الإرادة، وقع ما حكمت به الإرادة، ولم يكن للأمر حكم في المأمور ، وعلمنا عند ذلك ما هو الأمر الإلهي الذي لا يعصى ، ومن هو المخاطب ، وما هو الأمر الإلهي الذي يُعصى في وقت؟ فلم نجده إلا الأمر بالواسطة، وهو على الحقيقة أمر لفظي صوري ، فهو صيغة أمر لا حقيقة أمر ، وأن المأمور بالأمر الإلهي الذي لا يعصى ، إنما هو المخاطب عين الممكن ، الذي توجه من الحق عليه الإيجاد ، بأن يقول له : كن ، فيكون ولابد ، فهذا هو الأمر الذي لا يعصيه المخاطب أصلاً ، وإنما الإنسان المكلف هو محل ظهور هذا المكون ، كما أن المكون محل التكوين، فيقول للشهادة: كن؛ فتكون الشهادة ، وما لها محل إلا لسان الشاهد وهو القائل ، فتنسب الشهادة إلى من ظهرت فيه ، ليس له فيها تكوين ، وإنما التكوين فيها لله في هذا المحل الخاص ، وهكذا جميع أفعال المكلفين ، وكون ذلك الفعل طاعة أو معصية ليس عينه ، وإنما هو حكم الله فيه ، فكنت أشاهد تكوين الأشياء في ذاتي وفي ذات غيري ، أعياناً قائمة ذاكرة لله مسبحة بحمده ، مع كونها ينطلق عليها اسم معصية وطاعة ، فطلبت من الله مسمى المعصية هل له عين وجودية أو لا عين له ؟ وهل بينه وبين مسمى الطاعة فرقان، أم الحكم سواء ؟ فإن الله لا يأمر بالفحشاء ، وما يتكون شيء إلا عن أمره ، فهل للمعصية تكوين أم لا ؟ فأطلعنا على أن مسمى المعصية إنما هو ترك ، والترك لا شيء ولا عين له ، فوجدناها مثل مسمى العدم ، فإنه اسم ليس تحته عين وجودية ، فإن الشأن محصور في أمر لا يُفْعَل أو نهي لا يُمْتَثَل ، وغير ذلك ما هو ثَمَّ ، فما تحت لم يفعل ويخالف، إلا أمر عدمي لا وجود له، وكذلك النهي لا تفعل فلم يمتثل نهيه، ومدلول لم يمتثل عدم لا عين له في الوجود لأنه نفي ، فما أخذ العبد في الوجهين إلا بأمر عدمي ، وهو ترك الأمر

والنهي - راجع القسم الثاني من هذا الكتاب - جميع العلوم باطنة في الإنسان .

(ف ج ٤/ ١٧٤).

تجسد الأذان :

لما أشهدني الحق الأذان بنفسي ، رأيت لكل كلمة من الخبر المقيَّد بالحس مد البصر في كل كلمة ، ولقد أذنت يوماً ، فكلما ذكرت كلمة من الأذان كشف الله عن بصري ، فرأيت ما لها مد البصر من الخير ، فعاينت خيراً عظيماً لو رآه الناس العقلاء لذهلوا لكل كلمة ، وقيل لي : هذا الذي رأيت ثواب الأذان ، فالمؤذنون أفضل جماعة دعت إلى الله عن أمر الله ورسوله ، ولولا رفق الرسول ﷺ بأمته لأذَّن ، فإنه لو أذن وتخلف عن إجابته من سمعه إذا قال : حي على الصلاة ، كان عاصياً ، فكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً .

(ف ج ٤/ ٤٧٥).

إسراء الشيخ رضي الله عنه :

للأولياء إسراءات روحانية برزخية ، يشاهدون فيها معاني متجسدة في صور محسوسة للخيال ، يعطون العلم بما تتضمنه تلك الصور من المعاني ، ولهم الإسراء في الأرض وفي الهواء ، غير أنهم ليست لهم قدم محسوسة في السماء ، وبهذا زاد على الجماعة رسول الله ﷺ بإسراء الجسم، واختراق السموات والأفلاك حساً ، وقطع مسافات حقيقية محسوسة ، وذلك كله لورثته معنى لا حساً من السموات فما فوقها .

ولما أراد الله أن يسري بي ليريني من آياته في أسمائه من أسمائي ، وهو حظ ميراثنا من الإسراء ، أزالني عن مكاني وعرج بي على براق إمكاني ، فزج بي في أركاني - إلى أن يقول - فما كانت رحلتي إلا فيَّ ودلالتي إلا عليّ ، ومن هنا علمت أني عبد محض ، ما فيَّ من الربوبية شيء أصلاً . (ف ج ٣ / ٣٤٥) .

معراج الشيخ رضي الله عنه :

معارج الأولياء معارج أرواح، ورؤية قلوب وصور برزخيات، ومعان متجسدات ، فمما شهدته من ذلك، وقد ذكرناه في كتابنا المسمى بالإسراء وترتيب الرحلة .

ألم تر أن الله أسرى بعبـــده من الحرم الأدنى إلى المسجد الأقصى

إلى أن علا السبع السموات قاصداً إلى بيتـه المعمـور بالمـلأ الأعـلى
إلى السـدرة العليـا وكرسيِّه الأحمى إلى عرشه الأسنى إلى المستوى الأزهى
إلى سبحـات الـوجـه حين تقشَّعت سحاب العمى عن عين مقلته النجلا
(ف ح ٣ / ٣٤٣).

يراجع إسراء الشيخ وعروجه في كتابنا ـ الخيال ـ يضاف إلى ذلك قوله :

اعلم أنه لما وصلت إلى منزل القواصم ، في وقت معراجي الذي عرج بي ليريني من آياته سبحانه ما شاء ومعي الملك ، قرعت بابه ، فسمعت من خلف الباب قائلاً : من الذي يقرع باب هذا المنزل المجهول الذي لا يعرف إلا بتعريف الله ؟ فقال الملك : عبد الحضرة ، عبدك محمد بن نور ، ففتح فدخلت فيه فعرفني الحق جميع ما فيه ، ولكن بعد سنين من شهودي إياه ، فكان ذلك شهوداً صورياً من غير تعريف ، ثم بعد ذلك وقع التعريف به ، ولما عرفني بأنه منزل مجهول قصم ظهريَ ، ولما وقع التعريف به رأيته كله قواصم ، إلا أن يعصم الله مما رأيت ، فخفت فسكن الله روعي بما جلّى لي ، فرأيت في هذا المنزل تحول الصور الحسية في الصور الجسمية ، كما يتشكل الروحانيون في الصور ، فتخيلت أن تلك الصور الأول ذهبت ، فحققت النظر فيها فلم أدركها حتى أعطيت القوة عليها ، فتحولت فأدركت المطلوب ، فإذا هو على نوعين في التحول : النوع الواحد أن تعطى قوة تؤثر بها في عين الرائي ما شئته من الصور ، التي تحب أن تظهر له فيها ، فلا يراك إلا عليها ، وأنت في نفسك على صورتك ما تغيرت ، لا في جوهرك ولا في صورتك ، إلا أنه لا بد أن تُحضر تلك الصورة التي تريد أن تظهر للرائي فيها في خيالك ، فيدركها بصر الرائي في خيالك كما تخيلتها ، ويحجبه ذلك النظر في الوقت عن إدراك صورتك المعهودة ، هذا طريق ، وطريقة أخرى يتضمنها هذا المنزل ، وذلك أن الصورة التي أنت عليها عرض في جوهرك ، فيزيل الله ذلك العرض ويلبسك ماأردت أن تظهر به من صور الأعراض ، من حية أو أسد أو شخص آخر إنساني ، وجوهرك باق ، وروحك المدبر جوهرك على ما هو عليه من العقل وجميع القوى ، فالصورة صورة حيوان أو نبات أو جماد ، والعقل عقل إنسان ، وهو متمكن من النطق والكلام ، فإن شاء تكلم ، وإن شاء لم يتكلم ، بأي لسان شاء الحق أن ينطقه به ، فحكمه حكم عين الصورة في المعهود .

ومن هذا الباب يعرف نطق الجمادات والنبات والحيوان ، وهي على صورها وتسمعها

كنطق الإنسان ، كما أن الروح إذا تجسد في صورة البشر ، تكلم بكلام البشر لحكم الصورة عليه ، وليس في قوة الروحاني أن يتكلم بكلام غير الصورة التي يظهر فيها ، بخلاف الإنسان وهو في غير صورة الإنسان .

وطريقة أخرى ، وهي أن يشكل الهواء الحاف به على أي صورة شاء ، ويكون الشخص باطن تلك الصورة ، فيقع الإدراك على تلك الصورة الهوائية المشكلة في الصورة التي أراد أن يظهر فيها ، ولكن إن وقع من تلك الصورة نطق ، فلا يقع إلا بلسانه المعروف عند الرائي ، فيسمع النغمة فيعرفها ، ويرى الصورة فينكرها ، لا يتمكن لمن هذه حالته أن يزول عن نغمته ، وهذه قوة الجن لمن يعرفهم ، فإنهم يظهرون فيما شاؤوه من الصور ، والنغمة منهم نغمة جن ، لا يقدرون على أكثر من ذلك ، فمن عرف النغمات لم تُلَبِّس عليه صورة أصلاً ، وقليل من يعرف ذلك ، وطريقة أخرى في التحول في الصورة ، وهي أن تبقى صورة هذا الشخص على ما كانت عليه ، ويلبس نفسه صورة روحاني تجسد ذلك الروحاني في أي صورة شاء هذا الشخص أن يظهر للرائي فيها ، ويغيب هذا الشخص في تلك الصورة ، وهي عليه كالهواء الحاف به ، فتقع في عين الرائي على تلك الصورة ، كل ذلك بتقدير العزيز العليم . (ف ج ٢ / ٦٢٠) .

رؤية الشيخ لجميع الأنبياء وجميع المؤمنين، ووراثته للأنبياء:

لما حللت مقام القلب إدريسا ... ولم أجد فيه تخييلاً وتلبيسا
حللت من مشكلات العلم ما انعقدت ... فكل ذي علة بشرحها يوسى
ورثت منه النبي المصطفى وكذا ... مع الذي عندنا من روحه عيسى
وآدم ثم إبراهيم والدنا ... وداود والكليم المجتبى موسى

اعلم أن من رحمة الله بخلقه أن جعل على قدم كل نبي ولياً وارثاً له فيما زاد ، فلابد أن يكون في كل عصر مائة ألف ولي وأربعة وعشرون ألف ولي ، على عدد الأنبياء وأكثر من ذلك ، رويناعن الخضر أنه قال : ما من يوم حدثت فيه نفسي ، أنه ما بقي ولي لله في الأرض إلا قد رأيته واجتمعت به ، فلابد لي أن أجتمع في ذلك اليوم مع ولي لله لم أكن عرفته قبل ذلك ، وروينا عنه أنه قال : اجتمعت بشخص يوماً لم أعرفه فقال لي : ياخضر سلام عليك ، فقلت له : من أين عرفتني ؟ فقال لي : إن الله عرفني بك ، فعلمت أن لله

عباداً يعرفون الخضر ولا يعرفهم الخضر . واعلم أن لله عباداً أخفياء أبرياء أصفياء أولياء ، بينهم وبين الناس حجب العوائد ، غامضين في الناس ، لا يظهر عليهم ما يميزهم عن الناس، وبهم يحفظ الله العالم وينصر عباده ، معروفون في السماء ، مجهولون في الأرض عند أبناء الجنس ، لهم المهناة في الدنيا والآخرة ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم النبيون والشهداء ، لا في الدنيا يعرفون ولا في الآخرة يشفعون ، انفردوا بالحق في سرائرهم ، وما كنت عرفت أن الله قد جعل في الوجود ولياً له على كل قدم نبي ، فإن الله تعالى لما جمع بيني وبين أنبيائه كلهم ، حتى ما بقي منهم نبي إلا رأيته في مجلس واحد ، لم أر معهم أحداً ممن هو على قدمهم ، ثم بعد ذلك رأيت جميع المؤمنين، وفيهم الذين هم على أقدام الأنبياء وغيرهم من الأولياء ، فلما لم يجمعهم مجلس واحد لذلك لم أعرفهم ، ثم عرفتهم بعد ذلك ونفعني الله برؤيتهم ، وكان شيخنا أبو العباس العريبي على قدم عيسى عليه السلام ، وكنا نقول قبل هذا : إن ثَمَّ أولياء على قلوب الأنبياء ، فقيل لنا : لا بل قل هم على أقدام الأنبياء لا تقل على قلوبهم ، فعلمت ما أراد بذلك لما أطلعني الله على ذلك ، رأيتهم على آثارهم يقفون ، ورأيت لهم معراجين ، المعراج الواحد يكونون فيه على قلوب الأنبياء ، ولكن من حيث هم الأنبياء أولياء ، النبوة التي لا شرع فيها ، والمعراج الثاني يكونون فيه على أقدام الأنبياء أصحاب الشرائع لا على قلوبهم ، إذ لو كانوا على قلوبهم لنالوا ما نالته الأنبياء من الأحكام المشروعة ، وليس ذلك لهم وإن وقع لهم التعريف الإلهي بذلك ، ويأخذون الشرع ـ من حيث أخذته الأنبياء ، ولكن من مشكاة أنوار الأنبياء ـ يقترن معه حكم الاتباع ، فما يخلص لهم ذلك من الله ولا من الروح القدسي ، وهذا كله لتتميز المراتب عند الله ، لنعرف ذلك فنعطي كل ذي حق حقه ، كما أعطى الله كل شيء خلقه ، وهذا كله من رحمة الله أفاضها على خلقه ، فرأيت جميع الرسل والأنبياء كلهم مشاهدة عين ، وكلمت منهم هوداً أخا عاد دون الجماعة ، ورأيت المؤمنين كلهم مشاهدة عين أيضاً ، من كان منهم ومن يكون إلى يوم القيامة ، أظهرهم الحق لي في صعيد واحد في زمانين مختلفين ، وصاحبت من الرسل وانتفعت به سوى محمد ﷺ جماعة ، منهم إبراهيم الخليل قرأت عليه القرآن ، وعيسى تبت على يديه ، وموسى أعطاني علم الكشف والإيضاح ، وعلم تقليب الليل والنهار ، فلما حصل عندي زال الليل وبقي النهار في اليوم كله ، فلم تغرب لي شمس

ولا طلعت ، فكان لي هذا الكشف إعلاماً من الله أنه لا حظ لي في الشقاء في الآخرة ، وهود عليه السلام سألته عن مسألة فعرفني بها ، فوقعت في الوجود كما عرفني بها ، هذا إلى زماني هؤلاء ، وعاشرت من الرسل محمداً ﷺ وإبراهيم وموسى وعيسى وهوداً وداود ، وما بقي فرؤية لا صحبة . (ديوان ١٤٣ ـ ف ج ٣ / ٢٠٨ ـ ج ٤ / ٧٧) .

فلست نبياً ولا مرسلاً وإني له وارث أحجب

وقال رضي الله عنه في الديوان / ٣٦٠

ورثت محمداً فورثت كلاً ولو غيراً ورثت ورثت جزءاً

حصلت على معارف مفردات ولم أر لي بعلم الله كفؤاً

وقائع الشيخ ومبشراته :

رؤية الشيخ للحق تعالى في المنام ، ورؤيته للرسول ﷺ وللملائكة ، وما استفاده من علوم ، وكذا رؤية الشيخ لمبشرات أخرى ـ راجع كتاب الخيال لنا .

نثبت هذه الفقرة من رؤية الشيخ لرسول الله ﷺ في المنام ـ يقول رضي الله عنه : لما شهدته ﷺ في ذلك العالم سيداً معصوم المقاصد ، محفوظ المشاهد ، منصوراً مؤيداً ، وجميع الرسل بين يديه مصطفون ، وأمته التي هي خير أمة عليه ملتفون ، وملائكة التسخير من حول عرش مقامه حافون . والملائكة المولدة من الأعمال بين يديه صافون . والصديق على يمينه الأنفس ، والفاروق على يساره الأقدس ، والختم بين يديه قد جثا ، يخبره بحديث الأنثى[1] ، وعليّ يترجم عن الختم بلسانه ، وذوالنورين مشتمل برداء حيائه ، مقبل على شأنه ، فالتفت السيد الأعلى ، والمورد العذب الأحلى ، والنور الأكشف الأجلى ، فرآني وراء الختم ، لاشتراك بيني وبينه في الحكم[2] ، فقال له السيد : هذا عديلك ، وابنك وخليلك ، انصب له منبر الطرفاء بين يدي ، ثم أشار إليّ . أن قم يا محمد عليه ، فأثن على من أرسلني وعليّ ، فإن **فيك شعرة مني ، لا صبر لها عني** ، هي السلطانة في ذاتيتك ، فلا ترجع إليّ إلا بكليتك ، ولابد لها من الرجوع إلى اللقاء ، فإنها ليست من عالم الشقاء . فما كان مني بعد بعثي شيء في شيء إلا سعد ، وكان ممن شكر في الملأ الأعلى وحمد .

(ف ج ١ / ٢).

(١ ، ٢) راجع كتابنا «الرد على ابن تيمية».

رؤية الشيخ أن الحق صورة كل شيء :

أنوار المولدات تعطي أن الحق صورة كل شيء في نفس الأمر ، فمَنْ علمه وكشفه بهذا النور كان من أهل الاختصاص ، فهو يرى الأشياء أعياناً بصورة حقية ، وقد ذقته ، والحمد لله على ذلك ، وهو ناتج عن فتوح المكاشفة ، فسبحان الظاهر الذي لا يخفى ، وسبحان الخفي الذي لا يظهر ، حجب الخلق به عن معرفته ، وأعماهم بشدة ظهوره ، فهم منكرون مقرون ، مترددون حائرون ، مصيبون مخطئون ، والحمد لله الذي مَنَّ علينا بمثل هذه المشاهد ، وجلا لأبصارنا هذه الحقائق ، فلم تقع لنا عين إلا عليه ، ولا كان منا استناد إلا إليه ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، ومن أراد أن يعرف حقيقة ما أومأت إليه في هذه المسألة ، فلينظر في خيال الستارة وصوره ، ومَنْ الناطق في تلك الصور عند الصبيان الصغار ، الذين بعدوا عن حجاب الستارة المضروبة بينهم وبين اللاعب بتلك الأشخاص والناطق فيها ، فالأمر كذلك في صور العالم ، والناس أكثرهم أولئك الصغار الذين فرضناهم ، فتعرف من أين أُتي عليهم ؟ فالصغار في ذلك المجلس يفرحون ويطربون ، والغافلون يتخذونه لهواً ولعباً ، والعلماء يعتبرون ويعلمون أن الله ما نصب هذا إلا مثلاً ، فأمر العالَم مع الله مثل هذه الصور مع محركها ، والستارة حجاب سر القدر المُحَكَّم في الخلائق ، وهذا لا يعلمه إلا من نوَّر الله بصيرته ، وهو مخصوص بمن حاله الخشية مع الأنفاس ، وهو مقام عزيز ، لأنه لا يكون إلا لمن يستصحبه التجلي دائماً - راجع علوم الشيخ . (ف ج ٢ / ٤٨٧ - ج ٣ / ٦٨ - ج ٢ /٤٨٧) .

إيراد الكبير على الصغير :

لما دخلت المنزل الذي وقع لي فيه التجلي ، في النور الذي لا شعاع له ، فرأيته علماً ، ورأيت نفسي ، ورأيت جميع الأشياء بنفسي ، وبما تحمله في ذوّاتها من الأنوار التي تعطيها حقائقهم ، لا من نور زائد على ذلك ، فرأيت مشهداً عظيماً حسيّاً لا عقلياً ، وصورة حقية لا معنى ، ظهر في هذا التجلي اتساع الصغير لدخول الكبير فيه ، مع بقاء الصغير على صغره والكبير على كبره ، كالجمل يلج في سَمِّ الخياط ، يُشاهَد ذلك حساً لا خيالاً ، وقد وسعه ولا تدري كيف ، ولا تنكر ما تراه ، فسبحان من تعالى عن إدراك ما تكيفه العقول ، وفَضَّل إدراك البصر عليها ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، فأظهر عجز العقول بهذا

التجلي ، الذي أظهر به قوة الأبصار وفضلها على العقول ، وأظهر في تجليه في النور الشعشعاني عجز الأبصار وقوة العقول ، وفضّلها على الأبصار ، ليتصف الكل بالعجز ، وينفرد الحق بالكمال الذاتي ، فمن عاين هذا المنزل ، يرى من العجائب والآيات ما لا يمكن أن يحويه غيره . (ف ج ٢ / ٦٣٣) .

عدم الكون في ظهور العين :

شقت الكاف غزالة السماء ، وذلك بعد صلاة العشاء ، وأنا في حال فناء ، وما نقص جرمها ، والكاف ما ربا جسمها ، فقلت : صدق من سقط على الخبير ، في إيراد الكبير على الصغير ، من غير أن يوسع الضيق أو يضيق الواسع ، وهذا المقام الذي هو للأضداد جامع ، نص عليه ذو النون فوافقته ، وإن لم أكن قبل هذا عقلته ، فشكرت الله على شهوده ، وما منحه العبد من العلم بوجوده ، فهو العين الطالعة في كاف الكون ، لذلك قلنا في أعيان الممكنات ، إنها مظاهر الأسماء الإلهيات ، ولثبوت الكاف في حال الطلوع قلنا بثبوت أعيان المحدثات ، فلولا التوجهات ، ما ظهرت الكائنات ، ما ألذها من مسألة عند من شهدها ووجدها . (ف ج ٤ / ٣٨٨) .

إقامة الحق للشيخ في صور الملائكة :

ما أقامني الحق في صورة حيوان غير إنسان ، كما أقامني في أوقات في صورة ملائكته ـ وفي ذلك يقول رضي الله عنه :

خلق الله تعالى من أنوار العرش ملائكة يحفون بالعرش ، وجعل فيها خلق من الملائكة أربع حملة ، تحمل العرش من الأربع القوائم الذي هو العرش عليها ، وكل قائمة مشتركة بين كل وجهين إلى حد كل نصف وجه ، وجعل أركانه متفاضلة في الرتبة ، فأنزلني في أفضلها ، وجعلني من جملة حملته ، فإن الله وإن خلق ملائكة يحملون العرش ، فإن له من الصنف الإنساني أيضاً صوراً تحمل العرش الذي هو مستوى الرحمن ، أنا منهم ، والقائمة التي هي أفضل قوائمه هي لنا ، وهي خزانة الرحمة ، فجعلني رحيماً مطلقاً مع علمي بالشدائد ، ولكن علمت أنه ما ثَمَّ شدة إلا وفيها رخاوة ، ولا عذاب إلا وفيه رحمة ، ولا قبض إلا وفيه بسط ، ولا ضيق إلا وفيه سعة ، فعلمت الأمرين ، والقائمة التي على يميني قائمة رحمة أيضاً ، لكن ما فيها علم شدة ، فينقص حاملها في الدرجة عن حامل

القائمة العظمى التي هي أعم القوائم ، والقائمة التي على يساري قائمة الشدة والقهر ، فحاملها لا يعلم غير ذلك ، والقائمة الرابعة التي تقابلني أفاضت عليها القائمة التي أنا فيها مما هي عليه ، فظهرت بصورتها ، فهي نور وظلمة وفيها رحمة وشدة .

(ف ج ١/ ٦٠٣ - ج ٣/ ٤٣١).

رؤية الشيخ للكنز الذي تحت العرش وهو آدم عليه السلام :

اعلم أن العرش قد جعل الله له قوائم نورانية ، لا أدري كم هي ؟ لكني أشهدتها ، ونورها يشبه نور البرق ، ومع هذا فرأيت له ظلاً ، فيه من الراحة ما لا يقدر قدرها ، وذلك الظل ظل مقعر هذا العرش ، يحجب نور المستوي الذي هو الرحمن ، ورأيت الكنز الذي تحت العرش ، الذي خرجت منه لفظة « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » ، فإذا الكنز آدم صلوات الله عليه ، ورأيت تحته كنوزاً كثيرة أعرفها ، ورأيت طيوراً حسنة تطير في زواياه ، فرأيت فيها طائراً من أحسن الطيور ، فسلّم علي ، فألقي لي فيه أن آخذه صحبتي إلى بلاد الشرق ، وكنت بمدينة مراكش حين كُشِفَ لي عن هذا كله ، فقلت : ومن هو ؟ قيل لي : محمد الحصار بمدينة فاس ، سأل الله الرحلة إلى بلاد الشرق فخذه معك ، فقلت : السمع والطاعة ، فقلت له وهو عين ذلك الطائر : تكون صحبتي إن شاء الله ، فلما جئت إلى مدينة فاس سألت عنه فجاءني ، فقلت له : هل سألت الله في حاجة ؟ فقال : نعم سألته أن يحملني إلى بلاد الشرق ، فقيل لي : إن فلاناً يحملك ، وأنا أنتظرك من ذلك الزمان ، فأخذته صحبتي سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وأوصلته إلى الديار المصرية ، ومات بها رحمه الله . (ف ج ٢ / ٤٣٦) .

تحصيل الشيخ لمقام القربة الذي بين الصديقية والنبوة عام ٥٩٧ هـ :

هذا المقام السني ، كلما زاد العبد فيه علماً ، زاد إيضاحاً وكشفاً واتساعاً وانشراحاً ، وتنزهاً في الوجوه التي سفرت من براقعها ، وظهرت من وراء ستورها وكللها ، فارتفع الضيق والحرج ، وشوهد الكمال في النقص ، ولما حصلت في هذا المقام السني ، قلت مشيراً ومنبهاً :

وإني لأهوى النقص من أجل مَنْ أهوى | لأن به كان الـكـــمال لمن يدري
ومـــا جاء بالـنقصـــان إلا مخافـــة | من العين مثل البدر في آخر الشهر
ومـا نقص البـدر الـذي تبصرونه | ولـكـنـــه بدر لمن غاص بالفكـــر
يراه تمامـــاً كامــلاً في ضيـــائـــه | على أكمل الحالات في البطن والظهر
فلو لم يكن في الكـون نقص محقق | لكان الوجود الحق ينقص في القدر
فبي كان للحق الــوجــود كمالـه | مع النقص فانظر ما تضمنه شعري
غزال من الفــردوس جاء منقَّبـــاً | من أجلي وما يخفى على الله ما يجري
فقلت له أهـلاً وسهـلاً ومـرحبـاً | بمن وحياة الحب قد ضمه صدري
أهـــيـم بها حبـــاً على كل حالـــة | حيـاة ومـوتـاً في القيـامـة والحشر
لقـد سَفَـرَت يوماً فلاحت محاسن | تخبر عنهـــا أنها ليـلة الــقـــدر
سجـــدت لها حبـــاً فلما رأيـتـهـنا | علمـت بأني ما تعـلقـت بالـغـيـر
فكـــبرت إجـــلالاً لكـوني هويتني | فسرّي الذي قد كان هيّمه جهري
وحـققت أني عين من قد هويتــه | فلم أخش من بينٍ ولم أخش من هجري
فبغـــداد داري لا أرى لي موطنـــاً | سواها فإن عزّت جنحت إلى مصري

هذا المقام دخلته في شهر محرم سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وأنا مسافر بمنزل أبحيسل ببلاد المغرب ، فتهت به فرحاً ، ولم أجد فيه أحداً ، فاستوحشت من الوحدة ، وتذكرت دخول أبي يزيد بالذلة والافتقار ، فلم يجد في ذلك المنزل من أحدٍ ، وذلك المنزل هو موطني ، فَلِمَ أستوحش فيه ؟ لأن الحنين إلى الأوطان ذاتي لكل موجود ، وإن الوحشة مع الغربة ، ولما دخلت هذا المقام وانفردت به ، وعلمت أنه إن ظهر علي فيه أحد أنكرني ، فبقيت اتتبع زواياه ومخادعه ، ولا أدري ما اسمه ؟ مع تحققي به وما خص الله به من آتاه إياه ، ورأيت أوامر الحق تترى عليّ ، وسفراءه تنزل إلي ، تبتغي مؤانستي وتطلب مجالستي ، فرحلت وأنا على تلك الحال من الاستيحاش بالانفراد ـ والأنس إنما يقع بالجنس ـ فلقيت رجلاً من الرجال بمنزل يسمى آنحال ، فصليت العصر في جامعه ، فجاء الأمير أبو يحيى بن واجتن ـ وكان صديقي ـ وفرح بي ، وسألني أن أنزل عنده ، فأبيت ونزلت عند كاتبه ، وكانت بيني وبينه مؤانسة ، فشكوت إليه ما أنا فيه من انفرادي بمقام أنا مسرور به ، فبينا

هو يؤانسني إذ لاح لي ظل شخص ، فنهضت من فراشي إليه عسى أجد عنده فرجاً ، فعانقني فتأملته ، فإذا به أبو عبد الرحمن السلمي[1] قد تجسدت لي روحه ، بعثه الله إليّ رحمة بي ، فقلت له : أراك في هذا المقام ، فقال : فيه قبضت وعليه مت ، فأنا فيه لا أبرح ، فذكرت له وحشتي فيه وعدم الأنيس ، فقال : الغريب مستوحش ، وبعد أن سبقت لك العناية الإلهية بالحصول في هذا المقام فاحمد الله ، ولمن يا أخي يحصل هذا ؟ ألا ترضى أن يكون الخضر صاحبك في هذا المقام !! وقد أنكر عليه موسى حاله مع ما شهد الله عنده بعدالته ، ومع هذا أنكر عليه ما جرى منه ، وما أراه سوى صورته ، فحاله رأى وعلى نفسه أنكر ، وأوقعه في ذلك سلطان الغيرة التي خص الله بها رسله ، ولو صبر لرأى ، فإنه كان قد أعد له ألف مسألة ، كلها جرت لموسى وكلها ينكرها على الخضر ، فقلت له : يا أبا عبد الرحمن لا أعرف لهذا المقام اسماً أميزه به ، فقال لي : هذا يسمى مقام القربة فتحقق به ، فتحققت به فإذا به مقام عظيم . (ف ج ٢ / ٢٦٠) .

تحصيل مقام الذلة والافتقار وهو أعلى مقامات القرب :

ما فرحت بشيء قط - مما وهبنيه الحق من المنح التي تقبلها الأكوان - فرحي بهذا المقام ، إذ حلاني به ربي ، وهو أعلى المقامات وأسناها ، وهو مقام كل ما سوى الله ، ولا يشعر به ، وليست العناية من الله ببعض عباده إلا أن يُشهده هذا المقام من نفسه ، فما يزيد على العالم كله إلا بالعلم به حالاً وذوقاً ، ولا يجني أحد ثمرة الإيثار مثل ما يجنيها صاحب هذا المقام ، فإن ثمرة الإيثار على قدر من تؤثره على نفسك ، والذي تؤثره على نفسك هنا إنما هو الحق . (ف ج ٤ / ٤١) .

---

(١) إثنان كلاهما أبو عبد الرحمن السلمي ، الأول هو مقرئ الكوفة وعالمها ، عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي ، قرأ على عثمان وعلي وابن مسعود وسمع منهم ومن عمر ، وتصدر للإقراء في خلافة عثمان إلى أن مات في سنة ثلاث وسبعين أو بعدها ، في إمرة بشر بن مروان على العراق - تذكرة الحافظ الذهبي . والثاني وأظنه المقصود هنا ، هو محمد بن الحسين بن موسى السلمي المتوفى سنة ٤١٢ هـ ، وله مصنفات كثيرة في التصوف ، منها طبقات الأولياء ، ومناهج العارفين ، وجوامع آداب الصوفية ، وغيرها (راجع ص ٣٠ عن إجازة عبد الرحمن السلمي للشيخ) .

اجتماع الشيخ بالأرواح المفارقة لأجسادها بعد الموت :

عملت أبياتاً في تجسد الأرواح المفارقة لاجتماع أجسامها في الحياة الدنيا ، المسمى موتاً ، وكنا رأينا منهم جماعة متجسدين ، من الأنبياء والملائكة والصالحين من الصحابة وغيرهم ، وهم يتجسدون في صور المعاني المتجسدة في صور المحسوسات .

فمنهم من تجسد لي بأرض ومنهم من تجسد في الهواء
ومنهم من تجسد حيث كنا ومنهم من تجسد في السماء
فيخبرنا ونخبره بعلم ولكن لا نكون على السواء
فإني ثابت في كل عين وهم لا يقدرون على البقاء
فهم يتصورن بكل شكل كلون الماء من لون الإناء

(ف ح ١/٧٥٥).

ومن ذلك اجتماع الشيخ بأحمد السبتي ابن أمير المؤمنين هارون الرشيد :

كان يصوم ستة أيام من كل جمعة ويشتغل بالعبادة فيها ، فإذا كان يوم السبت احترف فيها بأكله بقية الأسبوع ، وبهذا سمي السبتي .

كنت يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة بمكة ، قد دخلت الطواف ، فرأيت رجلاً حسن الهيئة ، له هيبة ووقار ، وهو يطوف بالبيت أمامي ، فصرفت نظري إليه عسى أعرفه ، فما عرفته في المجاورين ، ولم أر عليه علامة قادم من سفر ، لما كان عليه من الغضاضة والنضارة ، فرأيته يمر بين الرجلين المتلاصقين في الطواف ، ويعبر بينهما ولا يفصل بينهما ، ولا يشعران به ، فجعلت أتتبع بأقدامي مواضع وطآت أقدامه ، ما يرفع قدماً إلا وضعت قدمي في موضع قدمه ، وذهني إليه وبصري معه لئلا يفوتني ، فكنت أمر بالرجلين المتلاصقين اللذين يمر هو بينهما ، فأجوزهما في أثره كما يجوزهما ، ولا أفصل بينهما ، فتعجبت من ذلك ، فلما أكمل أسبوعه وأراد الخروج مسكته ، وسلمت عليه ، فرد عليّ السلام وتبسم لي ، وأنا لا أصرف نظري عنه مخافة أن يفوتني ، فإني ما شككت فيه أنه روح تجسد ، وعلمت أن البصر يقيده ، فقلت له : إني أعلم أنك روح متجسد ، فقال لي : صدقت ، فقلت له : فمن أنت يرحمك الله ؟ فقال : أنا السبتي بن هارون الرشيد ، فقلت

له : أريد أن أسألك عن حال كنت عليه في أيام حياتك في الدنيا ، قال : قل ، قلت : بلغني أنك ما سميت السبتي إلا لكونك كنت تحترف كل سبت بقدر ما تأكله في بقية الأسبوع ، فقال : الذي بلغك صحيح ، كذلك كان الأمر ، قلت له : فلم خصصت يوم السبت دون غيره من الأيام أيام الأسبوع ؟ فقال : نِعْمَ ما سألت ، ثم قال لي : بلغني أن الله ابتدأ خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة ، فلما كان يوم السبت استلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى وقال : أنا الملك ، هذا بلغني في الأخبار وأنا في الحياة الدنيا ، فقلت : والله لأعملن على هذا ، فتفرغت لعبادة الله من يوم الأحد إلى آخر الستة الأيام ، لا أشتغل بشيء إلا بعبادته تعالى ، وأقول إنه تعالى كما اعتنى بنا في الأيام الستة ، فإني أتفرغ لعبادته فيها ولا أمزجها بشغل نفسي ، فإذا كان يوم السبت أتفرغ لنفسي وأتحصل لها ما يقوتها في باقي الأسبوع ، كما روينا من إلقاء إحدى رجليه على الأخرى وقوله أنا الملك ـ الحديث ـ ولهذا سمي يوم السبت ، والسبت الراحة ، ولهذا أخبر تعالى أنه ما مسه من لغوب فيما خلقه ، واللغوب الإعياء فهي راحة لا عن إعياء كما هي في حقنا ، وفتح الله لي في ذلك ، وسألته : من كان قطب الزمان في وقتك ؟ فقال : أنا ولا فخر ، فقلت له : كذلك وقع لي التعريف ، قال : صدقك من عرّفك ، فتعجبت من فطنته وقصده ، ثم قال لي : عن أمرك ـ يريد المفارقة ـ قلت له : ذلك إليك ، فسلم عليّ سلام محب وانصرف ، وكان بعض أصحابي والجماعة في انتظاري ، لكونهم كانوا يشتغلون عليّ بإحياء علوم الدين للغزالي رحمه الله ، فلما فرغت من ركعتي الطواف ، وجئت إليهم في المكان الذي أقعد فيه للناس ، قال لي رجل من أصحابي من المجاورين يقال له نبيل بن خزر بن خزرون السبتي من أهل سبتة ، رأيناك تكلم رجلاً غريباً حسن الوجه وسيماً ، لا نعرفه في المجاورين بمكة ، يكلمك ويحادثك في الطواف ، مَنْ كان ؟ ومِنْ أين جاء ؟ ومتى جاء ؟ فسكت ولم أخبرهم بشيء من شأنه ، إلا بعض إخواني فإني أخبرتهم بقصته فتعجبوا لذلك . (ف ج ١ / ٦٣٨ ـ ج ٤ / ١١) .

وقد رأينا في الوقائع ممن تقدم جماعة غير قائلين بأمر ما ، فلما سمعوه منا قبلوه ولم ينكروه ، لارتفاع التهمة عنهم في أشكالهم وأمثالهم (راجع كتاب التجليات للشيخ رضي الله عنه) . (ف ج ٣ / ٣١٦) .

إطلاع الشيخ على شيء من كنز الكعبة :

أما عن كنز الكعبة ، فإنه سيق لي منه لوح من ذهب ، جيء به إليّ وأنا بتونس سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، فيه شق غلظه إصبع ، عرضه شبر وطوله شبر أو أزيد ، مكتوب فيه بقلم لا أعرفه ، وذلك لسبب طرأ بيني وبين الله ، فسألت الله أن يرده إلى موضعه ، أدباً مع رسول الله ﷺ ولو أخرجته إلى الناس لثارت فتنة عمياء ، فتركته أيضاً لهذه المصلحة ، فإنه ﷺ ما تركه سدى ، وإنما تركه ليخرجه القائم بأمر الله في آخر الزمان ، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً . (ف ج ١ / ٦٦٧) .

رؤية الشيخ للكتابة الإلهية :

وقد رأينا الكتابة الإلهية وهي كالجنة في عرض الحائط ، وكصورة السماء في المرآة . (ف ج ٢ / ١٤٨) .

اتفق لامرأة في زماننا أنها رأت في المنام كأن القيامة قد قامت ، وأعطاها الله ورقة شجرة فيها مكتوب عتقها من النار ، فمسكتها في يدها ، واتفق أنها استيقظت من نومها والورقة قد انقبضت عليها يدها ، ولا تقدر على فتح يدها وتحس بالورقة في كفها ، واشتد قبض يدها عليها بحيث أنه كان يؤلمها ، فاجتمع الناس عليها وطمعوا أن يقدروا على فتح يدها ، فما استطاع أحد على فتح يدها من أشد ما يمكن من الرجال ، فسألوا عن ذلك أهل طريقنا ، فما منهم من عرف سر ذلك ، وأما علماء الرسوم من الفقهاء فلا علم لهم بذلك ، وأما الأطباء فجعلوا ذلك لخلط قوي ، انصب إلى ذلك العضو فأثر فيه ما أثر ، فقال بعض الناس : لو سألنا فلاناً ، يريدون إياي بذلك ، ربما وجدنا عنده علماً بذلك ، فجاؤوني بالمرأة ـ وكانت عجوزاً ـ ويدها مقبوضة قبضاً يؤلمها ، فسألتها عن رؤياها ، فأخبرتني كما أخبرت الناس ، فعرفت السبب الموجب لقبض يدها عليها ، فجئت إلى أذنها وساررتها فقلت لها : قربي يدك من فمك وانو مع الله أنك تبتلعين تلك الورقة التي تحسين بها في كفك ، فإنك إذا نويت ذلك ، وعلم الله صدقك في ذلك ، فإن يدك تنفتح ، فقربت المرأة يدها من فيها ، وألزقته وفتحت فاها ، ونوت مع الله ابتلاع الورقة ، فانفتحت يدها وحصلت الورقة في فمها ، فابتلعتها وانفتحت يدها ، فتعجب الحاضرون من ذلك ، فسألوني عن علم ذلك ، فقلت لهم : إن مالك بن أنس إمام دار الهجرة ، اتفق في زمانه وهو ابن ثلاث عشرة سنة ،

وكان يقرأ الفقه على شيوخه ، وكان ذا فطنة وذكاء ، فاتفق في ذلك الزمان أن امرأة غسلت ميتة ، فلما وصلت إلى فرجها ضربت بيدها على فرج الميتة ، وقالت : يا فَرْجُ ما كان أزناك ، فالتصقت يدها بالفرج والتحمت به ، فما استطاع أحد على إزالة يدها ، فسئل فقهاء المدينة : ما الحكم في ذلك ؟ فمن قائل بقطع يدها ، ومن قائل يقطع من بدن الميتة قدر ما مسكت عليه اليد ، وطال النزاع في ذلك بين الفقهاء ، أي حرمة أوجب علينا ؟ حرمة الميت فلا نقطع منه شيئاً ، أو حرمة الحي فلا يقطع ، فقال لهم مالك : أرى أن الحكم في ذلك أن تجلد الغاسلة حد الفرية ، فإن كانت افترت فإن يدها تنطلق ، فجلدت الغاسلة حد الفرية فانطلقت يدها ، فتعجب الفقهاء من ذلك ، ونظروا مالكاً من ذلك الوقت بعيّن التعظيم ، وألحقوه بالشيوخ ، كما كان عمر بن الخطاب يلحق عبد الله بن عباس بأهل بدر في التعظيم ، لعظم قدره في العلم ، ولما علمت أنا ـ بما ألقى الله في نفسي ـ أن الله غار على تلك الورقة ألا يطلع عليها أحد من خلق الله ، وأن ذلك سر خص الله به تلك المرأة ، قلت لها ما قلت ، فانفتحت يدها وابتلعت تلك الورقة .

(ف ج ٣/ ٦٠، المسامرات ج ١).

جواب الحق لأهل المجالس والحديث :

إن جواب الحق لأهـل المجالس والحديث ذقناه في المجالسة حديثاً معنوياً في غاية الإفهام ، معرّى عن الاحتمال والإجمال ، بل هو تفصيل محقق في عين واحدة ، وهو الذي يعوَّل عليه . (ف ج ٢ / ٤٨) .

سماع الشيخ لكلام الحق :

المشاهـدة والكـلام لا يجتمعان في غير التجلي البرزخي ، فإذا كلّم الحق العبد لم يُشْهِدْه ، وهذا المقام الموسوي ذقته في الموضع الذي ذاقه موسى عليه السلام ، غير أني ذقته في بلة في الرمل على قدر الكف ، وذاقه موسى عليه السلام في حاجته وهي طلبه النار لأهله ، ففرحت حيث كان ه . (ف ج١ / ٦٠٩) .

إني سمعت كلام الله من أذني   من بلة قدر كفي ما بها باس

(ديوان / ٤٤٠) وقال في الديوان / ٤١٠

إذا النور من فارا ومن طور سيناء	أتـي عاد ناراً للكـلـيـم كما شاء
فكـلمـه منـه وكـان لحاجـة	رآهـا به فاسترسـل الحـال أشياء
وأنشأ رب الوقت من حال مَنْ سعى	على أهله من خالص الصدق إنشاء
وأمـا أنـا من أجـل أحمد لم أر	سوى بلة من قدر راحـتـنـا ماء
فلم يك ذاك القـول إلا ببقعـة	من الـواد سماهـا لنـا طور سينـاء
وأسمعني منهـا كلامـاً مقـدَسـاً	صريحـاً فصَـحُ القـول لم يك إيماء

من أحوال الشيخ في مكة :

اعتمار الشيخ عن أبيه آدم عليه السلام : إن نسب آدم عليه السلام يعطي سعادة ، ولقد رأيت ذلك ذوقاً بمكة ، في عمرة اعتمرتها عن أبينا آدم عليه السلام ، فظهر لي ذلك في مبشرة ، رآها بعض الناس لنا وللجماعة التي أمرتهم في تلك الليلة بالاعتمار معي عن أبينـا آدم ، رأى فيهـا من التقـريب الإلهي وفتح أبواب السماء ، وعروج تلك الجماعة ، وتلقاهم الملأ الأعلى بالتأهيل والسهل والترحيب ، إلى أن بهت وذهل مما رأى ، فإن رحم آدم منا رحم مقطوعة ، عند أكثر الناس من أهل الله ، فكيف حال العامة في ذلك ؟ ولقد وصلتها بحمد الله ووصلت بسببي ، وجُرِيَ فيها على سنني ، وكان عن توفيق إلهي لم أر لأحد في ذلك قدماً أمشي على أثره فيها ، فحمدت الله على الإنعام ، وما اهتديت إلى ذلك إلا بالنسب الإلهي ، فإنـه أبعـد منـاسبة وقد نفع ، وهو قوله تعالى في الحديث القدسي « وأرفع نسبي » وقد ذكر تعالى ـ وما تفطن الناس لقول الله تعالى في غير موضع ـ يا بني آدم يا بني آدم ، يُذَكِّر ولا أحد ينتبه لهذه الأبوة والبنوة ، ولا يتذكر إلا أولو الألباب ، جعلنا الله وإياكم ممن بَرَّ أباه . (ف ج ٤ / ٦٩) .

تحصيل الشيخ لأسرار إلهية في العمرة :

العمرة :ـ الزيارة ، وهي زيارات أهل السعادة لله تعالى ، هنا بالقلوب والأعمال ، وفي الـدار الأخرة بالذوات والأعيان ، وبين الزيارتين أي العمرتين ، حجب موانع بين الزائرين وبين أهليهم من أهل الجنان ، وفي حالة الدنيا بين المعتمرين وبين غيرهم ، فلا يدرك ما حصلوه في تلك الزيارة من الأسرار الإلهية والأنوار ، ما لو تجلى بشيء منها لأبصار من ليس لهم هذا المقام ، لأحرقهم وذهب بوجودهم ، فكان ذلك الستر رحمة بهم ، وقد

عاينا ذلك في المعارف الإلهية مشاهدة حين زرناه بالقلوب والأعمال بمكة ، التي لا تصح العمرة إلا بها . (ف ج ١ / ٧٣٣) .

صحة خبر زمزم :

خرّج الدار قطني من حديث جابر ، أن النبي ﷺ قال : ماء زمزم لما شرب له ، وهذا الخبر صح عندي بالذوق ، فإني شربته لأمر فحصل لي . (ف ج ١ / ٧٥٨) .

حال الشيخ مع الكعبة :

ولقد نظرت يوماً إلى الكعبة وهي تسألني الطواف بها ، وزمزم يسألني التضلع من مائه ، رغبة في الاتصال بالمؤمن ، سؤال نطق مسموع بالأذن ، فخفنا من الحجاب بهما - لعظيم مكانتهما من الحق - عما نحن عليه في أحوالنا ، من القرب الإلهي الذي يليق بذلك الموطن في معرفتنا ، فأنشدتهما مخاطباً ومعرفاً بما هو الأمر عليه ، مترجماً عن المؤمن الكامل :

يا كعبة الله ويا زمزمه ... كم تسألاني الوصل صه ثم مه
إن كان وصلي بكما واقعاً ... فرحمة لا رغبة فيكمه
ما كعبة الله سوى ذاتنا ... ذات ستارات التقى المعلمة
ما وسع الحق سماء ولا ... أرض ولا كلم من كلمه
ولاح للقلب فقال اصطبر ... فإنه قبلتنا المحكمة
منكم إلينا وإلى قلبكم ... منا فيا بيّتي ما أعظمه
فرض على كعبتنا حبكم ... وحبنا فرضٌ عليكم ومه
ما عظّم البيت على غيره ... سواك ياعبدي بأن تلزمه
قد نوّر الكعبة تطوافكم ... بها وأبيات الورى مظلمة
ما أصبر البيت على شركهم ... لولاكمُ كان لهم مشأمة
لكنكم فيّ تواصيتمو ... بالصبر تحقيقاً وبالمرحمة
ما أعشق القلب بذاتي وما ... أشده حباً وما أعلمه

وكانت بيني وبين الكعبة في زمان مجاورتي ، مراسلات وتوسلات ومعاتبة دائمة ، وقد ذكرت بعض ما كان بيني وبينها من المخاطبات في جزء سميناه «تاج الرسائل ومنهاج الوسائل» ، يحتوي فيها أظن على سبع رسائل أو ثماني ، من أجل السبعة الأشواط ، لكل

شوط رسالة مني إلى الصفة الإلهية التي تجلت لي في ذلك الشوط ، ولكن ما عملت تلك الرسائل ولا خاطبتها بها إلا لسبب حادث ، وذلك أني كنت أفضل عليها نشأتي ، وأجعل مكانتها في مجلى الحقائق دون مكانتي ، وأذكرها من حيث ما هي نشأة جمادية في أول درجة من المولدات ، وأُعرض عما خصها الله به من علو الدرجات ، وذلك لأرقي همتها ، ولا تحجب بطواف الرسل والأكابر بذاتها وتقبيل حجرها ، فإني على بينة من ترقي العالم علوه وسفله مع الأنفاس ، لاستحالة ثبوت الأعيان على حالة واحدة ، فإن الأصل الذي يرجع إليه جميع الموجودات وهو الله ، وصف نفسه أنه كل يوم هو في شأن ، فمن المحال أن يبقى شيء في العالم على حالة واحدة زمانين ، فتختلف الأحوال عليه لاختلاف التجليات بالشؤون الإلهية ، وكان ذلك مني في حقها لغلبة حال غلب علي ، فلا شك أن الحق أراد أن ينبهني على ما أنا فيه من سكر الحال ، فأقامني من مضجعي في ليلة باردة مقمرة ، فيها رش مطر ، فتوضأت وخرجت إلى الطواف بانزعاج شديد ، وليس في الطواف أحد سوى شخص واحد فيما أظن ، فلما نزلت قبلت الحجر وشرعت في الطواف ، فلما كنت في مقابلة الميزاب من وراء الحجر . نظرت إلى الكعبة ، فرأيتها فيما تخيل لي قد شمرت أذيالها واستعدت مرتفعة عن قواعدها ، وفي نفسها إذا وصلت بالطواف إلى الركن الشامي أن تدفعني بنفسها ، وترمي بي عن الطواف بها ، وهي تتوعدني بكلام أسمعه بأذني ، فجزعت جزعاً شديداً ، وأظهر الله لي منها حرجاً وغيظاً ، بحيث لم أقدر على أن أبرح من موضعي ذلك ، وتسترت بالحجر ليقع الضرب منها عليه ، جعلته كالمجن الحائل بيني وبينها ، وأسمعها والله وهي تقول لي : تقدم حتى ترى ما أصنع بك ، كم تضع من قدري وترفع من قدر بني آدم ، وتفضل العارفين عليّ ، وعزّة من له العزة لا تركتك تطوف بي ، فرجعت مع نفسي وعلمت أن الله يريد تأديبي ، فشكرت الله على ذلك ، وزال جزعي الذي كنت أجده ، وهي والله فيما يخيل لي قد ارتفعت عن الأرض بقواعدها مشمرة الأذيال ، كما يتشمر الإنسان إذا أراد أن يثب من مكانه يجمع عليه ثيابه ، هكذا خيلت لي ، قد جمعت ستورها عليها لتثب علي ، وهي في صورة جارية لم أر صورة أحسن منها ، ولا يتخيل أحسن منها ، فارتجلت أبياتاً في الحال أخاطبها بها ، وأستنزلها عن ذلك الحرج الذي عاينته منها ، فما زلت أثني عليها في تلك الأبيات ، وهي تتسع وتنزل بقواعدها على مكانها وتظهر السرور

بها أسمعها ، إلى أن عادت إلى حالها كما كانت ، وأمنتني وأشارت إلى بالطواف ، فرميت بنفسي على المستجار ، وما فيّ مفصل إلا وهو يضطرب من قوة الحال إلى أن سرّي عني ، وصالحتها وأودعتها شهادة التوحيد عند تقبيل الحجر ، فخرجت الشهادة عند تلفظي بها - وأنا أنظر إليها بعيني - في صورة سلك ، وانفتح في الحجر الأسود مثل الطاق ، حتى نظرت إلى قعر طول الحجر ، فرأيته نحو ذراع ، فسألت عنه بعد ذلك من رآه من المجاورين ، حين احترق البيت فعمل بالفضة وأصلح شأنه ، فقال لي : رأيته كما ذكرت في طول الذراع ، ورأيت الشهادة قد صارت مثل الكبة واستقرت في قعر الحجر ، وانطبق الحجر عليها وانسد ذلك الطاق وأنا أنظر اليه ، فقال لي : هذه أمانة عندي أرفعها لك إلى يوم القيامة ، أشهد لك بها عند الله ، هذا قول الحجر لي وأنا أسمع ، فشكرت الله تعالى ، ثم شكرتها على ذلك ، ومن ذلك الوقت وقع الصلح بيني وبينها ، وخاطبتها بتلك الرسائل السبعة فزادت بي فرحاً وابتهاجاً ، حتى جاءتني منها بشرى على لسان رجل صالح من أهل الكشف ، ما عنده خبر بما كان بيني وبينها مما ذكرته ، فقال لي : رأيت البارحة فيما يرى النائم هذه الكعبة وهي تقول لي : ياعبد الواحد ، سبحان الله ما في هذا الحرم من يطوف بي إلا فلان - وسمتك لي باسمك - ما أدري أين مضى الناس ؟ ثم أقمت لي في النوم وأنت طائف بها وحدك ، لم أر معك في الطواف أحداً ، قال الرائي فقالت لي : انظر إليه هل ترى بي طائفاً آخر ، لا والله ولا أراه أنا ، فشكرت الله على هذه البشرى من مثل ذلك الرجل ، وتذكرت قول رسول الله ﷺ في الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم ، أو ترى له ، وأما الأبيات التي استنزلت بها الكعبة فهي هذه :

بالمستجار استجار قلبي ... لما اتاه سهم الأعادي
يا رحمة الله للعباد ... أودعك الله في الجهاد
يا بيت ربي يانور قلبي ... يا قرة العين يا فؤادي
يا سر قلب الوجود حقاً ... يا حرمتي يا صفا ودادي
يا قبلة أقبلت إليها ... من كل ربع وكل وادي
ومن بقاء فمن سماء ... ومن فناء فمن مهاد
يا كعبة الله ياحياتي ... يا منهج السعد يا رشادي

أودعــك الله كل أمــن	من فزع الهــول في المعــاد
فيــك المقـام الكـريم يزهو	فيــك السعــادات للعبـاد
فيــك اليمـين التي كستهـا	خطيئــتي جدة الــســواد
ملتــزم فيــك من يلازم	هواه يسعــد يوم التنــاد
ماتت نفـوس شوقـاً إليهـا	من ألم الشـوق والبعــاد
من حزن ما نالهــا عليـهم	قد لبــســت حلة الحـداد
لله نور على ذراهــا	من نوره للفــؤاد بادي
ومــا يراه سوى حزيــن	قد كحــل العين بالسهـاد
يطوف سبعاً في إثـر سبع	من أول الليــل للمنــادي
بعــبرة ما لها انــقــطاع	رهـين وجـد حِلْف اجتهاد
سمـعـتــه قال مستـغيثـاً	من جانب الحِجْر آه فؤادي
قد انـقـضى ليلنــا حثيثـاً	وما انقضى في الهوى مرادي

ويقول رضي الله عنه ، كنت ليلة في الطواف ، فطلبت قلبي فلم أجده ، فجهدت أن أجده ، فصعب عليّ الطواف بجسمي بقلب غير حاضر ، وداخلني الخوف ، فنزلت أطوف في الرمل وحدي وأقول وأبكي :

جسم يطوف وقلب ليس بالطائف	ذات تصــد وذات ما لها صارف
هيهات هيهات ما اسم الزور يعجبني	قلبي له من خفـايـا فكـره خائف

ثم وجدت لمحة برقت، فدنوت من البيت وأنا أقول: أطوف طوافي بالمعاني :

فهتف لي هاتف خلف الستر فقال:	فغــايتـك الـوصول إلى الغــواني
فقلت : فكم من طائف ما نال إلا؟	فقـال : عيـانـاً في عيان من عيان
فقلت : فأنبئني بحظي منه واصدق	فقـال : كيـانـاً في كيـان من كيان
فقلت : فقد أودعته التوحيد عقداً	وكــان يمــيــنــه بدل الجنــان
فقال: ورب الراقصات بقاع سلعٍ	ورب مثـالــثٍ تـتـلـو المـثـاني
لقــد عايــنتــه كالـسـلك فيــه	فأبشر بالــقــبــول وبـالأمــاني

(ف ج١ / ٧٠٠) .

طيب كل شيء :

النَّفَس الطيِّبُ لا يكون إلا من الاسم الطيب ، وما ثَمَّ اسم أطيب للكون من الرحمن ، فإنه مبالغة في الرحمة العامة التي تعم الكون أجمعه ، فمن حصل له الطيب في كل شيء - وإن أدركه من أدركه خبيثاً بالطبع - فإنه بالنعت الإلهي طيب ، وقد ذقنا ذلك بمكة ،

فهو وارث على الحقيقة من قوله ﷺ حببً إليّ من دنياكم الطيب ، فقد كنت عند موسى بن محمد القباب بالمنارة بحرم مكة بباب حزورة ، وكان يؤذن بها ، وكان له طعام يتأذى برائحته كل من شمه ، وسمعت في الخبر النبوي أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ، ونهى أن تقرب المساجد برائحة الثوم والبصل والكراث ، فبت وأنا عازم أن أقول لذلك الرجل أن يزيل ذلك الطعام من المسجد لأجل الملائكة ، فرأيت الحق تعالى في النوم ، فقال لي عز وجل : لا تقل له عن الطعام ، فإن رائحته عندنا ما هي مثل ما هي عندكم ، فلما أصبح جاء على عادته إلينا ، فأخبرته بما جرى فبكى وسجد لله شكراً ، ثم قال لي : ياسيدي ومع هذا فالأدب مع الشرع أولى ، فأزاله من المسجد رحمه الله ، وذلك مثل ما جاء في الحديث ، أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك ، ولا أدري هل أعطى الله أحداً إدراك تساوي الروائح ، بحيث أن لا يكون عنده خبث رائحة أم لا ؟ هذا ما ذقناه من أنفسنا ، ولا نقل إلينا أن أحداً ادرك ذلك ، بل المنقول عن الكمل من الناس وعن الملائكة التأذي بهذه الروائح الخبيثة ، وما انفرد بإدراك ذلك طيباً إلا الحق ، هذا هو المنقول، ولا أدري أيضاً شأن الحيوان من غير الإنسان في ذلك ما هو؟ لأني ما أقامني الحق في صورة حيوان غير إنسان، كما أقامني في أوقات في صورة ملائكة .
(ف ح ٣/ ٥٠٥ - ج ١/ ٦٠٣) .

فإن قيل : هل يتصور أن يكون في العالم مزاج لا يجد إلا الطيب من كل شيء، لا يعرف الخبيث أم لا؟ قلنا : هذا لا يكون، فإنا ما وجدناه في الأصل الذي ظهر العالم عنه وهو الحق، فوجدناه يكره ويحب، وليس الخبيث إلا ما يُكرَه، ولا الطيب إلا ما يُحَبُّ، والعالم على صورة الحق، والإنسان على الصورتين، فلا يكون ثمَّة مزاج لا يدرك إلا الأمر الواحد من كل شيء . (فصوص الحكم / الفص المحمدي) .

الجهاد عند الشيخ :

يقول رضي الله عنه في الديوان / ١٨٢ :

ألا إنـــي مولى لمن أنــا عبـده ... فأنصره عن أمـره وأنــاضــل
وإنّ سهـامــي لا تطيش وإنها ... تصيب إذا التفَت عليّ القبـائـل
أقـاتـلهم بالسيف والحجـة التي ... بها يدمـغ القـرن الكميّ المنازل

ويقول في كتاب الأعلاق / ١٩٤ :

وإذا فل سيفـي لم تفـل عزائمي ... فلي عزمـات شاحـذات صوارمي
وإلا فسـل عنـا القنا هل وفَت لنا ... وأسيـافنـا يومـاً بقـدر عزائمي
لنــا الجــود إذ كنـا سلالـة حاتم ... ومــا زال مذ قُلِّدْتُــه في تمائـمـي

ويقول في الديوان / ٤٧ :

لنــا همة إن الـثـريـا لدونها ... نعم ولنــا فوق السماكين منـزل
تقـدمت سبقـاً في المكـارم والعلا ... وفي كل ما ينكي العــدا أنـا أول
ولم ألف صمصـامـاً بقدر عزائمي ... ولـو جمعوا الأسياف عزمي أفضل
كذلك جودي لا يفي الغيث والثرى ... إذا كان أمـــوالاً به حين أبــذل
إذا التحم الجمعان في حومة الوغى ... وكــانت نزال ما عليهــا معــول
نصبت حسـامـاً للردى في فرنـده ... شعــاع له بين الفـريقـين فيصـل
له عزمــة لا تبـتـغي غير كبشهم ... فليس له عن قمــة الهـام معـدل
حملت به لا أرهب الموت والردى ... ولا أبتغي حمداً له النفس تعمــل
ولكن ليعلو الدين عزاً وشرعنا ... إلى موضع عنه الطواغيت تسفل
أنـا العربي ـ الحاتميُّ ـ أخو الندى ... لنـا في العـلا المجد القديم المؤثل
وكلا فمجدي ليس يُعزى إلى العلا ... ألا كيف يسمـو والعلا منه أسفل

ويقول رضي الله عنه في الديوان / ٨٢ :

أنــا الإمــام الــذي ضم المــواكــب
كمــثــل بدر بدا بين الـكــواكــب
أرمــي الـكـتــائــب بي على الـكــتــائــب

حتى أخذت بثاري وقمت أحمي ذماري
أنا من نسل طيّء السادة الكبار

ذوق الشيخ في المحبة الإلهية :

لقد أعطانا الله من المحبة الحظ الوافر إلا أنه قوانا عليه ، والله إني لأجد من الحب ما لو وضع في ظني على السماء لانفطرت ، وعلى النجوم لانكدرت ، وعلى الجبال لسيرت ، هذا ذوقي لها ، لكن قواني الحق فيها قوة من ورثته ، وهو رأس المحبين ، أني رأيت فيها في نفسي من العجائب ما لا يبلغه وصف واصف ، والحب على قدر التجلي ، والتجلي على قدر المعرفة ، ومنا طائفة نظرت إلى المثال الذي في خيالها من ذلك الموجود . الذي يظهر محبوبه فيه ، ويعاين وجود محبوبه ، وهو الاتصال به في خياله ، فيشاهده متصلاً به اتصال لطف ، ألطف منه في عينه في الوجود الخارج ، فإنها في خياله ألطف منها في عينها وأجمل ، وهذا ألطف المحبة ، وصاحب هذا النعت لا يزال منعماً لا يشكو الفراق ، ولنا في هذا النعت اليد الطولى بين المحبين ، وألطف ما في الحب ما وجدته ، وهو أن تجد عشقاً مفرطاً ، وهوى وشوقاً مقلقاً ، وغراماً ونحولاً ، وامتناع نوم ولذة بطعام ، ولا يدري فيمن ؟ ولا بمن ؟ ولا يتعين لك محبوبك ، وهذا ألطف ما وجدته ذوقاً .

(ف ج ٣ / ٣٤٦ ـ ج ٢ / ٣٣٧) .

ولما ذقنا هذا المقام قلنا فيه :

علقت بمن أهواه عشرين حجة ولم أدر من أهوى ولم أعرف الصبرا

ولنا أيضاً في هذا المعنى ذوقاً ، فإنا لا نعبر إلا عما ذقناه .

علقت بمن أهواه من حيث لا أدري ولا أدري من هذا الذي قال لا أدري
فقد حرت في حالي وحارت خواطري وقد حارت الحيرات فيّ وفي أمري
فبينا أنا من بعد عشرين حجة أترجم عن حب يعانقه سري
ولم أدر من أهوى ولا أعرف اسمه ولا أدري من هذا الذي ضمه صدري
إلى أن بدا لي وجهها من نقابها كمثل سحاب الليل أسفر عن بدر
فقلت لهم من هذه؟ قيل هذه بنية عين القلب بنت أخي الصدر
فكبرت إجلالاً لها ولأصلها فليلي بها أربى على ليلة القدر

ولنا في هذا المعنى ذوقاً في أول دخولي إلى الشام ، وجدت ميلاً مجهولاً مدة طويلة ، في قصة طويلة إلهية متخيلة في صورة جسدية ، فقلنا نخاطبها في ذلك الحال ولسانه :

أقول وعندي من هواك الذي عندي ... مقـالة من قال الحبيب له قل لي
ولما دخلت الشام خولِطتُ في عقلي ... فلم أر قبـلي في الهوى عاشقاً مثلي
عشقت وما أدري الذي قد عشقته ... أخالقي المحبوب؟ أم هو من شكلي؟
ولا سمـعت أذنـاي قط بذكـره ... فهـل قال هذا عاشق غيرنـا قبـلي

(ف ج ٢ / ٣٢٣ ، ٣٢٤) .

ومن أحب الله لجماله ، وليس جماله إلا ما يشهده من جمال العالم ، فإنه أوجده على صورته ، فمن أحب العالم لجماله فإنما أحب الله ، وليس للحق منزه ولا مجلى إلا العالم ، وهنا سر نبوي إلهي خصصت به من حضرة النبوة، مع كوني لست بنبي وإني لوارث .

إني خصـصـت بسر ليس يعلمـه ... إلا أنـا والـذي في الشرع نتبعه
ذاك الـنبي رسـول الله خير فتى ... لله نتـبـعـه فيـها يشرعـه

(ف ج ٤ / ٢٦٩) .

لذلك نرى الشيخ رضي الله عنه ينبه على التجلي الصوري في الصورة الجمالية عند كتابته « ترجمان الأشواق » في مجلى «النظام» إبنة شيخه مكين الدين أبي شجاع زاهر بن رستم الأصفهاني رحمه الله ، فيقول رضي الله عنه : لم أزل فيما نظمناه في هذا الجزء على الإيماء إلى الواردات الإلهية والتنزلات الروحانية ، والمناسبات العلوية ، جرياً على طريقتنا المثلى ، فإن الآخرة خير لنا من الأولى ، ولعلمها رضي الله عنها بما إليه أشير ، ولا ينبئك مثل خبير ، والله يعصم قارىء هذا الديوان من سبق خاطره إلى ما لا يليق بالنفوس الأبية ، والهمم العلية ، المتعلقة بالأمور السماوية ، آمين بعزة من لا رب غيره ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

وعلى الرغم من هذا التنبيه من الشيخ على ما يكنه وما يريده ، فقد وقع فيه من وقع[1] ، لذلك اضطر لشرح هذا الديوان بكتابه « ذخائر الأعلاق) وفيه يقول : وكان

---

(١) فإن المؤمن مرآة أخيه فلا يرى الناظر فيها إلا نفسه ، ولذلك ما ترجم مترجم عن الشيخ رضي الله عنه إلا عن نفسه .

سبب شرحي لهذه الأبيات ، أن الولد بدر الحبشي ، والولد اسماعيل بن سودكين سألاني في ذلك ، وهو أنهما سمعا بعض الفقهاء بمدينة حلب ، ينكر أن هذا من الأسرار الإلهية ، وأن الشيخ يتستر لكونه منسوباً إلى الصلاح والدين ، فشرعت في شرح ذلك ، وقرأ عليّ بعضه القاضي ابن العديم ، بحضرة جماعة من الفقهاء ، فلما سمعه ذلك المنكر الذي أنكره ، تاب إلى الله سبحانه وتعالى ، ورجع عن الإنكار على الفقراء وما يأتون به في أقاويلهم من الغزل والنسيب ، ويقصدون في ذلك الأسرار الإلهية ، فاستخرت الله تعالى تقييد هذه الأوراق ، وشرحت ما نظمته بمكة المشرفة من الأبيات الغزلية في حال اعتماري في رجب وشعبان ورمضان ، أشير بها إلى معارف ربانية ، وأنوار إلهية ، وأسرار روحانية ، وعلوم عقلية ، وتنبيهات شرعية ، وجعلت العبارة عن ذلك بلسان الغزل والتشبيب ، لتعشق النفوس بهذه العبارات ، فتتوفر الدواعي على الإصغاء إليها ، وهو لسان كل أديب ظريف ، روحاني لطيف ، وقد نبهت على المقصد في ذلك بأبيات وهي :

كلما أذكر من طلل ... أو ربوع أو مغان كلما
وكذا إن قلت ها أو قلت يا ... وألا إن جاء فيه أو أما
وكذا إن قلت هي أو قلت هو ... أو همو أو هنَّ جمعاً أو هما
وكذا إن قلت قد أنجد لي ... قدر في شعرنا أو أتهما
وكذا السحب إذا قلت بكت ... وكذا الزهر إذا ما ابتسما
أو أنادي بحداة يمموا ... بانة الحاجر أو وُرْق الحمى
أو بدور في خدور أفلت ... أو شموس أو نبات أنجما
أو بروق أو رعود أو صبا ... أو رياح أو جنوب أو سما
أو طريق أو عقيق أو نقا ... أو جبال أو تلال أو رما
أو خليل أو رحيل أو ربى ... أو رياض أو غياض أو حمى
أو نساء كاعبات نُهَّد ... طالعات كشموس أو دُمى
كلما أذكره مما جرى ... ذكره أو مثله إن تفهما
منه أسرار وأنوار جلت ... أو علت جاء بها رب السما
لفؤادي أو فؤاد من له ... مثل ما لي من شروط العُلما

صفـــة قدسيـــة علويـــة أعلمت أن لصـــدقي قدَمًـا
فاصرف الخـاطـر عن ظاهرها واطـلـب البـــاطـن حتى تعلما

ويقول رضي الله عنه :

جميـــل ولا يُهْوى جلّي ولا يُرَى وتشهده الألباب من حيث لا تدري
ولا تدرك الأبصار منه سوى الذي تنـــزهــه عنه عقـول ذوي الأمـر
فإن قلتَ محجـوب فلستَ بكاذب وإن قلت مشهود فذاك الذي أدري
فما ثَمَّ محجـــوب سواه وإنـــما سليمى وليـــلى والـزيـانب للســتر

(ف ح ٢/٥٤٢).

تجسد المعاني في الحب الإلهي :

لقد بلغ بي قوة الخيال أن كان حبي يجسد لي محبوبي من خارج لعيني ، كما كان يتجسد جبريل لرسول الله ﷺ ، فلا أقدر أنظر إليه ، ويخاطبني وأصغي إليه وأفهم عنه ، ولقد تركني أياماً لا أسيغ طعاماً ، كلما قدمت لي المائدة ، يقف على حرفها وينظر إليّ ويقول لي بلسان أسمعه بأذني :ـ « تأكل وأنت تشاهدني ؟ » فأمتنع من الطعام ، ولا أجد جوعاً وأمتلىء منه ، حتى سمنت وعبلت من نظري إليه ، فقام لي مقام الغذاء ، وكان أصحابي وأهل بيتي يتعجبون من سمني مع عدم الغذاء ، لأني كنت أبقى الأيام الكثيرة لا أذوق ذواقاً ، ولا أجد جوعاً ولا عطشاً ، لكنه كان لا يبرح نصب عيني في قيامي وقعودي ، وحركتي وسكوني[1] . (ف ح ٢/٣٢٥).

من أذواق الشيخ عند زيارته قبر النبي ﷺ :

﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾ إذا جاء الظالم إلى الحق المشروع الذي بأيدينا اليوم ، فإن تجسد له في الصورة المحمدية، فيعلم أنه من أصحاب هذا الذكر ، إما في النوم أو في اليقظة كيف كان ، وإن لم يتجسد له فما هو ذلك الرجل ، فإذا تجسد له فلا يخلو أن يستغفر الله هذا الظالم نفسه أو لا يستغفر الله ، فإن استغفر الله ولم ير صورة الرسول تستغفر له ـ فإنه

---

(١) راجع أحوال الشيخ في المحبة في كتابنا «الحب والمحبة الإلهية».

بالمؤمنين رؤوف رحيم ـ فيعلم عند ذلك أنه ما استغفر الله ، فإن استغفاره الله في ذلك الموطن يذكر النبي ﷺ بالاستغفار لله في حقه ، فيجد الله عند ذلك تواباً رحيماً ، وقد ظلمت نفسي وجئت إلى قبره ﷺ فرأيت الأمر على ما ذكرته ، وقضى الله حاجتي وانصرفت ، ولم يكن قصدي في ذلك المجيء إلى الرسول إلا هذا المجير ، وهكذا تلوته عليه ﷺ في زيارتي إياه عند قبره ، فكان القبول وانصرفت ، وذلك في سنة إحدى وستمائة .

(ف ج ٤ / ١٩٣) .

تحصيل الشيخ لمقام الخلة :

انظر ما أثر عند الخليل إيثاره لجناب الحق من عداوة أبيه في الله تعالى ، فالله يجعلنا ممن آثر الحق على هواه ، وأن يجعل ذلك مناه ، فما أعظمها عندي من حسرة حيث لم نكن بهذه المثابة عند الله ، إذ قال لنا تعالى : ﴿ لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ﴾ حتى نكتفي بذكر عدواتهم لله وإخراج الرسول ، فهنا ينبغي أن تسكب العبرات ، فالسعيد من وجد ذلك في نفسه ، فلم يدخل تحت هذا الخطاب ، وعلى قدر ما ينقصك من هذا الحال ينقصك من المعرفة بالله ، ومن الوقت الذي فتح الله عليَّ في هذا الطريق ، ما لقيت أحداً على هذا القدم فعرفته به ، وإن كان عليه في نفس الأمر ولكن ما عرفني الله به ، وربما عرضت له به فلم أجد عنده إلا النقيض ، لكني أعلم أن في الأرض عباداً لهم هذا المقام ، فالحمد لله الذي فتح عليّ به ، ونرجو إن شاء الله البقاء عليه ، فإن أكثر أبواب المعرفة بالله تحول بين هذا المقام وبين المؤمنين والعلماء ، فهو مقام غامض صعب التصور ، تقدح فيه معارف إلهية كثيرة ، ومتى لم يحصل لأحد هذا المقام ذوقاً ، فاعلم أن بينه وبين من هو عدو لله مناسبة ، ولتلك المناسبة لم يتبرأ منه إذا تبين له ، لأنه قبل التبيين يعذر ، ومن علامات صاحب هذا المقام ـ مقام الخلة ـ أن يقوم في العالم مقام الحق فيهم من شمول الرحمة ، فهو رحمة كله . (ف ج ٣ / ٢٧٢ ـ ج ٢ / ٢٦٣) .

ألا إنني العبد المليك السميدع[1] ولي منزل من رحمة الله أوسع
ومن رحمة الله العظيم وجوده وهذا غريب في العلوم فأجمعوا

(١) السَّميدع : بفتح السين ، السيد الموطأ الأكناف .

له كل برهــان عسى تدركــونــه وليس له في عالم الفكــر موضــع
لقــد وســع الحق المبين بصــورة إلى مجدهـا تعنـو الـوجوه وتخضع

ما مرّ عليّ في التجلي الإلهي أمر حيرني وأضعف قوتي أشد من قول الملائكة ﴿ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ﴾ والله يقول : ﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾ ، وأي إحسان أعظم ممن تاب واتبع سبيله ، وقول نوح وهو من الكمل من أهل الله ﴿ ولمن دخل بيتي مؤمناً ﴾ فهذا كأنه أبقى شيئاً ، فإنه ما طلب المغفرة إلا للمؤمن ولم يذكر اتباع سبيل الله ، لأن المؤمن قد يكون مخالفَ أمرِ الله ونهيه ، والله يقول للمسرفين على أنفسهم : ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ ، فهذا الصنف من الملائكة قاموا في مقام الأدب ، فحكم عليهم بهذا القول إيثاراً للجناب الإلهي على الخلق ، ولهذا قدموا وأخروا ، وما أخبر الله عنهم في قوله قبل هذا الدعاء ﴿ وسعت كل شيء رحمة وعلماً ﴾ ففيه روائح طلب المغفرة للمسيئين ، وأخروا أيضاً قولهم ﴿ وقهم السيئات ﴾ أن تقوم بهم فإنه أتم في العناية ﴿ ومن تق السيئات يومئذ ﴾ أي يوم تقيه ﴿ فقد رحمته ﴾ وهو قولهم ﴿ وسعت كل شيء رحمة ﴾ فجاء ما ذكروه في الوسط بين هذين كأنه إيثار للجناب الإلهي ، وقال عن صنف آخر من الملائكة إنهم ﴿ يستغفرون لمن في الأرض ﴾ فأنزل هؤلاء المغفرة موضعها ، ما قالوا مثل ما قال ذلك الصنف الآخر ، الذي حكى الله عنهم أنهم يستغفرون للذين آمنوا ، فتنوعت مشاربهم كما قالوا : ﴿ وما منا إلا له مقام معلوم ﴾ . (ديوان / ٣٠٨ ـ ف ج ٣ / ١٦٦) .

تحصيل الشيخ لمقام المحبوبية :

وهو كون الحق سمعه وبصره وجميع قواه :

أقــول وعنــدي أنني لست قائـلاً بنــفسي ولــكــني أقــول كما قالا
بأني ذو قول لما هو قائــل بنــا ولســـاني عينــه فيّ ما زالا
ومــا أنـا ظرف كالمكـان ولا أنـا محل له والمــيــل ميــلي إذا مالا
فلا تيــأسي يانــفس مما نريــده فلابــد لي منــه وإن طال ما طالا
تكـشـف عن عيني غطاه عمايتي فأدركت ما خلف الحجاب وما شالا
وأصبـحـت في قوم هداة أئـمــة وغــادرت أقواماً عن الحق ضلالا

إذا جاءهم حق أتـوا ينكـرونـه	فلا تضربـوا لله بالفكـر أمثـالا
وإن كان حقاً ذلـك المثـل الـذي	أتـاهم به لم يعـرفـوا فيـه إشكالا
وما كنت في ريب من أمر شهدته	وما كنت في زهدي وفخري مختالا
أجـرر أذيـالي كما قال عتـبـة	ومـا كل مختـال يجرر أذيـالا
ألم تدر أني في الجـهـاد مقـدم	أصير أسد الغاب في الحرب أشبالا
إذا جئـت بيت الحق جئت ملبيـاً	مهـلاً وإن جئنـاه لم ندر إهـلالا
وهـل ترفـع الأصوات إلا لغائب	بعيـد وذو التقريب يهمس إجلالا

لما لم نر إلا التقليد ، ترجح عندنا أن نقلد هذا المسمى برسول ، والمسمى بأنه كلام الله ، وعملنا عليه تقليداً حتى كان الحق سمعنا وبصرنا ، فعلمنا الأشياء بالله . فاشتغل بامتثال ما أمرك الله به من العمل بطاعته ، ومراقبة قلبك فيها يخطر فيه ، والحياء من الله ، والوقوف عند حدوده ، والانفراد به وإيثار جنابه ، حتى يكون الحق جميع قواك ، فتكون على بصيرة من أمرك ، وقد نصحتك ، فإذا كان الحق سمع العبد المؤمن وبصره ، كانت العزة لله ، وكان العبد في هذا المقام عزيزاً ، فإن من أسمائه تعالى المؤمن ، ألا ترى العبد في هذا المقام لا يمتنع عليه رؤية كل مبصر ولا مسموع ، ولا شيء مما تطلبه قوة من قوى هذا العبد ، لأن قواه هوية الحق ، ولله العزة ، ويمتنع أن يدركه من لبست له هذه القوة من المخلوقين ، فيظهر الحق حتى يكون سمع العبد وبصره ـ هذا المسمى علم الذوق ـ فإنه لا يكون الحق شيئاً من هذه الأدوات حتى تحترق بوجوده ، فيكون هو لا هي ، وقد ذقنا ذلك ووجدت الحرق حساً في ذكري لله بالله ، فكان هو ولم أكن أنا ، فأحسست بالحرق في لساني ، وتألمت لذلك الحرق تألماً حسياً حيوانياً ، لحرق حسي قام بالعضو ، فكنت ذاكراً الله بالله في تلك الحالة ست ساعات أو نحوها ، ثم أنبت الله لي لساني فذكرته بالحضور معه لا به ، فيكون هو أي قوة كانت ، وهو قوله : كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ، ومن لم يشاهد الحرق في قواه وبحسه وإلا فلا ذوق له ، وإنما ذلك توهم منه ، وهذا معنى قوله في الحجب الإلهية :ـ لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ؛ فأي قوة أراد الحق إحراقها من عبده حتى يحصل له العلم بالأمر من طريق الذوق ، برفع الحجاب الذي بين الإنسان من حيث تلك القوة وبين الحق ، فتحترق بنور الوجه ، فيسد بنفسه خلل تلك القوة ، فإن كان سمعه

كان الحق سمعه في هذه الحالة ، وإن كان بصره فكذلك ، وإن كان لسانه فكذلك ، ولنا في هذا المعنى :

ألا إن ذكــر الله بالله يحرق ... وحكمي بهذا فيه حكم محقق
فإني ورب الــواردات طمعتُـهُ ... فحكمي عليه أنه الحق يصدق

وهذا أعظم اتصال يكون من الله بالعبد ، حيث يزيل قوة من قواه ويقوم بكينونته في العبـد مقـام ما أزال على ما يليق بجلاله ، **من غير تشبيه ولا تكييف ولا حصر ولا إحاطة ولا حلول ولاّ بدلية** ، والأمر على ما قلنا ﴿ وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافـظين ، وأسـأل القرية التي كنا فيها ﴾ يعني أهل الله المنعوتين بهذه الطريقة من عباد الله ، الـذين قاموا بنوافل الخيرات وداوموا عليها وأقبلوا إلى الله بها ، والله يؤيدنا بالعصمة في الاعتقـاد والقول والعمل ، إنه ولي الرحمة ، وهذا هو الذي يشير إليه أهل الذوق بمقام الاتحاد ، وفيه يقول الشيخ رضي الله عنه : ولا معنى للاتحاد إلا صحة النسبة لكل واحد من المتحدين مع تميز كل واحد عن الآخر في عين الاتحاد ، فهو هو وما هو هو . كما قلنا في بعض ما نظمناه في هذا المعنى في حال غلب عليّ :

لست أنـا ولـست هو ... فمـن أنـا ومن هو هو
فيـا هو قل أنت أنـا ... ويـا أنـا هو أنت هو
لا وأنـا ما هو أنـا ... لا هو ما هو هو
لو كان هو ما نظرت ... أبـصـارنـا به له
ما في الـوجـود غيرنـا ... أنـا وهـو وهـو وهـو
فمـن لنـا بنـا لنـا ... كما له به له

(ديوان/ ٩٦ ـ ف ج ٢ /٢٩٨ ـ ج ٤ / ٢٠٧ ـ ج ٣/ ٢٩٨ ـ ج ١ / ٤٩٦).

ومن كون الحق لسانه يقول في الديوان / ١٩٠ :

وإني وإن كنــت المبلغ وحيــه ... إلى كل ذي سمـع فلست بمرسل
ولـكـنني في رتبـة القــوم وارث ... بحــال وعقــد ثم قول مفصــل
وقـل تابع إن شئت فالقول واحد ... ولا تبتــدع قولاً فلست بأفضــل

به ختـم الله الشرائـع فاعلمـن ... ولا تعملن ياصاح في غير معمل
ومـا انقـطع الـوحي المنـزّل بعده ... ولكن بغير الشرع فأعلمه واعمل

ويقول في الديوان / ٣٨٦ :

قد يلحق النـاس في أقـوالهم ندم ... ولـيس عنـديُّ فيـها قلتـه ندم
لأنـه المنـطق الأعـلى فكـان له ... عني الـتلفظ والتعـريف والكلم
والعبـد في عزلة عن كل ما كتبت ... كف له أوهمَّـت من كفـه ديـم

ويقول في الديوان / ٣١٢ :

علمت الـذي أودعتـه في مقـالتي ... وجملة أمـري أنني لست أجهـل
لأني به قلت الـذي جئـتكـم به ... ومن كان قول الحق قل كيف يجهل
أنـا كلمات الله فالـقـول قولـنـا ... لأني مجمـوع وغـيري مفـصَّـل
كعيسى الذي يحيي وينشيء طائراً ... فيـحي بإذن الله والحـق فيصـل
فمن كان مثـلي فليقـل مثـل قولنا ... وإلا فإن الصمت بالعبـد أجمـل

ويقول رضي الله عنه . ولما التقينا عن حب واشتياق خاطبني من أعلم في سري :

اجعل يديك على الكبَد ... تجد الـذي منكم أجـد
وابرح إلى طلب الوصال ... وقـل له هبـني وزد
لولا وجـود الـعـلم فيـه ... ما تذكـر من عَبَـد
فإن أنكـروا هذا فقـل ... إن الـقـرآن بذا ورد [1]

كلام بنت الشيخ في المهد ورؤيته من تكلم في بطن أمه :

قد نطق في المهد جماعة ، أعني في حال الرضاعة ، وقد رأينا أعظم من هذا ، رأينا من تكلم في بطن أمه وأدى واجباً ، وذلك أن أمه عطست وهي حامل به فحمدت الله ، فقال لها من بطنها : يرحمك الله ، بكلام سمعه الحاضرون ، وأما ما يناسب الكلام فإن ابنتي «زينب» سألتها كالملاعب لها وهي في سن الرضاعة ، وكان عمرها في ذلك الوقت سنة أو قريباً منها ، فقلت لها بحضور أمها وجدتها : يابنية ما تقولين في الرجل يجامع أهله ولا ينزل ؟ فقالت :ـ يجب عليه الغسل ، فتعجب الحاضرون من ذلك ، وغشي على جدتها من

(١) يشير إلى قوله تعالى : «يحبهم ويحبونه».

نطقها ، وفارقت هذه البنت في تلك السنة وتركتها عند أمها ، وغبت عنها وأذنت لأمها في الحج في تلك السنة ، ومشيت أنا على العراق إلى مكة ، فلما جئنا المعرف خرجت في جماعة معي أطلب أهلي في الركب الشامي ، فرأتني وهي ترضع ثدي أمها ، فقالت : ياأمي هذا أبي قد جاء ، فنظرت الأم حتى رأتني مقبلاً على بعد وهي تقول : هذا أبي هذا أبي ، فناداني خالها فأقبلت ، فعندما رأتني ضحكت ورمت بنفسها عليّ ، وصارت تقول لي : يا أبت يا أبت . (ف ج ٤ / ١١٧ ، ٣٩٠ - ج ١ / ٦٧٠) .

طي الأرض للشيخ من قونية إلى الدار البيضاء :

في بحث القضاء والقدر يقول الشيخ رضي الله عنه : الحكم للكتاب الثاني الذي به تقوم الحجة على العباد ، والأم والزبر الأول له القضاء، وهو الكتاب الأول ، فالقضاء للكتاب الأول يطلبه حكم الكتاب الثاني. والقدر بالكتاب الثاني ، وكلا الكتابين محصور ، لأنه موجود ، وعلم الله في الأشياء لا يحصره كتاب مرقوم ، ولا يسعه رق منشور ولا لوح محفوظ ولا يسطره قلم أعلى ، فللّه الحمد في الأولى والآخرة ، وله الحكم وإليه ترجعون ، أي إلى الحكم وهو القضاء ، فالقضاء يحكم على القدر ، والقدر لا حكم له في القضاء ، بل حكمه في المقدر لا غير بحكم القضاء ، فالقاضي حاكم، والمقدر مؤقت ، فالقدر التوقيت في الأشياء من اسمه المقيت ، قال الله تعالى : ﴿ وكان الله على كل شيء مقيتاً ﴾ وهذا المنزل أشهدته بقونية في ليلة لم يمر عليّ أشد منها ، لنفوذ الحكم وقوته وسلطانه ، فحمدت الله على قصوره على تلك الليلة ، ولم يكن حكم تأبيد ، وإنما كان حكم وقوع مقدر ، فلما رددت إليّ وقد سقط في يدي ، وعلمت ما أنزل الله عليّ وما قدره الحق لدي ، وفرقت بين قضائه وقدره في الأشياء ، كتبت به إلى أخ في الله - كان لي - رحمه الله ، أعرّفه بما جرى كما جرت العادة بين الإخوان ، إذ كان كتابه قد ورد عليّ يطلبني بشرح أحوالي ، فصادف ورود هذا الحال ، فكتبت إليه في الحال : بسم الله الرحمن الرحيم ، ورد كتاب المولى ، يسأل وليّه عن شرح ما رأى أنه به أولى ، ليكون في ذلك بحكم ما يرد عليه :

شهاب الدين يامولى الموالي ... سألت مهماً عن شرح حالي
أنا المطرود من بين الموالي ... ومثلي من يصد عن الوصال
وقفت ببابه أشكو وأبكي ... بكاء فقيد واحدة الموالي

وقلت بعبرة وحنين شجو	أنا المطرود من بين الموالي
أنا العبد المضيَّع حقّ ربي	فكيف تضيعني ياذا الجلال
وإن مكارم الأخلاق منكم	وإن العفو من كرم الخلال
إذا كان العبيد عبيد سوء	فإن الفضل من شيم الموالي
وها أنا واقف في حال عجزي	ضعيف مثل ربات الحجال
بعثت إليه حسن الظن مني	وإلحافاً عظيماً في السؤال
وإن كان الطباع طباع سوء	فحسن الظن من كرم الخصال
وجودك قد تحققه رجائي	وبعد تحققي ما إن أبالي
علمت بأن ذنبي لو تعالى	لكان بجنب عفوك في سفال
بلطفك قبل علمي كنت تاجاً	فبعد العلم ألحق بالنعال
لقد أيدتني وشددت أزري	بتوجيد يجل عن المقال
بواقية الوليد مننت ربي	طردت بها القبيح من الفعال
أعاين ما أعاين من جمال	تقدس عن مكاشفة الخيال
وعن صور مقيدة تعالى	عن المثل المحقق في المثالي
فأشهده ويشهدني فأفنى	كمال في كمال في كمال
سُلخَتُ عنايةً من ليل جسمي	كما سلخ النهار من الليالي
فكان المحو إثبات انفصال	وكان النور آيات اتصالي
وبعد الوصل فاستمعوا مقالي	دعاني للسجود مع الظلال

وإنَّ وليَّك لما أراد النهوض في طريقه ، والنفوذ إلى ما كان عليه في تحقيقه ، اعترضت لوليك عقبة كؤود ، حالت بينه وبين الشهود والبلوغ إلى المقصود ، والتحقق بحقائق الوجود ، فخفت أن تكون عقبة القضا ، لما لسيفه من المضا ، فرأيتها صعبة المرتقى ، حائلة بيني وبين ما أريده من اللقا ، فوقفت دونها في ليلة لا طلوع لفجرها ، ولا أعرف ما في طيِّها من أمرها ، فطلبت حبل الاعتصام ، والتمسك بالعروة الوثقى عروة الإسلام ، فنوديت ، أن الزم الطلب ما بقيت ، فعلمت أني بهذا الخطاب في صورة مثالية ، متجلية في حضرة خيالية ، وأن علاقة تدبير الهيكل ما انقطع ، وحكمه فيه ما ارتفع ، فاستبشرت بزوال

إفلاسي ، عند رجعتي إلى إحساسي ، فنظمت ما شهدت ، وخاطبت وليٌّ في نظمي ببعض ما وجدت ، فإذا نظر وليّ إليها فليعوِّل عليها ، وليحذر من الأمن من مكر الله ، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، فاسمع هديت ، ما به على لساني نوديت :

اعترضت لي عقبة ... وسط الطريق في السفر
فأسفرت عن محن ... فيمن طغى أو من كفر
وكل ما كان وما ... يكون منكم مستطر
وأنما يفعله ... في الكون من خير وشر
مقدر مؤقت ... كذا أتانا في الزبر
الموت سم ناقع ... والحشر أدهى وأمر
سفينكم أجسامكم ... في بحر دنيا قد زخر
وأنتم ركابها ... وأنتم على خطر
وما لكم من ساحل ... غير القضاء والقدر
فابتهلوا واجتهدوا ... فما من الله مفر
فالكل والله بلا ... شك على ظهر سفر

فليتدبر وليّ ما سطرته ، وليفكر فيما ذكرته ، وليأخذه عبرة من البصر لبصيرته ، ومن سره لسريرته ، فقد آن أن يجيء زمان المحن ، وقد علمت لما أوجدك ، ورتبة الكمال الذي أشهدك ، وما طلب منك إلا ما يقتضيه وجودك ، ويقضي به شهودك ، فإن أنصفت فقد عرفت ، وإن تعاميت بعد ما أراك ما قد رأيت ، فقد وهيت ، فأسدُّ المقالة سؤالُ الإقالة والسلام . فسر بورد كتابي عليه .

وأمعن بالنظر فيه وإليه ، فأورثه التفكر فيه علة كانت سبب رحلته وسرعة نقلته ، فما بقي إلا أياماً ودرج ، وعلى أسنى معراج إلى مقصوده عرج ، وشهدت احتضاره بالدار البيضا ، إلى أن قضى ، وسافرت من يومي لاستعجال قومي . (ف ج ٣ / ١١٢) .

لزوم الأدب في مسألة الجبر والاختيار :

أقول له : أنت ، يقول لي : أنت ، أقول له : أنا ، يقول لي : بل أنا ، فأقول له : فكيف الأمر ؟ فيقول : كما رأيت ، فأقول : فما رأيت إلا الحيرة ، فلا تحصيل مني ولا

توصيل منك ، فيقول : قد أوصلتك ، فأقول : ما بيدي شيء ، فيقول : هو ذاك الذي أوصلت ، فعليه فاعتمد وبالله فاتئد . (ف ج ٤ / ١٢٣) .

من كان مشهده أن لا قدرة له كأمثالنا ، أو يقول إن القدرة الحادثة ما لها أثر إيجاد في المقدور ، هذه المسألة كانت عندي من أصعب المسائل ، وما فتح لي فيها بما هو الأمر عليه ، على القطع الذي لا أشك علماً ، سوى ليلة تقييدي هذا الباب الأحد والعشرين والمائة في هذه المجلدة ، وهي ليلة السبت السادس من رجب الفرد سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، فإنه لم يكن يتخلص لي إضافة خلق الأعمال لأحد الجانبين ، ويعسر عندي الفصل بين الكسب الذي يقول به قوم ، وبين الخلق الذي يقول به قوم ، فأوقفني الحق بكشف بصري على خلقه المخلوق الأول ، الذي لم يتقدمه مخلوق ، إذ لم يكن إلا الله ، وقال لي : هل هنا أمر يورث التلبيس والحيرة ؟ قلت : لا ، قال لي : هكذا جميع ما تراه من المحدثات ، ما لأحد فيه أثر ولا شيء من الخلق ، فأنا الذي أخلق الأشياء عند الأسباب لا بالأسباب ، فتتكون عن أمري ، خلقت النفخ في عيسى وخلقت التكوين في الطائر ، قلت له : فنفسك إذا خاطبت في قولك افعل ولا تفعل ، قال لي : إذا طالعتك بأمر فالزم الأدب ، فإن الحضرة لا تحتمل المحاققة ، قلت به : وهذا عين ما كنا فيه ، ومن يحاقق؟ ومن يتأدب؟ وأنت خالق الأدب والمحاققة ؟ فإن خلقت المحاققة فلابد من حكمها ، وإن خلقت الأدب فلابد من حكمه ، قال : هو ذلك ، فاستمع إذا قرئ القرآن وأنصت ، قلت : ذلك لك ، اخلق السمع حتى أسمع ، واخلق الإنصات حتى أنصت ، وما يخاطبك الآن سوى ما خلقت ، فقال لي : ما أخلق إلا ما علمت وما علمت إلا ما هو المعلوم عليه ، فلله الحجة البالغة ، وقد أعلمتك هذا فيما سلف ، فالزمه مشاهدة فليس سواه ، ترح خاطرك ، ولا تأمن حتى ينقطع التكليف، ولا ينقطع حتى تجوز على الصراط ، فحينئذ تكون العبادة من الناس ذاتية ، ليست عن أمر ولا نهي يقتضيه وجوب أو ندب أو حظر أو كراهة .

(ف ج ١/٦١٧ - ج ٢/٢٠٤).

استغفر الله إن الله يغفر لي	ما كان مني من ذنب ومن زلل
لقد حباني بخير لست أعرفه	ما خاب فيه وفي إحسانه أملي
إني اعتمدت عليه في تصرفنا	ما كان من خلقي فيه ومن عملي

(ديوان/ ٢٧٣) ويقول في الديوان / ١١٨) .

وجـودي عن الأمر الإلهي لم يكن　　عن الذات والتكوين لي فاعقل الشانا
وهـذا الـذي قد قلتـه لم يقـل به　　سوانـا فحَقِقْ من يكـون إذا كانـا

ويقول في الديوان / ٣٦٧ :

عقـلي به فوق عقـل الناس كلهم　　فلسـت أفكـر في شيء أقضيـه
تصرفي ليس عن فكـر ولا نظر　　لكـن عن الله يوحيـه فأمضيـه

تحصيل الشيخ درجة الكمال[1] :

الكمال كمالان : كمال ذاتي ، وكمال عرضي ، فدرجة الكمال الذاتي في نفس الحق ، ودرجة الكمال العرضي في الجنان ﴿ هم درجات عند الله ﴾ فجعلهم أعيان الدرجات لأنهم عين الكمال الذاتي ، وبالكمال العرضي لهم الدرجات الجنانية وهي الأجور ، جعلنا الله ممن جمع بين الكمالين ، فإن حرمنا الجمع فالله يجعلنا من أهل الكمال الذاتي بمنه وكرمه ، وأنا أرجـو من الله أني قد حصلته تحصيلاً لا يحال بي دونه بحسن ظني بربي ، فما أعلاه من مشهد ، وما رأيت أحداً ولا سمعت عن أحد من المقربين أنه وقف مع ربه على قدم العبودة المحضة ، وما منعني من تحصيل هذا المقام إلا الغفلة لا غير ، فليس بيني وبينه إلا حجاب الغفلة وهـو حجاب لا يرفع ، وأما حجاب العجلة فأرجو بحمد الله أنه قد ارتفع عني ، والتلبيس أصله العجلة من الإنسـان فلو اتّئد وتفكرٌ وتبصرٌ لم يلتبس عليه أمر، وقليل فاعل ذلك، وأمـا حجـاب الغفلة فمن المحال رفعه دائماً مع وجود التركيب، حيث كان في المعاني أو في الأجسام ، ولـو ارتفع هذا الحجاب لبطل سر الربوبية في حق هذا الشخص ، فمقام كمال العبودة لا ينال ذوقاً ، وقـد حصـل لنا منه ﷺ شعرة ، وهذا كثير لمن عرف ، فما عند الخلق إلا ظله ، ولما أطلعني الله عليه لم يكن عن سؤال ، وإنما كان عن عناية من الله ، ثم إنه أيّدني فيه بالأدب رزقاً من لدنه وعناية من الله بي، فلم يصـدر مني هنـاك ما صدر من أبي يزيد، بل أطلعت عليه ، وجاء الأمر بالرقي في سُلّمِه ، فعلمت أن ذلك خطاب ابتلاء، وأمر ابتلاء، لا خطاب تشريف ، على أنه قد يكون بعض الابتلاء تشريفاً ، فتوقفت وسألت الحجاب فعلم ما أردت ، فوضع الحجاب بيني وبـين المقـام وشكـر لي ذلـك ، فمنحني منه الشعرة التي ذكرناها اختصاصاً إلهياً ،

(١) راجع كيمياء السعادة ـ القسم الثاني من الكتاب.

شكرت الله على الاختصاص بتلك الشعرة، غير طالب بالشكر الزيادة ، وكيف أطلب الزيادة من ذلك وأنا أسأل الحجاب الذي هو من كمال العبودية ، فسرت فيَّ العبودة وظهر سلطانها، وحيل بيني وبين مرتبة السيادة ، لله الحمد على ذلك ، وكم طلبت إليها وما أجبت[1] ، وهكذا إن شاء الله أكون في الآخرة عبداً محضاً خالصاً ، ولو ملكني جميع العالم ما ملكت منه إلا عبوديته خاصة ، حتى يقوم بذاتي جميع عبودية العالم .

(ف ج ٢/٥٨٨، ٩٣ ـ ج ٣/٣٥٢ ـ ج ١/٢٣٠).

تحصيل الشيخ لمقام العبودية وإليه يدعو الناس :

قال ﷺ : إن أبابكر ما فضل الجماعة إلا بسر وقر في صدره ، وهو استيفاء مقام العبودة ، بحيث أنه لم يخل منه بشيء في حقه وفي حق رسول الله ﷺ ، فعلم رسول الله ﷺ أن أبابكر الصدّيق مع من دعاه إليه وهو الله تعالى ، ليس معه إلا بحكم أنه يرى ما يخاطبه الحق سبحانه به على لسان رسوله ﷺ في كل خطاب يسمعه منه ، بل من جميع من يخاطبه ، وقد علّمه الحق في نفسه ميزان ما يقبل من خطابه وما يرد ، ونرجو إن شاء الله أن يكون مقامنا هذا ، ولا يجعلها دعوى غير صادقة ، فإني ذقت هذا المقام ذوقاً لا مزاج فيه ، أعرفه من نفسي ، وما سمعته عن أحد ممن تقدمني بالزمان ، غير أبي بكر الصديق ، إلا واحداً من الرجال المذكورين في رسالة القشيري ، فإنه حكى عنه أنه قال : لو اجتمع الناس أن ينزلوا نفسي منزلتها مني من الخسة لم يستطيعوا ذلك ، وهذا ليس إلا لمن ذاق طعم العبودية ، لغيره لا يكون ، ولما شهدت لي جماعة أني على قدم أبي بكر الصديق من الصحابة ، علمت أنه ليس إلا مقام العبودة المحضة ، لله الحمد والشكر على ذلك ، فالله يجعل من نظر إليّ مرة واحدة من عمره أن يكون هذا نعته في نفسه دنيا آخرة . (ف ج ٣ / ٣٧٢) .

كان الأعبد إذا أطالوا الجلوس مع رسول الله ﷺ ، يشير إليهم بعض الصحابة مثل أبي بكر وغيره ، أن يقوموا حتى يتسرح رسول الله ﷺ لبعض شؤونه ، فهذا من غيرة الله لعبده الفقير المنكسر ، وهو من أعظم دليل على شرف العبودة والإقامة عليه ، وهو المقام الذي ندعو له الناس ، فإن جميع النفوس يكبر عندهم رب الجاه ، ورب المال ، واعلم أن هذه الصفة ـ صفة العبودية والذلة والافتقار ـ التي نبهتك عليها ، أعطتنا حالاً ومشاهدة

---

(١) راجع صحبة الشيخ ومكانته عند الملوك والسلاطين.

من حضرة القدس فهي مقرها ، ولا يتصف بها إلا من له عند الله أرفع المنازل ، فإن كان رسولاً فأرفع المنازل في الرسالة ، وإن كان نبياً فأرفع المنازل في النبوة ، وإن كان ولياً فأرفع المنازل في الولاية ، وإن كان مؤمناً فأرفع المنازل في الإيمان ، وإن كان نصرانياً أو مجوسياً أو يهودياً أو معطلاً فهو في أرفع المنازل بها في صنفه وفي مقامه ، وإن المحل الذي تقوم به هذه الصفة لابد لصاحبها إن كان على أي ملة كان أو نحلة ، أن يرجع إلى دين الهدى ، ويسلم ويؤمن ويبادر إلى مكارم الأخلاق ، عن كشف محقق وعلم صحيح ، فيكون أكمل الناس إيماناً وأعظمهم منزلة عند الله ، عارفاً بمنازل الرسل والأنبياء عليهم السلام وفضل بعضهم على بعض والأولياء والمؤمنين ، فإن الصفة التي قادته إلى الإسلام أعظم الصفات عند الله قدراً في حق العبد ، فتنزله المنازل العلية وترفعه في عليين ، ويتلقاه من الملائكة كل ملك كريم على الله ، محسن في عبادة ربه ، هو الذي ينزل إلى هذا العبد من عند الله للمناسبة التي بين هذا الملك وبينه ، فيأخذ بيده فيرفعه إلى منزل هذه الصفة في عليين ، فلا يكون في صنفه أعلى منه منزلة إلا من عمل بعمله ، فإنه في درجته ومعه .

(ف ج ٣/١٨، ٢١).

· فالعبودية ذلة محضة خالصة ذاتية للعبد ، لا يُكَلَّف العبد القيام فيها فإنها عين ذاته ، فإذا قام بحقها كان قيامه عبادة ، ولا يقوم بها إلا من يسكن الأرض الإلهية الواسعة ، التي تسع الحدوث والقدم ، فتلك أرض الله ، مَنْ سكن فيها تحقق بعبادة الله وأضافه الحق إليه . قال تعالى : ﴿ يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون ﴾ يعني فيها ، فأرض الله التي هي ركن موجودة ، وأنت فيها مدفون ، وما أمرت بعبادة ربك ، وما دمت في أرض بدنك الواسعة مع وجود عقلك وسراج شرعك، فأنت مأمور بعبادة ربك، فهذه الأرض البدنية لك على الحقيقة أرض الله الواسعة التي أمرك أن تعبده فيها إلى حين موتك ، ولي مذ عبدت الله فيها من سنة تسعين وخمسمائة ، وأنا اليوم في سنة خمس وثلاثين وستمائة ، ولهذه الأرض البقاء ما هي الأرض التي تقبل التبديل ، ولهذا جعلها مسكن عباده ومحل عبادته ، والعبد لا يزال عبداً أبداً ، فلا يزال في هذه الأرض أبداً ، وهي أرض معنوية معقولة غير محسوسة ، وإن ظهرت في الحس كظهور تجلي الحق في الصور وتجلي المعاني في المحسوسات ، ولا تظهر المعاني في الصور الحسية إلا لقصور بعض النفوس عن إدراك ما

ليس بمادة ، فإذا كان متضلعاً في المعرفة بالله ، لم ير المعاني في مواد ولا رأى المواد في غير نفسها ، فأدرك كل شيء في شيئيته ، كانت ما كانت ، وهذا هو الإدراك الذي يعول عليه لأنه بريء من التلبيس ، ولا يصح بوجه من الوجوه أن يشهد الإنسان محض عبوديته ، ولا يقام في عبادته المحضة التي لا يخالطها شيء من الربوبية ، التي تعطيه الصورة التي خلق عليها ، إلا عن تجل إلهي ، فإذا لم يكن تجل فإن الإنسان يقام في الصورة التي خلق عليها ، فيكون عبداً رباً ، مالكاً مملوكاً مثل العامة سواء ، غير أن الفارق بينه وبينهم ، أنه للعامة اعتقاد ، ولعلماء الرسوم علم ، ولهذه الطائفة شهود ، وهو العبد الممتزج الظاهر بالحقيقتين ، وما يتخلص من هذا المزج إلا أهل العناية ، الذين يعمرون هذه الأرض الواسعة التي لا نهاية لها ، وكل أرض سواها فمحدودة ليس لها هذا الحكم ، ولهذا أربابها كثيرون ، فإن لكل عبد فيها مُلْكاً يملكه ويتصرف فيه ، فلا يتعدى غيره عليه ، وبنفس ما يملك منها كان مالكاً ورباً فيها ، وهذه الأرض الواسعة هي المتصرفة في سكانها ، الحاكمة عليهم بذاتها ، وهي مجلى الربوبية ومنصة المالك الحق ، وفيها يرونه ، فمن كان من أهلها حيل بينه وبين الصورة التي خلق عليها ، فكان عبداً محضاً شاهداً، يشاهد الحق في عين ذاته ، فالشهود له دائم ، والحكم له لازم ، وهؤلاء هم المسودون الوجه في الدنيا والآخرة ، إذا علمت ذلك فالرب رب ، والعبد عبد ، فلا تغالط ولا تخالط ، فإذا أقامك الحق في العبودة المطلقة ـ التي ما فيها ربوبية ـ فأنت خليفة له حقاً ، وقد رأيت رؤيا سررت بها واستيقظت وأنا أنشد بيتاً كنت قد عملته قبل هذا في نفسي ، وهو من باب الفخر وهو :

في كل عصر واحد يسمو به   وأنا لباقي العصر ذاك الواحد

وذلك أني ما أعرف اليوم في علمي من تحقق بمقام العبودية أكثر مني ، وإن كان ثمَّ فهو مثلي ، فإني بلغت من العبودية غايتها ، فأنا العبد المحض الخالص ، لا أعرف للربوبية طعماً . (ف ج ٣/٢٢٤ ، ٢٥٠ ، ٢٢٤ ، ٣٧١ ، ٤١ ـ المسامرات / ج ١/٣٤٩) .

شفاعة الشيخ يوم القيامة :

الولي لا ينسى من يعرفه ، وإن كان الشيخ لا يعرفه ، فيسأل الله تعالى أن يغفر ويعفو عمن سمع بذكره ، فسبه وذمه ، أو أثنى عليه خيراً ، وهذا ذقته من نفسي وأعطانيه ربي بحمد الله ، وعدني بالشفاعة يوم القيامة فيمن أدركه بصري ممن أعرف ومن لا أعرف ،

وعيّن لي هذا المشهد، حتى عاينته ذوقاً صحيحاً لا أشك فيه . (ف ح ١/٦١٧).

إرث الشيخ من الحديث الشريف « خلق الله آدم على صورته » :

طوبى لمن كان على صورة تقتضي له هذه المنزلة من العلو ، ولا تؤثر فيه ولا أخرجته من عبوديته ، فتلك العصمة التي حبانا الله بالحظ الوافر منها في وقتنا هذا ، فالله يبقيها علينا فيما بقي من عمرنا إلى أن نقبض عليها ، أنا وجميع إخواننا ومحبينا بمنه لا رب غيره .

(ف ج ٢ / ٦٤٢) .

خلعة الوراثة النبوية :

اعلم أن السالك إذا وصل إلى الباب ، الذي يصل إليه كل سالك بالاكتساب، فآخر قدم في السلوك هو خاتمة السالكين ، ثم يفتح الباب وتخرج العطايا والمواهب الإلهية بحكم العناية والاختصاص ، لا بحكم الاكتساب ، وهذا الباب الإلهي قبول كله لا رد فيه البتة ، بخلاف أبواب المحدثات وفيه أقول :

كل باب إذا وصلت إليه أمكن الرد والقبول جميعاً
غير باب الإله فهو قبول للذي جاءه سميعاً مطيعاً
والذي رد إذ تخيل فيه أنه الباب خر ثمَّ صريعاً
فيناديه ربه ليس بابي إن بابي لمن يريد خشوعاً
لو تفطنت حين جئت إليه كنت عاينت فيك أمراً بديعاً
أنت ما أنت لست أنت سوانا فاسكب إن شئت للفراق دموعاً

ولما وصلت في جملة الواصلين من أهل زماني إلى هذا الباب الإلهي ، وجدته مفتوحاً ما عليه حاجب ولا بواب ، فوقفت عنده إلى أن خلع عليَّ خلعة الوارثة النبوية ، ورأيت خوخة مغلقة فأردت قرعها ، فقيل لي : لا تقرع فإنها لا تفتح ، فقلت : فلأي شيء وضعت ؟ قيل لي : هذه الخوخة التي اختص بها الأنبياء والرسل عليهم السلام ، ولما كمل الدين أغلقت ، ومن هذا الباب كانت تخلع على الأنبياء خلع الشرائع ، ثم إني التفت في الباب فرأيته جسماً شفافاً يكشف ما وراءه ، فرأيت ذلك الكشف عين الفهم الذي للورثة في الشرائع ، وما يؤدي إليه اجتهاد المجتهدين في الأحكام ، فلازمت تلك الخوخة والنظر فيها وراء ذلك الباب ، فجليت لي من خلفه صور المعلومات على ما هي عليه ، فذلك عين

الفتح الذي يجده العلماء في بواطنهم ولا يعلمون من أين حصل لهم ، إلا إن كوشفوا على ما كشف لنا ، فالنبوة العامة لا تشريع معها ، والنبوة الخاصة التي بابها تلك الخوخة هي نبوة الشرائع ، فبابها مغلق ، والعلم بها فيها محقق ، فلا رسول ولا نبي ، فشكرت الله على ما منح من المنن، في السر والعلن ، فلما اطلعت من الباب الأول الذي يصل إليه السالكون ـ الذي منه تخرج الخلع إليهم ـ رأيت منه شكر الشاكرين كالصور التي تجلت لنا خلف الخوخة ، والظاهر من الشكر كالخوخة ، فلم أر شاكراً إلا لواحد من خلف الكلمات الظاهرة ، فلم أجد في تلك الحالة مساعداً لي على الشكر ، فقلت أخاطب ربي تعالى عز وجل :

إذا رمت شكراً لم أجد لك شاكراً ... وإن أنا لم أشكر أكون كفوراً
سترت عقول الخلق بالسبب الذي ... وضعت فلم آنس عليك غيوراً
وقد بَلَّغَتْ عنك التراجم غيرة ... أمرت بها عبداً بتلك خبيراً
لذلك لم تُشْهَدْ ولم تك ظاهراً ... ولو كنت مشهوداً لكنت غفوراً
وقد قلت بالتلبيس في الملك الذي ... بعثت شخيصاً للأنام بصيراً
وكيف لنا بالعلم والأمر لم يزل ... على حالة الإمكان منك ظهيراً

(ف ح ٣/ ٥١٣).

سماع الشيخ من ينعي له نفسه :

سمعت منشداً ينشد في زاوية البيت ولا أرى شخصاً ، لكني أسمع الصوت ولا أدري لمن يخاطب بذلك الكلام . وهو :

أوص فإنك رائح ... لمنزل أنت رابح
فيه لأنك ممن ... له قبول النصائح
قد صاح في جانب ... الدار للمنية صائح
وقد دعاك إليه ... فلا تجب بالنوائح
وقد أتاك رسول ... منه بخير المنائح
لقاء ربك فيها ... وفيه كل المصالح

(ف ح ٤/ ٥٣٢)

مناجاة الشيخ ربه تعالى بحسن الظن :

إلهي لا تؤاخذني | على ما كان من زللي
ولا تنظر إلى فعلي | فإني سيىء العمل
وما لي غير حسن الظن | يا ثقتي ويا أملي

(مسامرات / ح ٢).

قوله رضي الله عنه في مرضه :

توالى علي اليبس من كل جانب | وأقلقني طول التفكر والسهر
وأزعجني داعي المنية للبلى | وأذهلني عما يجل ويحتقر
وقوّى فؤادي حسن ظني بخالقي | وأضعف مني قوة السمع والبصر
وإن مرادي حيل بيني وبينه | بردي كما يتلى إلى أرذل العمر
فنادى بروحي للبرازخ والتوى | ينادي بجسمي للمقابر والحفر
فهذا حبيس القبر في منزل البلى | وهذا حبيس الصور في برزخ الصور
فلو لم أكن بالحق كنت مقيداً | ولو لم أكن بالخلق كنت على خطر
فحقي يحليني بما فيّ من قوى | وخلقي يحليني بما يوصف البشر
فما أعذب الطعم الذي قد طعمته | من الظن بالرب الجميل لمن نظر
وما أقطع الطعم الذي قد طعمته | من العلم بالله المريد وما أمر
كأني طعمت التمر في طيباته | وفي العلم ما ذقنا سوى مطعم العُشر
فوفيت ما قد أوجب الله فعله | عليّ بتصريف القضاء مع القدر
عناية مختار عليم منبئاً | وجئت كما قد جاء موسى على قدر

(ديوان / ١٧٩).

رحلة الشيخ رضي الله عنه :

ولد الشيخ قدس الله سره عام ٥٦٠ هـ بمرسيه بالأندلس ، ثم أقام بإشبيلية من ٥٦٨ إلى ٥٧٨ ، ثم قرطبة ٥٨٠ ، وعاد إلى إشبيلية عام ٥٨٠ ، ثم مرشانة الزيتون ٥٨٦ ، سبتة ٥٨٩ ، ثم جزيرة طريف ٥٨٩ ـ ٥٩٠ ، ثم تلمسان ٥٩٠ ، تونس ٥٩٠ ، ثم عاد إلى فاس ٥٩١ ، ثم إشبيلية ٥٩٢ ، ثم مورور ٥٩٣ ، ثم عاد إلى فاس وسبتة

٥٩٣ ـ ٥٩٤ ، ثم عاد إلى المرية ٥٩٥ ، ثم غرناطة ٥٩٥ ، ثم مرسيه ٥٩٥ ، ثم سافر إلى تونس للمرة الثانية ٥٩٥ ، ثم إلى مراكش وابحيسل وآنحال ٥٩٧ ، ثم إلى قبرفيق ٥٩٨ ، ثم عاد إلى مرسية ٥٩٨ ، ثم سلا ٥٩٨ ، مرشانة ٥٩٨ ، ثم خرج إلى الدار البيضاء ٥٩٨ ، سبته ٥٩٨ ، ثم تونس للمرة الثالثة ٥٩٨ ، ومنها خرج حاجاً فوصل القاهرة ٥٩٨ ، القدس ، فالمدينة المنورة ، ثم وصل مكة وجاور بها ٥٩٨ ـ ٦٠٠ ، ثم خرج إلى المدينة المنورة ٦٠١ ، ثم بغداد فالموصل ثم مالاتيه ٦٠١ ، ثم الخليل ٦٠٢ ، ومنها عاد إلى القاهرة ٦٠٣ ، ثم عاد إلى مكة ٦٠٤ ، ثم حلب ٦٠٦ ، ثم بغداد ٦٠٨ ، ثم حلب ٦١٠ ، ثم مكة ٦١١ ، ثم قونية ٦١٢ ، ثم سيواس ٦١٢ ، ثم مالاتيه ٦١٣ ، ثم حلب ٦١٧ ، ثم دمشق ٦٢٠ ، ثم حلب ٦٢٨ ، ثم عاد واستقر بدمشق من ٦٢٩ إلى ٦٣٨ حيث توفاه الله تعالى .

الجزء الثاني

العلم عند الشيخ الأكبر :

العلم أشرف نعت نالــه بشر   وصاحب العلم محفوظ عليه مصون

(ف ح ١/ ٧٢٩).

تعريف العلم :

العلم ليس تصور المعلوم ، ولا هو المعنى الذي يتصور المعلوم ، فإنه ما كل معلوم يُتصوَّر ، ولا كل عالِم يتَصوَّر ، فإن التصور للعالِم إنما هو من كونه متخيِّلاً ، والصورة للمعلوم أن تكون على حالة يمسكها الخيال ، وثم معلومات لا يمسكها خيال أصلاً ، فثبت أنها لا صورة لها ، فنحن لا نقول :- إن العلم تصور المعلوم، على ما قاله صاحب النظر ، وإنما العلم درك ذات المطلوب، على ما هي عليه في نفسه ، وجوداً كان أو عدماً ، ونفياً أو إثباتاً ، وإحالة أو جوازاً أو وجوباً ، ليس غير ذلك . (ف ج ١ / ٤٢ -ج ٤ / ٣١٥) .

والعلم هو الصفة التي توجب التحصيل من القلب ، والعالِمُ هو القلب ، والمعلوم هو ذلك الأمر المُحَصَّل ، وتصور حقيقة العلم عسير جداً ، فالعلم درك المُدْرَكِ على ما هو عليه في نفسه إذا كان دركه غير ممتنع ، وأما ما يمتنع دركه ، فالعلم به هو لا دركه ، كالعلم بالله هو لا دركه ، ولكن لا دركه من جهة كسب العقل كما يعلمه غيره ، ولكن دركه من جوده وكرمه ووهبه كما يعرفه العارفون - أهل الشهود - لا من قوة العقل من حيث نظره . (ف ج ١ / ٩١) .

فالعلم أشرف الصفات ، وبه تحصل النجاة ، إذا حكَّمه الإنسان على نفسه، وتصرف في أموره بحسب حكمه ، فإن العلم إذا لم يثمر لصاحبه ما يعطيه حقيقته ، فما ثَمَّ علم، ولا ذلك عالم ، فإنه من المحال عندنا أن يعلم العالم ويعدل عن حكم علمه جملة واحدة ، وهو جائز عند علماء الرسوم ، وعندنا هذا الجائز ليس بواقع في الوجود ، وهي مسألة صعبة ، فإن العلم عندنا يقتضي العمل ولابدّ ، وإلا فليس بعلم وإن ظهر بصورة علم ، فإنه من المحال أن يكون هناك علم يعطي العمل قيامه بصاحبه ولا بعمل ، ولا يجوِّز

ذلك كثير من الناس ، وهم فيه على غلط ، فالعلم يقتضي العمل ولابد ، وما يتميز العالم العاقل من غيره إلا بإعطاء كل ذي حق حقه ، وإعطاء كل شيء خلقه ، ومتى لم يعلم ذلك فهو جاهل ، ومتى علم ولم يعمل بعمله فهو غير عاقل ، ومن لا ينظر في العلوم من حيث دلالتها على الحق ، حجبته عن موضع الدلالة التي فيها على الحق ، كعلوم الحساب والهندسة وعلوم الرياضيات والمنطق والعلم الطبيعي ، فما منها علم إلا وفيه دلالة وطريق إلى العلم بالله ، ولكن أكثر الناس لا ينظر فيه من حيث طلبه ذلك الوجه الدال على الله ، فوقع الذم والحجاب عن هذه الدلالة . (ف ج ٢ /٢٣٧ ـ ج ٣ /٢٦٤ ، ٣٣٣ ، ٤٨٧) .

ولا يلزم من تعلق العلم بالمعلوم حصول المعلوم في نفس العالم ولا مثاله ، وإنما العلم يتعلق بالمعلومات على ما هي المعلومات عليه في حيثيتها ، وجوداً أو عدماً ، وكل علم لا يكون حصوله عن كشف بعد فتح الباب ـ يعطيه الجود الإلهي ويبديه ويوضحه ـ فهو شعور لا علم ، لأنه حصل من خلف الباب والباب مغلق . (ف ج ١ / ٤٥ ـ ج ٣ / ٤٥٨) .

مراتب العلم والمعلوم :

الموجود يطلق عليه الوجود في أربع مراتب ، وجود في الذهن ، ووجود في العين ، ووجود في اللفظ ، ووجود في الرقم . (ف ج ١ / ٥٤) .

والعلم على ثلاث مراتب « **علم العقل** » وهو كل علم يحصل لك ضرورة ، أو عقيب نظر في دليل بشرط العثور على وجه ذلك الدليل ، وشبَهه من جنسه في عالم الفكر الذي يجمع ويختص بهذا الفن من العلوم ، ولهذا يقولون في النظر ، منه صحيح ومنه فاسد ، والعلم الثاني «**علم الأحوال**» ولا سبيل إليها إلا بالذوق ، فلا يقدر عاقل على أن يحدها ولا يقيم على معرفتها دليلاً ، كالعلم بحلاوة العسل، ومرارة الصبر، ولذة الجماع ، والعشق والوجد والشوق وما شاكل هذا النوع من العلوم ، فهذه علوم من المحال أن يعلمها أحد إلا بأن يتصف بها ويذوقها ، وبالذوق تتميز الأشياء عند العارفين ، والكلام على الأحوال لا يحتمل البسط، وتكفي فيه الإشارة إلى المقصود ، ومهما بسطت القول فيه أفسدته ، فعلوم الأذواق لا تنقال ولا تنحكي ، ولا يعرفها إلا من ذاقها ، وليس في الإمكان أن يبلغها من ذاقها إلى من لم يذقها ، وبينهم في ذلك تفاضل لا يعرف ، ولا يمكن أن يعرف عين ما فضله به . وما من أمر إلا وهو يقبل التعبير عنه ، ولا يلزم في ذلك فهم

السامع ، الذي لا يفهم ذلك الاصطلاح ، ولا تلك العبارة ، فإن علوم الأذواق والكيفيات وإن قُبلَت لا تنقال ، ولكن لما كان القول بها والعبارة عنها لإفهام السامع ، لذلك قالوا ما ينقال ، ولا يلزم ما لا يفهم السامع المدرك له، أن لا يصطلح مع نفسه على لفظ يدل به على ما ذاقه ، ليكون له ذلك اللفظ منبهاً ومذكراً له إذا نسي ذلك في وقت آخر ، وإن لم يفهم عنه من لا ذوق له فيه ، وشُبّه الأحوال من جنسها في أهل الذوق ، كمن يغلب على محل طعمه المرة الصفراء فيجد العسل مراً وليس كذلك ، فإن الذي باشر محل الطعم إنما هو المرة الصفراء . والعلم الثالث « **علم الأسرار** » وهو العلم الذي فوق طور العقل ، وهو علم نفث روح القدس في الروع ، يختص به النبي والولي ، وهو نوعان : نوع منه يدرك بالعقل كالعلم الأول من هذه الأقسام ، لكن هذا العالم به لم يحصل له عن نظر ، ولكن مرتبة هذا العلم أعطت هذا ، والنوع الآخر على ضربين ، ضرب منه يلتحق بالعلم الثاني لكن حاله أشرف ، والضرب الآخر من علوم الأخبار ، والعالم بهذا الصنف الثالث الذي هو علم الأسرار يعلم العلوم كلها ويستغرقها كلها ، وليس صاحب تلك العلوم كذلك ، ولا علم أشرف من هذا العلم المحيط الحاوي على جميع المعلومات ، وما بقي إلا أن يكون المخبر به صادقاً عند السامعين له معصوماً ، هذا شرطه عند العامة ، وأما العاقل اللبيب الناصح نفسه فلا يرمي به ، ولكن يقول :- هذا جائز عندي أن يكون صدقاً أو كذباً ، وكذلك ينبغي لكل عاقل إذا أتاه بهذه العلوم غير المعصوم ، وإن كان صادقاً في نفس الأمر فيما أخبر به ، ولكن كما لا يلزم هذا السامع صدقه لا يلزمه تكذيبه ، ولكن يتوقف ، وإن صدّقه لم يضره ، لأنه أتى في خبره بما لا تحيله العقول ، بل بما تجوزه أو تقف عنده ، ولا يهد ركناً من أركان الشريعة ، ولا يبطل أصلاً من أصولها ، فإذا أتى بأمر جوزه العقل وسكت عنه الشارع ، فلا ينبغي لنا أن نرده أصلاً ، ونحن مخيرون في قبوله ، والحكيم عبارة عمن جمع العلم الإلهي والطبيعي والرياضي والمنطقي ، وما ثَمّ إلا هذه المراتب من العلوم ، وتختلف الطرق في تحصيلها بين الفكر والوهب، وهو الفيض الإلهي ، فعلوم النبوة والولاية وراء طور العقل ، ليس للعقل فيها دخول بفكر ، لكن له القبول خاصة عند السليم العقل ، الذي لم يغلب عليه شبهة خيالية فكرية ، يكون من ذلك فساد نظره ، فإن العقل بين النظر والقبول .

(ف ح ١/٣١، ٤٨٣ - ح ٢/٤٨٢ - ح ١/٣١ - ح ٣/٢٦٠ - ح ١/٤٨٣، ٢٦١) .

والعلم وإن كان شريفاً فإن له معادن ، أشرفها ما يكون من لدنه سبحانه ، فإن الرحمة مقرونة به . (ف ح ٢ / ٤٢٠).

هبت علينا رياح الجود من كرم أتت به رسله لذى تجليه
فناله العارف النحرير من كثب بما يكون عليه من تحليه
إن كان في ملأ فالحال يخجله لذا يُرى مائلاً إلى تخليه
إن الجهول الذي للغير يثبتها وفيٍّ منكرها جهراً يباريه
وإن درى أنني بالورث أملكها لقام من حسد للنور يطفيه
فما لنا حيلة نرجو الخلاص بها إلا لنسأل من أطغاه يهديه

(ديوان / ١٨١).

العلم بالإلهيات :

لما كانت العلوم تعلو وتتضع بحسب المعلوم ، لذلك تعلقت الهمم بالعلوم الشريفة العالية ، التي إذا اتصف بها الإنسان زكت نفسه وعظمت مرتبته ، فأعلاها مرتبة العلم بالله ، وأعلى الطرق إلى العلم بالله علم التجليات ، ودونها علم النظر ، وليس دون النظر علم إلهي ، وإنما هي عقائد في عموم الخلق لا علوم ، فالتجلي أشرف الطرق إلى تحصيل العلوم ، وهي علوم الأذواق ، ولما لم نر إلا التقليد ، ترجح عندنا تقليد هذا المسمى برسول ، والمسمى بأنه كلام الله ، وعملنا عليه تقليداً حتى كان الحق سمعنا وبصرنا ، فعلمنا الأشياء بالله ، ولما تحققت بعبودية عبد المؤمن بعد دخول هذا الطريق بسنة أو سنتين (٥٨١ - ٥٨٢) تحققاً لم ينله في علمي أحد في زماني غيري ، عصمني الله من التفكر في ذات الله ، لأن السمعيات هو علمنا الذي نعول عليه في الحكم الظاهر ، فلم أعرفه إلا من قوله وخبره وشهوده ، وبقي فكري معطلاً في هذه الحضرة ، وشكرني فكري على ذلك ، وقال لي الفكر : الحمد لله الذي عصمني بك عن التصرف والتعب فيما لا ينبغي لي أن أتصرف فيه ، فصرفته في الاعتبار ، وبايعني على أني لا أصرفه إلا في الشغل الذي خُلِق له متى صرفته . فأجبته إلى ذلك ، فما قصَّرت في حق قواي كلها ، حيث ما تعديت بها ما

خُلقت له ، وحصل لها الأمان من جهتنا في ذلك ، فأرجو أن تشكرني عند الله .
(ف ج ١ / ١٦٦ - ج ٢ / ٢٩٨ - ج ٤ / ٢٠٤ - ج ٢ / ٣٨٩ - ج ٤ / ٢٠٤) .

فالعلم بالله من جهة الشرع هو تعريف الحق عباده بما هو عليه ، فإنه أعلم بنفسه من عباده وبه ، فإن العلم به منه أن يُعلَم أنه جامع بين التنزيه والتشبيه ، وهذا في الأدلة النظرية غير سائغ ، أعني الجمع بين الضدين في المحكوم عليه ، ليس ذلك إلا هنا خاصة ، فلا يحكم عليه خلقه ، والعقل ونظره وفكره من خلقه ، فكلامه في موجده بأنه ليس كذا ، أو هو كذا ، خرص بلا شك ، والخارص قد يصيب وقد يخطىء ، والعلم بالله من حيث القطع ، أولى من العلم به من حيث الخرص ، فإن العلم له الثبوت ، ولا تؤثر فيه الغفلات ، فإنه لا يلزم العالم الحضور مع علمه في كل نَفَس ، لأنه والٍ مشغول بتدبير ما ولّاه الله عليه ، فيغفل عن كونه عالماً بالله ولا يخرجه ذلك عن حكم نعته بأنه عالم بالله ، مع وجود الضد في المحل من غفلة أو نوم ، ولا جهل بعد علم أبداً ، إلا إن كان العلم قد حصل عن نظر في دليل عقلي ، فإن مثل ذلك ليس عندنا بعلم ، لتطرق الشُبَه على صاحبه وإن وافق العلم ، وإنما العلم من لا يقبل صاحبه شبهة ، وذلك ليس إلا علم الأذواق ، فذلك الذي نقول فيه إنه علم . (ف ج ١ / ٥٩٧ - ج ٢ / ٤٧٣) .

الإيمان بعلوم الأسرار :

كل علم إذا بسطته العبارة حَسُنَ وفُهِم معناه ، أو قارب وعَذُب عند السامع الفَهِم ، فهو علم العقل النظري ، لأنه تحت إدراكه ومما يستقل به لو نظر ، إلا علم الأسرار ، فإنه إذا أخذته العبارة سمج ، واعتاص على الأفهام دركه وخشن ، وربما مجته العقول الضعيفة المتعصبة ، التي لم تتوفر لتصريف حقيقتها التي جعل الله فيها من النظر والبحث ، فما كل علم يدخل تحت العبارات ، فمن العلم ما هو خارج عن الدخول تحت النطق ، وهي علوم الأذواق كلها . (ف ج ١ / ٣٣ - ج ٢ / ١١٤) .

ثم لتعلم أنه إذا حسن عندك علم الأسرار وقبلته وآمنت به ، فأبشر أنك على كشف منه ضرورة وأنت لا تدري ، لا سبيل إلا هذا ، إذ لا يثلج الصدر إلا بما يقطع بصحته ، وليس للعقل هنا مدخل لأنه ليس من دركه ، إلا إن أتى بذلك معصوم ، حينئذ يثلج صدر العاقل ، وأما غير المعصوم فلا يلتذ بكلامه إلا صاحب ذوق ، ولكن قد يتخيل في الإنسان

أنه إذا علم شيئاً فهو صاحب ذوق له ، وليس الأمر كذلك ، فإن الذوق لا يكون إلا عن تجل ، والعلم قد يحصل بنقل الخبر الصادق الصحيح .

(ف ج ١ / ٣٣ - ج ٢ / ٥٤٦) .

العلم الوهبي والعلم الكسبي :

العلوم على ضربين ، علم الوهب وعلم الكسب ، فنحن نعلم أن ثم علماً اكتسبناه من أفكارنا ومن حواسنا ، وثَمَّ علماً لم نكتسبه بشيء من عندنا ، بل هبة من الله عز وجل في قلوبنا وعلى أسرارنا ، فوجدناه من غير سبب ظاهر ، وهي مسألة دقيقة ، فإن أكثر الناس يتخيلون أن العلوم الحاصلة عن التقوى علوم وهب ، وليست كذلك ، وإنما هي علوم مكتسبة بالتقوى ، فإن التقوى جعلها الله طريقاً إلى حصول هذا العلم ، كما جعل الفكر الصحيح سبباً لحصول العلم ، لكن بترتيب المقدمات ، كما جعل البصر سبباً لحصول العلم بالمبصرات ، والعلم الوهبي لا يحصل عن سبب بل من لدنه سبحانه ، فاعلم ذلك حتى لا تختلط عليك حقائق الأسماء الإلهية ، وأريد بالاكتساب في العلوم ما يكون للعبد فيه تعمل ، كما أن الوهب ما ليس للعبد فيه تعمل ، وإنما قلنا هذا من أجل الاستعدادات التي جعلت العالم يقبل هذا العلم الوهبي والكسبي ، فإنه لابد من الاستعداد ، فإن وجد بعض الاستعدادات مما يتعمل الإنسان في تحصيلها كان العلم الحاصل عنها مكتسباً ، كمن عمل بما علم ، فأورثه الله علم ما لم يكن يعلم ، فالشرائع كلها علوم وهبية ، وممن حصل علوم الوهب - مما ليس بشرع - جماعة قليلة من الأولياء ، منهم الخضر على التعيين ، فإنه تعالى قال : ﴿ وعلمناه من لدنا علماً ﴾ وقال : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ ففتح لنا وندبنا إلى التأسي به ﷺ وقال : ﴿ فاتبعوني يحببكم الله ﴾ فمن التأسي به إذا ورد علينا من الحق سبحانه وارد حق ، فعلمنا من لدنه علماً فيه رحمة حبانا الله بها وعناية ، حيث كنا في ذلك على بينة من ربنا ، ويتلوه شاهد منا وهو اتباعنا سنته وما شرع لنا ، لم نخل بشيء منها ، ولا ارتكبنا مخالفة بتحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل ، فنطلب لذلك المعلوم الذي علمناه من جانب الحق أمثال هذه العبارات النبوية ، لنفصح بها عن ذلك ، ولاسيما إذا سئلنا عن شيء من ذلك ، لأن الله أخبر عمن هذه صفته أنه يدعو إلى الله على بصيرة ، فمن التأسي المأمور به برسول الله ﷺ أن نطلق على تلك المعاني هذه

الألفاظ النبوية ، إذ لو كان في العبارة عنها ما هو أفصح منها لأطلقها ﷺ ، فإنه المأمور بتبيين ما أنـزل به علينا ، ولا نعدل إلى غيرها لما نريده من البيان ، مع التحقق ﴿ بليس كمثله شي﴾ فإنــاإذا عدلنـــا إلى عبـارة غيرهـا، ادعينـا بذلـك أنـا أعلم بحق الله وأنـزه من رسـول الله ﷺ،وهذا أسوأ ما يكون من الأدب، ثم إن المعنى لابد أن يختل عند السامع، إذا كان ذلـك اللفظ الـذي خالفت به لفظ من كان أفصـح النـاس وهو رسول الله ﷺ ، والقرآن ، لا يدل على ذلك المعنى بحكم المطابقة ، فشرع لنا التأسي ، وغاب هذا المنكر المكفر مَنْ أتى بمثل هذا ، عن النظر في هذا كله ، وذلك لأمرين أو لأحدهما ، إن كان عالماً فلحسد قام به ، قال تعالى : ﴿ حسداً من عند أنفسهم ﴾ وإن كان جاهلاً فهو بالنبوة أجهل . (ف ج ١ / ٢٥٤ ، ٢٠١) .

فنحن ومن جرى مجرانا من أهل الطريق - ممن خص بكشف خاص لله الحمد - لا نرمي بشيء مما يرد علينـا من ذلـك ، ولا ندفـع به جملة واحـدة. سواء اقتضـاه علمنا واستعدادنا التعملي أو لم يقتضه ، فإن الاقتضاء غير لازم عندنا في كل شيء ، بل أوجد الله ما يريد في أي محل يريد ، كما أنا لا نرمي أيضاً بشيء مما أعطانا الله على يد واسطة ، مذمومة كانت تلك الواسطة أو محمودة ، كما فعل سليمان عليه السلام ، أو بارتفاع الوسائط ، سواء كان ذلك منهياً عنه أو مأموراً به ، فإن الله قد أعطانا من القوة وعلم السياسة ، بحيث نعلم كيف نأخذ ، وإذا أخذنا كيف نتصرف به وفيه ، وفي أي محل نتصرف به ، وهذا مخصوص بأهل السماع من الحق دائماً ، وهو طريقنا وعليه عمل أكابرنا ، ويحتاج إلى علم وافر، وعقل حاضر ، ومشاهدة دائمة، وعين لا تقبل النوم ولا تعرفه ، وتتحقق بذلك تحقيقاً يسري معها حساً، وفي حال نومها خيالاً ، وفي حال فنائها وغيبتها تحققاً . وهو مقام عزيز مخصوص بالأفراد منا ، وعلم الأنبياء أكثره من هذه العلوم التي ليس لها مستند ، ولهذا كانت النبوة اختصاصاً من الله ، لا بعمل ولا بتعمل ، ونحن ورثنا هذا المقام من عين المنة ، فحصلنا من العلوم التي لا مستند لها يطلبها - ما عدا النبوة - كثيراً ، تعرفها أسرارنا دون نفوسنا ، فلذلك لا يظهر علينا منها شيء ، فإنه لا تعلق لها بالكون ، فإن الحقائق لا تدرك بدقيق فكر ولا نظر ، بل بعلم موهوب من علوم الكشف ونتائج المجاهدات المصاحبة للهمم ، فإن مجاهدة بغير همة غير منتجة شيئاً ، ولا مؤثرة في العلم ، لكن تؤثر في الحال من رقة وصفاء

يجده صاحب المجاهدة ، فمن أراد معرفة الحقائق فليسلك طريق الرجال ، وليلزم الخلوة والذكر ، فإن الله سيطلعه على الحقائق عيناً ، فيعلم أن الناس في عماية عن إدراكها .

اشــهـدني خالـقـي بجـوده ما شاءه من سنـا وجـوده
واخـتـارني للعـلوم قلبـا عنـايـة بي على عبـيـده
وقـال لي لا تكـن محلا لوارد الـكـون في شهـوده
فإنـما جنـتي ونـاري لكـل رسـم دارا خلوده
فاذكـر وجـودي بعـين جودي يكـن عطاء على وجـوده

(ف ح ٢/ ٦٠٠ - ح ١/ ٩٩، ١٢٠ - ديوان/ ٤٥).

طرق تحصيل العلم :

الشخص مستدرج والصدر مشروح والكنـز مستخـرج والبـاب مفتـوح
أين الأوائـل لا كانـوا ولا سلفـوا الـعـقـل يقبـل ما تأتي به الـروح
لكنهم حجبـوا بالفكـر فاعتمـدوا عليـه والـعـلم موهـوب وممنـوح
ما فيـه مكـتـسب إن كنت ذا نَصَفٍ فليس للعقـل تعـديـل وتجـريـح
الـعـدل والجـرْح شرع الله جاء به ميـزانـه فبـدا نقص وتـرجـيـح
الـعقـل أفقـر خلق الله فاعتـبروا فإنـه خلف باب الـفـكـر مطروح
لولا الإلـه ولـولا ما حبـاه به من القـوى لم يقم بالعقـل تسريـح
إن الـعـقـول قيـود إن وثـقـتَ بها خسرتَ فافهم فقـولي فيـه تلويـح
ميـزان شرعـك لا تبرح تزيـن به فـإن رتـبـتـه عـدل وتـصـحـيـح
إن الـتـنـافس في علم يقـوم به صدر بنـور شهـود الحـق مشروح
هذا الـتـنـافس لا أبـغـي به بدلا له من الـذكـر قدوس وسـبـوح
لمثـل ذا يعـمـل الـعـمال ليس لهم في غير ذلـك تحسـين وتـقـبـيـح

الحواس طريق موصلة إلى العلم ، والعلم بالأمر هو المطلوب ، لا بها حصل ، فقد رأيت الأكمة يدرك الفرق بين الألوان مع فقد حس البصر ، وجعل الله بصره في لمسه ، يبصر بها به يلمس ، فالعلم عن طريق الفيض الإلهي وعليه أصحابنا ، ليس لهم في الفكر دخول لما يتطرق إليه من الفساد ، والصحة فيه مظنونة فلا يوثق بها يعطيه ، وأعني بأصحابنا

أصحاب القلوب والمشاهدات والمكاشفات ، لا العباد ولا الزهاد ولا مطلق الصوفية، إلا أهل الحقائق والتحقيق منهم ، فما عدا هذه الطريقة الإلهية في التعليم، فإنما هو غلبة ظن، أو مصادفة علم، أو جزم على وهم، وأما علم فلا ، فإن جميع الطرق الموصلة إلى العلم فيها شُبَه ، لا تثق النفس الطاهرة التي أوقفها الله على هذه الشبه، أن تقطع بحصول علم منها، إلا بالطريقة الإلهية وهي قوله تعالى : ﴿ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ﴾ وقوله : ﴿ خلق الإنسان علمه البيان ﴾ فهو يبين عما في نفسه، فلا علم لأحد إلا مَنْ علمه الله ، فنأخذ بالكشف عند التعمل بالتقوى، فيتولى الله تعليمنا بالتجلي، فنشهد ما لا تدركه العقول بأفكارها، مما ورد به السمع، وأحاله العقل، وتأوله عقل المؤمن، وسلمه المؤمن الصرف .

تغـيرت لما أن تغـير لي المجـرى ... لذا جئت شيئاً خارقاً عندكم إمرا
فياليت شعري من يسير بسيرنا ... إلى حضرة ذوقيَّـة شربهـا أمـرا
إذا رويت أكبـادنـا من شرابهـا ... وأحدث في الأكوان من شربها أمرا
وصحت لنا في العالمين خلافة ... خلعت بها عن ذاته النهي والأمرا

(ف ج ٤ / ١١٢ - ج ٣ / ٣٥٧ - ج١ / ٢٦١ - ج ٤ / ٨٠ - ج ٢ / ٣٨٩ - ديوان / ٩٦) .

وأهـل الله من الأنبياء والأولياء ينسبون فيما يدركـونه من العلوم على غير الطرق المعتادة ، إلى الصفة التي أدركوا بها المعلومات ، فيقولون فلان صاحب نظر ، أي بالنظر يدرك جميع المعلومات ، وهـذا ذقتـه مع رسول الله ﷺ وفلان صاحب سمع ، وفلان صاحب طعم ، وصاحب نفس وأنفاس يعني الشم ، وصاحب لمس ، فكل نَفَس من الأنفاس الرحمانية في العالم الإنساني، علم إلهي مستقل عن تجل خاص ، فمن شم من هذه الأنفاس رائحة عرف مقدارها ، وفيها تفريج الكرب، ودفع النوب ، وما رأيت من أهلها من هو معروف عند الناس ، وأكثر ما يكونون من بلاد الأندلس ، واجتمعت بواحد منهم بالبيت المقدس وبمكة ، فسألته يوماً في مسألة فقال لي : هل تشم شيئاً ؟ فعلمت أنه من أهل ذلك المقام ، وخدمني مدة ، وكان لي عم أخو والدي شقيقه ، اسمه عبدالله بن محمد بن العربي ، كان له هذا المقام حساً ومعنى ، شاهدنا ذلك منه قبل رجوعنا لهذا الطريق في زمان جاهليتي . (ف ج ١ / ٢١٤ ، ١٨٥) .

ومن علوم الوهب العلم عن النظرة، والضربة، والرمية ، وكيف تقوم هذه الأمور مقام كلام العالم للمتعلم ، وذوقنا من هذا الفن ذوق النظرة ، فتستفاد علوم كثيرة من مجرد ضرب أو نظر ، وقد رأينا هذا كله بحمد الله من نفوسنا فلا نشك فيه ، وما أُشَبِّهُهُ إلا بأبواب مغلقة ، فإذا فتحت الأبواب، وتجلى لك ما وراءها، أحطت بالنظرة الواحدة علماً بها ، كما يفتح الإنسان عينه في اللمحة الواحدة فيدرك من الأرض إلى فلك البروج .

لما لزمت قرع باب الله ... كنت المراقب لم أكن باللاهي
حتى بدت للعين سبحة وجهه ... وإلى هلمَّ لم تكن إلا هي
فاحطت علماً بالوجود فما لنا ... في قلبنا علم بغير الله
لو يسلك الخلق الغريب محجتي ... لم يسألوك عن الحقائق ما هي

(ف ح ٢/ ٦٠٨ - ح ٣/ ٣٩).

الكشف :

العلم أشرف ما يؤتيه من منح ... والكشف أعظم منهاج وأوضحه
فإن سألت إله الحق في طلب ... فسله كشفاً فإن الله يمنحه
وأدمن القرع إن الباب أغلقه ... دعوى الكيان وجود الله يفتحه

إذا ثبت أن علم العقل قابل للشبه ، وأن علم الأحوال كذلك ، تبين لك أن العلم الصحيح لا يعطيه الفكر ، ولا ما قررته العقلاء من حيث أفكارهم ، ولهذا اختلفت مقالاتهم ، فإن كان العلم قد حصل عن نظر في دليل عقلي ، فإن مثل ذلك ليس عندنا بعلم ، لتطرق الشبهة على صاحبه وإن وافق العلم ، وإنما العلم من لا يقبل صاحبه شبهة ، وذلك ليس إلا علم الأذواق ، فذلك الذي نقول فيه إنه علم ، فإن الأذواق بمنزلة الأدلة لأصحاب النظر في العلوم . فالعلم الصحيح إنما هو ما يقذفه الله في قلب العالِم ، وهو نور إلهي يختص به من يشاء من عباده ، من ملك ورسول ونبي وولي ومؤمن ، ومن لا كشف له لا علم له ، فكل علم لا يكون عن ذوق ليس بعلم أهل الله ، قال تعالى : ﴿ فاسأل به خبيراً ﴾ الضمير في قوله به يعود على الاستواء ، أي فاسأل بالاستواء خبيراً ، يعني كل من حصل له ذلك ذوقاً كأمثالنا ، فإن أهل الله ما علموا الذي علموه إلا ذوقاً ، ما هو عن فكر ولا عن تدبر . (ف ج ٣ / ٤٥٦ - ج ١ / ٢١٨ - ج ٢ / ٤٧٣ ، ٥٧٤ - ج ١ / ٢١٨ - ج ٢ / ٥٧٤ - ج ٣ / ٤٣١) .

وفي الأولياء ، ابتداء المكاشفات لهم في عالم الشهادة ، وهو ما يدرك بالحس في أول سلوكهم ، فإن المريد أول ما يكشف له عن المحسوسات ، فيرى رجلاً مقبلاً أو على حالة ما ، وبينهما البعد المفرط والأجسام الكثيفة ، بحيث أن يراه بمكة ، أو يرى الكعبة ، وهو بأقصى المغرب ، وهذا كثير عند المريدين في أول أحوالهم ، ذقت ذلك كله ، ولله الحمد ، ثم ينتقلون عن ذلك ـ إن كانوا من أهل العناية والاختصاص بالوراثة النبوية ـ إلى عالم الغيب الذي يدرك بعين البصيرة ، وليس بينه وبينها مسافة ولا بعد ولا قرب مفرط ، وحجابه إنما هو الران والقفل والكِن ، وقد ارتفعت بالمجاهدات فلاحت أعلام الغيوب ، لكن ثَمَّ أمر تدركه ، وهو إن انجلت عين البصيرة فإن ثَمَّ حجاباً آخر إلهياً ، وهو أن النور الذي ينبسط من حضرة الجود على المغيبات في الحضرات الوجودية ، ليس يعمها إلا على قدر ما يريد الله تعالى أن يكشف لك منها ، مع أنك في غاية الصفاء والجلاء ، وذلك هو مقام الوحي ، دليلنا على ذلك لأنفسنا ذوقنا له ، ولغيرنا قوله تعالى : ﴿ قل . . . وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ ﴾ مع غاية الصفاء النبوي ، فكيف بالولي الذي ما فتح له من الطرق خرت إبرة ، فهذا هو الحجاب الإلهي ، وهو في الكتاب العزيز : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب ﴾ فقوله : ﴿ إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ ﴾ هو قدر ما يكشف له من عالم الغيب ، فيرى تأثيره في عالم الشهادة ، فيتكلم به على ذلك الحد ، فيقول يكون كذا ، ولا يكون كذا ، وعاقبة أمر ما كذا إلى كذا ، على قدر الكشف ، وهذا الحجاب الإلهي لا يمكن رفعه عقلاً ، ولو بلغ المرء أعلى الغايات ، بدليل أن هذا الحجاب إنما هو العلم الأزلي المتعلق بمعلومات غير متناهية ، وكل ما حصره الوجود فهو متناه ، ولا تكشف عين البصيرة إلا ما دخل في الوجود بوجه ما من أوجه مراتب الوجود . (التدبيرات الإلهية) .

الكشف لا يخطىء :

الكشف لا يخطىء أبداً ، والمتكلم في مدلوله يخطىء ويصيب ، إلا أن يخبر عن الله ، كصاحب الرؤيا فإن كشفه صحيح وأخبر عما رأى ، ويقع الخطأ في التعبير لا في نفس ما رأى ، وقد اختلفنا فيما يستقل العقل بإدراكه إذا أخذه الولي من طريق الكشف والفتح ، هل يفتح له مع دليله أم لا ؟ فذهبنا نحن إلى أنه قد يفتح له فيه ، ولا يفتح له في دليله ،

وقد ذقناه ، وذهب بعضهم منهم صاحبنا الشيخ الإمام أبوعبدالله الكتاني بمدينة فاس ، سمعته يقول : لابد أن يفتح له في الدليل من غير فكر ، ويرى ارتباطه بمدلوله ، فعلمت أن الله ما فتح عليه في مثل هذا العلم إلا على هذا الحد ، فقال أيضاً ذوقه ، فإخباره أنه كذا رآه صحيح ، وحكمه أنه لا يكون إلا هكذا باطل ، فإن حكمه كان عن نظره لا عن كشفه ، فإنه ما أخبر عن الله أنه قال له هكذا أفعله ، وإن غير هذا الرجل من أهل هذا الشأن ، قد أدرك ما ذهبنا إليه ولم يعرف دليله العقلي ، فأخبر كل واحد بما رآه، وصدق في إخباره ، وما يقع الخطأ قط في هذا الطريق من جهة الكشف ، ولكن يقع من جهة التفقه فيه فيما كشف ، إذا كان كشف حروف أو صور ، فإذا خالف الكشف الذي لنا كشف الأنبياء عليهم السلام ، كان الرجوع إلى كشف الأنبياء عليهم السلام ، وعلمنا أن صاحب ذلك الكشف قد طرأ عليه خلل ، بكونه زاد على كشفه نوعاً من التأويل بفكره ، وما رأينا ولا سمعنا عن صاحب كشف إلهي من المؤمنين خالف كشفه ما جاءت به الرسل جملة واحدة ولا تجده. (ف ج ٣/٧، ٣١١) .

من هم أهل الكشف ؟

إن الله أخذ بأكثر أبصار جنس الإنس والجان عن إدراك النفوس المدبرة الناطقة ، التي للمسمى جماداً ونباتاً وحيواناً ، وكشف لبعض الناس عن ذلك ، والدليل السمعي على ما قلناه قول الله : ﴿ وإن منها ﴾ يعني من الحجارة ﴿ لما يهبط من خشية الله ﴾ فوصفها بالخشية ، وأما أمثالنا فلا يحتاج إلى خبر في ذلك ، فإن الله قد كشفها لنا عيناً ، وأسمعنا تسبيحها ونطقها لله الحمد على ذلك ، فصاحب الكشف لا يمكن أن يُقَسِّم العالم إلى حي وإلى غير حي ، بل هو عنده كله حي ، ولكن تنسب عندنا الحياة لكل حي ، بحسب حقيقة المنعوت بها المسمى عند أهل الكشف والشهود، لا عند من لا يرى الحياة إلا في غير الجماد والنامي في نظره ، فحديث الله في الصوامت عند العامة، علماء الرسوم حديث حال ، وأما عند أهل الكشف فيسمعون نطق كل شيء من جماد ونبات وحيوان ، بسمعه المقيد بأذنه في عالم الحس لا في الخيال ، كما يسمع نطق المتكلم من الناس، والصوت من أصحاب الأصوات ، فما عندنا في الوجود صامت أصلاً ، بل الكل ناطق بالثناء على الله ، فإن المسمى بالجماد والنبات عندنا لهم أرواح ، بطنت عن إدراك غير أهل الكشف إياها في

العادة ، لا يحس بها مثل ما يحسها من الحيوان ، فالكل عند أهل الكشف حيوان ناطق بل حي ناطق ، فنبه ﷺ على الكشف فقال : « لولا تزييد في حديثكم ، وتمريج في قلوبكم ، لرأيتم ما أرى ، ولسمعتم ما أسمع » فعمل عليه أهل الله فوجوده صحيحاً . ولابد لسماع الصالحين نطق الأشياء من فائدة علم ، فلو لم يفدهم لم يكن ذلك إكراماً من الله بهم .

(ف ج ٣ / ٥٥٤ ، ٣٢٤ - ج ٢ / ٧٧ - ج ١ / ١٤٧ - ج ٢ / ٤٨٥) .

وأهل الكشف يرون ويسمعون شكوى الجوارح إلى الله تعالى من النفس الخبيثة ، التي تدبر البدن وتصرف الجوارح في السوء مما يلقي إليها الشيطان ، والنفس من حيث هيكلها النوري تشكو النفس الحيوانية القابلة ما يلقي إليها الشيطان من السوء ، والعامة العمي من أهل الحروف والرسوم لا يشعرون ، صم بكم عمي فهم لا يعقلون ولا يسمعون هذه الشكوى ، لقوة صممهم ، وطمس عيونهم ، فلو عملوا بما كلفوا ، لعلمهم الله مثل هذا العلم ويرونه مشاهدة عين ، كما يراه ويناله أهل الله تعالى[1] ، ويقول الله تعالى في حق واحد منهم : ﴿ وعلمناه من لدنا علماً ﴾ ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ .

(ف ج ١ / ٥٧٣) .

وصاحب الكشف يرى في المداد الذي في الدواة جميع ما فيه من الحروف والكلمات ، وما يتضمنه من صور ما يصورها الكاتب أو الرسام ، وكل ذلك كتاب ، فيقول في هذا المداد من الصور كذا وكذا صورة ، فإذا جاء الكاتب والرسام ، أو الرسام دون الكاتب ، أو الكاتب دون الرسام ، بحسب ما يذكره صاحب الكشف ، فيكتب بذلك المداد ويرسم ما ذكره هذا المكاشف ، بحيث لا يزيد على ذلك ولا ينقص ، (ف ج ٣ / ٤٥٦) .

وأهل الكشف ، النبي عندهم موجود ، فلا يأخذون الحكم إلا عنه ، فإنه لا يسوغ القياس في موضع يكون فيه الرسول ﷺ موجوداً ، ولهذا الفقير الصادق لا ينتمي إلى مذهب ، إنما هو مع الرسول الذي هو مشهود له .

أنا المختار لا المختار إني ... على علم من اتباع الرسول
ورثت الهاشمي أخا قريش ... بأوضح ما يكون من الدليل

---

(١) راجع أحوال الشيخ ص ٩٧.

أبايعه على الإسلام كشفاً وإيماناً لألحق بالرعيل
أقوم به وعنه إليه حتى أبينه لأبناء السبيل
(ف ج ٣ / ٣٣٥ - ديوان ١٠٠) .

فمن كان من الصالحين ممن كان له حديث مع النبي ﷺ في كشفه ، وصحبه في عالم الكشف والشهود وأخذ عنه ، حشر معه يوم القيامة ، وكان من الصحابة الذين صحبوه في أشرف موطن ، وعلى أسنى حالة ، ومن لم يكن له هذا الكشف فليس منهم ، ولا يلحق بهذه الدرجة صاحب النوم ولا يسمى صاحباً - ولو رآه في كل منام - حتى يراه وهو مستيقظ كشفاً[1] ، يخاطبه ويأخذ عنه ويصحح له من الأحاديث ما وقع فيه الطعن من جهة طريقها ، وإنا أخذنا كثيراً من أحكام محمد ﷺ المقررة في شرعه عند علماء الرسوم ، وما كان عندنا علم ، فأخذناها من طريق الكشف ، وهو عندنا ذوق محقق .
(ف ج ٢ / ٥٠ ج ١ / ٢٢٤) .
لذلك يقول رضي الله عنه في ترتيب نضد العالم : إنا ما أوردنا شيئاً مما ذكرناه أو نذكره من جزئيات العالم ، إلا واستنادنا فيه إلى خبر نبوي يصححه الكشف ، ولو كان ذلك الخبر مما تكلم في طريقه ، فنحن لا نعتمد فيه إلا على ما يخبر به رجال الغيب رضي الله عنهم ، فوالله ما يعرف الأمور إلا من شهدها ذوقاً وعاينها كشفاً ، ويظن المجادل الذي هو ولي الشيطان ، أن ما يجيء به إنما ذلك من نفسه ومن نظره وعلمه ، وهو من وحي الشيطان إليه ، يعرف ذلك أهل الكشف عيناً ويسمعونه بآذانهم كما يسمعون كل صوت ، ولا يكشف الله لأحد من النوع الإنساني ما يكشفه للبهائم إلا إذا رزقه الله الأمانة ، وهي أن يستر عن غيره ما يراه من ذلك ، إلا بوحي من الله بالتعريف ، فإن الله ما أخذ بأبصار الإنس وأسماعهم في الأكثر ، وبالفهم في أصوات هبوب الرياح، وخرير المياه، وكل مصوت ، إلا ليكون ذلك مستوراً ، فإذا أفشاه هذا المكاشف فقد أبطل حكمة الوضع ، إلا أن يوحي إليه بالكشف عن بعض ذلك ، فحينئذ يعذر في الإفشاء بذلك القدر . (عقله المستوفز - ف ج ٣ / ٤٩٠ - ٤٩١) .

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من رآني في المنام فسيراني في اليقظة .

سبب اشتغال الشيخ بالعلم وبثه :

سبحـــان من صيرني عالمـــاً   من بعــد ما كنت كالغمر

قد كنا بفاس من بلاد المغرب في جماعة يتلون آيات الله آناء الليل والنهار ، سلكنا هذا المسلك لموافقة أصحاب موفقين ، كانوا لنا سامعين وطائعين ، ففقدنا لفقدهم هذا العمل الخالص ، وهو أشرف الأرزاق وأعلاها ، فأخذنا لما فقدنا مثل هؤلاء في بث العلم ، من أجل الأرواح الذين غذاؤهم العلم ، ورأينا أن لا نورد شيئاً منه إلا من أصل مطلوب لهذا الصنف الروحاني وهو القرآن ، فجميع ما نتكلم فيه في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه ، أعطيت مفتاح الفهم فيه والإمداد منه ، وهذا كله حتى لا نخرج عنه ، فإنه أرفع ما يمنح ، ولا يعرف قدره إلا من ذاقه ، وشهد منزلته حالاً من نفسه ، وكلمه به الحق في سره ، فما خرجنا بحمد الله عن الكتاب والسنة .

إن جاءكـــم نص بضـــد الـــذي   ذكـــرتـــه مع الهـــدى يمشي
تمســـكـــوا منـــه بأهـــدابـــه   وألقـــوا الـــذي ذكـــرت في الحشِ

(ديوان / ٨٣ - ف ج ٣ / ٣٣٤ - ج ١ / ٤٠٤) .

فإني أرجو من الله أن ينفعني بمن علم مني ما ذكرته في كلامي هذا من العلم بالله ، الذي لا تجده فيما تقدم من كتب المؤلفين في هذا الفن ، وفيه نُكَتٌ لست تراها في كلام أحد منقول عن أسرار هذه الطريقة غير كلامنا ، ولولا ما ألقي عندي في إظهارها ما أظهرتها ، لسر يعلمه الله ما أعلمنا به ، وفيه مسائل لا تجدها محققة على ما ذكرت فيها ، لأنني ما رأيت أحداً حقق فيها ما ذكرته ، فإن بعض العلوم ما رأيت أحداً نبه عليها قبلي ، إلا إن كان وما وصل إليّ ، فإنه لابد لأهل الله المحققين من إدراك هذه العلوم ، ولكن قد لا يجريه الله على ألسنتهم ، أو يتعذر على بعضهم العبارة عن ذلك ، وهذا كله نقطة من كلمة من القرآن العزيز ، فما عندنا من الله إلا الفهم فيه من الله ، وهو الوحي الإلهي الذي أبقاه الحق علينا .

استغفـــر الله من علم أفـــوه به   فإن قائـــله منهـــم على خطر
وهو الصحيح الذي لاشك يدخلني   فيـــه ولـــكـــنـــني منـــه على حذر
وقـــد أتيت به لحكمـــة حكمت   عليَّ فيـــه على ما جاء في القـــدر

من العلوم التي قد عز طالبها ... ولم ينلها لما في الأمر من غرر
لولا وراثتنا خيرَ الأنام لما ... حصَّلتُها السيدَ المختارَ من مضر
وهو العليم بها من ضربة حصلت ... له من الله ذي الآلاء في السمر
إني يتيمة دهري ما لها شبه ... من الفرائد في نحر ولا بحر

(ف ج ٣/٥٠٠ ـ ج ١/٥٩٠، ٢٤٠ ـ ج ٣/٥٠٠ ـ ديوان / ٧٩) .

الأُمَّة معلم الخير ، فنرجو ما نورده من هذا العلم للناس أن يكون حظي من تعليم الخير ، وأن نقوم ونختص بأمر واحد من جانب الله ـ أي من العلم به مما لا نُشارَك فيه ـ نقوم فيه مقام الأمة[1] لانفرادي به ، وأرجو أن أكون ممن أطاع الله في السر والعلانية ، ولا تكون الطاعة إلا عند المراسم الإلهية، والأوامر الموقوفة على الخطاب ، وأرجو أن أكون ممن يأمره الله في سره فيمتثل مراسمه بلا واسطة ، وعندنا من العلم بصفة الصلاح ذوق عظيم ، ورثناه من الأنبياء عليهم السلام ، ما رأيته لغيرنا ، وأرجو أن أكون من الذين يوفون بعهد الله، ولا ينقضون الميثاق ، ويصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ، وعليه أدل الناس أبداً ، وأربِّي عليه أصحابي ، فلا أترك أحداً عهد مع الله عهداً وهو يسمع مني ينقضه ، كان ما كان ، من قليل الخير وكثيره ، ولا أدعه يتركه لرخصة تظهر له تسقط عنه الإثم فيه ، ومع هذا فيوفي بعهد الله ولا ينقضه ، تماماً للمقام الأعلى وكمالاً ، فإن النفس إذا تعودت نقض العهد واستحلته لا يجيء منها شيء أبداً .

(ف ج ١/٧٢٢، ٧٢٣).

وقد أمرني الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه ﷺ ، بالنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم خطاباً عاماً ، ثم خاطبني على الخصوص من غير واسطة ، غير مرة بمكة ، وبدمشق ، فقال لي : انصح عبادي ، في مبشرة أريتها ، فتعيَّنَ عليّ الأمر أكثر مما تعين على غيري ، وكنت أرشد الناس إلى الطريق القويم ، فلما رأيت الداخل إلى طريق الله عزيزاً ، تكاسلت وعزمت أن اشتغل بنفسي ، وأترك الخلق وما هم عليه ، فرأيت رؤيا بمكة يقول لي فيها الحق : لا أطلب منك عملاً إلا أن تنصح عبادي ، فانصح عبادي[2] ،

(١) قال الله تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة ﴾ يعني معلم الناس الخير.

(٢) راجع كتاب الرؤيا والمبشرات.

فأصبحت وقعدت للناس أبين لهم الطريق الواضح ، والآفات القاطعة لكل صنف عنه، من الفقهاء والفقراء والصوفية والعوام ، فكل قام عليَّ وسعى في هلاكي ، فنصر الله عليهم، وعصم فضلاً منه ورحمة ، وتكلست حينئذ وألفت في حقائق النصح أموراً كلية يعم نفعها ، ويأخذ كل قابل قسطه منها ، ثم أظهرتها ولم أظهر اسمي عليها ، وقلت : إنما المقصود منها انتفاع الناس ، سواء عرفوا المتكلم أو لم يعرفوا ، فلما انتشر ذلك ، نُسب الكلام للغزالي رحمه الله ، وصار يلعن من بعض الناس بسببها ، فلما بلغني ذلك قلت : الآن تعين إظهار اسمي عليها لأكون وقاية لرجل مسلم يظلم بسببي ، فأظهرت اسمي عليها بعد ذلك ، فاستقبلتني الناس بسهام أغراضهم ، وظنوا فيَّ الظنون ، وأنا صابر عليهم داعٍ لهم ، ناظرٌ إلى مراد الحق سبحانه من ذلك كله ، فرأيت الحق سبحانه بعد ذلك في المنام ، فقلت : إلهي وسيدي ، أمرتني أن أنصح عبادك فامتثلت، ونصحت ورجوت نفعهم بذلك ، وقد رأيت الضرر سبق إلى كثير منهم . فسمعته سبحانه يقول : ﴿ وكذب به قومك وهو الحق، قل لست عليكم بوكيل، لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون ﴾ فاسترسلت على الأصل الذي أمرت به ، وعلمت أن الله تعالى ينفع بذلك من يشاء ويصرف عن الانتفاع من يشاء . (ف ج ١ / ٣٣٤ ، ٦٥٨) .

مؤلفات الشيخ رضي الله عنه :

ذكر الشيخ رضي الله عنه في إجازته للملك العادل أبي بكر بن أيوب وأولاده مائتين وتسعين مؤلفاً ما بين كتاب ورسالة فليراجعها من يشاء ، هذا عدا ما ألفه الشيخ بعد هذه الإجازة ، وأهم هذه الكتب والجامع لها هو الفتح المكي أو ما يسمى بالفتوحات المكية ـ من مؤلفات الشيخ ـ انظر المراجع .

الفتوحات المكية :

هذا الكتاب مبني على الشرع وعلى ما يعطيه الكشف والشهود ، فإن العقول تقصر عن إدراك الأمر على ما يشهد به الشرع في حقه ، فما قررنا في هذا الكتاب أمراً غير مشروع لله الحمد ، فما خرجنا عن الكتاب والسنة فيه، والغرض منه إظهار لمع ولوائح إشارات من أسرار الوجود، فبنيت كتابي هذا ، لا بل بناه الله لا أنا ، على إفادة الخلق ، فكله فتح من الله تعالى ، وسلكت فيه طريق الاختصار أيضاً عن سؤال من العبد ربه في ذلك ، لأنه لا

يقتضي حالنا إلا إبلاغ ما أمر الحق بإبلاغه ، ويفعل الله ما يشاء ، فهذا الكتاب ليس من علوم الفكر ، وإنما هو من علوم التلقي والتدلي ، فلا يحتاج فيه إلى ميزان آخر غير هذا ، فإن المقصود منه الاقتصاد والاقتصار على الضروري من العلم ، الذي يحتاج إليه أهل طريق الله أن يبينه لهم من فُتحَ عليه به من أمثالنا ، وهو مع طوله واتساعه وكثرة فصوله وأبوابه ، ما استوفينا فيه خاطراً واحداً من خواطرنا في الطريق ، فكيف الطريق ؟! فما نودع كل باب مما عندنا فيه إلا نقطة من بحر محيط ، هذا بالنظر إلى ما عندنا فيه ، فكيف هو بالنظر إلى ما هو عليه في نفسه ، وهو البحر الذي لا ساحل له ؟ ولا أخللنا بشيء من الأصول التي يعول عليها في الطريق ، فحصرناها مختصرة العبارة بين إيماء وإيضاح ، وليس هذا الكتاب بمحل لما تعطيه أدلة الأفكار ، فإنه موضوع لما يعطيه الكشف الإلهي ، فلهذا لم نسردها على ما قررها أهلها في كتبهم ، فليس كتابنا مما قصد به النسب الفكرية النظرية ، وإنما هو موضوع للعلوم الوهبية والكشفية .

(ف ج ٤ /١٩ ـ ج ١ /٤٠٤ ، ٥٧ ـ ج ٤ /٧٤ ـ ج ١ /١٧١ ـ ج ٢ /٣٨٢ ، ٣٨٩ ـ ٥٧٨ ـ ٣٨٩ ـ ٦٥٥) .

فاحمدوا الله يا إخواننا حيث جعلكم الله ممن قرع سمعه أسرار الله المخزونة في خلقه ، التي اختص الله بها من شاء من عباده ، فكونوا لها قابلين مؤمنين بها ، ولا تحرموا التصديق بها فتحرموا خيرها ، فإن علم السر ـ وإن كان أهل الله قد علموه بلا شك ـ ما صانـوه ـ والله أعلم ـ إلا صيانـة لأنفسهم ، ورحمة بالخلق ، لأن الإنكار يسرع إليه من السامعين . ووالله ما نبهت عليه هنا إلا لغلبة الرحمة عليّ في هذا الوقت ، فمن فهم سعد ، ومن لم يفهم لم يشق بعدم فهمه ، وإن كان محروماً ، والسلام . (ف ج ٢ / ٦ ، ٢٤٤) .

وتوجد نسخة مخطوطة بخط يد الشيخ رضي الله عنه في سبعة وثلاثين جزءاً ، وعليها واحد وسبعون سماعاً ، وقد انتهى الشيخ من كتابة النسخة الأولى من هذا الكتاب عام ٥٩٨ هـ بمكة المكرمة ، ثم استمر في الزيادة فيها وتنقيحها حتى عام ٦٣٦ هـ ، وعلى هذه النسخة الموجودة بتركيا (افكاف موسى / ١٨٤٥) سماع على الشيخ من السماع الأول عام ٦٣٣ هـ حتى السماع السابع والخمسين عام ٦٣٦ هـ ، وأما من السماع الثامن والخمسين حتى

السماع الواحد والسبعين، فقد كان المسمع إما إسماعيل بن سودكين تلميذ الشيخ رضي الله عنه، أو الصدر القونوي ابن زوجته .

مصادفة بعض المسائل قول الفلاسفة :

لسنا ممن يحكي أقوال الحكماء في أمر ولا أقوال غيرهم ، فلسنا من أهل التقليد بحمد الله . بل الأمر كما آمنا به من عند ربنا شهدناه عياناً ، وإنما نورد في كتابنا وجميع كتبنا ما يعطيه الكشف ، ويمليه الحق بالإخبار الإلهي المنفوث في الروع من الوجه الخاص ، هذا طريق القوم ، أخبر أبـويزيد عن نفسه عن أخذه عن الله فقال فيما روينا عنه يخاطب علماء زمانه : « اخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت » ولنا بحمد الله في هذا المقام ذوق شريف فيما تعبدنا به الشرع من الأحكام ، وهذا مما بقي لهذه الأمة من الوحي وهو التعريف لا التشريع .

(ف ج ٢/٤٣٢ - ح ٣/٣٥٢ - ج ٢/٤٣٢ - ج ٣/٢٢٣) .

فلا يحجبنك أيها الناظر في هذا الصنف من العلم الذي هو العلم النبوي الموروث منهم صلوات الله عليهم ، إذا وقفت على مسألة من مسائل أهل الله، قد ذكرها فيلسوف أو متكلم أو صاحب نظر - في أي علم كان - فتقول في هذا القائل الذي هو الصوفي المحقق :- إنه فيلسوف ، لكون الفيلسوف ذكر تلك المسألة وقال بها واعتقدها ، وإنه نقلها منهم ، أو إنه لا دين له ، فإن الفيلسوف قد قال بها ولا دين له ، فلا تفعل يا أخي ، فهذا القول قول من لا تحصيل له ، إذ الفيلسوف ليس كل علمه باطلاً ، فعسى تكون تلك المسألة فيما عنده من الحق، ولاسيما إن وجدنا رسول الله ﷺ قد قال بها ، ولاسيما فيما وضعوه من الحِكَم والتبري من الشهوات ، ومكايد النفوس، وما تنطوي عليه من سوء الضمائر ، فإن كنا لا نعرف الحقائق ، ينبغي لنا أن نثبت قول الفيلسوف في هذه المسألة المعينة وأنها حق ، فإن الرسول ﷺ قد قال بها أو الصاحب أو مالكاً أو الشافعي أو سفيان الثوري ، وأما قولك إن قلت : سمعها من فيلسوف أو طالعها في كتبهم ؛ فإنك ربما تقع في الكذب والجهل ، أما الكذب فقولك سمعها أو طالعها وأنت لم تشاهد ذلك منه ، وأما الجهل فكونك لا تفرق بين الحق في تلك المسألة والباطل ، وأما قولك إن الفيلسوف لا دين له ، فلا يدل كونه لا دين له على أن كل ما عنده باطل ، وهذا مدرك بأول العقل عند كل

عاقل ، فقد خرجت باعتراضك على الصوفي في مثل هذه المسألة عن العلم والصدق والدين ، وانخرطت في سلك أهل الجهل والكذب والبهتان ، ونقص العقل والدين وفساد النظر والانحراف ، فخذ ما أتاك به هذا الصوفي واهتد على نفسك ، وفرغ لما أتاك به محلك حتى يبرز لك معناها ، أحسن من أن تقول يوم القيامة ﴿ بل كنا في غفلة عن هذا بل كنا ظالمين ﴾ . (ف ج ١ / ٣٢) .

طريقة الشيخ في التأليف :

اتضح لك مما سبق أن ما قاله الشيخ رضي الله عنه عن نفسه ، أنه كان يأخذ العلوم عن الأرواح الملكية ، وعن الملائكة ، وعن الأرواح المفارقة لأجسامها بالموت ، وعن اجتماعه بالأنبياء والرسل والأولياء والنبي ﷺ في الوقائع والمبشرات والكشف ، وعن طريق الفيض الإلهي الناتج عن العمل بالتقوى ، ومن الوهب الإلهي بوهبه العلم اللدني من الوجه الخاص الذي لكل مخلوق ، وبالإلقاء والإملاء الإلهي ، فنراه يقول :

الحمد لله الذي جعلني من أهل الإلقاء والتلقي ، فنسأله سبحانه أن يجعلنا وإياكم من أهل التداني والترقي ، فإني لا أتكلم إلا عن طريق الإذن ، وأنطق بما يجريه الله فينا من غير تعمل ولا روية ، كما أني أقف عند ما يحد لي ، فتعين علينا أن نبين للخلق ما بينه الحق لنا ، هكذا أخذ العهد علينا فيما يجوز لنا الإبانة عنه والإفصاح به ، وأما ما أخذ الله علينا العهد على كتمانه ، فنشاهده من الخلق ولا نخبرهم بما هو ، فهم بحكم ما يتخيلون ونحن بحكم ما نعلم ، ولو عرفناهم بذلك ما قبلوا ، لأن استعدادهم لا يعطي القبول ، فما حجبناه عنهم إلا رحمة بهم .

فعلوم القوم من أنفسهم وعلومي من إله حكما

(ف ج ٢ /٤٣٨ ، ٤٤٨ ـ ج ١ /٧٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ـ ج ٢ / ٢١٦ ، ٤٨٤ ـ ديوان /٤٠٣) .

فإن تأليفنا هذا ـ يعني الفتوحات المكية ـ وغيره لا يجري مجرى التواليف ، ولا نجري نحن فيه مجرى المؤلفين ، فإن كل مؤلف إنما هو تحت اختياره ، وإن كان مجبوراً في اختياره ، أو تحت العلم الذي يبثه خاصة ، فيلقي ما يشاء ويمسك ما يشاء ، أو يلقي ما يعطيه العلم ، وتحكم عليه المسألة التي هو بصددها حتى تبرز حقيقتها ، ونحن في تواليفنا لسنا

كذلك ، إنها هي قلوب عاكفة على باب الحضرة الإلهية ، مراقبة لما ينفتح له الباب ، فقيرة خالية من كل علم ، لو سئلت في ذلك المقام عن شيء ما سمعت ، لفقدها إحساسها ، فمهما برز لها من وراء ذلك الستر أمر ما بادرت لامتثاله ، وألفته على حسب ما يحد لها في الأمر ، فقد يلقى الشيء إلى ما ليس من جنسه ـ في العادة والنظر الفكري ، وما يعطيه العلم الظاهر والمناسبة الظاهرة للعلماء ـ لمناسبة خفية لا يشعر بها إلا أهل الكشف ، فإن الكشف هو الطريق الذي عليه أسلك ، والركن الذي إليه استند في علومي ، بل ثَمَّ ما هو أغرب عندنا ، أن يلقى إلى هذا القلب أشياء يؤمر بإيصالها وهو لا يعلمها في ذلك الوقت ، لحكمة إلهية غابت عن الخلق ، فقد ننقل من الواقعة والكشف جميع ما سطرته ، ولا يلزم أن أكون به عالماً ، فإن النور الذي ينبسط من حضرة الجود على عالم الغيب في الحضرات الوجودية لا يعمها كلها ، ولا ينبسط عليها في حق المكاشف إلا على قدر ما يريد الله تعالى ، وذلك هو مقام الوحي ، دليلنا على ذلك لأنفسنا ذوقنا له ، ولغيرنا قوله تعالى لنبيه ﷺ : « وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ » مع غاية الصفاء المحمدي ، فلهذا لا يتقيد كل شخص يؤلف عن الإلقاء بعلم الباب الذي يتكلم عليه ، ولكن يدرج فيه غيره في علم السامع العادي على حسب ما يلقى إليه ، ولكنه عندنا قطعاً من نفس ذلك الباب بعينه ، لكن بوجه لا يعرفه غيرنا ، فيجيء الشعر أحياناً لزوم ما يلزم من غير قصد ، فإن الله تعالى رتب على يدنا هذا الترتيب ، فتركناه ولم ندخل فيه برأينا ولا بعقولنا ، فالله يملي على القلوب بالإلهام من غير قصد ، فإنا لا نزيد في التقييد على ما نشاهده في الكشف ، بل ربما نرغب في نقص شيء منها مخافة التطويل ، فنُسعَف في ذلك من جهة الرقم واللفظ ونُعطَى لفظاً يعم تلك المعاني التي كثرت ألفاظها ، فنلقيه فلا نخل بشيء من الإلقاء ، ولا ينقص ولا يظهر لذلك الطول الأول عين ، فينقضي المرغوب لله الحمد ، فنحن ما نعتمد في كل ما نذكره إلا على ما يلقي الله عندنا من ذلك ، لا على ما تحتمله الألفاظ من الوجوه ، وقد تكون جميع المحتملات في بعض الكلام مقصودة للمتكلم فنقول بها كلها ، وربما يقول من لا معرفة له بطريق الحقائق ـ التي هي نتيجة التصوف ، ولا علم له بصورة التجارة فيها ولا التصرف ـ إنه قشر على غير لباب ، وترجمة تروق بلا معنى ، واسم يهول بلا جسم ؛ فاعلم وفقك الله ، أن غرضي البيان الشافي في كل ما أصنفه ، والقول الكافي في كل ما

أولفه ، فما جعلت لفظة إلا لمعنى فيه يودعه ، وسر لديه يستودعه ، فما في كلامنا حشو ، لأن مذهبي في كل ما أورده أني لا أقصد لفظة بعينها دون غيرها مما يدل على معناها إلا لمعنى ، ولا أزيد حرفاً إلا لمعنى . فما في كلامي بالنظر إلى قصدي حشو - وإن تخيله الناظر - فالغلط عنده في قصدي لا عندي .

قلمي ولـوحي في الـوجـود يمـده قلم الإلـه ولـوحـه المـحـفـوظ
ويـدي يمـين الـلـه في ملكـوتـه ماشئت أجـري والـرسـوم حظوظ

(ف ج ١ /٥٩ - ج ٢ /١٢٢ - ج ١ /٥٩ - ج ٢ /٢١٦ ، ١٦٣ - ج ١ /٨٣ - ١٣٦ - التنزلات الموصلية - ف ج ١ /٧٢١، ٣٩١ - التدبيرات الإلهية) .

وإني لا أسوق ما أسوقه على جهة الحصر مع علمي بذلك ، وإنما أسوقه على جهة التنبيه على ما فيه، أو بعض ما فيه، بحسب ما يقع لي ، فإنا ما نتكلم ولا نترجم إلا عما وقع من الأمر ، لا عما يمكن فيه عقلاً ، وهو الفرق بين أهل الكشف فيما يخبرون به - وهم أهل البصائر - وبين أهل النظر العقلي ، والفائدة إنما هي فيما وقع لا فيما يمكن ، فإن ذلك علم لا علم ، وما وقع علم محقق ، فوقتاً أورد ذلك بطريق الحصر ووقتاً أقصر عن ذلك :

أنـا أبصرت علومـاً كالبحـور الزاخـرات
في فؤادي وعـيـونـا من سحـاب معصرات
ينـتـهـي من غير حد نـظـرٌ لا بـأداة

فإن الذي أبرزناه إلى ما عندنا من العلم بالله قشر ، وسبب إبرازه ما فيه من المنفعة في حق العباد ، ولو استقصينا إيراد ما يطلبه منا كل باب من هذا الكتاب لا يفي العمر بكتـابته ، فلو أعطانا الله الكتابة الإلهية، أبرزنا جميع ما يحويه هذا الكتاب (الفتوحات المكية) على الاستقصـاء في ورقـة صغيرة واحدة .

(ف ج ٣ / ١٤٦ - ج ٢ / ٤٨٧ - الديوان/ ٤٠٩ - ج ٢ / ٣٥٧ ، ١٤٨) .

لم استخدم أهل الله الإشارة والرمز واللغز؟

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه ، أنه ما خلق الله أشق ولا أشد من علماء الرسوم على أهل الله المختصين بخدمته ، العارفين به من طريق الوهب الإلهي ، الذين منحهم أسراره في خلقه ، وفهمهم معاني كتابه وإشارات خطابه ، فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة

للرسل عليهم السلام ، وهؤلاء الذين عندنا اليوم لا قدر لهم عند كل عاقل ، فإنهم يستهزئون بالدين، ويستخفون بعباد الله ، ولا يعظم عندهم إلا من هو معهم على مدرجتهم ، قد استولى على قلوبهم حب الدنيا وطلب الجاه والرياسة ، فأذلهم الله كما أذلوا العلم ، وحقرهم وصغرهم وألجأهم إلى أبواب الملوك والولاة من الجهال ، فأذلتهم الملوك والولاة ، فأمثال هؤلاء لا يعتبر قولهم ، فإن قلوبهم قد ختم الله عليها وأصمهم وأعمى أبصارهم ، مع الدعوى العريضة أنهم أفضل العالم عند نفوسهم .

ولما كان الأمر في الوجود الواقع على ما سبق به العلم القديم كما ذكرناه ، عدل أصحابنا إلى الإشارات كما عدلت مريم عليها السلام من أجل أهل الإفك والإلحاد إلى الإشارة، فكلامهم رضي الله عنهم في شرح كتابه العزيز ـ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ إشارات ، وإن كان ذلك حقيقة وتفسيراً لمعانيه النافعة ، ورد ذلك كله إلى نفوسهم ، مع تقريرهم إياه في العموم وفيما نزل فيه ، كما يعلمه أهل اللسان ، الذين نزل ذلك الكتاب بلسانهم ، فعم به سبحانه عندهم الوجهين ، فيسمون ما يرونه في نفوسهم إشارة، ليأنس الفقيه صاحب الرسوم إلى ذلك، ولا يقولون في ذلك إنه تفسير وقاية لشرهم وتشنيعهم في ذلك بالكفر عليه ، وذلك لجهلهم بمواقع خطاب الحق ، واقتدوا في ذلك بسنن الهدى ، فإن الله كان قادراً على تنصيص ما تأوله أهل الله في كتابه ، ومع ذلك فما فعل ، بل أدرج في تلك الكلمات الإلهية التي نزلت بلسان العامة علوم معاني الاختصاص، التي فهمها عباده ، حين فتح لهم فيها بعين الفهم الذي رزقهم ، ولو كان علماء الرسوم ينصفون ، لاعتبروا في نفوسهم إذا نظروا في الآية بالعين الظاهرة التي يسلمونها فيما بينهم ، فيرون أنهم يتفاضلون في ذلك ، ويعلو بعضهم على بعض في الكلام في معنى تلك الآية ، ويقر القاصر بفضل غير القاصر فيها ، وكلهم في مجرى واحد ، ومع هذا الفضل المشهود لهم فيما بينهم في ذلك ، ينكرون على أهل الله إذا جاؤوا بشيء مما يغمض عن إدراكهم ، وذلك لأنهم يعتقدون فيهم أنهم ليسوا بعلماء ، وأن العلم لا يحصل إلا بالقلم المعتاد في العرف ، وصدقوا ، فإن أصحابنا ما حصل لهم ذلك العلم إلا بالتعلم ، وهو الإعلام الرحماني الرباني ، فصدق علماء الرسوم عندنا فيما قالوا :ـ إن العلم لا يكون إلا بالتعلم ، وأخطأوا في اعتقادهم أن الله لا يعلم من ليس بنبي ولا رسول ، يقول الله : ﴿ يؤتي

الحكمة من يشاء ﴾ وهي العلم ، وجاء بمن وهي نكرة ، ولكن علماء الرسوم لما آثروا الدنيا على الآخرة ، وآثروا جانب الخلق على جانب الحق ، وتعودوا أخذ العلم من الكتب ومن أفواه الرجال الذين من جنسهم ، ورأوا في زعمهم أنهم من أهل الله بما علموا وامتازوا به عن العامة ، حجبهم ذلك أن يعلموا أن لله عباداً تولى الله تعليمهم في سرائرهم ، بما أنزله في كتبه وعلى ألسنة رسله ، وهو العلم الصحيح عن العالم المعلم الذي لا يشك مؤمن في كمال علمه ولا غير مؤمن ، فتولى الله بعنايته لبعض عباده تعليمهم بنفسه ، بإلهامه وإفهامه إياهم ، وكذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هذا الباب : ما هو إلا فهم يؤتيه الله من شاء من عباده في هذا القرآن ، فجعل ذلك عطاء من الله ، يعبر عن ذلك العطاء بالفهم عن الله ، وأخبر عن نفسه أنه لو تكلم في الفاتحة من القرآن لحمل منها سبعين وقراً ، وهل هذا إلا من الفهم الذي أعطاه الله في القرآن ؟ فلما رأى أهل الله أن الله قد جعل الدولة في الحياة الدنيا لأهل الظاهر من علماء الرسوم ، وأعطاهم التحكم في الخلق بما يفتون به ، سَلَّم أهل الله لهم أحوالهم لأنهم علموا من أين تكلموا ، وصانوا عنهم أنفسهم بتسميتهم الحقائق إشارات ، فإن علماء الرسوم لا ينكرون الإشارات ، فإذا كان في غد يوم القيامة يكون الأمر في الكل كما قال القائل :

سوف ترى إذا انجلى الغبار　　　أفرس تحتك أم حمار

كما يتميز المحقق من أهل الله من المدعي في الأهلية غداً يوم القيامة ، فأصحاب الدعاوى في هذه الطريقة كالمنافقين من المسلمين ، فإنهم شاركوهم في الصورة الظاهرة وباينوا بالبواطن . (ف ج ١ / ٢٧٩) .

ثم لتعلم أن أصحابنا ما اصطلحوا على ما جاء به في شرح كتاب الله بالإشارة دون غيرها من الألفاظ ، إلا بتعليم إلهي جهله علماء الرسوم ، وذلك أن الإشارة لا تكون إلا بقصد المشير بذلك أنه يشير ، لا من جهة المشار إليه ، فلما رأى أهل الله أنه قد اعتبر الإشارة ، استعملوها فيما بينهم ، ولكنهم بينوا معناها ومحلها ووقتها ، فلا يستعملونها فيما بينهم ولا في أنفسهم إلا عند مجالسة من ليس من جنسهم ، أو لأمر يقوم في نفوسهم ، واصطلح أهل الله على ألفاظ لا يعرفها سواهم إلا منهم ، وسلكوا طريقة فيها لا يعرفها غيرهم ـ كما سلكت العرب في كلامها من التشبيهات والاستعارات ـ ليفهم بعضهم عن

بعض ، فإذا خلوا بأبناء جنسهم تكلموا بما هو الأمر عليه بالنص الصريح ، وإذا حضر معهم من ليس منهم تكلموا بينهم بالألفاظ التي اصطلحوا عليها ، فلا يعرف الجليس الأجنبي ما هم فيه ولا ما يقولون ، ومن أعجب الأشياء في هذه الطريقة ولا يوجد إلا فيها ، أنه ما من طائفة تحمل علماً من المنطقيين والنحاة وأهل الهندسة والحساب والتعاليم والمتكلمين والفلاسفة ، إلا ولهم اصطلاح لا يعلمه الدخيل فيهم إلا بتوقيف من الشيخ أو من أهله ، لابد من ذلك ، إلا أهل هذه الطريقة خاصة ، إذا دخلها المريد الصادق ، وبهذا يُعرَف صدقُه عندهم ، وما عنده خبر بما اصطلحوا عليه ، فإذا فتح الله له عين فهمه ، وأخذ عن ربه في أول ذوقه ، وما يكون عنده خبر بما اصطلحوا عليه ، ولم يعلم أن قوماً من أهل الله اصطلحوا على ألفاظ مخصوصة ، فإذا قعد معهم وتكلموا باصطلاحهم على تلك الألفاظ التي لا يعرفها سواهم ، أو من أخذها عنهم ، فَهِمَ هذا المريد الصادق جميع ما يتكلمون به ، حتى كأنه الواضع لذلك الاصطلاح ، ويشاركهم في الكلام بها معهم ، ولا يستغرب ذلك من نفسه ، بل يجد علم ذلك ضرورياً لا يقدر على دفعه ، وكأنه مازال يعلمه ، ولا يدري كيف حصل له ، والدخيل من غير هذه الطائفة لا يجد ذلك إلا بمُوَقِّف ، فهذا معنى الإشارة عند القوم ، ولا يتكلمون بها إلا عند حضور الغير ، أو تآليفهم ومصنفاتهم لا غير ، فإن الكتاب يقع في يد أهله وغير أهله ، وإنما فرقنا في التعبير بين الإشارة والتحقيق ، لئلا يتخيل من لا معرفة له بما آخذ أهل الله أنهم يرمون بالظواهر ، فينسبونهم إلى الباطنية وحاشاهم من ذلك ، بل هم القائلون بالطرفين .

(ف ج ١ / ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٦٥٤).

واعلم أن القوم قد اصطلحوا على ألفاظ ومعاني قرروها في نفوسهم يخاطبون بها بعضهم بعضاً ، كما فعلت كل طائفة فيما تنتحله من العلوم ، كالنحويين وأصحاب العدد والمهندسين والأطباء والمتكلمين والفقهاء وغيرهم ، فمما اصطلحت عليه هذه الطائفة ، الهوية والإنية والأنانية ، لأغراض في نفوسهم ، كذلك أصحاب الأخذ بالإشارات ، فإن إدراكهم لذلك في باب الإشارات في كلام الله تعالى خاصة فَهْمٌ فيه ، لأنه مقصود لله تعالى في حق هذا المشار إليه بذلك الكلام . (ف ح ٢ / ٢٥).

وأما إذا تكلم أو كتب الشيخ عن الإشارات ، مثل ما جاء في كتابه الإسراء، وكتابه

المشاهد، وكتابه الأعلاق وغيرها ، فنراه رضي الله عنه يقول : إن ما ورد عليّ « في كتاب الإسراء » معان مجردة عن المواد ، وكذلك أكثر فتحي ، لأني سألت الله أن يجعل فتحي كذلك ، لكون المعاني المجردة لا تقبل الغلط ولا التأويل ، إنما هي بمنزلة النصوص ، وإنما الحق سبحانه أعطاني قوة على تنزيل المعاني في الصور، وتقييدها في أوْلَى الصور بها ، بحيث لو تجسد ذلك المعنى ، ـ في حضرة التجسد ـ لما وجد صورة هي أحق به من الصورة التي كسوتها له ، ورمزت في هذا الكتاب « الإسراء » بعض تلك المعاني بعبارتي ليكون ذلك بمنزلة الرؤيا التي لا يفكها إلا المعبِّر العالِم بأصولها ، وإن كان الغير يشاركه في سماع الرؤيا ، لكن لا يعرف تأويلها إلا هو ومن يجري مجراه . (كتاب النجاة / المقدمة) .

ويقـول عن كتـاب التنزلات الموصلية : هذا كتاب أودعت فيه لطائف الأسرار ، وأضواء علوم الأنوار ، فهو مبني على اللغز والرمز ، ليتحقق المدعي في مناجاة ربه ، عند وقوفه على هذه النتائج ، بالحصر والعجز ، وإنما قصدت أيضاً ستر هذه المعاني الإلهية ، في هذه الألغاز الخطابية ، غيرة من علما الرسوم ، وعقوبة لهم من أجل إنكارهم، كما ختم الله على قلوبهم وعـلى سمعهم ، وجعل غشاوة على أبصارهم ، فلم يدركوا من روائح الحقائق شمه ، ولم يميزوا في قلوبهم بين اللَّمَّة واللَّمَّة ، تأسيا بمن أخذ مثل هذا العلم من النبي المعصـوم، وقال: لو بثثته لقطع مني هذا البلعوم[1]، وكما قال علي رضي الله عنه، حين علم النقلة : إن ها هنا ـ وضرب على صدره بيده ـ لعلوما جمة ، لو وجدت لها حملة ، وكما قال ابنه الذكي ، الحبر الكبير السني[2] .

يا رُبَّ جوهر علم لو أبوح به ... لقيـل لي أنت ممن يعبـد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون أقبـح ما يأتـونـه حسنـا

فبهؤلاء السـادات في ستري لهذه العلوم تأسيت وبهم فيها اهتديت .
(التنزلات الموصلية / الباب الأول) .

وأما علوم الأسرار فمنعنا عن كشفها في الكتب ، ولكن يظهرها العارف بين أهلها في علمه ومشربه ، أو مسلِّم في أكمل درجات التسليم ، فإن نكتاً وأسراراً إلهية غاب عنها

(١) القائل هو الصحابي أبو هريرة رضي الله عنه . راجع صحيح البخاري .
(٢) القائل هو علي زين العابدين رضي الله عنه .

ذلك ، لا أقدر على بسط العبارات في مقامات « لام ألف » كما وردت في القرآن العزيز ، إلا لو كان السامع يسمعه مني كما يسمعه من الذي أنزل عليه .

(ف ج ۱ / ٥٤ ، ٣٨٢ ، ٧٧ ـ كتاب الأعلاق ـ ف ج ٢ / ٥٨٣) .

قول الشيخ فيما لا يعلم « لا أعلم » :

اعلم أن علم الخضر في زمان موسى عليه السلام ، جزء من أجزاء ما يحويه صاحب القرآن المحمدي من العلوم ، فبالقرآن يكشف جميع ما في الكتب المنزلة من العلوم ، وفيه ما ليس فيها ، فمن أوتي القرآن فقد أوتي الضياء الكامل الذي يتضمن كل علم ، قال تعالى : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ فمن أعطي القرآن فقد أعطي العلم الكامل ، فما ثَمَّ في الخلق أتم من المحمديين ، وهم خير أمة أخرجت للناس ، ولا أدري بعد الاجتماع الذي حصل بين موسى عليه السلام والخضر ، هل حصل لموسى من جانب الحق ذلك المقام الذي كان لخضر أم لا ؟ لا علم لي بذلك ، فرحم الله عبداً أطلعه الحق على أن موسى قد أحاط بالعلم الذي ناله الخضر بعد ذلك ، وحصل له هذا المقام خبراً ، فألحقه في هذا الموضع من كتابي هذا ونسبه إلى نفسه لا إليّ ، (ف ج ٢/١٠٧) .

وفي معرض ذكر مقام التقديس الذاتي بالشهود الدائم ، يقول رضي الله عنه ، ما عندي خبر من جانب الحق تعالى في ذلك مروي ولا غير مروي أنه ناله أحد من البشر ، وإنما ذكرنا ذلك في حق رسول الله ﷺ أنه ناله على طريق الاحتمال ، لا على القطع ، فإنه لا علم لي بذلك ، وحرام علينا أن نتكلم إلا فيما لنا فيه ذوق .

ويقول في أفضلية شهور السنة القمرية ـ إن أفضل الشهور عندنا شهر رمضان ، ثم شهر ربيع الأول ثم شهر رجب ، ثم شعبان ثم ذو الحجة ثم شوال ، ثم ذو القعدة ثم المحرم ، وإلى هنا انتهى علمي في فضيلة الشهور القمرية ، وأبهم علي ترتيب الفضل فيما بقي من شهور السنة القمرية ، وذلك شهر صفر وربيع الآخر وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ، ما عندي علم بترتيب الفضيلة في هؤلاء أو هي متساوية في الفضل ، وهو الغالب على ظني فإنه أظهر ذلك ، وما تحققته ، فلم يتمكن لي أن أقول ما ليس لي به علم .

(ف ج ٢/١٧٤) .

وعن فصول القبضة الإلهية وهي ثمان وعشرون منزلة ، يقول رضي الله عنه ، هذه

الفصول تحوي جميع الحروف إلا حرف الجيم ، فإنها تبرأت منه دون سائر الحروف ، وما علمنا لماذا ؟ وما أدري هل هو مما يجوز أن يعلم أم لا ؟ فإن الله تعالى ما نفث في روعنا شيئاً ، ولا رأيته لغيرنا ولا ورد في النبوات ، فرحم الله عبداً وقف عليه ، فألحقه في هذا الموضع من كتابي هذا (الفتوحات المكية) وينسب ذلك إليه لا إليّ ، فتحصل الفائدة بطريق الصدق ، حتى لا يتخيل الناظر فيه أن ذلك مما وقع لي بعد هذا ، فإن فتح عليَّ به حينئذ أذكره أنه لي ، فإن الصدق في هذا الطريق أصل قاطع لابد منه ، ولا حظ له في الكذب .

ويقول رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ إن الله أخذ آدم أيضاً معنا في هذا الميثاق من ظهره ، فإن له معنا صورة في صورته فشهد كما شهدنا ، ولا يعلم أنه أخذ منه أو ربما يعلم ، فإنه ما نحن على يقين من أنه لم يعلم بأنه أخذ منه ، ولا بأنا أخذنا منه ، ولكن لما رأينا الحضرات التي تقدمته (أي الماء والتراب والطين . . الخ) لا تعلم بصورنا فيها ، قلنا ربما يكون الأمر كذلك ، فرحم الله عبداً وقف على علم ذلك ، أنه علم آدم أو لم يعلم ، فيلحق ذلك في هذا الموضع من هذا الكتاب . (ف ج ٣/٢٣) .

ويقول رضي الله عنه عن مدة العذاب في جهنم ، وأما مدة إقامة الحدود في الآخرة فإن الله ما عرفنا ، إلا أنا استروحنا من قوله : ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ أن هذا القدر مدة إقامة الحدود ، والله أعلم ، فإنه لا علم لي بذلك من طريق الكشف ، فرحم الله عبداً أطلعه الحق على انتهاء مدة الشقاء ، فيلحقها في هذا الموضع من كتابي هذا (الفتوحات المكية) فإني علمت ذلك مجملاً من غير تفصيل . (ف ح ٣/٣٨٣) .

ويقول رضي الله عنه في معرض أن كل اسم الهي يجمع حقائق الاسماء ويحتوي عليها مع وجود اللطيفة التي يقع بها التمييز بين المثلين ، يقول : أريد أن أوقفك على حقيقة ما ذكرها أحد من المتقدمين ، وربما ما اطلع عليها ، فربما خصصت بها ، ولا أدري هل تعطى لغيري بعدي أم لا من الحضرة التي أعطيتها . (ف ج ١/١٠١) .

العلماء بالله :

العلماء بالله انقسموا على أربعة أقسام لا خامس لهم : فمنهم من أخذ العلم بالله

من الله من غير دليل ظاهر ولا شبهة باطنة ، ومنهم من أخذ بدليل ظاهر وشبهة باطنة وهم أهل الأنوار ، والطائفة الأولى هم أهل الالتذاذ بالعلوم ، والقسم الثالث هم الراسخون في العلم، ولهم من علمهم بالله ميل إلى خلق الله، ليروا ما قبل الخلق من صورة الحق ، لا شبهة لهم في علمهم بالله ولا بالخلق ، وهم أهل الأسرار، وعلم الغيوب، وكنوز المعارف والعلوم ، والثبات في حال الأمور المزلزلة أكبرَ العقول عما عقدت عليه ، والقسم الرابع هم أهل الجمع والوجود والإحاطة بحقيقة كل معلوم ، فلا يغيب عنهم وجه فيما علموه ، ولهم التصريف بذلك العلم في العالم حيث شاؤوا ولهم الأمان ، فلا أثر لشبهة قادحة في علمهم وهم أيضاً من أهل الأسرار ، وما عدا هؤلاء العلماء فخلق من خلق الله يتصرفون فيما يُصرفون ، مجبورون في اختيارهم، مَنْ كان منهم من أهل الاختيار .

من هم الذين يخاطبهم الشيخ بعلومه :

أقول لهم وقد كفروا بقولي ... كفرتم بئس عقبى الكافرينا

أنا الشخص الذي ما زال قولي ... يراه ذوو النهى الحق المبينا

طريقنا طريق السلف، جعلنا الله لهم خلفاً بمنه ، فطوبى لمن راقب ربه، وخاف ذنبه ، وعمر بذكر الله قلبه، وأخلص لله حبه ، فالمجال رحب عند أمثالنا، بما منحنا الله به من المعرفة بالله ، ولكن العقول المحجوبة بالهوى وبطلب الرياسة والنفاسة والعلو على أبناء الجنس ، يمنعهم ذلك من القبول والانقياد ، ونحن فما نحن رسل من الله حتى نتكلف إيصال مثل هذه العلوم بالتبليغ ، وما نذكر منها ما نذكر إلا للمؤمنين العقلاء ، الذين اشتغلوا بتصفية نفوسهم مع الله ، وألزموا نفوسهم التحقق بذلة العبودية والافتقار إلى الله في جميع الأحوال ، فنور الله بصيرتهم إما بالعلم ، وإما بالإيمان والتسليم لما جاء به الخبر عن الله وكتبه ورسله ، فإن أقل درجات الطريق، التسليم فيما لا تعلمه ، وأعلاه القطع بصدقه ، وما عدا هذين المقامين فحرمان ، كما أن المتصف بهذين المقامين سعيد ، فتلك العناية الكبرى، والمكانة الزلفى ، والطريقة المثلى، والسعادة العظمى ، ألحقنا الله بمن هذه صفته ، فإن عباد الله الذين أهلهم الله له ، واختصهم من العباد، على قسمين : عباد يكونون له به ، وعباد يكونون له بأنفسهم ، وما عدا هؤلاء فهم لأنفسهم بأنفسهم ليس لله منهم شيء ، فلا كلام لنا مع هؤلاء فإنهم جاهلون ، ونعوذ بالله أن نكون من

الجـاهلين ، **وكلامنا مع أهل طريق الله لا مع غيرهم** فليس كلامنا إلا مع أهل الكشف، الذين أشهدهم الأمر على ما هو عليه ﴿ وإن من شيء إلاّ يسبح بحمده ﴾ ومن المسائل ما لا يعلمها إلا الأكابر من عباد الله ، الذين هم في زمانهم بمنزلة الأنبياء في زمان النبوة ، فهذه الأسرار الخاصة لا يعلمها إلا من حصل مقامها ، ومنها ما لا يعرفها بالمجموع إلا الولي الكامل، والفحول من أهل الكشف والوجود ، وأما أصحاب النظر العقلي فلا يشمون منه رائحة ، فإن الله أطلعنا على أسرار تجهلها العامة، بل أكثر الخاصة ، فلهذا الأمر الكُبَّار، ما نبه عليه إلا أهل البصائر والأبصار ، وأما العوام فليس لنا معهم كلام ، وإنما نتكلم مع أهل الله على طبقاتهم، فإن رجال الله في هذه الطريق ، بالله يتحركون، وبه يسكنون ، عن مشاهدة وكشف ، وعامتهم عن حضور اعتقاد وإيمان بما ورد بأن الأمر بيد الله ، وأن نواصي عباده وكل دابة بيده ، ولا يعرف هذا إلا أهل الكشف من طريقنا .

(ديوان /٣٠٩ ـ ف ج ٥٩/٣ ـ ح ٧٩/١ ـ ح ٥٩/٣ ـ ج ٦٤/٤ ـ ج ١٩١/٢ ـ ج ٣٢٤/٣ ـ ج ٣/٢، ١٦، ٨٠ ـ ج ١٩٨/١ ـ عنقاء مغرب ـ ف ج ٥٨٧/١، ٣٦٥، ٥٨).

ولذا نراه رضي الله عنه يقول بعد انتهائه من كلامه على علم الحروف: فهذه حروف المعجم قد كملت بذكر ما حُدَّ لنا من الإشارات والتنبيهات، **لأهل الكشف** والخلوات والاطلاع على أسرار الموجودات، وفيه تنبيه لأصحاب الروائح والذوق، فافهم إن كنت تفهم، وإلا فالزم الخلوة وعلق الهمة بالله الرحمن حتى تعلم، وما أنا في قلوب الناس، ولا في نفس الأمر، ولا عند نفسي، بمنزلة الرسول يجب الإيمان بي وبما جئت به.

(ف ح ٧٦/١).

امتن الله تعالى على نبيه ﷺ فقال : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾ فنحن بحمد الله ممن شاء من عباده، فالعلم الإلهي هو الذي كان الله سبحانه معلمه بالإلهام والإلقاء وبإنزال الروح الأمين على قلبه، وهذا الكتاب الفتوحات من ذلك النمط عندنا، فوالله ما كتبت منه حرفاً إلا عن إملاء إلهي وإلقاء رباني، أو نفث روحاني في روع كياني، هذا جملة الأمر، مع كوننا لسنا برسل مشرعين ولا أنبياء مكلفين، بكسر اللام اسم فاعل، فإن رسالة

التشريع ونبوة التكليف قد انقطعت عند رسول الله ﷺ فلا رسول بعده ﷺ ولا نبي يشرع ولا يكلف ، وإنما هو علم وحكمة، وفَهْمٌ عن الله ، فيما شرعه على ألسنة رسله وأنبيائه عليهم سلام الله ، وما خطه وكتبه في لوح الوجود من حروف العالم وكلمات الحق ، فالتنزيل لا ينتهي، بل هو دائم دنيا وآخرة . (ف ح ٢ / ٣٢٩ ـ ح ٣/ ٤٥٦) .

فتراه رضي الله عنه يقول في الباب الرابع والسبعين وثلاثمائة ، وهو في معرفة منزل الرؤية وسوابق الأشياء في الحضرة الربية ـ يقول: ـ فتحقق ما أوردناه في هذا المنزل من علم الرؤية ، تنتفع بذلك في الدنيا إن كنت من أهل الشهود والجمع والوجود ، وفي الآخرة .

الله أنشأ من طيٍّ وخولان ... جسمي فعدلني خلقاً وسواني
وأنشأ الحق لي روحاً مطهرة ... فليس بنيان غيري مثل بنياني
إني لأعرف روحاً كان ينزل بي ... من فوق سبع سموات بفرقان

نريد قوله تعالى : ﴿ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ﴾ .

وما أنا مدع في ذاك من نبأ ... من الإله ولكنْ جود إحسان
إن النبوة بيت بيننا غلق ... وبينه موثق بقفل إيمان

وإنما قلنا ذلك لئلا يتوهم متوهم أني وأمثالي أدعي نبوة ، لا والله ، ما بقي إلا ميراث وسلوك على مدرجة محمد ﷺ خاصة ، وإن كان للناس عامة ، ولنا ولأمثالنا خاصة من النبوة ما أبقى الله علينا منها مثل المبشرات ومكارم الأخلاق ، ومثل حفظ القرآن إذا استظهره الإنسان ، فإن هذا وأمثاله من أجزاء النبوة الموروثة .

خصصت بعلم لم يخص بمثله ... سواي من الرحمن ذي العرش والكرسي
وأشهدت من علم الغيوب عجائباً ... تصان عن التذكار في عالم الحس
فياعجباً إني أروح وأغتدي ... غريباً وحيداً في الوجود بلا جنس
لقد أنكر الأقوام قولي وشنعوا ... عليَّ بعلم لا ألوم به نفسي
فلا هم مع الأحياء في نور ما أرى ... ولا هم مع الأموات في ظلمة الرمس
فسبحان من أحيى الفؤاد بنوره ... وأفقدهم نور الهداية بالطمس
علوم لنا في عالم الكون قد سرت ... من المغرب الأقصى إلى مطلع الشمس
تحلّى بها من كان عقلاً مجرداً ... عن الفكر والتخمين والوهم والحدس

وأصبحت في بيضاء مثلي نقية   إماماً وإن الناس منها لفي لبس

فلا يعتبر عندنا ما يخالفنا فيه علماء الرسوم إلا في نقل الأحكام المشروعة ، فإن فيها يتساوى الجميع ، ويعتبر فيها المخالف بالقدح في الطريق الموصل ، أو في المفهوم باللسان العربي ، وأما في غير هذا فلا يعتبر إلا مخالفة الجنس ، وهذا سارٍ في كل صنف من العلماء بعلم خاص (ديوان / ٤٨ ـ ف ج ١ / ٤١٨) .

ما لقومي عن حديثي في عمى   ثمّ قالوا نحن فيكم عُلَما
صدقوا في نصف ما قالوا وما   صدقوا في نصفه الثاني لما[1]
يقتضيه حكم ما جئت به   من علوم جهلتها الحُكَما
عزّ علم الذوق أن يدركه   عالم جانبنا ما احترما
ولهذا يخطىء الحكم الذي   يطلب الحال إذا ما حكما
وكذا العلم الذي أظهره   عندنا تضحك منه العلما
علماء السوء لا كانوا ولا   كانوا بالتقوى لديه كرما

فكلامنا في المعاني إنما هو مع أصحابنا ، الذين قد علموا ما نقول ونشير به إليهم ، على ما تقرر عندنا في الاصطلاح في ذلك ، فالأجنبي لا يقبل اعتراضه .

(ديوان / ٩٧ ـ ف ج ١/٥٧١).

ومثال ذلك ما قاله الشيخ رضي الله عنه إذ يقول ـ قد ذكرنا في كتاب المشاهد القدسية أنه[2] قال لي : أنت الأصل وأنا الفرع على وجوه ، منها :ـ علمه منا لا منه[3] ، فانظر فإن هنا سراً غامضاً جداً ، وهو عند أكثر النظار منه لا منا ، أوقعهم في ذلك حدوثنا ، والكشف يعطي ما ذكرناه ، وهو الحق الذي لا يسعنا جهله ، ولما سألني عن هذه اللفظة مفتي الحجاز أبو عبد الله محمد بن أبي الصيف اليمني : نزيل مكة ، ذكرت له أن علمنا به فرع عن علمنا بنا ، إذ نحن عين الدليل ، يقول رسول الله ﷺ : من عرف نفسه عرف ربه ؛ كما أن وجودنا فرع عنه ، ووجوده أصل ، فهو أصل في الوجود فرع في علمنا به ،

---

(١) يريد رضي الله عنه قوله تعالى : ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ .

(٢) أي الحق سبحانه وتعالى .

(٣) يريد مسألة «العلم تابع للمعلوم» راجع كتاب الفقه لنا والقسم الثاني من هذا الكتاب ص ٢٠٩ .

وهو من مدلول هذه اللفظة، فسر بذلك وابتهج رحمه الله، وهذا الوجه الآخر[1] من مدلولها أيضاً وهو أعلى، ولكن ما ذكرناه له رحمه الله في ذلك المجلس، لأنه ما يحتمله ولا يقدر أن ينكره، وما تمَّ ذلك الإيمان القوي عنده، ولا العلم ولا النظر السليم، فكان يحار، فأبرزنا له من الوجوه ما يلائم مزاج عقله وهو صحيح. (ف ح ١٤٧/٤).

عدم الرد على المعارض:

لا نشتغل بالرد على أحد من خلق الله، بل ربما نقيم لهم العذر في ذلك للاتساع الإلهي. (ف ح ٢٠٤/١).

علمي بربي عزيز ليس يعرفه ... إلا الذي ذاقه من خلقه أحد
وهم رجال ذوو علم ومعرفة ... لأنهم وجدوا عين الذي أجد

منزل الألفة هو منزل سفر الأبدال السبعة المجتمعين المتآلفين، وهو منزل منه يعلم الجمع بين الضدين، وهو وجود الضد في عين ضده، وهذا العلم أقوى علم تعلم به الوحدانية، لأنه يشاهد حالاً لا يمكن أن يجهله، أن عين الضد هو بنفسه عين ضده، فيدرك الأحدية في الكثرة، لا على طريقة أصحاب العدد، فإن تلك طريقة متوهمة، وهذا علم مشهود محقق، وممن تبرز في هذا المنزل المبارك أبو سعيد الخراز من المتقدمين، وكنت أسمع ذلك عنه حتى دخلته بنفسي وحصل لي ما حصل، فعرفت أنه الحق، وأن الناس في إنكارهم ذلك على حق، فإنهم ينكرونه عقلاً، وليس في قوة العقل من حيث نظره أكثر من هذا، ومن أعطى ما في وسعه من حيث ما تقتضيه تلك الجهة فقد وفّى الأمر حقه، وهذا الذي استقر عليه قدمُنا وثبت، فلا ننكر على مدع ما يدعيه، إلا الإنكار الذي أمرنا به فننكره شرعاً، وهذا الإنكار حقيقة أيضاً، لا نشهد إلا هيئة يجب الإنكار بها وفيها. كما أنكرنا ذلك عقلاً، فللشرع قوة لا يتعدى بها ما تعطيه حقيقتها، كما فعلنا في العقل، وللذوق قوة نعاملها به أيضاً، كما عاملنا سائر ما نُسب إليه القوى بحسب قوته، فنحن مع الوقت، فننكر مع العقل ما ينكره العقل، لأن وقتنا العقل، ولا ننكره كشفاً ولا شرعاً، وننكر مع الشرع ما ينكره الشرع، لأن وقتنا الشرع، ولا ننكره كشفاً ولا عقلاً، وأما

(١) المرجع نفسه، كتاب الفقه منا، ومسألة العلم تابع للمعلوم.

الكشف فلا ينكر شيئاً ، بل يقرر كل شيء في رتبته ، فمن كان وقته الكشف أنكر عليه ولم ينكر هو على أحد ، ومن كان وقته العقل أنكر وأنكر عليه ، ومن كان وقته الشرع أنكر وأنكر عليه ، وكل واحد بحسب ذوقه فإنه الحاكم عليه ، ومن له الإشراف من أمثالنا على المقامات والمراتب، ميّز وعرف كل شخص من أين يتكلم .

(ديوان/ ٤١٦ ـ ف ح ٢ / ٦٠٥، ٥٤٠) .

غرض الشيخ من مصنفاته :

اعلم ـ أيدك الله ـ أيها الطالب أن معرفة الأمور على ما هي عليه في أنفسها ، أنك لا تعلم ذلك إلا إذا أوقفك الله عليك من نفسك ، وأشهدك ذلك من ذاتك ، فيحصل لك ما طلبته ذوقاً عندما تقف عليه كشفاً ، ولا سبيل إلى حصول ذلك إلا بعناية أزلية ، تعطيك استعداداً تاماً لقبوله ، برياضيات نفسية ومجاهدات بدنية ، وتخلق بأسماء إلهية ، وتحقق بأرواح طاهـرة ملكية ، وتـطهير بطهارة شرعية مشروعة لا معقولة ، وعدم تعلق بأكوان ، وتفريغ محل عن جميع الأغيار ، لأن الحق ما اصطفى لنفسه منك إلا قلبك حين نوره بالإيمان ، فوسع جلال الحق ، فعاين مَنْ هذه صفته الممكنات بعين الحق ، فكانت له مشهودة، وإن لم تكن موجودة، فما هي له مفقودة ، وقد كشَفَ لبصيرته ـ بل لبصره وبصيرته ـ نور الإيمان حين انبسط على أعيان الممكنات أنها في حال عدمها مرئية رائية ، مسموعة سامعة ، برؤية ثبوتية وسمع ثبوتي ، لا وجود له ، فعينُ الحق ما شاء من تلك الأعيان ، فوجه عليه دون غيره من أمثاله ، قوله المعبر عنه باللسان العربي المترجم بكن ، فأسمعه أمره ، فبادر المأمور فتكون عن كلمته ، بل كان عين كلمته ، ولم تزل الممكنات في حال عدمهـا الأزلي لها ، تعرف الواجب الوجود لذاته ، وتسبحه وتمجده بتسبيح أزلي، وتمجيد قديم ذاتي ، ولا عين لها موجودة ، ولا حكم لها مفقود . (ف ج ٣ / ٢٥٧) .

واعلم أن الإنسان عالَمٌ صغير، مسلوخ عن العالَم الكبير ، فكلُّ ما ظهر في الكون الأكبر، فهو في هذا العين الأصغر ، فليس غرضي في كل ما أصنف في مثل هذا الفن معرفة ما ظهر في الكون ، وإنما الغرض معرفة ما وجد في هذا العين الإنساني والشخص الآدمي ، فحقق نظرك أيها العاقل، وتنبه أيها الغافل ، هل ينفعني في الآخرة كون السلطان عادلاً أو جائزاً أو عالماً أو جاهلاً ؟ لا والله يا أخي ، حتى أنظر ذلك السلطان مني وإلي ، وأجعل عقلي إماماً عليّ ، وأطلب منه الآداب الشرعية في باطني وظاهري ، وأبايعه على إصلاح

أولاي وأخـراي ، فمتى لم أجعـل هذا نظري هلكت ، ومتى أعـرضتُ عن الاشتغـال بالنـاس، تمكنتُ من نجاتي وتملكتُ، إذ وقد قال ﷺ يخاطب جميع أمته : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » فقد أثبت ﷺ الإمامة لكل إنسان في نفسه ، وجعله مطلوباً بالحق في غيبه وحسه ، فإذا كان الأمر على هذا الحد ، ولزمنا الوفاء بالعهد ، فما لنا نفرط في سبيل النجاة !! ونقنع بأحط الدرجات، ما هذا فعل من قال : إني عاقل ، وتجنب هذه المعـاقـل ، فمتى ذكـرت في كتـابي هذا « عنقـاء مغرب » أو في غيره حادثاً من حوادث الأكوان ، فإنما غرضي أن أثبته في سمع السامع، وأقابله بمثله في الإنسان ، فنصرف النظر فيه إلى ذاتنا الذي هو سبيل نجاتنا ، فأمشيه بكليته في هذه النشأة الإنسانية على حسب ما يعطيه المقام ، إما جسمانية وإما روحانية ، فإياك أن تتوهم أيها الأخ الشفيق ، أن غرضي من كتبي كلها الكلام فيما خرج عن ذاتي ، من غير أن تلحظ فيه سبيل نجاتي ، فإنه لما لم تتعلق بحوادث الكون همتي ، ولا تشوفت إليها كليتي ، كان الحق سبحانه وجهتي ، ونزهتي عن ملاحظة جهتي ، فكنت لا أشهد أيناً ، فكيف أبصر كوناً ؟ فإنه لا فائدة في معرفة ما خرج عن ذاتك ، إلا أن تتعلق به سبيل نجاتك ، فإنك إذا كنت في زمانك الخاص بين إخـوانك على ما كان عليه من تقدم عليه من صحابة النبي ، من العلم السـني والتجلي الكلي ، فقد لحق زمانك بزمانهم ، وصرت من جملة أقرانهم ، فإن القرن اللاحق بقرن المصطفى لم يزل موجوداً ، ما دام الإنسان مع ربه سبحانه شاهداً له والحق له مشهوداً ، فهو وإن كان الذي أشار إليه الشرع ، وجاء به السمع في عبادة الهرج والقتل ، فذلك أوان التقدم والفضل ، فإن للعامل منهم أجر سبعين ممن تقدم ، وإن كان الإمام المُقَدَّم ، فإنهم لا يجدون على الخير أعواناً كما وجدوا ، ولا يشهدون لإمامهم عيناً كما شهدوا ، فلا شيء أقوى من إيمان غيب ، إذا لم يلحق بصاحبه ريب ، وذلك زمان الفتن ، وحلول البلايا والمحن ، فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ، فتأمل هذه الإشارات في نفسـك ، واجتمع عليها بقلبك وحسك ، فإن الزمان شديد ، وجباره عنيد ، وشيطانه مريد ، فانسلخ منه انسلاخ النهار من الليل ، وإلا فقد لحقت بأصحاب الثبور والويل .

(كتاب عنقاء مغرب / الوعاء المختوم) .

ويقول رضي الله عنه عن كتابه التنزلات الموصلية المبني على اللغز والرمز: اعلم - وفقك الله تعالى - أن غرضي الشافي في كل ما أصنفه ، والقول الكافي في كل ما أؤلفه ، فما جعلت في ترجمة الكتاب لفظة إلا لمعنى فيه أودعته ، وسر لديه استودعته ،

(التنزلات الموصلية)

علوم الشيخ رضي الله عنه :

ذكر الشيخ رضي الله عنه مائة واثني عشر منزلاً من منازل العلوم بالجزء الثاني والجزء الثالث من كتابه الفتوحات المكية، تتضمن هذه المنازل ثلاثة عشر ألفاً وستمائة وواحداً وثلاثين علماً، ذكر أسماءها، فيكون المجموع ثلاثة عشر ألفاً وسبعمائة وثلاثة وأربعين علماً، منها أمهات تحوي علوماً كثيرة، أضرب الشيخ عن ذكر أسمائها ، وأذكر هنا بعض العلوم الغريبة التي ذكرها الشيخ وبعض ما ذكره أنه اختص به .

علم الحروف:

علم الحروف عندنا وعند أهل الكشف والإيمان: حروف اللفظ، وحروف الرقم، وحروف التخيل ، أمم من جملة الأمم، لصورها أرواح مدبرة ، فهي حية ناطقة تسبح الله بحمده ، طائعة ربها ، فعلم الحروف هو علم الأولياء ، فيتعلمون ما أودع الله في الحروف والأسماء من الخواص العجيبة ، التي تنفعل عنها الأشياء لهم في عالم الحقيقة والخيال .

(ف ج ٤ / ٩٠ - ج ٢ /١٣٥).

واختلف أصحاب علم الحروف في الحرف الواحد، هل يفعل أم لا ؟ فرأيت منهم من منع من ذلك جماعة ، ولا شك أني لما خضت معهم في مثل هذا ، أوقفتهم على غلطهم في ذلك الذي ذهبوا إليه وإصابتهم ، وما نقصهم من العبارة عن ذلك ، ومنهم من أثبت الفعل للحرف الواحد ، وهؤلاء أيضاً مثل الذين منعوا ، مخطئون مصيبون ، ورأيت منهم جماعة وأعلمتهم بموضع الغلط والإصابة ، فاعترفوا كما اعترف الأخرون ، وقلت للطائفتين : جربوا ما عرفتم من ذلك على ما بيناه لكم ، فجربوه فوجدوا الأمر كما ذكرنا ففرحوا بذلك ، ولولا أني آليت عقداً أن لا يظهر مني أثر عن حرف لأريتهم من ذلك عجباً ، وما غاب عن الفريقين هو أن الحروف كالطبائع والعقاقير ، بل كالأشياء كلها لها

خواص بانفرادها، ولها خواص بتركيبها ، وليس خواصها بالتركيب لأعيانها ، ولكن الخاصية لأحدية الجمعية ، فافهم ذلك ، حتى لا يكون الفاعل في العالم إلا الواحد ، لأنه دليل على توحيد الإله ، فكما أنه واحد لا شريك له في فعله الأشياء ، كذلك سرت الحقيقة في الأفعال المنسوبة إلى الأكوان ، أنها لا تصدر منها إذا كانت مركبة إلا لأحدية ذلك التركيب ، وكل جزء منها على انفراده له خاصية تناقض خاصية المجموع ، هكذا تركيب الكلمات كتركيب الحروف ، ومن هنا تعلم أن الحرف الواحد له عمل ولكن بالقصد ، كما عمل « ش » في لغة العرب عند السامع أن يشي ثوبه ، وهو حرف واحد و« ق » أن يقي نفسه من كذا ، و« ع » أن يعي ما سمعه ، مع كونه حرفاً واحداً ، وأما (كُن) فهو من فعل الكلمة الواحدة لا من فعل الحروف . راجع أرواح الكواكب والحروف ص ٢٠٥ .

(ف ج ١/ ١٩٠ ـ ج ٢/ ٣٠٠).

وعند كلامه رضي الله عنه عن حرف الباء يقول : إنه الحرف المقدم لأنه أول البسملة في كل سورة ، والسورة التي لم يكن فيها بسملة ابتدأت بالباء ، فقال تعالى : ﴿ براءة ﴾ قال لنا بعض الإسرائيليين من أحبارهم ، ما لكم في التوحيد حظ لأن سور كتابكم بالباء ، فأجبته : ولا أنتم فإن أول التوراة باء ، فأفحم .

علم الموازين :

أعجب ما رأيت في قونية من بلاد اليونان من مصور كان عندنا اختبرناه ، وأفدناه في صنعته من صحة التخيل ما لم يكن عنده ، فصور يوماً حجلة وأخفى فيها عيباً لا يُشْعَر به ، وجاء بها إلينا ليختبرنا في ميزان التصوير ، وكان قد صورها في طبق كبير على مقدار صورة الحجلة في الجرم ، وكان عندنا بازي ، فعندما أبصرها أطلقه من كان في يده عليها ، فركضها برجله لما تخيل أنها حجلة في صورتها وألوان ريشها ، فتعجب الحاضرون من حسن صنعته ، فقال لي : ما تقول في هذه الصورة ؟ فقلت له : هي في غاية التمام إلا أن فيها عيباً خفياً ، وكان قد ذكره للحاضرين فيما بينه وبينهم ، فقال لي : وما هو ؟ هذه أوزانها صحيحة ، قلت له : في رجليها من الطول عن موازنة الصورة قدر عرض شعيرة ، فقام وقبل رأسي ، وقال : بالقصد فعلت ذلك لأجربك ، فصدقه الحاضرون وقالوا إنه ذكر ذلك لهم قبل أن يوقفني عليها ، فتعجبت من وقوع البازي عليها وطلبه إياه ، هذا في الموازين

الوضعية ، وأما الموازين الإلهية فانظر فيما دُعيت إليه ، فإن كان حقاً ولو كان من شيطان فاقبله ، فإنك إنما تقبل الحق، ولا تبالِ من جاء به ، هذا مطلب الرجال الذين يعرفون الأشياء بالحق ، ما يعرفون الحق بالأشياء ، وأصحاب هذا الوصف هم العارفون بالموازين الإلهية المعرفة التامة ، وهم قليلون في العالم ، إلى وقتي هذا ما رأيت منهم واحداً ، وإن كنت رأيته فما رأيته في حال تصرفه في هذا المقام ، وهم حكماء هذا الطريق ، ناطقون بالله، عن الله، ما أمرهم به الله ، فإنْ علم ما يريد الحق ظهوره ، ويريد الإنسان المخالف ستره ، وهو الذي يرى المصلحة في غير الواقع في الوجود ، فيحتاج صاحب المقام إلى بصر حديد من أجل الموازين الشرعية ، فإن الجهل بما يراه الحق من المصالح ، أكثر من العلم بالمصالح الظاهرة في الكون ، إنها ليست مصالح في النظر العقلي عند العقلاء ، وهو علم دقيق إذا عمل به الإنسان عن كشف وتحقيق لم يخطىء أبداً .

(ف ج ٢./ ٤٢٤ - ج ٣ / ٢٢٦) .

كيمياء السعادة :

من لزم طريق الحق ارتفع عن درجة الحكم عليه ، وصار حاكماً على الأشياء ، فلا يُقْضَى عليه بشيء لأنه لا يتوجه للخصم عليه حق ، فهذه طريقة إزالة العلل ، وما رأيت عليها أحداً يعرف ذلك ولا نبه عليه ولا أشار ، ولا تجده إلا في هذا الباب ، أو في كلامنا ، فإن كيمياء السعادة فيها سعادة الأبد وزيادة ، ما عند الناس من أهل الله خبر منها ، وهو أنه يعطيك درجة الكمال الذي للرجال ، فإنه ما كل صاحب سعادة يُعطى الكمال ، فكل صاحب كمال سعيد ، وما كل سعيد كامل ، والكمال عبارة عن اللحوق بالدرجة العليا ، وهو التشبه بالأصل ، ولا يتخيل أن قول النبي ﷺ « كمل من الرجال كثيرون » أنه أراد الكمال الذي ذكره الناس ، وإنما هو ما ذكرناه من أن الكمال المطلوب الذي خلق له الإنسان إنما هو الخلافة . (ف ج ٢ / ٢٧١) .

التجلي لا يتكرر ولابد من اختلاف الأذواق :

إذا اجتمع عارفان في حضرة شهودية عند الله ما حكمهما ؟ هذه مسألة سألني عنها شيخنا يوسف بن يخلف الكومي سنة ست وثمانين وخمسمائة ، فقلت : ياسيدي هذه مسألة تفرض ولا تقع ، إلا إذا كان التجلي في حضرة المثل ، كرؤيا النائم، وكحال الواقعة، وأما

في الحقيقة فلا ، لأن الحضرة لا تسع اثنين بحيث أن يُشهد معها غيرها ، بل لا يَشهَد عينها في تلك الحضرة ، فأحرى أن يشهد عيناً زائدة ، ولكن يتصور هذا في تجلي المثال، فإذا اجتمعا فلا يخلو كل واحد منهما أن يجمعهما مقام واحد أعلى أو أدنى أو متوسط أو لا يجمعهما ، فإن جمعهما مقام واحد ، فلا يخلو إما أن يكون ذلك المقام مما يقتضي التنزيه أو التشبيه أو المجموع ، وعلى كل حال فحكم التجلي من حيث الظهور واحد ، ومن حيث ما يجده المتجلي له مختلف الذوق ، لاختلافهما في أعيانهما ، لأن هذا ما هو هذا ، لا في الصورة الطبيعية ولا الروحانية ولا في المكانية ، وإن كان هذا مثل لهذا[1] ، ولكن هذا ما هو هذا ، فغايتهما إما أن يتحقق كل واحد منهما بمعرفته بنفسه ، ونفس هذا غير هذا ، فيحصل من العلم لهذا ما لم يحصل لهذا ، فنعلم أنهما وإن اجتمعا في عين الفرق ـ أو يتحقق الواحد بمعرفته بنفسه ويفنى الآخر عن مشاهدة ذاته ـ فيختلفان في عين الجمع ، أو يعطى الواحد ما يعطى المراد ويعطى الآخر ما يعطى المريد ، فعلى كل وجه هما مختلفان في الوجود ، متفقان في الحال والشهود ، فإن اقتضى المقام التنزيه لكل واحد منهما ، فغاية تنزيه كل واحد منهما أن ينزهه عن صورة ما ، هو عليها في نفسه ، فهما مختلفان بلا شك وإن كانا مثلين ، وإن اقتضى ذلك المقام التشبيه ، فالحال مثل الحال ، وكذلك إن اقتضى المجموع فإن المجموع إنما هو جمع طرفين في حضرة وسطى ، فالحال الحال ، فلا يجتمعان أبداً في الوجود، وإن اجتمعا في الشهود ، وإن لم يجمعهما مقام واحد ، وكان كل واحد في مقام ليس للآخر ، وظاهر بصورة ما هي لصاحبه وإن اجتمعا في الصورة ، إلا أنهما أعطيا من القوة بحيث أن يشهد كل واحد منهما حضور صاحبه في بساط ذلك المشهود ، لكون المشهود تجلى في صورة مثالية، وهذا التجلي والشهود هو الذي يجمع فيه صاحبه بين الخطاب والشهود إن شاء المشهود ، وأما في غير هذه الحضرة فلا يجتمع شهود وخطاب ولا رؤية غير ، وحكمهما إذا كانا بهذه المثابة حكم من جمعهما مقام واحد في معرفته بنفسه أو فناء أحدهما ، أو يقام أحدهما مراداً والآخر مريداً ، فيخبر المريد عن قهر وشدة، ويخبر المراد عن لين وعطف ، وما ثم إلا هذا ، ولا يخبر واحد منهما عما حصل لصاحبه ، فإن الإلقاء لكل واحد منهما إنما يكون بالمناسب ، الذي يقتضيه المزاج الخاص به ، الذي كان سبب اختلاف صور أرواحهما في أصل النشأة ، فإذا رجع إلى أصحابه مَنْ هذه حاله يقول ـ وإن كان أحدهما في المغرب

والآخر في المشرق ـ لأصحابه : في هذه الساعة أشهد فلاناً وعاينته ، وعرفت صورته ومن حليته كذا وكذا ، فيصفه بما هو عليه من الصفات ، فمن لا علم له بالحقائق منهما فإنه يقول : وأعطاه الحق مثل ما أعطاني ، والأمر ليس كذلك ، فإن كل واحد منهما لم يحصل له إسماع ما للآخر ، وذلك لافتراقهما في المناسب كما قدمنا ، وإن كان من أهل الحقائق والمعرفة التامة ويقال له : فما حصل له ؟ فيقول : لا أدري ، فإني لا أعرف إلا ما تقتضيه صورتي ، وما أنا هو ، فإن الحق لا يكرر صورة . (ف ج ٢ / ٤٧٥) .

أرواح الكواكب وأرواح الحروف :

الكواكب التي ترونها إنما هي صور لها أرواح ملكية تدبرها ، مثل ما لصورة الإنسان ، فبروحه يفعل الإنسان وكذلك الكواكب ، والحرف لولا الروح ما ظهر منه فعل ، فروحانية الكوكب ملك من ملائكة السماء ، يجري مع ذلك الكوكب في سباحته ، لأن الله هو الذي وجهه إلى غاية يقصدها عن أمر خالقه ، إبقاءً لعين ذلك الجوهر ، فإن الله سبحانه ما يسوي صورة محسوسة في الوجود على يد مَنْ كان ، من إنسان أو ريح إذا هبت ، فتحدث أشكالاً في كل ما تؤثر فيه ، حتى الحية والدودة تمشي في الرمل فيظهر طريق ، فذلك الطريق صورة أحدثها الله بمشي هذه الدودة أو غيرها ، فينفخ الله فيها روحاً من أمره ، لا يزال يسبحه ذلك الشكل بصورته وروحه إلى أن يزول ، فتنتقل روحه إلى البرزخ ، وذلك قوله تعالى : ﴿ كل من عليها فان ﴾ وكذلك الأشكال الهوائية والمائية ، لولا أرواحها ما ظهر منها في انفرادها ولا في تركيبها أثر ، وكل مَنْ أحدث صورة وانعدمت وزالت وانتقل روحها إلى البرزخ ، فإن روحها الذي هو ذلك الملك يسبح الله ويحمده ، ويعود ذلك الفضل على من أوجد تلك الصورة ، الذي كان هذا الملك روحها ، فما يعرف حقائق الأمور إلا أهل الكشف والوجود من أهل الله . (ف ح ٢/٤٤٨ ، ٢٧١ ، ٤٤٨) .

فالحروف صور في النَفَس الإنساني تسمى حروفاً في المخارج عند النطق ، وفي الخط عند الرقم ، فتختلف في النطق ، وتسمى الملائكة الروحانيات في عالم الأرواح بأسماء هذه الحروف ، وهي سبعة وعشرون حرفاً ، وهذه الملائكة أرواح هذه الحروف ، وهذه الحروف أجساد تلك الملائكة لفظاً وخطاً ، فلا يتخيل أن الحروف تعمل بصورها وإنما تعمل بأرواحها ، ولكل حرف تسبيح وتمجيد وتهليل وتكبير وتحميد ، يعظم بذلك كله خالقه

ومظهره ، وروحانيته لا تفارقه . وبهذه الأسماء يسمون هؤلاء الملائكة في السموات ، وما منهم ملك إلا وقد أفادني . (ف ح ٢/٤٤٨) .

الأيام السبعة والصفات السبع :

أول يوم في العالم ظهر كان بأول درجة الجوزاء ويسمى ذلك اليوم **الأحد** ، وجدت حركته عن صفة السمع ، فلهذا ما في العالم إلا من يسمع الأمر الإلهي في حال عدمه بقوله كن ، ويوم **الإثنين** ، وجدت حركته عن صفة الحياة، وبه كانت الحياة في العالم ، فما في العالم جزء إلا وهو حي ، ويوم **الثلاثاء** وجدت حركته عن صفة البصر ، فما في العالم جزء إلا وهو يشاهد خالقه من حيث عينه لا من حيث عين خالقه ، ويوم **الأربعاء** وجدت حركته عن صفة الإرادة ، فما في العالم جزء إلا وهو يقصد تعظيم موجده ويوم **الخميس** وجدت حركته عن صفة القدرة ، فما في الوجود جزء إلا وهو متمكن من الثناء على موجده ، ويوم **الجمعة** وجدت حركته عن صفة العلم ، فما في العالم جزء إلا وهو يعلم موجده من حيث ذاته لا من حيث ذات موجده ، وقيل إنما وجد عن صفة العلم يوم الأربعاء وهو صحيح ، فإنه أراد علم العين وهو علم المشاهدة ، والذي أردناه نحن إنما هو العلم الإلهي مطلقاً لا العلم المستفاد ، وهذا القول الذي حكيناه أنه قيل ، ما قاله لي أحد من البشر ، بل قاله لي روح من الأرواح[1] فأجبته بهذا الجواب ، فتوقف فأُلقي عليه أن الأمر كما ذكرناه ، ويوم **السبت** وجدت حركته عن صفة الكلام ، فما في الوجود جزء إلا وهو يسبح بحمد خالقه ، فما في العالم جزء إلا وهو ناطق بتسبيح خالقه ، عالم بما يسبح به مما ينبغي لجلاله ، قادر على ذلك ، قاصد له على التعيين لا لسبب آخر ، فظهر العالم حياً سميعاً بصيراً عالماً مريداً قادراً متكلماً . (ف ج ٢ / ٤٣٨) .

الأنفال :

قال لي بعض الأرواح لم سميت الغنائم أنفالاً ؟ قلنا : لا شك ولا خفاء عند كل مؤمن عالم بالشرع ، أن الله ما جعل القتال للمؤمن إلا لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى ، لتتميز الكلمتان كما تميزت القدمان ، فإنه خلق من كل شيء زوجين ، ذاتاً وحكماً ، وعرفتنا التراجمة عن الله ـ وهم رسل الله ـ أن الله تعالى من وقت

---

(١) راجع اجتماع الشيخ بالأرواح ص ١٣٤ .

شرع الجهاد والقتال والسبي أعطى المغانم للنار طعمة أطعمها إياها وأوجبها لها ، وكان من طاعتها لربها أنها لا تتناول إلا ما أحل الله لها تناوله ، وكان قد حرم الله عليها أكل المغنم إذا وقع فيه غلول من المجاهدين ، فكانت لا تأكل المغنم إذا غُلَّ فيه حتى يُردَّ إليه ما كان أُخِذَ منه ، ليخلص العمل للمجاهد ، فلما جاء الشرع المحمدي زاد الله المغانم لأمة محمد ﷺ طعمة على ما أطعمهم من غير ذلك ، فكانت تلك الطعمة التي أخذناها من النار نافلة لهذه الأمة ، وما أعطاها إياهم لكونهم جاهدوا ، إذ لو كان ذلك حقاً لهم على الجهاد ما وقعت لأحد لم يجاهد معهم فيها الشركة ، فما هي فريضة للمجاهدين ، وإنما هي طعمة أطعمها الله من ذكر . (ف ح ٣/ ٤٧٦) .

العلم بالله :

لا يصح أن يُعلَم إلا مُحْدَث ، فإن المعلوم لم يكن ثم كان ، ثم يكون آخر أيضاً ، فلو اتصف المعلوم بالوجود، لتناهى واكتفى به ، ولا تعلم من الله إلاّ ما يكون منه ويوجده فيك ، إما إلهاماً أو كشفاً عن حدوث تجل ، وهذا كله معلوم محدث[1] **فلا يعلم الله إلا الله** ولا يَعْلَم الكون المحدث إلا محدثاً يكوّنه الحق فيه ، وذلك الذي يتخيله من لا علم له من أنه عَلِم الله فلا صحة له ، لأنه لا يُعلم الشيء إلا بصفته النفسية الثبوتية ، وعلمنا بهذا محال ، فعلمنا بالله محال ، فسبحان من لا يُعْلَم إلا بأنه لا يُعْلَم .

(ف ج ٢ /٥٥٢) .

علم الملائكة بالله :

للملائكة علم بالله لا يعلمه أحد من البشر حتى يتجرد عن بشريته ، ويتجرد عن حكم ما فيه للطبيعة من حيث نشأته ، حتى يبقى بما[2] فيه إلا الروح المنفوخ ، فحينئذ يتخلص إلى العلم بالله من حيث تعلمه الملائكة ، فيقوم في عبادته ربه مقام الملائكة في عبادتهم لله ، وهي العلامة فيمن ادعى أنه يعلم الله بصورة ما تعلمه الملائكة ، فمن ادعى ذلك من غير هذه العلامة فدعواه زور وبهتان ، فإن للملائكة علماً بالله تعالى يعم الصنف ، وعلماً خالصاً لكل ملك بالله لا يكون لغيره ، فنحن ما نطالبه في دعواه إلا بالعلم العام ،

---

(١) راجع كتابنا شرح كلمات الصوفية ، قول الصوفي : «خلق الله نفسه» ص ٣٥١ .

(٢) هكذا في الأصل ولعله «ما» .

وهذه العلامة معلومة عندنا ذوقاً لا نذكرها لأحد ، لئلا يظهر بها في وقت وهو كاذب في دعواه غير متحقق ، فلهذا أمرنا وأمثالنا بستر هذا وأمثاله . (ف ج ٣/٤٧٣) .

سريان الأمان في النفوس :

إذا أردت أن لا تخاف أحداً، فلا تُخِفْ أحداً ، تأمن من كل شيء؛ إذا أمن منك كل شيء؛ مررت في سفري في زمان جاهليتي ومعي والدي ـ وأنا ما بين قرمونة وبلمة من بلاد الأندلس ـ وإذا بقطيع حمر وحش ترعى ، وكنت مولعاً بصيدها ، وكان غلماني على بعد مني ، ففكرت في نفسي وجعلت في قلبي أني لا أوذي واحداً منها بصيد ، وعندما أبصرها الحصان الذي أنا راكبه هَشَّ إليها فمسكته عنها ، ورمحي بيدي إلى أن وصلت إليها ودخلت بينها ، وربما مر سنان الرمح بأسنمة بعضها وهي في المرعى ، فوالله ما رفعت رؤوسها حتى جزتها ، ثم أعقبني الغلمان ففرت الحمر أمامهم ، وما علمت سبب ذلك إلى أن رجعت إلى هذا الطريق ، أعني طريق الله ، فحينئذ علمت من نظري في المعاملة ما كان السبب وهو ما ذكرناه ، فسرى الأمان في نفوسهم الذي كان في نفسي لهم . (ف ح ٤/٥٤٠) .

المقامات لا تورث :

أخبرني الحق ـ بالطريقة التي جرت العادة أن يخبر بها عباده في أسرارهم ـ أن القطب الثاني من الأقطاب الاثني عشر في الأمة المحمدية ، وهو الذي على قدم الخليل إبراهيم عليه السلام ، أن هذا العبد أعطاه الرحمة بعباده والصلة لرحمه ، فسأله في أمر فلم يجبه الله إليه ، وهو أنه سأله أن يرث مقامه عقبه ، فقال له : ليس ذلك إليك ، لا يكون مقام الخلافة بالورث ، ذلك في العلوم والأموال ، وأما الخلافة فكل خليفة في قوم بحسب زمانهم ، فإن الناس في زمانهم أشبه منهم بآبائهم ، فإن الحق لا يحكم عليه خلق إلا في العلم[1] ، والخلق لا يعرف أن له هذه المرتبة إلا من أعلمه الله بذلك . (ف ج ٤/٨٠) .

علم منازل الصالحين :

هو علم غريب شريف ، ما رأيت من العارفين من يعرفه إلا الأنبياء خاصة ، فالحمد لله الذي منَّ علينا بمعرفته ، وما رأينا ذلك إلا بكون الله امتن علينا بالاحترام التام لرسله

---

(١) راجع العلم تابع للمعلوم ص ٢٠٩ .

عليهم السلام[1] وشرائعه المنزلة ، وعلم الصلاح يختص بهم ، فمكنني الله من جني ثمرته . (ف ج ٣/٦٤) .

العلم بالقَدَر محال :

إنك إذا أخذت تفصل بالحدود أعيان الموجودات ، وجدتها بالتفصيل نِسَباً ، وبالمجموع أمراً وجودياً ، لا يمكن لمخلوق أن يعلم صورة الأمر فيها ، فلا علم لمخلوق - مما سوى الله - ولا للعقل الأول أن يعقل كيفية اجتماع نسب يكون عن اجتماعها عين وجودية مستقلة في الظهور ، غير مستقلة في الغنى ، مفتقرة بالإمكان ، محكوم عليها به ، وهذا علم لا يعلمه إلا الله تعالى ، وليس في الإمكان أن يعلمه غير الله تعالى ، ولا يقبل التعليم ، أعني أنه يعلمه الله من شاء من عباده ، فأشبه العلم به العلم بذات الحق ، والعلم بذات الحق محال حصوله لغير الله ، فمن المحال حصول العلم بالعالم ، أو بالإنسان نفسه ، أو بنفس كل شيء لنفسه لغير الله ، فالسبب الذي لأجله طُوي علم القدر ، هو أن له نسبة إلى ذات الحق ، ونسبة إلى المقادير ، فالقدر مرتبة بين الذات وبين الحق من حيث ظهوره[2] لا يعلم أصلاً ، فعز أن يُعلَم عِزَّ الذات ، فمن علم الله علم القدر ، ومن جهل الله جهل القدر ، والله سبحانه مجهول فالقدر مجهول ، فمن المحال أن يعرف المألوه الله ، فتفهَّم هذه المسألة ، فإني ما سمعت ولا علمت أن أحداً نبه عليها وإن كان يعلمها ، فإنها صعبة التصور ، مع أن فحول العلماء يقولون بها ولا يعلمون أنها هي .

(ف ج ٣/٥٥٦ - ج ٢/٦٣ - ج ٣/٥٥٦) .

العلم تابع للمعلوم وهو سر القدر :

هل ثَمَّ مَنْ يعلم علم القدر أم لا ؟ قلنا : لا ولكن قد يعلم سره وتحكمه في الخلائق ، وقد أعلمنا به فعلمناه بحمد الله ، فليس سر القدر الذي يخفى عن العالم عينه إلا اتباع العلم المعلوم ، فلا شيء أبين منه ولا أقرب مع هذا البعد ، فإن العلم تابع للمعلوم ، ما هو المعلوم تابع للعلم فافهمه ، وهذه مسألة عظيمة دقيقة ، ما في علمي أن

(١) هذا يدحض ما جاء في فتاوى الإمام ابن تيمية ، في المجلد الحادي عشر الصفحة ٢٣٩ من أن الشيخ رضي الله عنه : «ينتقص الأنبياء» - راجع كتابنا الرد على ابن تيمية .

(٢) وهي المظاهر .

أحداً نبه عليها إلا إن كان وما وصل إلينا . وما من أحد إذا تحققها يمكن له إنكارها ، وفرق يا أخي بين كون الشيء موجوداً ، فيتقدم العلم وجوده ، وبين كونه على هذه الصورة في حال عدمه الأزلي . **فهو مساوق للعلم الإلهي به ومتقدم عليه بالرتبة** . لأنه لذاته أعطاه العلم به ، فاعلم ما ذكرناه فإنه ينفعك ويقويك في باب التسليم والتفويض للقضاء والقدر الذي قضاه حالك ، فلو لم يكن في هذا الكتاب (الفتوحات المكية) إلا هذه المسألة لكانت كافية لكل صاحب نظر سديد وعقل سليم ، فلا نزال نراقب حكم العلم فينا من الحق حتى نعلم ما كنا فيه ، فإنه لا يحكم فينا إلا بنا ، فمن وقف في حضرة الحكم - وهي القضاء على حقيقتها - شهوداً ، علم سر القدر ، وهو أنه ما حكم على الأشياء إلا بالأشياء ، فما جاءها شيء من خارج ، ولا ينكشف هذا السر حتى يكون الحق بصر العبد ، فإذا كان بصر العبد بصر الحق نظر الأشياء ببصر الحق ، حينئذ انكشف له علم ما جهله إذ كان بصر الحق لا يخفى عليه شيء ، ومن وقف على سر القدر - وهو أن الإنسان مجبور في اختياره - لم يعترض على الله في كل ما يقضيه ويجريه على عباده وفيهم ومنهم ، وقد ذكرنا في كتابنا المشاهد القدسية ، أنه قال لي : « أنت الأصل وأنا الفرع » وفي ذلك أقول :

إن الإلـه بجـوده ... يعـطي العُبيـد إذا افتقـر
مـا شـاءه مما لـه ... ما ثم إلا ما ذكـر
لما وقـفـت تحقـقـاً ... منـه على سر الـقـدر
وشـهـدتـه فرأيـتـه ... سمـع الحبيب مع البصر
فيـه بدت أحـكـامـه ... ولـه نهى ولـه أمـر
ويـقـال هذا مؤمـن ... ويـقـال هذا قد كفـر
فلنـا الحـقـائـق كلهـا ... ولنـا التـحـكم والأثـر
ما الأمـر إلا هكـذا ... ما الأمـر ما يعطي النظر
الحـكـم ليس لغـيرنـا ... في كل ما تعـطي الصـور
والأمـر فيـه فيـصـل ... في الـكـون من خير وشر
لم نسـتـفـد منـه سوى ... أكـوانـنـا وكـذا ظهـر
وانـظر بربـك لا ... بعقلك في شؤونـك واعتبر

هذا هو الحق الصراح لمن تحقق واذّكر
الحكم حكم ذواتنا لا حكمه فاعدل وسر
عنه إليه بما لنا تعثر على الأمر الخطر
لا تأتلي لا تأتني فإليك منك المستقر
إن الغنى صفة له عنا فنستر ما ستر
لولا افتقار المحدثات إليه ما جاء الخبر
هذا هو الميت الذي يوم القيامة قد نشر

إن هذا هو السر الذي أخفاه الله عمن شاء من عباده، قد ظهر في حكم افتقارنا في غناه، فأظهره الله لمن شاء أيضاً، فتأمل هذا الغنى وهذا الفقر، وانظر بنور بصيرتك في هذا الوجود والفقد، وقل: لله الأمر من قبل ومن بعد[1]. (ف ح ٢/٦٣ - ح ٤/١٨٢، ١٦، ٢٣٥ - ح ٢/٦٣ - ح ١/٤٠٥ - ح ٤/١٤٧، ٢٣٧).

علم الافتقار إلى الله بالله:

وهو من علوم القطب الثالث من الأقطاب الاثني عشر، وهو علم شريف ما رأيت له ذائقاً لما ذقته، ومعنى هذا وسره، أن حاجة الأسماء إلى التأثير في أعيان الممكنات، أعظم من حاجة الممكنات إلى ظهور الأثر فيها، وذلك أن الأسماء لها في ظهور آثارها السلطان والعزة، والممكنات قد يحصل فيها أثر تتضرر به، وقد تنتفع به، وهي على خطر، فبقاؤها على حالة العدم أحب إليها لو خُيِّرت، فإنها في مشاهدة ثبوتية حالية، ملتذة بالتذاذ ثبوتي، منعزلة كل حالة عن الحالة الأخرى، لا تجمع الأحوالَ عينٌ واحدة في حال الثبوت، فإنها تظهر في شيئية الوجود في عين واحدة، فزيد مثلاً الصحيح في وقت هو بعينه العليل في وقت آخر، والمعافى في وقت هو المبتلى في وقته ذلك بعينه، وفي الثبوت ليس كذلك، فإن الألم في الثبوت ما هو في عين المتألم، وإنما هو في عينه، فهو ملتذ بثبوته، كما هو ملتذ بوجوده في المتألم، والمحل متألم به، وسبب ذلك أن الثبوت بسيط مفرد، غير قائم شيء بشيء، وفي الوجود ليس إلا التركيب، فحامل ومحمول، فالمحمول أبداً منزلته

---

(١) فَرّق بين غنى الذات الغنية عن العالمين، وبين افتقار المرتبة ومتعلقاتها من الأسماء الإلهية لظهور آثارها، كما لا يخفى.

في الـوجود مثل منزلته في الثبوت، في نعيم دائم ، والحامل ليس كذلك ، فإنه إن كان المحمـول يوجب لذة التـذ الحامل ، وإن أوجب ألماً تألم الحامل ، ولم يكن ذلك في حال الثبوت ، بل العين الحاملة في ثبوتها تظهر فيها تكون عليه في وجودها إلى ما لا يتناهى ، فكل حال تكون عليها هو إلى جانبها ، ناظر إليها لا محمول فيها ، فالعين ملتذة بذاتها ، والحال ملتذ بذاته ، وحال الأحوال لا يتغير ذوقه بالوجود ، وحال الحامل يتغير بالوجود ، وهو علم عزيز ، وما تعلم الأعيان ذلك في الثبوت إلا بنظر الحال إليها ، ولكن لا تعلم أنه إذا حملته تتألم به ، لأنها في حضرة لا تعرف فيها طعم الآلام ، بل تتخذه صاحباً ، فلو علمت العين أنها تتألم بذات الحال إذا اتصفت به ، لتألمت في حال ثبوتها بنظره إياها ، لعلمها إنها تتلبس به وتحمله في حال وجودها ، فتألفها به في الثبوت تَنَعُّم لها ، وهذا الفن من أكبر أسرار علم الله في الأشياء ، شاهدته ذوقاً إلهياً ، لأن من عباد الله من يطلعه الله كشفاً على الأعيان الثبوتية ، فيراها على صورة ما ذكرناه من المجاورة والنظر ، ما يرى فيها حالاً ولا محلاً ، فإذا فهمت الفرق بين الوجود والثبوت ، وما للأعيان في الوجود، وما لها في الثبوت من الأحكام ، علمت أن بعض الأعيان لا تريد ظهور الأثر فيها بالحال ، ما لها في ذلك ذوق ، فهي بالحال لو عرض عليها ذوق الألم في حال الثبوت لضجت ، فإن أمرها في حال الوجود إذا حملت الألم قد تحمل الصبر وقد لا تحمله ، وفرضناها في حال الثبوت حاملة فاقدة للصبر ، فما لها ـ بلسان الحال ذلك ـ افتقار إلى طلب الوجود ، وإن طلبته بالقول الثبوتي(١) من الله ، فإذا وجدت تقول كما نقل عن بعضهم : ليتني لم أخلق ، ليت عمر لم تلده أمه، ليتها كانت عاقراً ، وأمثال هذا، فتكون الأعيان أقل افتقاراً من الأسماء ، والأسماء أشد افتقاراً لما لها في ذلك من النعيم ، ولقد برقت لي بارقة عند تقييدي مسألة أن الوجود لا يصح إلا من أصلين : الواحد الاقتدار وهو الذي يلي جانب الحق ، والأصل الثاني القبول وهو الذي يلي جانب الممكن ، فلا استقلال لواحد من الأصلين بالوجود ولا بالإيجاد . فالأمر المستفيد الوجود ما استفاده إلا من نفسه بقبوله ، وممن نفذ فيه اقتداره وهو الحق ، غير أنه لا يقوى في نفسه إنه موجد نفسه ، بل يقل : إن الله أوجده ، والأمر على ما ذكرناه ، فما أنصف الممكن نفسه وآثر بهذا الوصف ربه ، رأيت في هذه البارقة ما شاء الله

(١) قال تعالى : ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾ .

من العلوم ، كما ضرب النبي ﷺ بالمعول الحجر الذي تعرض لهم في الخندق ، فبرقت في الضربة منه بارقة رأى بها ما فتح الله على أمته ، حتى رأى قصور بصرى كأنياب الفيلة ، ورأى ذلك في ثلاث ضربات ، في كل ضربة بارقة تبدي له جهة مخصوصة ، هذا رأيته عند تقييدي الباب السبعين وأربعمائة ، **وراثة نبوية بحمد الله** ، ورأيت فيها وبها ، وإن ظهر الحق بصور الممكنات واتصف بالغنى ، فإن ذلك لا يخرجه عن عدم الاستقلال في وجود الحادث به ، إذ لابد من قبوله ، وفيه وقع الكلام ، هذا ما أعطتنيه تلك البارقة .

(ف ج ٤/٨١، ١٠١).

الكسب والخلق أو الجبر والاختيار :

راجع أحوال الشيخ ـ لزوم الأدب في مسألة الجبر والاختيار ص ١٥٦ .

علم الحركات :

ما من حركة يتحركها الإنسان إلا عن ورود اسم إلهي عليه ، هذا مفروغ عندنا في الحقائق الإلهية ، وأسماء الله لا تحصى كثرة . (ف ج ١ / ٦٦٤) .

معرفة الأرواح إذا تجسدت :

بعض الناس يعرفون الروحاني إذا تجسد من خارج من غيره من الناس ، أو من جنس تلك الصورة التي يظهر فيها ، وما كل أحد يعرف ذلك ، ويفرقون أيضاً بين الصورة الروحانية المعنوية المتجسدة ، وبين الصورة الممثلة من داخل ، بعلامات يعرفونها ، وقد علمتها وتحققتها ، فإني أعرف الروح إذا تجسد من خارج أو من داخل ، من الصورة الجسمية الحقيقية ، والعامة لا تعرف ذلك ـ (راجع كتاب الخيال لنا ـ الأجسام والأجساد) . (ف ج ٣/٤٤) .

تروحن الإنسان حتى يسري في باطن الجان :

اعلم أن الجن له تسليط على الإنس ظاهراً وباطناً ، وهو في حق قوم ظاهراً خاصة والباطن معصوم ، والإنس ليس له تسليط إلا على ظاهر الجن ، إلا من تروحن من الإنس وتلطف معناه ، بحيث يظهر في ألطف من صورة الجن ، فيسري بذاته في باطن الجن ، سريان الجن في باطن الإنس ، فيجهله الجني ويتخيل أن ذلك من حكم نفسه عليه ، وهو

حكم هذا الإنسي المتروحن ، وما رأيت أحداً نبه على هذا النوع من العلم ، وأطلعني الله تعالى عليه ، فما أدري هل علمه من تقدم من جنسي وما ذكره أم لا ؟ (ف ج ١٩٢/٣).

علم الجمع :

يقول القطب الرابع من الأقطاب الاثني عشر : إن الوجود وجود الحق ، وإن الجمع جمع الحق صفات القدم والحدوث ، وهو علم غريب في الجمع ، ما رأيت من يقول به من أهل الله غير هذا القطب . (ف ج ٤ / ٨٢) .

كل الأسماء والصفات لله تعالى بالأصالة :

لما رأيت ما ينبغي لله وما ينبغي للعبد ، ورأيت ما حجب الله به عباده المنسوبين إليه ، من حيث أنه جعل لهم في قلوبهم أنهم يعتقدون أن لهم أسماء حقيقية ، وأن الحق تعالى قد زاحمهم فيها ، وحجبهم عن العلم بأن تلك الأسماء أسماؤه تعالى ، زاحموه بالتخلق بالأسماء الإلهية ، وقابلوا مزاحمة بمزاحمة ، وما تفطنوا لما لم يزاحمهم فيه من الذلة والافتقار ، الذي نبه لأبي يريد عليها، ولنا اعتناءً من الله ، فهذه أسماؤهم لا ما ادعوها ، فزاحموه فيما تخيلوا من الأسماء أنها لهم وهم لا يشعرون ، ولقد كنت مثلهم في ذلك قبل أن يمن الله علي بما منَّ به عليّ من معرفته ، فعلمني أن الأسماء أسماؤه ، وأنه لابد من إطلاقها علينا ، فأطلقناها ضرورة لا اعتقاداً ، وأطلقتها أنا ومن خصه الله بهذا العلم على الله اعتقاداً ، وأطلقها غيرنا اضطراراً إيماناً ، لكون الشرع ورد بها لا اعتقاداً ، فحفظنا عليه ما هو له ، حين لم يحفظه ومكر بعباده ، فمن حفظ على نفسه ذله وافتقاره ، وحفظ على الله أسماءه كلها التي وصف بها نفسه ، والتي أعطي في الكشف أنها له ، فقد أنصف ، فاتصف بأنه على كل شيء حفيظ ، فالكل أسماء الحق تعالى ، والعبد لا اسم له ، حتى إن اسم العبد ليس له ، وهو متخلق به كسائر الأسماء الحسنى ، فالسير إلى الله والدخول عليه والحضور عنده ليس إلا بأسمائه ، وإن أسماء الكون أسماؤه ، وهو مجلى عزيز في منصة عظمى ، كانت غاية أبي يزيد البسطامي دونها ، فإن غايته ما قاله عن نفسه : تقرب إليّ بما ليس لي ؛ فهذا كان حظه من ربه ورآه غاية ، وكذلك هو فإنه غايته لا الغاية ، وهذه طريقة أخرى ما رأيتها لأحد من الأولياء ذوقاً ، إلا للأنبياء والرسل خاصة ، فكل اسم للكون فأصله للحق حقيقية ، وهو للخلق لفظاً دون معنى وهو به متخلق ، فكل وصف صفة كمال لله تعالى ،

فهو موصوف بها كما تقتضيه ذاته ، وأنت موصوف بها كما تقتضيها ذاتك .

والعين واحدة والحكم مختلف والعبد يعبد والرحمن معبود

فليس التحلي (وهو التخلق بالإسماء الإلهية) تَشَبُّه ، فإنه محال في نفس الأمر ، وما قال به إلا من لا معرفة له بالحقائق ، وكذلك كنا لولا أن منّ الله علينا ، فتعين علينا أن نبين للخلق ما بينه الحق لنا ، هكذا أخذ العهد علينا فيما يجوز لنا الإبانة عنه والإفصاح به ، وأما ما أخذ الله علينا العهد على كتمانه ، فنشاهده من الخلق ولا نخبرهم بما هو ، فهم بحكم ما يتخيلون، ونحن بحكم ما نعلم ، ولو عرفناهم بذلك ما قبلوا ، لأن استعدادهم لا يعطي القبول ، كما قال :ـ ﴿ ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ﴾ فما حجبناه عنهم إلا رحمة بهم . (ف ج ٣ / ٢٢٨ ـ ج ٢ / ٣٥٠ ـ ٤٨٤) .

ألسنة العالم كلها أقوال الله

ألسنة العالم كلها أقوال الله وتقسيمها لله ، فيضيف إلى نفسه منها ما شاء، ويترك منها ماشاء ، فإذا سمعتم العبد يتكلم فذلك تكوين الحق فيه ، والعبد على أصله صامت ، فإن الأمر الإلهي نافذ في المأمور لا يتوقف لأمره مأمور ، ومن حضرة الفتاح يعلم العبد أن كل نطق في العالم ـ كان ذلك النطق ما كان ـ مما يحمد أو يذم أنه يسبح بوجه لله بحمده ، أي فيه ثناء على الله ، لاشك في ذلك ، ومثل هذا العلم بحمد الله حصل لنا من هذه الحضرة ، ولكن ما يعرف صورة تنزيله علماً ـ بحمد الله والثناء عليه ـ إلا من اختصه الله بوهب هذه الحضرة على الكمال ، فيسب إنسانٌ إنساناً ، وهو عند هذا السامع صاحب هذا المقام تسبيح بحمد لله ، فيؤجر ويأثم القائل ، والقول عينه ، وهذا من العلم اللطيف الذي يخفى على أكثر الناس ، وهو من العلوم بمنزلة أسماء الأشياء كلها أنها أسماء الله ، وحضرة المؤمن ما لها في الكون سلطان إلا في الأخبار الإلهية ، وهي على قسمين عند من دخل إلى هذه الحضرة وتحقق بها :ـ القسم الواحد الخبر الإلهي الآتي من عند الله ، المسمى صحفاً أو توراةً أو إنجيلاً أو قرآناً أو زبوراً ، وكل خبر أخبر به عن الله ملك أو رسول بشري ، أو كلم الله به بشراً وحياً أو من وراء حجاب ، هذا الذي عليه أهل الإيمان وأهل الله ، والقسم الآخر يقول به طائفة من أهل الله أكابر ، في كل خبر في الكون من كل قائل ، وأصحاب هذا القسم يحتاجون إلى حضور دائم، وعلم بمواقع الأخبار ، وأعني

بالعلم العلم بمواقع الأخبار ، وهو أنهم يعرفون الخطاب الوارد على لسان قائل ما ممن له نطق في الوجود أين موقعه من العالم أو من الحق ؟ فيبرزون له آذاناً منهم واعية ، لا يسمعونه إلا بتلك الآذان ، فيتلقونه ويطلبون به متعلقه حتى ينزلوه عليه ، ولا يتعدوه به ، وهذا لا يقدر عليه إلا من حصر أعيان الموجودات ، أعني أعيان المراتب لا أعيان الأشخاص ، فيلحقون ذلك الخبر بمرتبته ، فهم في تعب ومشقة ، فإن المتكلم مستريح في كلامه ، وهذا متعوب في سماعه ذلك الكلام ، فإنه لا يأخذه إلا من الله ، فينظر من يراد به فيوصله إلى محله ، فيكون ممن أدى الأمانة إلى أهلها ، ولهذا كان بعضهم يسد أذنيه بالقطن حتى لا يسمع كلام العالم ، ولله رجال هان عليهم مثل هذا ، فبنفس ما يسمعون الخطاب من الله تقوم معهم مرتبة هذا الخطاب ، فينزلونه فيها من غير مشقة ، والحمد لله الذي رزقنا الراحة في هذا المقام ، فإنه كشف لطيف ، وذلك أن الخطاب الإلهي العام في ألسنة القائلين من جميع الموجودات ، مرتبة ذلك القول معه تصحبه ، فإنه قول إلهي في نفس الأمر ، وإن كان لا يعلمه إلا القليل ، فعندما يسمعه الكامل من رجال الله تعالى يشهد مع سماعه مرتبته ، فيجمع بين السماع وشهود الرتبة ، فيلحقه بها عن كشف من غير مشقة ، ولقد رأينا جماعة من أهل الله يتعبون في هذا المقام ، بطلب المناسبات بين الأخبار والمراتب حتى يعثروا عليها ، وحينئذ يلحقون ذلك الخبر بأهله ، فتفوتهم أخبار إلهية كثيرة .

(ف ج ٣ / ٢١١ ، ٢١٨ ، ٢٢٦ ـ ج ٤ / ٢٢١ ، ٢٠٤) .

مشاهدة الحق في كل اعتقاد :

لله رجال أعطاهم الله الفهم والاتساع وحفظ الأمانة أن يفهموا عن الله جميع إشارات كل مشار إليه ، وهم الذين يعرفونه في تجلي الإنكار ، والشاهدون إياه في كل اعتقاد ، والحمد لله الذي جعلنا منهم إنه وليّ ذلك . (ف ج ٢ / ٤٩٨) .

قال تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ أي حكم ، وقضاء الحق لا يرد ، والعبادة ذلة في اللسان المنزل به هذا القرآن ، قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ فإن العبادة ذاتية للمخلوق لا يحتاج فيها إلى تكليف ، فكما قال : ﴿ ياأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ﴾ ولم يذكر افتقار مخلوق لغير الله ، قضى أن لا يعبد غير الله ، فمن أجل حُكْم الله عُبِدَت الآهة ، فلم يكن المقصود بعبادة كل عابد إلا الله ، فما عُبد

شيء لعينه إلا الله ، وإنما أخطأ المشرك حيث نصب لنفسه عبادة بطريق خاص لم يشرع له من جانب الحق ، فشقي لذلك ، فإنهم قالوا في الشركاء : ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله ﴾ فاعترفوا به ، وأنزلوهم منزلة النواب الظاهرة بصورة من استنابهم ، وما ثَمَّ صورة إلا الألوهية فنسبوها إليهم ، فكان قوله تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ . من الغيرة الإلهية ، حتى لا يعبد إلا من له هذه الصفة ، فكان من قضائه أنهم اعتقدوا الإله ، وحينئذ عبدوا ما عبدوا ، مع أنهم ما عبدوا في الأرض من الحجارة والنبات والحيوان ، وفي السماء من الكواكب والملائكة ، إلا لاعتقادهم في كل معبود أنه إله ، لا لكونه حجراً ولا شجرة ولا غير ذلك ، وإن أخطأوا في النسبة فما أخطأوا في المعبود ، فعلى الحقيقة ما عبد المشرك إلا الله ، وهو المرتبة التي سماها إلهاً ، لأنه لو لم يعتقد الألوهية في الشريك ما عبده ، فإنه ما عُبِدَ مَنْ عُبِدَ إلا بتخيل الألوهية فيه ، ولولاها ما عبد ، ولذلك قال تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ فما عَبَدَ أحد سوى الله ، حتى المشركون ما عبدوه إلا في الهياكل المسماة شركاء ، فما عُبدت إلا الألوهية في كل من عُبد من دون الله ، لأنه ما عُبد الحجر لعينه ، وإنما عُبد من حيث نسبة الألوهة له ، فإن المشرك ما عبد شيئاً إلا بعد ما نسب إليه الألوهة فما عَبَد إلا الله . (ف ج ١/٤٠٥ - ج ٤/١٠٠ ، ١٠١ - ج ١/٤٠٥ ، ٥٨٩ ، ٢٣٨ - ج ٢/٣٢٦ ، ٩٢ - ج ٤/٤١٥) .

واعلم أن اسم الرب من حيث دلالته ، هو الذي يعطي في أصل وضعه أن يسع كل اعتقاد يعتقد فيه ، ويظهر بصورته في نفس معتقده ، ولهذا يتجلى لهم يوم القيامة في صور اعتقادهم ، فممن يخاطب الله بهذه الآية ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ﴾ أهل المقامات العلى ، من إطلاق اسم الرب الذي يقبل التجلي في صور الاعتقادات ، فصاحب هذا المقام لا يزال خائفاً ، حتى تأتيه البشرى في الحياة الدنيا بأن الأمر كما قال ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾ والهوى هو تقييد الرب بصورة معينة في نفسه ، وعدم إطلاقه في التحول في صور الاعتقادات . (ف ج ٤/١٦٥) .

فالكامل من عظمت حيرته ، ودامت حسرته ، ولم ينل مقصوده لما كان معبوده ، وذلك أنه رام تحصيل ما لا يُمكن تحصيله ، وسلك سبيل من لا يُعرَف سبيله ، والأكمل من الكامل من اعتقد فيه كل اعتقاد ، وعرفه في الإيمان والدلائل وفي الإلحاد ، فإن الإلحاد

ميل إلى اعتقاد معين من اعتقاد ، فاشهدوه بكل عين إن أردتم إصابة العين ، فإنه عام التجلي ، له في كل صورة وجه ، وفي كل عالم حال . (ف ج ٢ /٢١٢) .

الحق صورة كل شيء :

أنوار المولدات تعطي أن الحق صورة كل شيء في نفس الأمر . فمن علمه وكشفه بهذا النور كان من أهل الاختصاص ، فهو يرى الأشياء أعياناً بصورة حقية ، وأخبرني من أثق بنقله في هذه المسألة ، أن شخصاً كان بدمشق له هذا المقام ، لا يزال رأسه بين ركبتيه ، فإذا نظر إلى الأشياء في رفع رأسه لا يزال يقول : أمسكوه أمسكوه ، والناس لا يعلمون ما يقول ، فيرمونه بالتوله ، وأما أنا فذقته لله الحمد على ذلك ، وهو ناتج عن فتوح المكاشفة . (ف ج ٢ / ٤٨٧) .

رؤية وجه الحق في كل أمر :

العارفون لا يقطعون التلبية (أي تلبيتهم للحق) لا في الدنيا ولا في الآخرة ، فإنهم لا يزالون يسمعون دعاء الحق في قلوبهم مع أنفاسهم ، فهم ينتقلون من حال إلى حال بحسب ما يدعوهم إليه الحق ، فالعارف غير محجوب السمع ، فهو مجيب أبداً ، جعلنا الله ممن شق سمعه دعاءُ ربه ، وشق بصره لمشاهدة تجليه ، فالتجلي دائم لا ينقطع ، والأمور إذا نسبتها إلى الحق لا تتفاضل في الشرف ، وإذا نسبتها إليك تفاضلت في حقك ، والمكمل عندنا من تكون الأمور بالنسبة إليه كما تكون بالنسبة إلى الله ، وهو الذي يرى وجه الحق في كل أمر ، وهذا الباب ما رأيت له ذائقاً ـ فيما نقل إلينا جملة واحدة ـ ولابد أن يكون له رجال لابد من ذلك ، ولكنهم قليلون ، فإن المقام عظيم ، والخطب جسيم ، وكنت أتخيل في بعض المقتدين بنا أنه حصله ، فجاءني منه يوماً عتاب في أمر ، شهد عندي ذلك الخطاب أنه ما حصله ، (ف ج ١ / ٦٩٩) .

تصور الحق :

من شأن الحق أنه حيث تصور كان له وجود في ذلك التصور ، ولا يزول برجوع المُتصوِّر عما تصور ، بخلاف المخلوق ، فإن المخلوق إذا تصور كان له وجود في تصورك له ، فإذا تبين أنه ليس كذلك ، زال من الوجود بزوال تصورك ما تصورته ، فهذا الفرقان بين الله وبين المخلوق ، وهو علم دقيق لا يعلمه كثير من الناس . (ف ج ٤ /١٣٣).

الترك في الحضرة الإلهية :

صورة التروك في الجناب الإلهي ، هو الذي لم يُوجَد من أحد الممكنين لوجود الآخر المرجَّح وجوده ، فهو من حيث أنه لم يوجد تركٌ له ، وهذه مسألة نبهناك عليها لعلمنا أنك ما تجدها في غير هذا الكتاب (الفتوحات المكية) لأنها عزيزة التصور ، قريبة المتناول لمن اعتنى الله به ، تعطي الأدب مع الله وحفظ الشريعة على عباد الله ، وهي من الأسرار المخزونة عند الله ، التي لا تظهر إلا على العارفين بالله ، ولا ينبغي كتمها عن أحد من خلق الله ، فإن كتمها العالم بها فقد غش عباد الله ، ومن غشنا فليس منا ، أي ليس من سنتنا الغش ، ولما وقفنا على هذه المسألة في كتاب الرحمة الإلهية ، الذي هو مسرح عيون قلوب العارفين ، شكرنا الله تعالى حيث رفع الغطاء وأجزل العطاء ، فلله الحمد والمنة .

(ف ج ٣ / ٢٤٠) .

رؤية الحق :

اعلم أنه كل ما ينال بسعاية فليس فيه امتنان ، والطلب سعاية ، والرؤية امتنان ، فلا يصح أن تطلب ، فإذا وقع ما وقع من الرؤية عن طلب ، فليست هي الرؤية على الحقيقة الحاصلة عن الطلب ، فإن مطلوبه من المرئي أن يراه ، إنما هو أن يراه على ما هو له ، وهو لا يتجلى له إلا في صورة علمه به ، لأنه إن لم يكن كذلك أنكره ، فما تجلى له إلا في غير ما طلب ، فكانت الرؤية إحساناً ، فإنه ما جاءه عين ما طلب ، وهو يتخيل أن ذلك عين ما طلب ، وليس هو ، فإذا وقع له الالتذاذ بما رآه ، وتخيل أنه مطلوبه ، تجلى له بعد ذلك من غير طلب ، فكان ذلك التجلي أيضاً امتناناً إلهياً ، أعطاه من العلم به ما لم يكن عنده ولا خطر على باله ، فإذا فهمت ما ذكرته لك ، علمت أن رؤية الله لا تكون بطلب ، ولا تنال جزاء كما تنال النعم بالجنان ، وهذه مسألة ما في علمي أن أحداً نبه عليها من خلق الله إلا الله ، مع أن رجال الله يعلمونها وما نبهوا عليها ، لتخيلهم أن هذه المسألة قريبة المأخذ سهلة المتناول ، أو وقوعها من المحال ، لابد من أحد الحكمين ، فإن الله ما سوّى بين الخلق في العلم به ، فلابد من التفاضل في ذلك بين عباد الله . (ف ج ٣ / ٤٦٤) .

الممكنات بين إعدام للعدم وبين إيجاد لواجب الوجود :

العدم في الممكن أقوى من الوجود ، لأن الممكن أقرب نسبة إلى العدم منه إلى

الوجود ، ولذلك سبق بالترجيح على الوجود في الممكن ، فالعدم حضرته لأنه الأسبق ، والـوجود عارض له ، ولهذا يكون الحق خلّاقاً على الدوام ، لأن العدم يحكم على صور الممكنـات بالذهاب ، والرجوع إليه رجوع ذاتي ، فحكم العدم يتوجه على ما وُجد من الصـور ، وحكم الإيجـاد من واجب الوجود يعطي الوجود دائماً ، عين صورة بعد عين صورة ، فالممكنات بين إعدام للعدم وبين إيجاد لواجب الوجود ، وأما تعلق ذلك بالمشيئة الإلهية ، فإنه سر من أسرار الله ، نبه الله عليه في قوله : ﴿ إن يشأ يذهبكم ﴾ من باب الإشارة إلى غوامض الأسرار لأولي الأفهام ، أنه عين كل منعوت بكل حكم ، من وجود أو عدم ووجوب وإمكان ومحال ، فما ثم عين توصف بحكم إلا وهو ذلك العين ، وهذه مسألة تضمنها هذا المنزل ، ولولا ذلك ما ذكرناها ، فإنه ما تقدم لها ذكر في هذا الكتاب (الفتوحات المكية) ولن تراها في غيره إلا في الكتب المنزلة من عند الله كالقرآن وغيره ، ومنها أخذناها بما رزقنا الله من الفهم في كلامه . (ف ج ٣ / ٤٦٠) .

جواهر الأعيان لا تنقلب :

جواهر الأعيان لا تنقلب ، ولكنها صور تخْلَع وتلبس غيرها ، ولله أعين في بعض عباده يدركون بها العصا حية حال كونها عصا ، وهو إدراك إلهي وفينا خيالي ، وهكذا في جميع الموجودات سواء ، انظر لولا قوة الحس ما قلت : هذا جماد لا يحس ، ولا ينطق وما به حياة ، وهذا نبات ، وهذا حيوان يحس ويدرك ، وهذا إنسان يعقل ، هذا كله أعطاه نظرك ، ويأتي شخص آخر يقف معك ، فيرى ويسمع تسليم الجمادات والنبات والحيوان عليه ، وكلا الأمرين صحيح ، وبالقوة التي تستدل بها على إنكار ما قاله هذا ، بها بعينها يستدل هذا الآخر ، فكل واحد من الشخصين دليله عين دليل الآخر ، والحكم مختلف ، وقد رأينا ذلك وتحققناه رؤية عين ، فهو الأول والآخر من عين واحدة ، وعزة ربي لو عرفتم ما فُهْتُ به في هذه الشذور لطربتم طرب الأبد ، ولخفتم الخوف الذي لا يكون معه أمن لأحد . (ف ج ٢ / ٢٧٨) .

الوجه الخاص في كل ممكن :

ما رأيت أحداً من المتقدمين قبلنا، ولا من أهل زماننا في علمي ، نبه على إثبات الوجه الخاص في كل ممكن ، مع كونهم لا يجهلونه ، فالحمد لله الذي فتح أبصارنا إلى

إدراك هذا الوجه في كل ممكن ، وما رأيت أحداً نبه عليه غيري ، ولولا أني مأمور بالنصيحة لهذه الأمة بل لعباد الله ما ذكرته . (ف ج ١ / ٧٢٠ - ج ٢ / ٢٧٣) .

واعلم أنه **ما حصل لنا هذا الشهود إلا بالاقتداء والاتباع النبوي** فلما علمنا ورثناه ﷺ ولما أطلعنا على الوجه الخاص الذي لكل موجود لم يتمكن لنا أن نضيف التوالد لنا جملة احدة ، بل أضفنا كل ما ظهر في الكون إليه ، وهو قوله تعالى : ﴿ وما أمرنا ﴾ ونحن أمره ﴿ إلا واحدة ﴾ فما ثَمَّ موجد إلا الله تعالى على كل وجه ، علم ذلك من علمه وجهله من جهله . قال : أبوبكر الصديق رضي الله عنه « ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله » فما من شيء حادث يحدث عن الله ، إلا والله مشهود له قبل ذلك الحادث ، وما نبه أحد فيما وصل إلينا على هذا الوجه ، وما يتكون منه في قلب المعتكف على شهوده إلا أبوبكر الصديق ، ولكن نحن ما أخذناه من تنبيه أبي بكر الصديق عليه ، لكوننا ما فهمنا عنه ما أراد ، ولا فكرنا فيه ، وإنما اعتنى الله بنا فيه ، ففاجأنا العلم به ابتداء ، ولم نكن نعرفه ، وقلنا : هذا من أين ؟ ففتح الله بيننا وبينه ذلك الباب ، فعلمنا ما لنا من الحق على الخصوص ، وعرفنا أن هذا هو الوجه الخاص الذي من الله عز وجل لكل كائن عنه ، فلزمته واسترحت ، وعلامة من يدعيه ، لزوم الأدب الشرعي ، وإن وقعت منه معصية بالتقدير الإلهي الذي لابد من نفوذه ، فإن كان يراها معصية ومخالفة للأمر المشروع ، فيعلم أنه من أهل هذا الوجه ، وإن كان يعتقد خلاف هذا ، فنعلم أن الله ما أطلعه على هذا الوجه الخاص ولا فتح له فيه ، وأنه شخص لا يعبأ الله به .

(ف ج ٣ / ٥٠٣ ، ٥٢٠ ، ٥٥٩) .

جميع العلوم باطنة في الإنسان بل في العالم كله :

اعلم أن الإنسان قد أودع الله فيه علم كل شيء ، ثم حال بينه وبين أن يدرك ما عنده مما أودع الله فيه ، وما هو الإنسان مخصوص بهذا وحده ، بل العالم كله ، فإن كل جوهر في العالم يجمع كل حقيقة في العالم ، كما أن كل اسم إلهي مسمى بجميع الأسماء الإلهية ، وهو سر من الأسرار الإلهية التي ينكرها العقل ويحيلها جملة واحدة ، وقربها من الذوات الجاهلة في حال علمها قرب الحق من عبده ، ومع هذا القرب لا يدرك ولا يعرف إلا تقليداً ، ولولا إخباره ما دل عليه عقل ، وهكذا جميع ما لا يتناهى من المعلومات التي

يعلمها ، هي كلها في الإنسان وفي العالم بهذه المثابة من القرب ، وهو لا يعلم ما فيه حتى يكشف له عنه مع الآنات ، ولا يصح فيه الكشف دفعة واحدة ، لأنه يقتضي الحصر ، وقد قلنا إنه لا يتناهى ، فليس يُعلَم إلا شيئاً بعد شيء ، إلى ما لا يتناهى ، وهذا من أعجب الأسرار الإلهية أن يدخل في وجود العبد ما لا يتناهى ، كما دخل في علم الحق ما لا يتناهى من المعلومات ، وعلمه عين ذاته ، والفرق بين تعلق علم الحق بما لا يتناهى ، وبين أن يودع الحق في قلب العبد ما لا يتناهى ، أن الحق يعلم ما في نفسه وما في نفس عبده تعييناً وتفصيلاً ، والعبد لا يعلم ذلك إلا مجملاً ، وليس في علم الحق بالأشياء إجمال، مع علمه بالإجمال، من حيث أن الإجمال معلوم للعبد من نفسه ومن غيره ، فكل ما يعلمه الإنسان دائماً وكل موجود ، فإنما هو تذكر على الحقيقة، وتجديد ما نسيه ، فالعبد أقامه الحق في وقت ما ، مقام تعلق علمه بما لا يتناهى ، وليس بمحال عندنا ، وإنما المحال دخول ما لا يتناهى في الوجود ، لا تعلق العلم به ، ثم إن الخلق أنساهم الله ذلك ، كما أنساهم شهادتهم بالربوبية في أخذ الميثاق ، مع كونه قد وقع منهم، وعرفنا ذلك بالإخبار الإلهي ، فعِلْمُ الإنسان دائماً إنما هو تذكر ، فمنا من إذا ذُكِّر تذكر أنه قد كان علم ذلك المعلوم ونسيه ، ومنا من لم يتذكر ذلك ، مع إيمانه به أنه قد كان يشهد بذلك ، ويكون في حقه ابتداء علم ، ولولا أنه عنده ما قبله من الذي أعلمه ، ولكن لا شعور له بذلك ، ولا يعلمه إلا من نور الله بصيرته ، وهو مخصوص بمن حاله الخشية مع الأنفاس ، وهو مقام عزيز لأنه لا يكون إلا لمن يستصحبه التجلي دائماً ، وهذا العلم خاصة انفردت به دون الجماعة في علمي ، فلا أدري هل عثر عليه غيري وكوشف به أم لا ؟ من جنس المؤمنين أهل الولاية **لا جنس الأنبياء** ، فرحم الله عبداً بلغه أن أحداً قال بهذه المسألة عن نفسه كما فعلت أنا أو عن غيره فيلحقها بكتابي هذا (يعني الفتوحات المكية) في هذا الموضوع استشهاداً لي فيما أدعيته ، فإني أحب الموافقة وأن لا أنفرد بشيء دون أصحابي . (ف ج ٢ / ٦٨٦) .

ليس للحق منَزَّهٌ ولا مجلى إلا العالم :

من أحب العالم لجماله فإنما أحب الله ، وليس للحق منزه ولا مجلى إلا العالم ، وهنا سر نبوي إلهي خصصت به من حضرة النبوة مع كوني لست بنبي ، **وإني لوارث**

إني خصصت بسر ليس يعلمه   إلا أنا والذي في الشرع نتبعه
ذاك النبي رسول الله خير فتى   لله نتبعه فيما يشرعه

(ف ج ٤/ ٢٦٩) راجع كتاب الحب والمحبة الإلهية لنا .

حكم من أحكام الإنسان في الجنة :

إن الله أطلعني على حكم غريب يتعلق بالعالم الإنساني ، ولا أدري هل له تعلق بما عدا الإنسان من العالم أم لا ؟ ما أطلعني الله على ذلك ، ولا ينبغي لي أن أقول عن الله ما لا أعلم ، الله يعصمني وإياكم من ذلك ، وهذا الحكم يظهر في العالم الإنساني عند انقضاء كل ثلاثة آلاف عام من أعوام الدنيا ، وهو عند الله يوم واحد ، لا أدري لأي اسم إلهي يرجع هذا اليوم ، لأني ما عرفت به ، غير أن الحق تعالى قسمه لي ثلاثة أثلاث ، كل ثلث ألف سنة ، والألف سنة يوم واحد من أيام الرب ، هذا الذي أخبرني به ربي ، وهذه المدة التي هي ثلاثة آلاف سنة ، حكمها في الإنسان حكم بدء وعود ، وحياة وموت ، كيف يشاء الله وحيث يشاء الله ، غير أن الله لما رقم لي هذا الأمر في درجي كلمات ، وقفت عليها مشاهدة ، جعل كلمة بفضة وكلمة بذهب ، على هذه الصورة رقمها ، فعلمت أنها أحوال وأحكام تظهر في الإنسان ، في الجنة بمرور هذه المدة المعينة ، وما أثر والله عندي خبرٌ إلهي وَرَدَ عليّ ، ما أثر هذا من الجزع والخوف المقلق ، فما سكن روعي إلا كون الكلمات من ذهب وفضة ، الكلمة الذهبية إلى جانبها الكلمة الفضية ، ولما فرغ هذا الإلقاء الإلهي والتعريف الرباني ، وسكن عني ما كنت أجده من ألم هذا التجلي في هذه الصورة ، وسرّي عني ، نظمت نظم إلهام ، لا نظم روية ما أذكره .

لنا حبيب نزيه لا أسمّيه   وهو الحبيب الذي حار الورى فيه
إن قلت هذا فإنّ الحد يحصره   أو قلت هو فكلام لست أدريه
كيف السبيل إلى غيب وأعيننا   في كل حين تراه من تجليه
أو قلت عندي جاء الظرف يطلبه   والظرف حق ولكن ليس يحويه
ما إن رأيت وجوداً لست أدريه   إلا الذي أنا معنى من معانيه
قد حرت فيه وحار الكون فيَّ وكم   أذناي قد سمعت من قولة فيه

هذا الـذي وجـلال الحق أمـرضه فهــل له عوض منـه فيـشـفيــه
هو الشفــاء هو الــداء فأين أنــا الــعــين واحــدة وكــلنــا فيــه

ضمير أمرضه يعود على الكون . (ف ج ٣ / ٢٣٨) .

وزراء المهدي :

فمـن يتـق الـله العليم بحــالــه سيجعـل له الرحمن من أمره يسرا
ومن يتـوكـل في الأمور على الذي يكــون بها أولى كما أنــه يُدرَى
وقــد جعــل الـله العليم بأمــره لكـل الـذي يجريـه في خلقه قدرا
لقـد جئتكم بالأمر من عند ربكم كما جاءت الأرسال من عنده تترى
وإني لهم في كل ما قلت وارث ولم ألتمس منكم ثنــاء ولا أجـراً
وأجـري على الله الكـريم جعلته لديــه إلى يوم الـورود لنـا ذخـراً

إني ما طلبت من الله تحقيق أمـر وزراء المهدي ولا تعيينه ، ولا تعيين حادث من حوادث الأكوان ، إلا أن يعلمني الله به ابتداء لا عن طلب ، فإني أخاف أن يفوتني من معـرفتي به تعـالى حظ ، في الزمان الذي أطلـب فيه منه تعالى معرفة كون وحادث ، بل سلمت أمري إلى الله في ملكه يفعل فيه ما يشاء ، فإني رأيت جماعة من أهل الله تعالى يطلبون الوقوف على علم الحوادث الكونية منه تعالى ، ولاسيما معرفة إمام الوقت ، فأنفت من ذلك ، وخفت أن يسرقني الطبع بمعاشرتهم وهم على هذه الحال ، وما أردت منه تعالى إلا أن يرزقني الثبوت على قدم واحدة من المعرفة به ، وإن تقلبت في الأحوال فلا أبالي ، ولما رأيته قد قدمني وأخرني ، ورأيت اختلاف عيني لاختلاف الحال ، فلم أر عيناً واحدة تثبت ، فما استقر لي أمر أثبت عليه كما كنت عليه في حال عدمي ، ورأيت أن حكم الوجود ومقام الشهود حكم على عيني بذلك ، طلبت الإقالة من وجودي ، فخاطبته نظماً وحكماً .

لك الــعـتبى أقـلني من وجــودي ومــن حكــم الـتـحـقّـق بالـشـهــود
لقــد أصـــبــحـــت قبــلة كل شيء وقــد أمـسـيــت أُطـلَب بالـسجــود
عجــبـــت لخالــقي إذ قال كوني أنــا عين المـســوَّد والمـســود
فإمــا أن تمَــيــزني إمــامــاً وإمــا أن أمــيّــز في الــعـبـيــد
لقـــد لعبت بنــا أيـــدي الخفــايــا خفــايــا الـغيب في عين الـوجــود

فلما سألت ذلك ، أبان لي عن جهلي ، وقال لي : أما ترضى أن تكون مثلي ؟ ثم أقام لي اختلاف تجليه في الصور ، وما يدركه من ذاته البصر ، فقلت : ما عليَّ من اختلاف الأحوال على عين ثابتة لا تقبل التقييد ، فإني ما أنكرت اختلاف الأحوال ، فإن الحقائق تعطي ذلك ، وإنما أقلقني اختلاف العين من وجودي لاختلاف الأحوال ، فإن أعلم مع كونك كل يوم في شأن ، أنك العين الثابتة في الغنى عن العالمين ، فإني علمت :

إن التحول في الصور نعت المهيمن بالخبر
وبذاك أنزل وحيه فيها تلاه من السور
ولقد رأيت مثاله بمطوّل وبمُختصَر

أردت بالمطول العالم كله ، وبالمختصر الإنسان الكامل ، لما رأيت أن التقلب في كل ذلك لازم ، ففي العالم تقلب الليل والنهار ، **وفي الانسان الكامل الذي ساد العالم في الكمال وهو محمد** ﷺ سيد الناس يوم القيامة ﴿ وهو الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين ﴾ ، ولما جرى بنا القلم في حلبة العبارة الرقمية ، لأن التعريف قد يقع لفظاً وكتابة ، وقد يقع في العموم عند الخواص بالنظر وقد وجدته ، وقد يقع بالضرب وقد وجده رسول الله ﷺ ، وبأمور كثيرة غير ما ذكرنا ، وكل ذلك خطاب وتعريف ، فطريق عِلْمِنا الأخبار ، لما كنت على هذه القدم - التي جالست الحق عليها أن لا أضيع زماني في غير علمي به تعالى - قيض الله واحداً من أهل الله تعالى وخاصته ، يقال له أحمد بن عقاب الإدريسي ، اختصه الله بالأهلية صغيراً ، فوقع منه ابتداء ذكر هؤلاء الوزراء ، فقال لي : هم تسعة ، فقلت له : إن كانوا تسعة فإن مدة بقاء المهدي لابد أن تكون تسع سنين ، فإني عليم بما يحتاج إليه وزيره ، فإن كان واحداً اجتمع في ذلك الواحد جميع ما يحتاج إليه ، وإن كان أكثر من واحد فما يكونون أكثر من تسعة ، فإنه إليها انتهى الشك من رسول الله ﷺ في قوله : خمساً أو سبعاً أو تسعاً ، في إقامة المهدي ، وكان ذلك في سنة تسعين وخمسمائة ، ونحن الآن في سنة خمس وثلاثين وستمائة . (ديوان / ١٦٣ - ف ج ٣ / ٣٣١) .

الاسم الأعظم :

الاسم الأعظم الذي لا مدلول له سوى عين الجمع ، وفيه الحي القيوم ولابد ، فإن قلت : فهو الاسم الله ؟ قلت : لا أدري ، ولا تنقل عني أني أعلم الاسم الأعظم لما

ذكرت فيه ، هذا لا يلزم ، فقد ننقل من الواقعة والكشف جميع ما سطرته ولا يلزم أن أكون به عالماً ، وإنما قلت هذا لئلا يتوهم أني ما ذكرته إلا عن علم به ، ولكن مطلبي من الحق العبودة المحضة التي لا تشوبها ربوبية ، لا حساً ولا معنى . (ف ج ٢ / ١٢٢) .

مدة العذاب وهو من العلم الإجمالي لا التفصيلي :

الله يقيم حدوده على عباده حيث شاء متى شاء ، فثبت انتقال الناس في الدارين في أحوالهم من نعيم إلى نعيم ، ومن عذاب إلى عذاب ، ومن عذاب إلى نعيم من غير مدة معلومة لنا ، فإن الله ما عرفنا ، إلا أنا استروحنا من قوله تعالى : ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ أن هذا القدر مدة إقامة الحدود والله أعلم ، فإنه لا علم لي بذلك من طريق الكشف ، فرحم الله عبداً أطلعه الحق على انتهاء مدة الشقاء فيلحقها في هذا الموضع من كتابي هذا ، فإني علمت ذلك (أي انتهاء مدة الشقاء) مجملاً من غير تفصيل .

(ف ج ٣ / ٣٨٣) .

شمول الرحمة وعدم سرمدة العذاب :

ما أعظم رحمة الله بعباده وهم لا يشعرون ، رأيت جماعة ممن ينازعون في اتساع رحمة الله، وأنها مقصورة على طائفة خاصة ، فحجروا وضيقوا ما وسع الله ، فلو أن الله لا يرحم أحداً من خلقه لحرم رحمته من يقول بهذا ، ولكن أبى الله إلا شمول الرحمة ، ووالله ما أنا بحمد الله ممن يحب التشفي والانتقام من عباد الله ، بل خلقني الله رحمة ، وجعلني وارث رحمة لمن قيل له : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ وما خص مؤمناً من غيره .

(ف ج ٤ / ١٦٣) .

وهذه مسألة المكاشف لها قليل والمؤمن بها أقل ، وهو سر عجيب ، ما رأينا أحداً نبه عليه من خلق الله ، وإن كانوا قد علموه بلا شك ، وما صانوه والله أعلم إلا صيانة لأنفسهم ، ورحمة بالخلق ، لأن الإنكار يسرع إليه من السامعين ، ووالله ما نبهت عليه هنا إلا لغلبة الرحمة عليَّ في هذا الوقت، فمن فهم سعد، ومن لم يفهم لم يشقَ بعدم فهمه وإن كان محروماً ، فقد أظهرت أمراً في هذه المسألة لم يكن باختياري ، ولكن حق القول الإلهي بإظهاره ، فكنت فيه كالمجبور في اختياره ، والله ينفع به من يشاء ، لا إله إلا هو .

(ف ج ٢ /١٤٨، ٢٤٤، ٦٧٤) .

لولا الولاية كنت في الظلمات ... فاختصني الرحمن بالحركات
فخرجت منها أبتغي النور الذي ... جمعتني فيه وبين شتاتي
ورأيت محياي الذي أسعى له ... وعلمت شأني فيه بعد وفاتي
ورأيت في الإنسان كل فضيلة ... والعلم أكمل فيه في الدرجات
فضممت للإيمان علماً بالذي ... كان الوجود به بغير صفات
وبدت لي الأسماء خلف حجابه ... فشهدتها بالكشف عين سماتي
إن العناية أشرقت أنوارها ... فسعيت في الأنوار طول حياتي
لولا وجود النور في أبصارنا ... وقلوبنا لسعيت في الظلمات
فالله أكبر والكبير بدايتي ... ما دامت الدنيا وبعد مماتي
إن الخلافة لا يكون كمالها ... إلا هنا لا في الذي هو آتي
فيزول في الجنات نصف وجودها ... لإزالة الأحكام في الدركات
لما رأيت عموم رحمة ذاته ... في النشأة الأخرى ولم أر ياتي
أمر مزيل حكمها من خلقه ... فعلمت منه خلافتي بالذات
فأنا المبرّز في كمال خلافتي ... عنه ويعلم ذاك كل موات

(ف ج ٤/ ١٤٦).

الرحمات الإلهية الثلاث :

اعلم أن الرحمة الإلهية التي أوجد الله في عباده ليتراحموا بها، مخلوقة من **الرحمة الذاتية** التي أوجد الله بها العالم حين أحب أن يعرف ، وبها كتب على نفسه الرحمة ، **والرحمة المكتوبة** منفعلة عن الرحمة الذاتية ، **والرحمة الامتنانية** هي التي وسعت كل شيء ، فرحمة الشيء لنفسه تمدها الرحمة الذاتية ، وتنظر إليها وفيها يقع الشهود من كل رحيم بنفسه ، والرحمة التي كتبها على نفسه لا مشهد لها في الرحمة الذاتية ولا الامتنانية ، فإنها مكتوبة لأناس مخصوصين بصفات مخصوصة ، وأما رحمة الراحم بمن أساء إليه ، وما يقتضيه شمول الإنعام الإلهي والاتساع الجودي ، فلا مشهد لها إلا رحمة الامتنان ، وهي الرحمة التي يترجاها إبليس فمن دونه ، لا مشهد لهؤلاء في الرحمة المكتوبة ولا في الرحمة الذاتية ، وما رأيت أحداً من أهل الله نبه على تثليث الرحمة بهذا التقسيم ، فإنه تقسيم

غريب كما هو في نفس الأمر ، فما علمناه إلا من الكشف ، وما أدري لماذا ترك التعبير عنه أصحابنا ؟ مع ظني بأن الله قد كشف لهم عن هذا ، وأما النبوات فقد علمت أنهم وقفوا على ذلك وقوف عين ، ومن نور مشكاتهم عرفناه . (ف ج ٣/٤٩٦).

الله أرحم الراحمين كما قال عن نفسه ، وقد وجدنا في نفوسنا وممن جبلهم الله على الرحمة، أنهم يرحمون جميع عباد الله ، حتى لو حكمهم الله في خلقه لأزالوا صفة العذاب من العالم ، بما تمكن حكم الرحمة من قلوبهم ، وصاحب هذه الصفة أنا وأمثالي ، ونحن مخلوقون أصحاب أهواء وأغراض ، وقد قال عن نفسه جل علاه إنه أرحم الراحمين ، فلا نشك أنه أرحم منا بخلقه ، ونحن قد عرفنا من نفوسنا هذه المبالغة في الرحمة ، فكيف يتسرمد عليهم العذاب وهو بهذه الصفة من الرحمة ؟ إن الله أكرم من ذلك ، ولاسيما وقد قام الدليل العقلي على أن الباري لا تنفعه الطاعات، ولا تضره المخالفات ، وأن كل شيء جارٍ بقضائه وقدره وحكمه ، وأن الخلق مجبورون في اختيارهم ، وقد قام الدليل السمعي أن الله يقول في الصحيح : إنه ما ينقص من ملكه شيء (ف ج ٣/٢٥).

أخبرني الوارد والشاهد يشهد له بصدقه مني ، بعد أن جعلني في ذلك على بينة من ربي ، بشهودي إياه لما ألقاه من الوجود في قلبي ، أن اختصاص البسملة في أول كل سورة ، تتويج الرحمة الإلهية في منشور تلك السورة ، أنها تنال كل مذكور فيها ، فإنها علامة الله على كل سورة أنها منه ، كعلامة السلطان على مناشيره ، فقلت للوارد : فسورة التوبة عندكم ؟ قال : هي والأنفال سورة واحدة، قسمها الحق على فصلين ، فإن فصلها وحكم بفصلها سماها سورة التوبة ، أي سورة الرجعة الإلهية بالرحمة ، على من غضب عليه من العباد ، فما هو غضب أبد لكنه غضب أمد ، والله هو التواب ، فما قرن بالتواب إلا الرحيم ، ليؤول المغضوب عليه إلى الرحمة ، أو الحكيم لضرب المدة في الغضب وحكمها فيه إلى أجل ، فيرجع عليه بعد انقضاء المدة بالرحمة ، فانظر إلى الاسم الذي نعت به التواب تجد حكمه كما ذكرناه ، والقرآن جامع لذكر من رضي عنه وغضب عليه ، وتتويج منازله بالرحمن الرحيم ، والحكم للتتويج ، فإن به يقع القبول وبه يعلم أنه من عند الله ، هذا إخبار الوارد لنا ونحن نشهد ونسمع ونعقل ، ولله الحمد والمنة على ذلك ، ووالله ،

ما قلت ولا حكمت إلا عن نفث في روع من روح إلهي قدسي ، علمه الباطن حين احتجب عن الظاهر، للفرق بين الولاية والرسالة . (ف ج ٣/١٠٠ ، ١٠١) .

علم حركات الأفلاك ومراتب الأملاك :

قد عرفت ترتيب حركات الأفلاك ، ووقفت على مراتب الأملاك ، وتحققت ما في القوى الروحانيات من الانفعالات الكونيات ، وسرحت في ميدان معارف النسب ، وفزت بمدارك وضعية السبب ، وعلمت أن الله قد رتب الوجود أحسن ترتيب ، وحصره في تحليل وتركيب ، وحكم عليه بالبقاء فلا ينفد ، وعلى عالمه بالسعادة والشقاء فلا يبعد .
(التنزلات الموصلية / الباب السادس) .

بعض العلوم الكونية التي ذكرها الشيخ

ترتيب الخلق في الأرض .

أول تكوين في الأرض المعادن ثم النبات ثم الحيوان ، وجعل آخر كل صنف من هذه المكونات أولاً للذي يليها ، فكان آخر المعادن وأول النبات الكمأة ، وآخر النبات وأول الحيوان النخلة(١) ، وآخر الحيوان وأول الإنسان القرد(٢) . (عقلة المستوفز) .

علم الحياة :

لو سكن الهواء لهلك كل متنفس ، وكل شيء في العالم متنفس ، فالهواء هو نفس العالم الكبير، وهو حياته وله القوة والاقتدار ، وهو السبب الموجب لوجود النغمات بتحريك الآلات من حركات الأفلاك وأغصان الأشجار وتقاطع الأصوات ، فالهواء إذا تحرك أقوى المؤثرات الطبيعية والأرواح ، وقد جعل الله هذا الركن أصل حياة العالم الطبيعي ، كما جعل الماء أصل الصور الطبيعية ، فصورة الهواء من الماء وروح الماء من الهواء ، فكل شيء

---

(١) النخلة هي الشجرة المعلومة التي إذا قطع رأسها ماتت، وطلع النخلة الذكر فيه رائحة مني الرجال، وقد ورد حديث يقول: «أكرموا عمتكم النخلة».

(٢) من هنا ضل دارون ومن قال إن الإنسان أصله قرد، وبنى على ذلك نظرية التطور والارتقاء، ولم يفهم المقصود، وهو أن القرد صنف مستقل مثل باقي الأصناف، ولكنه آخر صنف قبل صنف الإنسان.

من الماء عينه ومن الهواء حياته ، حتى حيوان البحر الذي يموت إذا فارق الماء ، ما حياته إلا بالهـواء الذي في الماء ، لأنه مركب فيقبل الهواء بنسبة خاصة ، وهو أن يمتزج بالماء امتزاجاً لا يسمى به هواء ، كما أن الهواء المركب فيه الماء[1] وبه يكون مركباً ، لكن امتزج الماء به امتزاجاً خاصاً لا يسمى به ماء ، فإذا كانت حياة الحيوان بهواء الماء ، مات عند فقده ذلك الهواء الخاص ، وكذلك حيوان البر إذا غرق في الماء مات ، لأن حياته بالهواء الذي مازجه الماء ، لا بالماء الذي مازجه الهواء ، وثمّ حيوان بري بحري ، وهو حيوان شامل برزخي ، له نسبة إلى قبول الهواءين ، فيحيا بالهواء كما يحيا البري ، ويحيا في الماء كما يحيا البحري ، وبالهواء تكون حياته في الموضعين . (ف ج ٢ / ٤٥١ ـ ج ٤ / ٢١٩) .

أظهر الأمور اللطيفة أن جعل بدنك ذا مسام ، وأحاط بك الهواء الذي هو مادة الحياة الطبيعية ، فإنه حار رطب بالذات ، وجعل فيك قوة جاذبة ، فقد تجذب في وقت فقدك الأسباب المعتادة الهواء من مسامك ، فتغذي به بدنك وأنت لا تشعر ، وقد علمنا أن من الحشرات من يكون غذاؤه من مسام بدنه مما يجذبه من الرطوبات على ميزان خاص ، يكون له به البقاء من غير إفراط ولا تفريط . (ف ج ٣ / ٢٤٩) .

وجعل الله الهواء لطيفاً ليقبل سرعة الحركة . (ف ج ٢ /٤٥١).

الأشعة الكونية وتأثيرها في الحياة :

أشعة أنوار الكواكب تتصل بالمحل العنصري ، وهو مطارح شعاعاتها ، والعناصر قابلة للتكوين فيها ، فإذا اتصلت بها سارع التعفين فيها ، لما في الأنوار من الحرارة ، وفي ركن الماء والهواء من الرطوبة ، فظهرت أعيان المكونات . (ف ج ١ / ٧٣٢) .

علم مراتب الخلق الإنساني في الخلق :

إن الخلق الإنساني على طبقات في الخلق ، وما يسمى به الإنسان الذي خَلَقَه[2] الإنسان ؟ هل هو إنسان أو حيوان في صورة إنسان من حيث نشأة جسده ؟ وما الأمر الذي

(١) يعني به الشيخ الرطوبة الجوية .

(٢) خلق هنا بمعنى صور لا أوجد من عدم .

عجز عنه في ظهور النفس الناطقة في هذا المخلوق ؟ هل لعدم الاستعداد فيقضي للمنشىء لهذه الصورة ما يقع به قبول نفس ناطقة من النفس الكل ، أو هل هو تعجيز إرادي إلهي لأنه أمر عظيم ؟ وقد ذكر أنه وقع مثل هذا ، وذكر في الفلاحة النبطية أن بعض العلماء بعلم الطبيعة كون من المني الإنساني بتعفين خاص ، على وزن مخصوص من الزمان والمكان إنساناً بالصورة ، وأقام سنة يفتح عينيه ويغلقهما ولا يتكلم ولا يزيد ما يُغذى به شيئاً فعاش سنة ومات ، فما يُدرى أكان إنساناً حكمه حكم الأخرس أو كان حيوآناً في صورة إنسان[1]

(ف ج ٣/ ١٣٥) .

علم النبات :

علم اختزان البذرة والنواة والحبة ، مايظهر منها إذا بذرت في الأرض فتنفلق عما اختزنته ، من ساق وأوراق وبذور أمثالها ، من النواة نوى ، ومن الحبة حبوب ، ومن البذرة بذور ، فتظهر عينها في كثير مما خرج عنها ، فلولا ما هو مختزن فيها بالقوة ما ظهر بالفعل .

(ف ج ٣/ ٣٦٩ - ٣٧٠).

علم الاستحالة :

العالم كله محصور في ثلاثة أسرار ، جوهره وصوره والاستحالة ، وما ثَمّ أمر رابع ، فلا يزال العالم يستحيل دائماً في الدنيا والآخرة ، فالعالم لا يخلو في كل نفس من الاستحالة ، ولولا أن عين الجوهر - من الذي يقبل هذه الاستحالة - في نفسه واحد ثابت لا يستحيل في جوهره ، ما علم حين يستحيل إلى أمر ما ، ما كان عليه من الحال قبل تلك الاستحالة ، غير أن الاستحالات قد يخفى بعضها ويدق ، وبعضها يكون ظاهراً تحس به النفس ، فنحن في خلق جديد بين وجود وانقضاء ، وعين كل شخص تتجدد في كل نفس لابد من ذلك ، ففي مفهوم الخصوص تجدد النشأة في كل نفس دنيا وآخرة .

(ف ج ٣ / ٢٥٣ - ج ٤ / ٢٨٠ ، ٣٢٠ - ج ١ / ٤٦١) .

ولم يقوِ سلطان الاستحالة التي تحكم في المولدات والأرواح من العناصر ، بحكم في المعادن بسرعة الإحالة من صورة إلى صورة ، مثل ما يحكم في باقي المولدات ، فإن

---

(١) أثبتنا هذا الموضوع لما يجري من محاولات الآن في معرض تطوير أطفال الأنابيب ، وأن هذه المحاولات ذهبت إلى أبعد من هذا منذ أكثر من ثمانمائة سنة .

الاستحـالـة تسرع إليهم ، ويظهـر سلطانها فيهم ، بزيادة ونقص . وخلع صورة منهم وعليهم ، وهذا يبعد حكمه في المعادن ، فلا تتغير الأحجار مع مرور الأزمان والدهور ، إلا عن بُعد عظيم (ف ج ٢ / ٤٦٠) .

علم الفلك :

الأفلاك مستديرة :

الخلاء مستدير ، ولو لم يكن كذلك ما استدار الجسم ، فأول شكل قبله الجسم هو الاستدارة ، وهو المسمى فلكاً أي مستديراً ، لأنه ما ملأ إلا الخلاء ، فلا يقبل استدارة أخـرى فإنـه ما ثَمَّ خلاء غير ما عمـره الجسم ، فلو تحرك غير المستـدير لما عمر الخلاء بحركته ، وكانت أحياز كثيرة تبقى في الخلاء ، فالعالم أكري الشكل .

(ف ج ٢/٤٣٣ - ج ٣/١١٩ - ج ٢/٤٣٢ - ج ١/١٥٤، ٢٥٥) .

حركة الأرض والسموات :

قال تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ﴾ إتيان الأرض حركة وانتقال لما دعيت له ، فالسماء والأرض آتيتان أبداً ، فلا تزالان متحركتين ، غير أن حركة الأرض خفية عندنا ، وحركتها حول الوسط لأنها أُكر ، فهي لا تزاحم المتحركات بحركتها ، لأنها لا تفارق حيزها .

(ف ج ١ / ٤٥٧ ، ١٢٣ - ج ٢ / ٤٥٣) .

الشروق والغروب والاستواء :

كل حركة جمعت الثلاثة الأحكام ، عند أرباب العقول والأفهام ، فعين الشروق عين الغروب وعين الاستواء ، عند العلماء بترحيل الشمس في منازل درج السماء ، وهو عن كل حيز منتقل ، إما متعال أو منسفل ، فما ثم سكون ولكن حركة (ف ج ٤/٣٤٨) .

الليل والنهار :

حدث الليل والنهـار بحـدوث كوكب الشمس والأرض ، فالليل ظلمـة الأرض الحجابية عن انبساط نور الشمس . (ف ج ٢/٦٧٨) .

الكواكب الثابتة متحركة :

إن للثوابت حركات وقطعاً في البروج لا يُشْعَر به في الحس ، لأنه لا يظهر ذلك إلا في آلاف من السنين ، وأعمار أهل الرصد تقصر عن ذلك ، وإنما سميت ثابتة لأن الأعمار لا تدرك حركتها لقصر الأعمار ، لأن كل كوكب منها يقطع الدرجة من الفلك الأقصى في مائة سنة إلى أن ينتهي إليها ، فما اجتمع من السنين فهو يوم ذلك الكوكب ، فيحسب ثلاثمائة وستين درجة كل درجة مائة سنة ، فلكل كوكب من السيارة والثوابت أيام تقدر لها من الأيام الزمانية بقدر اتساعها ، فأيام الشهور تتعين بقطع الدراري في منازل الفلك الأقصى - لا في الكواكب الثابتة - التي تسمى في العرف منازل ، وللقمر أيام معلومة في قطع الفلك ، وللكاتب أيام أخر ، وللزهرة كذلك ، وللشمس كذلك ، وللأحمر كذلك ، وللمشتري كذلك ، وللمقاتل كذلك ، فإن أكبر هذه الشهور لا يكون أكبر من نحو ثلاثين سنة لا غير ، وأما شهور الكواكب الثابتة في قطعها فلك البروج فلا يحتاج إليه ، لأن الأعمار تقصر عن ذلك ، (ف ج ٢ /٧ - ج ٣/ ٥٤٩، ٤٥ - ج ١/ ٦٥٦).

استنارة الكواكب ما عدا القمر :

الكواكب عندنا كلها مستنيرة لا تستمد من الشمس كما يراه بعضهم ، والقمر على أصله لا نور له البتة ، قد محا الله نوره ، وذلك النور الذي ينسب إليه هو ما يتعلق به البصر من الشمس في مرآة القمر على حسب مواجهة الأبصار منه ، فالقمر مجلى الشمس ، وليس فيه من نور الشمس لا قليل ولا كثير . (ف ج ٢ / ٦٧٨) .

الخسوف والكسوف :

سبب كسوف الشمس والقمر معروف ، والذي لا يُعرَف كونه عن تجل إلهي ، إلا من الرسول ﷺ أو عارف صاحب كشف ، وقد جعل الله الكسوف آية على ما يريد أن يحدثه من الكوائن ، في العالم العنصري ، وفي العالم الذي يظهر فيه الكسوف ، وفي الزمان ، فإنه قد يكسف ليلاً فلا أثر له عندنا ، ويكون الحدث أيضاً بحسب البرج الذي يقع الكسوف فيه ، وهو علم قطعي ، أعني علم وقوع الكسوف ، لا علم ما يحدث الله فيه أو عنده ، ويكون الكسوف في مكان أكثر منه في مكان آخر ، وفي مكان دون مكان ، ويبتدىء في مكان وفي مكان آخر ما ابتدأ ، بل هو على حاله ، وهذا كله يعرفه العلماء به ، فإنه راجع إلى

حركات معلومة معدودة عند أهل هذا الشأن ، وسبب كسوف الشمس من القمر إذا كان في مُسَامتتها ، فعلى قدر ما يسامتها منه يغيب منها عن أبصارنا ، فذلك الظل الذي نراه في الشمس هو من جرم القمر ، وقد يحجبها كلها فيظلم الجو ، فيقع الإبصار على جرم القمر ، فتتخيل العامة أن ذلك المرئي هو ذات الشمس ، والشمس نيرة في ذاتها على عادتها إلى أن يشاء الله تكويرها ، ولذلك يعرف زمان كسوفها ومقداره عند العارفين بتسيير الكواكب ، ولا يكون أبداً إلا في آخر الشهر العربي ، فإن القمر في ذلك الزمان يكون في المحاق والاحتراق تحت الشعاع ، فإن أعطى الحساب ما يؤدي إلى المسامتة عندنا ، وقع الكسوف بلا شك ، وكذلك كسوف القمر إنما هو أن يحول ظل الأرض بينه وبين الشمس ،

فعلى قدر ما يحول بينهما يكون الكسوف في ذلك الموضع ، ولذلك يعرف ، والخطأ فيه قليل جداً ، ولو لم يكن الأمر على هذا ما عُلِم ، والأمور الجارية على أصولها ثابتة لا تنخرم ، يعلمها العالِمُ بتلك الأصول ، وهي معتادة موضوعة لله تعالى واضعها ، ما هي عقلية ، ولا سبب ذلك طبيعي ، ولهذا يجوز خرق العادة فيها ، وهكذا كل موضوع إلى أن يخرم الله ذلك الأصل ، فلله المشيئة في ذلك ، وله الأمر من قبل ومن بعد ، فلم يكن الكسوف إلا عند الكمال في النيرين ، من القمر ليلة بدره وهو كماله في الأخذ من الوجه الذي يلينا ، وكسوف الشمس في ثمانية وعشرين يوماً ، من سير القمر في جميع منازل الفلك ، وإذا أعطى الحساب أن الشمس تكسف ليلاً ، لم يكن لذلك الكسوف حكم في ظاهر الأرض التي لم يظهر الكسوف فيها ، وكذلك كسوف القمر في الحكم . (ف ج ١ / ٤٩٨ - ٤٩٩) .

بُعدُ الكواكب ومسافاتها :

﴿ إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ﴾ لما فتق الله السموات من رتقها ودارت ، كانت شفافة في ذاتها وجرمها ، حتى لا تكون ستراً لما وراءها ، فأدركنا بالأبصار ما في الفلك الثامن وهو فلك الكواكب الثابتة ، فيتخيل أنها في السماء الدنيا ، لأن البصر لا يدركها إلا فيها ، فوقع الخطاب بحسب ما تعطيه الرؤية .

(كتاب الإسفار عن نتائج الأسفار) .

العلوم الطبيعية :

الصوت :

في الهواء تظهر صور الحروف والكلمات ، ولولا الهواء ما نطق ناطق ، ولا صوت مصوت . (ف ج ٢ / ٤٥١) .

الموجات الصوتية باقية أبداً :

الحروف اللفظية تتشكل في الهواء ، ولهذا تتصل بالسمع على صورة ما نطق بها المتكلم ، وهذه الحروف لا يزال الهواء يمسك عليها شكلها وإن انقضى عملها ، فإن عملها إنما يكون في أول ما تتشكل في الهواء ، فالحروف الهوائية اللفظية لا يدركها موت بعد وجودها ، بخلاف الحروف الرقمية ، وذلك لأن شكل الحرف الرقمي والكلمة الرقمية تقبل التغيير والزوال لأنه في محل يقبل ذلك ، والأشكال اللفظية في محل لا يقبل ذلك ، ولهذا كان لها البقاء ، فالجو كله مملوء من كلام العالم ، يراه صاحب الكشف صوراً قائمة . (ف ج ١ / ١٩١)

الضوء والصورة :

ألا ترى ما تعطيك سرعة الحركة من الشُبَه ، فيحكم الناظر على الشيء بخلاف ما هو عليه ذلك الشيء ، فيقول في النار الذي في الجمرة ، أو في رأس الفتيلة ، إذا أسرع بحركته عرضاً : ـ إنه خط مستقيم ، أو يديره بسرعة فيرى دائرة نار في الهواء ، فالشهب **ذوات الأذناب** : تبدو لسرعة اندفاعها من الأثير ، الذي هو هواء محترق لا مشتعل ، وهو متصل بالهواء ، فإذا اتصل الأثير بالهواء بسرعة تحرك ذوات الأذناب ، أثرت في أجزاء الهواء الرطبة اشتعالاً ، فبدت الكواكب ذوات الأذناب ، وذلك لسرعة اندفاعها تظهر في رأي العين تلك الأذناب . (ف ج ١ / ١٧٨ ـ ج ٢ / ٤٥٠) .

الطاقة والحركة :

تحرك الفلك بغلبة الحرارة عليه ، فإنه لما كانت كمية الحرارة أكثر من غيرها في الجسم أعطته الحركة ، وما ثم خلاء إلا ما عمره الجسم (الفلك) ، ولابد من الحركة ، فتحرك في مكانه ، وهي حركة الوسط ، لأنه ليس خارجه خلاء فيتحرك إليه ، والحركة تطلبها الحرارة ، وهي حركة في الجميع من انتقال . (ف ج ٢ / ٤٣٣ ، ٤٣٤) .

ذكر الشيخ للنفط والغاز الطبيعي :

يذكر في ترتيب خلق العالم ونضده ما يلي :

وبدورة الفلك المحيط وحكمه   أبدى لنا في عالم الحدثان
في جوف هذي الأرض ماءً أسوداً   نتناً لأهل الشرك والطغيان
يجري على متن الرياح وعندها   ظلمات سخط القاهر الديان

حلل في جوف الأرض منها ما حلل، وسخف ولطف، فكان ماء نتناً ، وهو البحر العظيم الذي يعذب به أهل الشقاء ، وهو ماء أسود ، وكثيراً ما يظهر آثاره في الأماكن المخسوفة ينضخ[1] ، له منفسٌ فيظهر منه على وجه الأرض ما يظهر .

(كتاب عقلة المستوفز - ف ج ٣ / ٤٤٧) .

الأصل والظل والصورة :

﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ﴾ . الآية .

العالم كان مستوراً في غيب الله ، وكان ذلك الغيب بمنزلة الظل للشخص ، فلو سُلخَ من الظل جميعه أمر ما ، لخرج على صورة الظل ، والظل على صورة ما هو ظل له ، فالخارج من الظل المسلوخ منه على صورة الشخص ، ألا ترى النهار لما سلخ من الليل ظهر نوراً ، فالليل كان ظل النور ، والنهار خرج لما سلخ من الليل على صورة النور[2] .

(ف ج ٣ ١٢٣) .

علم الفيزياء :

انظر إلى الكأس إذا كان ملآن بالماء ، ثم فرغته أو فرغت منه ما فرغت ، ما يخرج منه شيء في حين خروجه الا عمر موضعه الهواء . (ف ج ٤/ ٤١٩) .

علم الهندسة الفراغية :

الستة أكمل الأعداد ، وليس في الأشكال شكل فيه زوايا إذا انضمت إليها الأمثال ،

---

(١) نضخ : اشتد فورانه من ينبوعه، أو ما كان من سفل إلى علو.

(٢) هذا يعتبر أساساً لنظرية التصوير الشمسي، يقول لويس كلارك، إن نترات الفضة معروفة في تسويد الصورة منذ عام ١٥٦٥ ميلادية، ولكن كان أول عمل لانطباع الصورة عام ١٧٢٥ ميلادية، وأما تطبيق التصوير الفوتوغرافي فكان في القرن العشرين.

لم يكن بينها خلو إلا الستة ، وبها أوحى الله إلى النحل في قوله : ﴿ أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ وأوحى إليها صفة عملها ، فعملتها مسدسة ، وإنما وُصِف الشكل المسدس بالكمال لأنه يظهر عن نصفه وثلثه وسدسه ، فيقوم من عين أجزائه

(ف ج ٣/١٤٢ - ج ٢/٤٣٣).

اللطائف والكثائف :

علم خلق الأجسام الطبيعية وأن أصلها من النور : إذا عرف الإنسان ، كيف يصفي جميع الأجسام الكثيفة الظلمانية ، أبرزها شفافة للنورية التي هي أصلها ، مثل الزجاج إذا خلص من كدورة رمله يعود شفافاً ، فأول موجود العقل وهو القلم ، وهو نور إلهي إبداعي ، وأوجد عنه النفس وهو اللوح المحفوظ ، وهي دون العقل في النورية للواسطة التي بينها وبين الله ، وما زالت الأشياء تكثف حتى انتهت إلى الأركان والمولدات ، ولهذا كان الأمر كلما نزل أظلم وكثف ، فأين منزلة العقل من مَنزلة الأرض ؟ كم بينهما من الوسائط ؟ (ف ج ٢ / ٦٤٧) .

عالم النِسَب :

النسب منها متضادات، ومختلفات ، ومتماثلات ، وهي لا تتصف بالوجود ولا بالعدم ، ولا تقبل معنى الحدوث ولا القِدَم ، فالنسبة أمر معقول - غير موجود - بين اثنين ، كم وكيف والأين والزمان والوضع والإضافة والعرض وأن يفعل وأن ينفعل ، كل ذلك نسب لا أعيان ، قيل : كَمْ عين ظهرت ؟ فقيل : عشر أو أكثر أو أقل ، فقيل : كيف هي ؟ فقيل : مؤلفة ، فعرض لها الجسمية ، فصحت الكيفية بالجسمية وحلول الكون واللون ، فقيل : أين ؟ فقيل : في الحيز أو المكان ، فقيل : متى ؟ فقيل : حين كان كذا في صورة كذا ، فقيل : ما لسانه : فقيل أعجمي أو عربي ، فقيل : ما دينه ؟ فقيل : شريعة كذا ، فقيل : هل ظهر منه ما يكون من ظهور آباء كما ظهر هو من غيره ؟ فقيل : هو ابن فلان . قيل : ما فعل ؟ قيل : أكل ، قيل : ما انفعل عن أكله ؟ قيل : شبع .

(ف ج ١/٣٧، ٢٥٣ - ج ٢/٥٦، ٥٧ - ج ٣/١١) .

والزمان نسبة لا وجود له في عينه ، وهو يحدث بحدوث السؤال بمتى ، فتحدث له أسماء ، فهو أمر متوهم ممتد لا طرفين له ، فنحكم عليه بالماضي لما مضى فيه ، ونحكم

عليه بالمستقبل لما يأتي فيه ، ونحكم عليه بالحال لما هو فيه ، فالأزل والأبد عدم طرفي الزمان ، فلا أول له ولا آخر ، والدوام له وهو زمان الحال ، فنقول : الزمان نسبة في محدود وإن لم يكن له وجود ، وهو واليوم والليل وفصول السنة كلها ، أمور عدمية نسبية لا وجود لها في الأعيان ، كما إن المكان نسبة في موجود .

(ف ج ٣/٥٤٦ - ج ٤/٣٣٧ - ج ٣/٤٣٨ - ج ٤/٣٣٧).

والكلام حروف معينة ينضم في السمع بعضها إلى بعض ، فتحدث في السمع الكلمة ، وهي نسبة ضم تلك الحروف ، ما هو أمر زائد على الحروف ، إلا أنها نسبة جمعها ، فتعطي تلك الجمعية صورة ، لم تكن الحروف مع عدم هذه النسبة الجمعية تعطيها ، فهذا تركيب أعيان العالم المركب من بسائطه ، فلا تشهد العين إلا مركباً من بسائط ، والمركب ليس بأمر زائد على بسائطه ، إلا نسبة جمع البسائط .

(ف ج ٣ / ٥٢٤)

النسبية :

كل ما سوى الله هو نسبة لا عين ، فإن العالم محصور في علو وسفل ، والعلو والسفل له إضافي نسبي ، فالعالي منه يسمى سماء ، والأسفل منه يسمى أرضاً ، ولا يكون له هاتان النسبتان إلا بأمر وسط يكون بينهما ، ويكون ذلك الأمر في نفسه ذا جهات ، فما أظله فهو سماء وما أقله فهو أرض ، فما ظهر العالم إلا بالنسب ، ولا حصل القبول من العالم لما قبله من العالم أيضاً إلا بالنسب ، فالموجد بالنسب والقابل بالنسب ، فالحكم لها ، وعلى الحقيقة لا أثر لموجود في موجود ، وإنما الأثر للمعدوم ، في الموجود وفي المعدوم ، لأن الأثر للنسب كُلّه ، وليست النسب إلا أموراً عدمية ، لأن الأحوال نسب عدمية ، وهي الموجبة لوجود الأحكام ، والحكم للنسبة والمنسوب والمنسوب إليه ، وبالمجموع يكون الأثر ، مهما أفردت واحداً من هذه الثلاثة دون الباقي لم يكن أثر ولا صح حكم ، فلهذا كان الإيجاد بالفردية لا الأحدية ، والصور مختلفة لاختلاف النسب ، أو النسب مختلفة لاختلاف الصور ، فلولا النسب ما حدثت الصور ، ولولا الصور ما علم اختلاف النسب .

(ف ج ١/٦٩٤ - ج ٣/٥٣٧، ٥٥٥، ٤٥٢ - ج ٤/١٨، ٨٩، ١٣٠).

علم الطب :

الولادة :

نظرت في كواكب المنازل من كوكب واحد كالصرفة ، إلى اثنين كالذراع ، إلى ثلاثة كالبطين ، إلى أربعة كالجبهة ، إلى خمسة كالعوا ، إلى ستة كالدبران ، إلى سبعة كالثريا ، إلى تسعة كالنعائم ، ولم أر للثمانية وجوداً في نجوم المنازل ، فعلمت أنه لما لم تكن للثمانية صورة في نجوم المنازل ، لهذا كان المولود إذا ولد في الشهر الثامن يموت ولا يعيش ، أو يكون معلولاً ، لا ينتفع بنفسه ، فإنه شهر يغلب على الجنين فيه برد ويبس ، وهو طبع الموت ، وله من الجواري كيوان وهو بارد يابس ، فلذلك لم أر للثمانية وجوداً في المنازل .

(ف ج ٢ / ٤٣١) .

التخدير :

لاشك أن النائم حي ، والمريض إذا نام الحس عنده موجود ، والجرح الذي يتألم به في يقظته موجود ، ومع هذا لا يجد العضو ألماً ، لأن الواجد للألم قد صرف وجهه عن عالم الشهادة إلى البرزخ ، فما عنده خبر ، فارتفعت عنه الآلام الحسية ، فإذا استيقظ المريض وهو رجوع نفسه إلى عالم الشهادة ، قامت به الآلام والأوجاع . (ف ج ٣ / ٧٥) .

سبب الغسل من الجنابة :

من راعى حفظ القوى مما ينالها من الضرر ، لسد المسام وانعكاس الأبخرة المؤذية لها المؤثرة فيها ، قال بالغسل . (ف ج ١ /٦٨٥).

الطب والطب النفسي :

الطبيب يداوي العلل بأن يزيد في الناقص من الأخلاط ، وينقص من الزائد منها حتى يحصل الاعتدال ، والطبيب الإلهي يداوي الأخلاق، ويسوس الأغراض النفسية ، بالذكرى والموعظة والتنبيه على معالي الأمور ، وما لمن قامت به من السعادة والمحمدة ، عند الله وعند الناس وعند الأرواح العلا ، فتتأيد بذلك النفس الناطقة ، وتكون لها هذه الذكرى كالمعينة على صلاح هذا المزاج المنحرف ، فتعين الطبيب المدبر لطبيعة هذا البدن وإصلاح ما اختل منه ، ولهذا بعض الأطباء يأمرون المرضى لأمراض خاصة باستعمال سماع

الألحان المطربة ، والأماكن المستحسنة المتنوعة الأزهار ، وخرير المياه وتغريد الطير كالبلبل وأمثاله ، كل ذلك طب روحاني ، يؤدي إلى صلاح المزاج ، يعين الطبيب عليه ، ثم علل أخر لا تحتمل الأصوات ، بل تصلح بنقيض ما ذكرناه (ف ج ٢ / ٢٣٦) .

الآلام النفسية :

الآلام الطبيعية المحسوسة ما في وسع الإنسان رفعها إذا حصلت ، بخلاف الآلام النفسية فإنه في وسعه رفعها . (ف ج ٢ / ٤٧٧) .

تأثير الخيال في الطبيعة ومنه الوحم عند النساء :

الخيال وإن كان من الطبيعة ، فله سلطان عظيم على الطبيعة بما أيده الله به من القوة الإلهية ، فإذا أراد الإنسان أن ينجب ولداً ، فليقم في نفسه عند اجتماعه مع امرأته، صورة من شاء من أكابر العلماء، وإن أراد أن يحكم أمر ذلك فليصورها في صورتها التي نقلت إليه أو رآه عليها المصور ، ويذكر لامرأته حسن ما كانت عليه تلك الصورة ، وإذا صورها المصور فليصورها على صورة حسن علمه وأخلاقه ، وإن كانت صورته المحسوسة قبيحة المنظر ، فلا يصورها إلا حسنة المنظر ، بقدر حسن علمه وأخلاقه ، كأنه يجسد تلك المعاني ، ويحضر تلك الصورة لامرأته ولعينه عند الجماع ، ويستفرغان في النظر إلى حسنها ، فإن وقع للمرأة حمل من ذلك الجماع ، أثر في ذلك الحمل ما تخيلاه من تلك الصورة في النفس ، فيخرج المولود بتلك المنزلة ولابد ، حتى إنه إن لم يخرج كذلك فلأمر طرأ في نفس الوالدين عند نزول النطفة في الرحم ، أخرجهما ذلك الأمر عن مشاهدة تلك الصورة في الخيال من حيث لا يشعران ، وتعبر عنه العامة بتوحم المرأة ، وقد يقع بالاتفاق عند الوقاع في نفس أحد الزوجين أو الزوجين ، صورة كلب أو أسد أو حيوان ما ، فيخرج الولد من ذلك الوقاع في أخلاقه ، على صورة ما وقع للوالدين من تخيل ذلك الحيوان ، وإن اختلفا فيظهر في الولد صورة ما تخيله الوالد، وصورة ما تخيلته الأم ، حتى في الحسن الظاهر في الصورة أو في القبح ، وهم مع معرفتهم بهذا السلطان لا يرفعون به رأساً ، لما دخل زكريا عليه السلام المحراب على مريم ـ وهي بتول محررة ـ أعجبه حالها ، فطلب من الله عند ذلك أن يهبه ولداً حين تعشق بحالها ، فكان يحيى زير نساء ، وهو الذي اقتطعه الله عن مباشرة النساء ، كما كانت حنّة مريماً ، من أثر همة والده ، فانظر ما أثر سلطان الخيال في زكريا في ابنه يحيى

عليهما السلام ، حين استفرغت قوة زكريا في حسن حال مريم عليها السلام .
(ف ج ٣/٥٠٨) .

الموسيقى :

ظهرت النشأة الطبيعية على أربعة أخلاط وأربع قوى ، قامت عليها هذه النشأة ، وكل خلط منها يطلب بذاته من يحركه لبقائه وبقاء حكمه ، فإن السكون عدم ، فأقام العلماء لها أربع نغمات ، لكل خلط من هذه الأخلاط نغمة في آلة مخصوصة ، وهي المسماة في الموسيقى - وهو علم الألحان والأوزان - بالبم والزير والمثنى والمثلث ، كل واحد من هذه يحرك خلطاً من هذه الأخلاط ، ما بين حركة فرح وحركة بكاء وأنواع الحركات ، وهذا لها بما هي نشأة طبيعية لا بما هي روحانية ، والصوت بما هو صوت لا تتبدل صورته ، فيغلظه الملحن في موضع ، ويرققه في موضع ، بحسب الرتبة التي يقصدها ، ليؤثر بذلك في طبيعة السامعين ما شاء ، من فرح وسرور وانبساط ، أو حزن وهَمّ وانقباض ، ولهذا جعلوا ذلك في الموسيقى في أربعة ، في البم والزير والمثنى والمثلث ، فإن المحل الذي يريدون أن تؤثر فيه هذه الأصوات مركب من مشاكلتها ، من مُرّتين ودم وبلغم ، فيهيج سماع هذا الصوت ما يشاكله من الأخلاط التي هو عليها السامع ، فيكون الحكم بسبب معين يقصده الملحن .
(ف ج ٢ / ٣٦٧ ، ٤٧٢) .

خاتمة الترجمة

خاتم الولاية المحمدية الخاصة :

هي رتبة أُلِّف فيها الحكيم الترمذي ، المتوفى في أواخر القرن الثالث الهجري ، كتاباً سماه « خاتم الأولياء » وهي رتبة اختص بها الحق أحد أولياء الأمة المحمدية ، وقام الشيخ الأكبر رضي الله عنه بشرح المسائل الواردة في هذا الكتاب في كتابه (الفتوحات المكية) وقد وقع الإمام ابن تيمية في الشيخ رضي الله عنه ، لأنه لم يفهم عنه ما جاء به - راجع كتابنا الرد على ابن تيمية .

تعريف الحق للشيخ بحديث خاتم الولاية العامة والخاصة :

عيسى عليه السلام إذا نزل إلى الأرض في آخر الزمان ، أعطاه الله ختم الولاية الكبرى من آدم إلى آخر نبي ، تشريفاً لمحمد ﷺ ، حيث لم يختم الولاية العامة في كل أمة إلا برسول تابع إياه ﷺ ، وحينئذ فله ختم دورة الملك وختم الولاية ، أعني الولاية العامة ، فهو من الخواتم في العالم ، وأما خاتم الولاية المحمدية ، وهو الختم الخاص لولاية أمة محمد الظاهرة ، فيدخل في حكم ختميته عيسى عليه السلام وغيره ، كإلياس والخضر وكل ولي لله تعالى من ظاهر الأمة ، فعيسى عليه السلام وإن كان ختماً فهو مختوم تحت ختم هذا الخاتم المحمدي ، وعلمت حديث هذا الخاتم المحمدي بفاس من بلاد المغرب ، سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، عرفني به الحق وأعطاني علامته ولا أسمّيه ، ومنزلته من رسول الله ﷺ منزلة شعرة واحدة من جسده ﷺ ، ولهذا يُشعر به إجمالاً ، ولا يعلم به تفصيلاً إلا من أعلمه الله به ، أو مَنْ صدَّقه إن عرَّفه بنفسه في دعواه ذلك . (ف ج ٣/ ٥١٤).

إشارة الشيخ إلى نفسه بأنه ختم الولاية المحمدية الخاصة :

قول الرسول ﷺ للشيخ الأكبر في الرؤيا التي جعلها خطبة كتابه الفتوحات « قم يامحمد عليه (الضمير يعود على المنبر) فأثن على من أرسلني وعليَّ ، فإن فيك شعرة مني لا صبر لها عني » . (ف ج ١ / ٢) .

وقول الشيخ في صفة ختم الولاية المحمدية ، يقول : أما ختم الولاية المحمدية فهي لرجل من العرب ، ومن أكرمها أصلاً ويداً ، وهو في زماننا اليوم موجود ، عُرِّفت به سنة

خمس وتسعين وخمسمائة ، ورأيت العلامة التي له ، قد أخفاها الحق فيه عن عيون عباده ، وكشفها لي بمدينة فاس حتى رأيت ختم الولاية منه ، وهو خاتم النبوة المطلقة ، لا يعلمها كثير من الناس ، وقد ابتلاه الله بأهل الإنكار عليه فيما يتحقق به من الحق في سره من العلم به ، وكما أن الله ختم بمحمد ﷺ نبوة الشرائع ، كذلك ختم الله بالختم المحمدي الولاية التي تحصل من الورث المحمدي ، لا التي تحصل من سائر الأنبياء - والشيخ من أكرم العرب أصلاً ويداً فهو حاتمي خولاني . (ف ج ٢/٤٩).

ويقول إشارة إلى هذا الختم : للولاية الخاصة ختم يواطىء اسمه اسمه ﷺ ، ويحوز خلقه ، وما هو بالمهدي المسمى المعروف المنتظر ، فإن ذلك من سلالته وعترته ، والختم ليس من سلالته الحسية ، ولكنه من سلالة أعراقه وأخلاقه ﷺ ، وكلاهما محمد .

(ف ج ٢ / ٥٠) .

ويقول في علم الاختصاص بالختم الخاص : الختم الخاص هو المحمدي ، ختم الله به ولاية الأولياء المحمديين ، أي الذين ورثوا محمداً ﷺ ، وعلامته في نفسه أن يعلم قدر ما ورث كل ولي محمدي من محمد ﷺ ، فيكون هو جامع علم كل ولي محمدي لله تعالى ، وإذا لم يعلم هذا فليس بختم . (ف ج ٤ / ٤٤٢) .

تصريح الشيخ بأنه ختم الولاية المحمدية الخاصة ويفسر ما جاء من تلميحاته :

قوله في الديوان / ٣٩٢ :

أنا خاتم للأولياء كما أتى ... بأن خاتم الأنبياء محمدا
ختام خصوص لا ختام ولاية ... نعم فإن الختم عيسى المؤيدا

وقوله في الديوان/ ٥٠ :

جاء المبشر بالرسالة يبتغي ... أجر السرور من الكريم المرسل
فأتى به ختم الولاية مثلما ... ختم النبوة بالنبي المرسَل
ولنا من الختمين حظ وافر ... ورثاً أتانا في الكتاب المنزل

وقوله في الديوان/ ٣٢٢ :

قل للشخيص الذي بالحق يعرفني ... من كان يعرفني بالحق ينصفني

ولست فيه بمعصوم وإن غلطت ألفاظنا فعلى التحقيق يوقفني
فصاحبي من أراه في تقلبه في كل حال من الأحوال ينصحني
في خلوة إنَّ نصح الشخص في ملأ فضيحة وخليلي ليس يفضحني
فالله يمنح ما أمَّلت منه وما يعطيني إلا الذي في الوقت يصلحني
وجاءنا منه توقيع بأنّ لنا ختم الولاية والختمان في قرن
حتى رأيت الذي بالعلم بشّرني والمُلك وهو مع الأنفاس يطلبني
إن الذي قد دعاني في بشائره فلا يزال مع الأحيان يخطبني
فقلت يارب أما العلم أقبله والملك لست أراه فهو يخدعني
إن كان عرْضاً فما لي فيه من أرب أو كان أمراً فإن الأمر يطمعني
في عصمة عصم الله الحفيظُ بها نفسي فأعلم أن الله يحفظني

وقوله في الديوان / ٤٥٦ :

وما أنا الغوث أحمي الخلق منه ولا أنا له بدل ولا أنا وتد
لكنني خاتم بالعلم منفرد لله مرتقب بالسر متحد
لا يعتريني لما قد قلت عني أذى ولا ينهنهني عن بغيتي الأسد

وقوله في الديوان / ٤٠٢ :

أنا آدم الأسماء لا آدم النشء فلي في السما والأرض ما كان من خبء
ولكنه من حيث أسماء كونه وما لي فيه إن تحققت من كفوء
أنا خاتم الأمر الأعم وجوده لذاك تحملت الذي فيه من عبء

وقوله في الديوان / ٢٥٩ :

إني أقمت لدين الله أنصره والنصر منه كما قد جاء في الكتب
لأنني حاتمي الأصل ذو كرم من طيء عربي عن أب فأب
ورتبتي في الإلهيات يعلمها ما نالها أحد قبلي من العرب
إلا النبي رسول الله سيدنا وراثة للذي عندي من الأدب
وإنني خاتم الأتباع أجمعهم أتباعه رتبة تسمو على الرتب
من جملة القوم عيسى وهو خاتم من قد كان من قبله حياً بلا كذب

وفي شريعتنا كانت ولايته   دون الرسالة لما جاء في العقب

وقوله في الديوان / ٣٣٢ :

أنا في عباد الله روح مقدس   كمثل الليالي روحها ليلة القدر
تقدست عن وتر بشفع لأنني   غريب بها عندي من الشفع والوتر
ولما أتاني الحق ليلاً مبشراً   بأني ختام الأمر في غرة الشهر
وقال لمن قد كان في الوقت حاضراً   من الملأ الأعلى ومن عالم الأمر
ألا فانظروا فيه فإن علامتي   على ختمه في موضع الضرب في الظهر
وأخفيته عن أعين الخلق رحمة   بهم للذي يعطي الجحود من الكفر
عرضت عليه الملك عرضاً محققاً   فقال لي الأمر المعظم في الستر
لأنك غيب والسعيد من اقتدى   بسيده في حالة العسر واليسر

إلى أن يقول :

أنا وارث لا شك علم محمد   وحالته في السر مني وفي الجهر
ولست بمعصوم ولكن شهودنا   هو العصمة الغراء في الأنجم الزهر
ولست بمخلوف لعصمة خالفي   من الناس فيما شاء منه على غمر
علمت الذي قلنا ببلدة تونس   بأمر إلهي أتاني في الذكر
أتاني به في عام تسعين شربنا   بمنزل تقديس من الوهم والفكر
ولم أر أني خاتم ومعين   إلى أربع منها بفاس وفي بدر

إلى أن يقول :

لئن كان هذا الأمر في فرع هاشم   لقد جاء بالميراث في طيّء نشري
وأين بلال من أبي طالب لقد   تشرف بالتقوى المحقر في القدر
سألتك ربي أن تجود لعبدكم   بأن يك مستوراً إلى آخر الدهر

إلى أن يقول :

غنيت بتصديقي رسالة أحمد   عن الكشف والذوق المحقق والخبر
وهذا عزيز في الوجود مناله   ولو لم يكن هذا لأصبحت في خسر

أما قوله في الفتوحات المكية ج ١/٢٤٤ :

أنـا ختم الـولايـة دون شكٍّ لورث الهـاشمي مع المسيـح

وقوله في الفتوحات المكية ح ٣/٨٣ :

ولـنـا من الختمـين حظ وافـر ورثـاً أتـانـا في الكتـاب المنـزل

وقوله في الفتوحات المكية ج٣ / ٥٦٠ :

مَنَّ الإلـه علينـا في خلافتنـا بخاتم الحكم لم يخصص به بشرا

ولا نريـد بذا فخـراً فيـلحقنـا نقص لذلـك أو يلحق بنـا غيرا

فالختمان هما ختم الأنبياء محمد ﷺ وخاتم الأولياء عيسى ابن مريم عليه السلام .

أما قوله رضي الله عنه في الديوان / ٤٦ :

أنـا عنقـاء الـوجـود المشـترك قدِّسـت ذاتي عن خَبْس الشِّرْك

أنـا مثـن والمثـاني صفـتي وأنـا الثـاني لسـر مشـترك

فيفسره قوله رضي الله عنه في الرؤيا التي رأى فيها رسول الله ﷺ وفيها يقول :ـ « فرآني وراء الختم، لاشتراك بيني وبينه في الحكم » فهو السر المشترك في حكم الختمية ، فعيسى عليه السلام خاتم الولاية العامة، وهو رضي الله عنه اختص بخاتم الولاية المحمدية الخاصة . (ف ج ١ / ٢) .

فلما حصل للشيخ رضي الله عنه مقام ختم الولاية المحمدية تحققاً ، قال في الديوان / ٣٣٠

إني وحيـد العصر شهم مقيـد بشرع وتحقيق وذا غايـة الفضل

وقال في الفتوحات ج ٣ / ٤١ :

في كل عصر واحـد يسمـو به وأنـا لباقي العصر ذاك الواحد

وقال في الديوان / ٢٣٦ :

الله يعـلم نفسي ومـا عليـه أجـنَّـت

فحـكـمـة الله لـمَّـا طلبـتـهـا ما تجنَّـت

لقـد منحت مقـامـاً له الخـلائـق أنَّـت

كما خصـصـت بأمـر عنـه المـلائـك جُنَّت

ويقول في الديوان / ٤٤ :

أنـا المحيي لا أكنى ولا أتبلد — أنـا العربي الحاتمي محمد
لكـل زمـان واحـد هو عينـه — وإني ذاك الشخص في العصر أوحد
ومـا النـاس إلا واحـد بعد واحد — حرام على الأدوار شخصان يوجد
أقـابـل عضات الزمـان بهمة — تذل لها السبـع الشـداد وتخمـد
مؤيـدنـا فيـه على كل حالـة — إلـه السـما وهـو النصير المؤيـد
ومـا ذاك عن حق ولكن عنايـة — أتتني وحسمـاها ي تروم وتجهـد

ويقول في الديوان / ٢٦٢ :

إني وليت أمـور الخلق أجمعهـا — شرقـاً وغـربـاً وإني بيضة البلد
ومـا أنفـذ أمراً في الـوجـود فما — يبـدو مقـامي فما يدريـه من أحـد
ومـا أغـالط نفسي حين أسمـع ما — أُدْعَى به من إمـام سيـد سنـد
أتـابـع الحق فيـما شاءه وقضى — قبل الوقوع عن إذن السيد الصمد
فيـنـفـذ الأمـر بي في كل آونـة — ولا ترى الخلق إلا صورة الجسـد
عجـزاً وفقـراً وكتـماً لا يزايلني — وإنـني أحـديُّ الـذات بالأحـد
وعـين ذكـر مقـامي ستره ولـذا — صرّحت إذ قبـل الأقـوام مستندي
فقـال قائـلهم دعـواه قد غربت — عن الـدليـل وهـذا عين معتقدي

ويقول في الديوان / ٤٣ :

وليت أمور الخلق إذ صرت واحداً — عزيـزاً ولا فخـر لديَّ ولا زهـو

الفخر الذي جاء في كلام الشيخ رضي الله عنه :

فإن قلت:ـ هل يجوز للعارف والمحقق أن يفخر كل هذا الفخر؟ قلنا:ـ فلننظر ما يقوله الشيخ في ذلك في الديوان / ٤١٧ :

ميراثـنـا من أحمـد — خير الأنـام والـورى
خير إمـام طاهـر — سليـل أعـراف الثرى
صلى عليـه الله مـن — خليـفـة قد ظهـرا
بكـل ما أمّـله — من ربـه ما افتخـرا

لأنــه عبــد ومــا للعبــد أن يفتــخــرا
إلا بمــن كوْنــه عبــداً له فاشــتــهــرا

اعلم أن العارفين يعاملون المواطن بحسب ما تقتضيه ، وغير العارفين ليس كذلك ، فالعارف إن أظهر للناس ما منحه به ربه من المعارف والأسرار ، لا يظهر ذلك إلا من أجل ربه ، لا على طريق الفخر على أبناء جنسه ، محاشاه من ذلك ، وأما إذا كان تعريف العارف منزلته للناس عن غير أمر إلهي ، ولا إذن ربي ، فإنه هوي نفس بتأويل ظهر له ، وهي زلة وقعت منه ، ينبغي له أن يتعوذ من شرها ، فإنه لا خلاف بين العقلاء ، أنه من تعاظم بشرف غيره، أنه أخرق جاهل ، إذ لم يكن شرفه بنفسه ، فالأمر ليس كذلك ، فالعاقل الحاضر الشهيد ، لا يرى لنفسه شرفاً يفتخر به على أمثاله ، وإنما الفخر للرتبة لا لنا ، فما هلك امرؤ عرف قدره ، ولنا بحمد الله في هذا المقام القدم الراسخة ، والمراتب نسب عدمية ، فلا فخر بالذات إلا لله وحده ، وإذا كان الفخر فينا للرتب ، والرتب نسب عدمية ، فما فخرنا إلا بالعدم ، وناهيك ممن فخره بالعدم ، يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم . (ف ج ٣ / ٢٢٦ - ج ٢ / ٦٢٦ - ج ٣ / ٢٢٦) .

خاتمة :

الورث النبوي ما حصل لنا إلا بالاقتداء والاتباع النبوي ، فالسعيد من وقف عند حدود الله ولم يتجاوزها ، وإنا والله ما تجاوزنا حداً ، ولكن أعطانا الله من الفهم عنه تعالى فيها ما لم يعطه كثيراً من خلقه ، فعلّمنا الله من لدنه علماً ، فيه رحمة حبانا الله بها وعناية ، حيث كنا في ذلك على بينة من ربنا ، ويتلوها شاهد منا ، وهو اتباعنا سنته ﷺ وما شرع لنا ، لم نخل بشيء منها ، ولا ارتكبنا مخالفة بتحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل ، فدعونا إلى الله على بصيرة من أمره ، إذ كنا على بينة من ربنا ، فخصني بخاتمة أمر لم يخطر لي ببال ، فشكرت الله تعالى بالعجز عن شكره ، مع توفيتي الشكر حقه ، وما ذكرت ما ذكرته من حالي للفخر ، **لا والله** ، وإنما ذكرته لأمرين :ـ الواحد لقوله تعالى : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ وأي نعمة أعظم من هذه ؟ والأمر الآخر ليسمع صاحب همة ، فتحدث فيه همة لاستعمال نفسه فيها استعملتها ، فينال مثل هذا ، فيكون معي وفي درجتي ، فإنه لا ضيق ولا حرج إلا في المحسوس والألوهية خاصة .

(ف ج ٣ / ٥٠٣ ـ ج ١ / ٢٠١ ـ ج ٤ / ٢٨ ـ ج ٣ / ٣٢٣) .

عقيدة الشيخ الأكبر :

فيإخوتي المؤمنين ـ ختم الله لنا ولكم بالحسنى ـ لما سمعت قوله تعالى عن نبيه ـ هود عليه السلام ـ حين قال لقومه المكذبين به وبرسالته ﴿ إني أُشْهِدُ الله واشهدوا أني بريء مما تشركون ﴾ فأشهد عليه السلام قومه ـ مع كونهم مكذبين به ـ على نفسه بالبراءة من الشرك بالله ، والإقرار بأحديته ، لما علم عليه السلام أن الله سبحانه سيوقف عباده بين يديه ، ويسألهم عما هو عالم به ، لإقامة الحجة لهم أو عليهم ، حتى يؤدي كل شاهد شهادته ، وقد ورد أن المؤذن يشهد له مدى صوته ، من رطب ويابس وكل من سمعه ، ولهذا يدبر الشيطان عند الأذان وله حصاص ، وفي رواية وله ضراط ، وذلك حتى لا يسمع نداء المؤذن بالشهادة فيلزمه أن يشهد له ، فيكون بتلك الشهادة له من جملة من يسعى في سعادة المشهود له ، وهو عدو محض ، ليس له إلينا خير البتة ـ لعنه الله ـ وإذا كان العدو لابد أن يشهد لك بما أشهدته به على نفسك ، فأحرى أن يشهد لك وليك وحبيبك ومن هو على دينك وملتك ، وأحرى أن تشهده أنت في الدار الدنيا على نفسك بالوحدانية والإيمان .

فياإخوتي ويأحبائي رضي الله عنكم ، أشْهِدُكم عبد ضعيف مسكين فقير إلى الله تعالى في كل لحظة وطرفة ، وهو مؤلف هذا الكتاب (الفتوحات المكية) ومنشئه أشهدكم على نفسه ، بعد أن أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضره من المؤمنين وسمعه ، أنه يَشْهَدُ قولاً وعقداً ، أن الله تعالى إله واحد لا ثاني له في ألوهيته ، منزه عن الصاحبة والولد، مالك لا شريك له، ملك لا وزير له ، صانع لا مدبر معه ، موجود بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجده ، بل كل موجود سواه، مفتقر إليه تعالى في وجوده ؛ فالعالم كله موجود به ، وهو وحده متصف بالوجود لنفسه ، لا افتتاح لوجوده ، ولا نهاية لبقائه ، بل وجود مطلق غير مقيد ، قائم بنفسه ، ليس بجوهر متحيز فيقدر له المكان ، ولا بعَرَض فيستحيل عليه البقاء ، ولا بجسم فتكون له الجهة والتلقاء ، مقدس عن الجهات والأقطار ، مرئي بالقلوب والأبصار . ـ إذا شاء ـ استوى على عرشه كما قاله، وعلى المعنى الذي أراده ، كما أن العرش وما سواه به استوى ، وله الآخرة والأولى ، ليس له مِثْل معقول، ولا دلت عليه العقول ، لا يَحُدُّه زمان، ولا يُقِلُّه مكان ، بل كان ولا مكان، وهو على ما عليه كان . خلَق المتمكن والمكان، وأنشأ الزمان ، وقال أنا الواحد الحي، لا يؤوده حفظ المخلوقات ، ولا ترجع إليه صفة لم يكن عليها من صنعة المصنوعات ، تعالى أن تحله الحوادث أو يحلها ، أو تكون بعده أو يكون قبلها ، بل يقال : كان ولا شيء معه ، فإن القبل والبعد من صيغ الزمان الذي أبدعه ، فهو القيّوم الذي لا ينام، والقهار الذي لا يُرام ، ليس كمثله شيء ، خلق العرش وجعله حد الاستواء ، وأنشأ الكرسي وأوسعه الأرض والسموات العلى ، اخترع اللوح والقلم الأعلى ، وأجراه كاتباً بعلمه في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء ، أبدع العالم كله، على غير مثال سبق ، وخلق الخلق وأخلق الذي خَلَق ، أنزل الأرواح في الأشباح أمناء ، وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلفاء ، وسخر لنا ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ، فلا تتحرك ذرة إلا إليه وعنه ، خلق الكل من غير حاجة إليه ، ولا موجب أوجب ذلك عليه ، لكن علمه سبق ، بأن يخلق ما خلق ، فهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو على كل شيء قدير، أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، يعلم السر وأخفى ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، كيف لا يعلم شيئاً هو خلقه ؟ ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ علم الأشياء منها

قبل وجودها[1] ، ثم أوجدها على حد ما علمها ، فلم يزل عالماً بالأشياء ، لم يتجدد له علم عند تجدد الإنشاء ، بعلمه أتقن الأشياء وأحكمها ، وبه حكم عليها من شاء وحكمها ، عَلِمَ الكليات على الإطلاق ، كما علم الجزئيات بإجماع من أهل النظر الصحيح واتفاق ، فهو عالم الغيب والشهادة فتعالى الله عما يشركون ، ﴿ فعال لما يريد ﴾، فهو المريد الكائنات ، في عالم الأرض والسموات ، لم تتعلق قدرته بشيء حتى أراده ، كما أنه لم يرده حتى علمه ، إذ يستحيل في العقل أن يريد ما لا يعلم ، أو يفعل المختار ـ المتمكن من ترك ذلك الفعل ـ ما لا يريد ، كما يستحيل أن توجد نسب هذه الحقائق في غير حي ، كما يستحيل أن تقوم الصفات بغير ذات موصوفة بها ، فما في الوجود طاعة ولا عصيان ، ولا ربح ولا خسران ، ولا عبد ولا حُر ، ولا برد ولا حَر ، ولا حياة ولا موت ، ولا حصول ولا فوت ، ولا نهار ولا ليل ، ولا اعتدال ولا ميل ، ولا بر ولا بحر ، ولا شفع ولا وتر ، ولا جوهر ولا عرض ، ولا صحة ولا مرض ، ولا فرح ولا ترح ، ولا روح ولا شبح ، ولا ظلام ولا ضياء ، ولا أرض ولا سماء ، ولا تركيب ولا تحليل ، ولا كثير ولا قليل ، ولا غداة ولا أصيل ، ولا بياض ولا سواد ، ولا رقاد ولا سهاد ، ولا ظاهر ولا باطن ، ولا متحرك ولا ساكن ، ولا يابس ولا رطب ، ولا قشر ولا لب ، ولا شيء من هذه النسب المتضادات منها والمختلفات والمتماثلات ، إلا وهو مراد للحق تعالى ، وكيف لا يكون مراداً له وهو أوجده ؟ فكيف يُوجِد المختار ما لا يريد ؟ لا راد لأمره ولا معقب لحكمه ، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، ويضل من يشاء ويهدي من يشاء ، ما شاء كان وما لم يشأ أن يكون لم يكن ، لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيئاً لم يُرد الله تعالى أن يريدوه ما أرادوه ، أو يفعلوا شيئاً لم يرد الله تعالى إيجاده وأرادوه عندما أراد منهم أن يريدوه ما فعلوه ، ولا استطاعوا على ذلك ولا أقدرهم عليه ، فالكفر والإيمان ، والطاعة والعصيان ، من مشيئته وحكمه وإرادته ، ولم يزل سبحانه موصوفاً بهذه الإرادة أزلاً ، والعالم معدوم غير موجود ، وإن كان ثابتاً في العلم في عينه ، ثم أوجد العالم من غير تفكر ولا تدبر عن جهل أو عدم علم ، فيعطيه التفكرُ والتدبر علم ما جهل ، جل وعلا عن ذلك ، بل أوجدته عن العلم السابق ، وتعيين الإرادة المنزهة

---

(١) راجع مسألة العلم تابع للمعلوم .

الأزلية ، القاضية على العالم بما أوجدته عليه ، من زمان ومكان، وأكوان وألوان ، فلا مريد في الوجود على الحقيقة سواه ، إذ هو القائل سبحانه : ﴿ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ﴾ وأنه سبحانه كما علم فأحكم ، وأراد فخصص وقدر فأوجد ، كذلك سمع ورأى ما تحرك أو سكن ، أو نطق في الورى من العالم الأسفل والأعلى ، لا يحجب سمعه البعد، فهو القريب ، ولا يحجب بصره القرب، فهو البعيد ، يسمع كلام النفس في النفس ، وصوت المماسة الخفية عند اللمس ، ويرى السواد في الظلماء ، والماء في الماء ، لايحجبه الامتزاج ، ولا الظلمات ولا النور ، وهو السميع البصير ، تكلم سبحانه لا عن صمت متقدم، ولا سكوت متوهم بكلام قديم أزلي، كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته ، كلم به موسى عليه السلام ، سماه التنزيل والزبور والتوراة والإنجيل ، من غير حروف ولا أصوات ، ولا نغم ولا لغات ، بل هو خالق الأصوات والحروف واللغات ، فكلامه سبحانه من غير لهاة ولا لسان ، كما أن سمعه من غير أصمخة ولا آذان ، كما أن بصره من غير حدقة ولا أجفان ، كما أن إرادته في غير قلب ولا جنان ، كما أن علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان ، كما أن حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الأركان ، كما أن ذاته لا تقبل الزيادة والنقصان ، فسبحانه سبحانه من بعيد دان ، عظيم السلطان ، عميم الإحسان ، جسيم الامتنان ، كل ما سواه فهو عن جوده فائض، وفضله وعدله الباسط له والقابض ، أكمل صنع العالم وأبدعه ، حين أوجده واخترعه ، لا شريك له في مُلكه ، ولا مدبر معه في مِلكه ، إن أنعم فَنَعَّم فذلك فضله ، وإن أبلى فَعَذَّب فذلك عدله ، لم يتصرف في ملك غيره فينسب إلى الجور والحيف ، ولا يتوجه عليه لسواه حكم فيتصف بالجزع لذلك والخوف ، كل ما سواه تحت سلطان قهره ، ومتصرف عن إرادته وأمره ، فهو الملهم نفوس المكلفين التقوى والفجور ، وهو المتجاوز عن سيئات من شاء، والآخذ بها من شاء، هنا وفي يوم النشور ، لا يحكم عدله في فضله ، ولا فضله في عدله ، أخرج العالم قبضتين ، وأوجد لهم منزلتين ، فقال : هؤلاء للجنة ولا أبالي ، وهؤلاء للنار ولا أبالي ، ولم يعترض عليه معترض هناك ، إذ لا موجود كان ثَمَّ سواه ، فالكل تحت تصريف أسمائه ، فقبضة تحت أسماء بلائه ، وقبضة تحت أسماء آلائه ، ولو أراد سبحانه أن يكون العالم كله سعيداً لكان ، أو شقياً لما كان من ذلك في شان ، لكنه سبحانه لم يرد فكان كما أراد ، فمنهم الشقي

والسعيد، هنا وفي يوم المعاد ، فلا سبيل إلى تبديل ما حكم عليه القديم ، وقد قال تعالى في الصلاة : هي خمس وهي خمسون ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ، لتصرفي في ملكي وإنفاذ مشيئتي في ملكي ، وذلك لحقيقة عميت عنها الأبصار والبصائر ، ولم تعثر عليها الأفكار ولا الضمائر ، إلا بوهب إلهي ، وجود رحماني لمن اعتنى الله به من عباده ، وسبق له ذلك بحضرة إشهاده ، فعلم حين أُعلِم أن الألوهة أعطت هذا التقسيم ، وأنه من رقائق القديم ، فسبحان من لا فاعل سواه ، ولا موجود لنفسه إلا إياه ، والله خلقكم وما تعملون ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين .

الشهادة الثانية : وكما أشهدت الله وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسي بتوحيده ، فكذلك أشهده سبحانه وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسي بالإيمان بمن اصطفاه واختاره واجتباه من جوده ، ذلك سيدنا محمد ﷺ الذي أرسله إلى جميع الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فبلغ ﷺ ما أنزل من ربه إليه ، وأدى أمانته ونصح أمته ، ووقف في حجة وداعه على كل من حضر من أتباعه فخطب وذَكّر ، وخَوّف وحَذّر ، وبَشّر وأنذر ، ووعد وأوعد ، وأمطر وأرعد ، وما خص بذلك التذكير أحداً من أحد ، عن إذن الواحد الصمد ، ثم قال : ألا هل بلغت ؟ فقالوا :- بلغت يارسول الله ، فقال ﷺ : اللهم فاشهد ، وإني مؤمن بكل ما جاء به ﷺ مما علمت وما لم أعلم ، فمما جاء به فقرر أن الموت عن أجل مسمى عند الله ، إذا جاء لا يؤخر ، فأنا مؤمن بهذا إيماناً لا ريب فيه ولا شك ، كما آمنت وأقررت أن سؤال فتاني القبر حق ، وعذاب القبر حق ، وبعث الأجساد من القبور حق ، والعرض على الله تعالى حق ، والحوض حق، والميزان حق، وتطاير الصحف حق، والصراط حق، والجنة حق، والنار حق ، وفريقاً في الجنة وفريقاً في النار حق ، وكرب ذلك اليوم حق على طائفة ، وطائفة أخرى لا يحزنهم الفزع الأكبر ، وشفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين، وإخراج أرحم الراحمين بعد الشفاعة من النار من شاء حق ، وجماعة من أهل الكبائر المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة والامتنان حق ، والتأبيد للمؤمنين والموحدين في النعيم المقيم في الجنان حق ، والتأبيد لأهل النار في النار حق ، وكل ما جاءت به الكتب والرسل من عند الله عُلِم أو

جُهِل حق ، فهذه شهادتي على نفسي ، أمانة عند كل من وصلت إليه أن يؤديها إذا سئل حيثما كان ، نفعنا الله وإياكم بهذا الإيمان ، وثبتنا عليه عند الانتقال من هذه الدار إلى الدار الحيوان، وأحلنا منها دار الكرامة والرضوان، وحال بيننا وبين دار سرابيلها من القطران ، وجعلنا من العصابة التي أخذت الكتب بالأيمان ، وممن انقلب من الحوض وهو ريّان ، وثقل له الميزان ، وثبتت له على الصراط القدمان ، إنه المنعم المحسان ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءتْ رسل ربنا بالحق .

(ف ج ١/٣٦).

من طلب الـديـن بالكـلام زنـدقـه الشرع والسـلام
فاعـدل إلى الشرع لا تزده فـإنـه كـلـه حـرام
فإن علم الـكـلام جهـل يرمـي به الحـال والمقـام
ما الـديـن إلا ما قال ربي أو قالـه السـيـد الإمـام
رسـولـه المصـطفى المرجى عليـه من ربـه الســلام

ويقول :

إذا وَصـف الشرع المـبـين إلهـاً فذاك إلـه الحـق ليس يضـاهـى
ودع عنـك أفكـاراً تنـازع حكمة فآلهـة الأفـكـار لا تتـنـاهـى
وقـد بلغت نفسي إذا هي أنصفت وقـالت بقـول الشرع فيـه متاهـا
فيـاقـارىء القـرآن شرعـك فالتـزم فما آيـة إلا يزيـد رضـاهـا
ومـا طعـمـة الأفكـار إلا تغصص إذا هي لم تبـلـغ لديـه إنـاهـا

(ديوان / ٢٦٨ ، ٣٥٨)

وأنا محمود بن محمود الغراب ، كاتب وجامع هذه الترجمة ، أشهد على نفسي الله وملائكته وجميع خلقه ، وأشهد كل من قرأ هذا الكتاب ، أني أعتقد قولاً وعقداً بما جاء في عقيدة الشيخ محي الدين بن العربي ، وبما جاء في شهادتيه المذكورتين أعلاه ، وأسأل الله تعالى أن ألقاه على ذلك إن شاء الله آمين آمين آمين .

وفاة الشيخ رضي الله عنه :

توفي رضي الله تعالى عنه بدمشق ، ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٣٨ هـ[1] ، ودفن بسفح قاسيون ، وقبره مزار يؤمه كثير من الخلق إلى يومنا هذا ، رحمه الله تعالى .



(١) الموافق ١٦ تشرين الثاني ١٢٤٠ م.

تعقيب المؤلف :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اختص برحمته من شاء من عباده ، وأكرم أولياءه بحضرة إشهاده ، قال تعالى : ﴿ يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ فلا حد لفضله ، ولا منتهى لعظيم منّه ، وقد جاء في الأخبار الصحيحة وفي السير عن الأمم السابقة ما يشير إلى هذا الخير العميم ، وأشار إليه القرآن الكريم ، فذكر عن واحد ممن اختص من بني إسرائيل وهو آصف بن برخيا ، أنه أتى بعرش بلقيس من سبأ اليمن إلى القدس الشريف قبل ارتداد الطرف ، لينبه به الحق عباده على جزيل عطائه وسابغ نعمائه ، فأبت عقول قاصرة إلا أن تحجر فضل الله على هذه الأمة المحمديه التي هي خير أمة أخرجت للناس ، وتضع له من عندها حدوداً وقيوداً ، وذلك أنها لم تر من أنفسها في الحياة الدنيا مثل ما ذكر ، فأوقفت الفضل على ما جاء به النقل ووصل إليه السمع ، وأنكرت مثل هذا العطاء على كل من تحدث بنعمة الله عليه ، وقد ثبت في الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال عن الحق تعالى : « لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يسعى بها ـ الحديث » .

إن عطاء الحق سبحانه ومنحه لمن وصل إلى هذا المقام عطاء لا يقدر قدره ، ولا يعرفه إلا من ذاقه أو كمل إيمانه ، فالحمد لله الذي أنعم علي بالاطلاع على مثل هذا العطاء الإلهي ، لواحد من الأمة المحمدية ، اختصه الله تعالى وأنعم عليه بهذا المقام ، ومكنه من الترجمة عن بعض أذواقه ، ألا وهو الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي ، الذي أبان عن بعض ما أكرمه الله تعالى به ، وما منحه من كشف وشهود ، وعلوم تقصر عن دركها أكثر الفهوم ، وأبان عن الطريق الموصل إلى ذلك ، الذي لا يكون إلا بتوفيق الله تعالى وعنايته السابقة ، كل ذلك رفعاً للهمم ، وتشجيعاً للطالبين أعلى الدرجات ، وأقصى الغايات ، تثبيتاً للشريعة ، وتحقيقاً للطريقة ، حتى يسلكوا على مدرجته ، ويسألوا الله استعداداً لحصول رحمته .

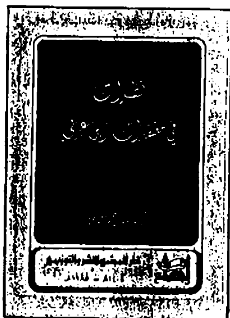
وكل ما جاء به الشيخ رضي الله عنه وجمعته في هذه الترجمة ، لا يقدح في أصل من الأصول الشرعية ، ولا يهدم قاعدة أصولية ، ولا يتطاول ولا يتسور على الخصوصيات النبوية ، وإن كانت الفهوم تكل عن إدراك ذلك ، فلأنها لم تخاطب به أصلاً ، ولا كانت

أهلاً له ولا محلاً ، وقد أبان الشيخ عن ذلك بصريح لفظه ، وأشار إليه برقيق لحظه ، فذكر أن هذه العلوم التي أتى بها ، والأحوال التي ذاقها ، لا يدركها إلا أهل مقام المحبوبية ، الذي أشرنا إليه ، فمن أنكر هذا المقام، كلامه لا يعول عليه ، ومن آمن به تصديقاً لنبيه فقد عرف قدره ، ولم يحرم أجره ، فإن كان يعلم من نفسه أنه ليس من رجال هذا المقام ، فالاعتراض منه جهل ، وهو كلابس ثوبي زور ، وأما من كان مثلي مؤمناً حقاً بهذا المقام ، وأنه اختص به أقوام ، فإنه يؤمن بكل ما ذكروه عنه ، ويسأل الله تعالى أن يلحقه بهم ، وأن يجعله من حزبهم ، فإنه يطمع في مطمع ، ويسأل من يسمع .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

محمود محمود الغراب

هذه صورة الصفحة رقم (١١٨) من المجلة العربية الصادرة في المملكة العربية السعودية، العدد رقم (٩٨) السنة التاسعة، الصادرة في ربيع الأول ١٤٠٦ هـ - كانون الأول ١٩٨٥ م :



- **نظرات في معتقدات ابن عربي .**
- **د. كمال محمد عيسى، دار المجتمع للنشر والتوزيع - جدة.**

كتاب الدكتور العيسى - نظرات في معتقدات ابن عربي - هو انطباع ومطالعة ومناقشة علمية هادئة لكتاب (الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي) لمؤلفه (محمود الغراب) .

ويهدف العيسى من كتابه الدفاع عن ابن العربي ، وإظهار مكانته ، وإثبات صحة عقيدته . لذلك فقد كان حريصاً على تبرئة ساحة ابن العربي ، ونفي عنه ما يخرج عن التصور الاسلامي ، وإبعاد كل التهم التي كانت مدسوسة عليه ، أو ربما قالها في حال مضى ثم تاب عنها قبل مماته .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد

المبعوث رحمة للعالمين

دمشق في ٣/ ٢/ ١٩٨٦ .

الدكتور المحترم / كمال محمد عيسى حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، ،

لقد اطلعت على كتابكم « نظرات في معتقدات ابن عربي » وأول ما أعجبني فيه هو أدبكم في الكتابة ، فلم ترتض لنفسك نهج الشيخ علي الطنطاوي ، الذي أذاعته إذاعة المملكة العربية السعودية ، ونشرته جريدة الشرق الأوسط ، فإنه يتنافى مع أدب العلم وأهله ، كما أنك لم تنهج أسلوب الدكتور عمر فورخ في كتابه « التصوف في الإسلام » من قبيح اللفظ والافتراء ، مما لم أضمنه ونزهت عنه مقدمة كتابي موضوع دراستكم ، حيث أقدم الدكتور فروخ على القدح في عِرْض رجل من أئمة المسلمين ودينه ، وتَقَوَّل عليه ما لم يقله ، ولكن الذي لفت نظري إثباتكم في كتابكم ص ١٧ دفاعي عن الشيخ ابن العربي وعن الصوفية ، واعتبرته اتهاماً مني للدكتور فروخ ، موحياً بذلك للقارىء أنه من جارح اللفظ والتحامل والسباب الذي ينفر منه الذوق الإسلامي ، ولو أنك ياسيدي قرأت ما جاء به الدكتور فروخ في حق الشيخ ابن العربي - وكان هذا ضرورياً لاستكمال دراستك - لأنصفت ووجدت أن ما وصفته به هو أقل ما يقال لمثل من جاء بها جاء به .

ثم إن من كمال أدبكم ياسيدي الدكتور كمال ، أنك أخذت تخاطبني بلفظة « الأستاذ محمود » وهذا كرم منك ولطف وأدب ، لابد أن يكون صادراً من معدنه ، ويليق بلقبكم العلمي وعضويتكم في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز ، والذي أحب أن أنبه عليه في مقدمة رسالتي هذه ، أنني لست من أهل الأستاذية ، ولا من العلماء بل أنا أقرب إلى العامية والعوام ، وخادم من جملة خدم أولياء الله تعالى .

ثم انتقل بعد هذه المقدمة إلى المقصود من رسالتي إليك ، وهو أنني بعد أن قرأت كتابكم مع الاستيعاب، وجدت أن كل دليل أتيت به لتثبت أن الشيخ ابن العربي يخالف أصلاً من الأصول ، أو أنه من اختصاصات النبوة ، هو دليل يشاركك فيه المخالف ، ولا

تقوم به حجة لاختلاف العلماء في تأويله ، لذلك تركت الرد عليك لمن شاء من العلماء ، فإنه أمر يسهل عليهم ، وحجتهم مدونة وآراؤهم المخالفة لآرائك مدعمة ، ولكنني أجيب على ما يخصني شخصياً في دراستك ونهجك في البحث .

أولاً : تقول ياسيدي الدكتور في ص ١٦ من كتابك : إنني لم أذكر شرط الشيخ ابن العربي الذي نص عليه بنفسه لقراءة كتبه ، فأقول : قد غاب عنك ياسيدي أن هذا مدون في الكتاب تحت عنوان « من هم الذين يخاطبهم الشيخ بعلومه » من ص ١٩٦ إلى ص ٢٠٠[1] . وقد نقلت في كتابك ص ٧٥ ما يدل على ذلك وأشرت إليه ، فأرجو منك المراجعة .

ثانياً : وجهت ياسيدي الدكتور إلي سؤالاً في ص ٢١ . « أتعتقد أن هذا العلم » أي علم الحروف « من الوعاء الذي أمسكه أبو هريرة » ؟

وجوابي على ذلك : أنني لا أعلم هل هذا العلم مما أمسكه أبو هريرة أم لا ، ولا أدري هل كان يعلمه أم لا ، فإنك يا سيدي لو رجعت إلى كتابي ص ١٢ ، لوجدت أنني ذكرت حديث أبي هريرة للدلالة على علوم الأسرار ، وضربت مثلاً ، لعلوم الأسرار بعلم الحروف ، وليست علوم الأسرار هي علم الحروف وحده ، أما ما لكم من توجيهات في فهم حديث أبي هريرة ، فهذا شيء معلوم يخالفه علماء آخرون ، فإن حديث أبي هريرة صريح النص بقوله : « ووعاء لو بثثته لقطع مني هذا البلعوم » وهو نص صريح لا ينسخ إلا بنص صريح آخر ، لا بتأويل ولا بجمع متكلف فيه .

أمـا عن علم الحروف ورأينا فيه ، فقد أشبع بحثاً في ردي على الشيخ علي **الطنطاوي**(*) ولك أن تطلع عليه ، وإذا لم يكن مقنعاً فلك رأيك ، ولست بأول ولا آخر من ينكره ، ولا يرفع رأي واحد منا الخلاف في هذا الموضوع .

ثالثاً : ذكرت ياسيدي الدكتور في منهج بحثك ص ٢٣ . أنني أقدم وأؤخر وأبتر وأحذف ، فإن كان هذا الذي ذكرته ياسيدي تعني به أنني بهذا أوضح ما أبهم ، وأقدم صورة صحيحة لموضوع غامض ، فهو الجمع والتأليف ، ويعتبر منك مدحاً لي ، ولا أظنه كذلك ، فإن سياق الكلام لا يدل على ذلك ، وأما إن كان الذي ذكرته تعني به أنني أشوه صورة ما أعرضه وألبس على القارىء ، فهو مني التزوير والتحريف ، ولم تقدم يا سيدي

(*) راجع الرد على الشيخ علي الطنطاوي في كتابنا شرح كلمات الصوفية .

نموذجاً واحداً يدل على ذلك .

ومن هذا المنطلق أطلب منك أن تكون حكماً بيني وبينك فيما نسبته إليّ ، وهو ما يسمى في بعض الجامعات ولدى العلماء « الأمانة العلمية » ولا أدري ما يطلق عليه عندكم في جامعة الملك عبد العزيز ، هل هو « منهاج البحث » أو « الدراسات الإسلامية » أو ماذا ؟ لا أعلم ، فإليك ياسيدي ما ذكرته في نظراتك في الادعاء الثامن ص ٦٢ ، حيث تثبت أن الشيخ ابن العربي يدعي أنه يدرك الخبيث طيباً ، بقولك في ص ٦٤ من كتابك « إن الشيخ ابن العربي يسوي بين الخبيث والطيب رائحة وحكماً » وأنه يرفع نفسه فوق الملائكة ، فيدعي أنه ذاق تلك التسوية بمكة مع نفيها عن الكمل من الناس وعن الملائكة ، وتؤكد في ص ٨٨ من كتابك فتقول : « الملائكة تتأذى من الخُبث ، فيزعم (أي الشيخ ابن العربي) أنه يشم كل شيء طيباً » .

كيف وصلت يا سيدي الدكتور إلى هذه النتيجة بعد دراسة سنة كاملة لكتابنا ، وهو تماماً عكس ما نص عليه الرجل في كلامه ؟ سبب ذلك أنك قدمت وأخرت ، وبترت وحذفت ، حيث تقول في ص ٦٣ ما نصه نقلاً عن الشيخ وعن كتابنا : ولا أدري . . هل أعطى الله أحداً إدراك تساوي الروائح بحيث لا يكون عنده خبث رائحة أم لا ؟ هذا ما ذقناه من أنفسنا . . ولا نقل إلينا أن أحداً أدرك ذلك ، بل المنقول عن الكُمّل من الناس وعن الملائكة التأذي بهذه الروائح الخبيثة ، ثم يقول (وثم يا سيدي الدكتور للعطف مع الترتيب) : فمن حصل له الطيب في كل شيء ، وإن أدركه من أدركه خبيثاً بالطبع ، فإنه بالنعت الإلهي طيب ، وقد ذقنا ذلك بمكة .

وإليك ياسيدي النص كما جاء في كتابنا ص ١٤٥[1] .

فمن حصل له الطيب في كل شيء وإن أدركه من أدركه خبيثاً بالطبع ، فإنه بالنعت الإلهي طيب ، وقد ذقنا ذلك بمكة ـ ثم يورد الشيخ القصة التي ذكرتها في كتابك ص ٦٢ ـ ثم يقول : ولا أدري هل أعطى الله أحداً إدراك تساوي الروائح ، بحيث أن لا يكون عنده خبث رائحة أم لا ؟ هذا ما ذقناه من أنفسنا (ما هنا يا دكتور نافية وليست اسم موصول كما ذهبت إليه) ولا نقل إلينا أن أحداً أدرك ذلك ، بل المنقول عن الكمل من

(١) هكذا في الطبعة الأولى، أما في هذه الطبعة فهو ص ١٤٣ .

الناس وعن الملائكة التأذي بهذه الروائح الخبيثة ، وما انفرد بإدراك ذلك طيباً إلا الحق هذا هو المنقول .

هذا الذي بترته وحذفته ياسيدي الدكتور يثبت أن ما السابقة نافية ، كما تؤكده الجملة التي قبلها ، فما هو إذاً الذي ذاقه الشيخ بمكة ؟ أقول لك إنه واضح من سياق الكلام ، وهو ياسيدي الدكتور التعريف من الحق للشيخ ، كما جاء في القصة التي ادعاها ورواها عن المؤذن بالحرم المكي ، وهو قول الحق له عن الطعام « إن رائحته عندنا ما هي مثل ما عندكم » لا أنه ذاق الخبيث طيباً ، فإنه مما انفرد به الحق ، كما قال الشيخ ، لقد أدى تقديمك وتأخيرك وبترك وحذفك إلى الإخلال بالمعنى ، وإلى خطئك في فَهْم المقصود ، ونقلت إلى القارىء فهماً خاطئاً .

وأعجب ما في هذه المسألة ، أنك ياسيدي الدكتور لم تفرق بين ما جاء في القصة ، من أنه كان للرجل المؤذن طعام يتأذى برائحته كل من شمه ، وبين النص الشرعي الذي جاء في البصل والثوم ، والنهي للآكل لهما أن يقرب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في النص ، أو للمساجد على ما جاء في اجتهاد بعض العلماء ، فهل كل طعام يتأذى الناس برائحته يجب إخراجه من المسجد ؟ وكم من طعام ليس فيه البصل والثوم يتأذى منه الناس ، أين النص الشرعي في ذلك ؟ حتى يصح قولك « إن الشيخ يزعم أنه رأى الله في النوم فنهاه عن أمر بمعروف » وأنت تعلم ياسيدي أنه قد صح أنه أوتي رسول الله ﷺ بقدر فيه خضرات من بقول ، فوجد لها ريحاً ، فسأل : فأخبر بما فيها من البقول ، فقال : قربوها إلى بعض أصحابه ، فلما رآه كره أكلها قال : كُلْ فإني أناجي من لا تناجي - ولم يأمر بإخراج الطعام من المسجد .

ثم قولك ياسيدي : « أيقبل شرعاً أو ذوقاً الادعاء على الله بأنه ينهى عن طهارة بيته مما تتأذى به الملائكة ؟ أقول لك : إن خلوف فم الصائم مما يتأذى منه الناس والملائكة ، ولا أعرف أحداً من أهل العلم يقول بطهارة بيت الله بمنع الصائم صاحب الخلوف من أن يدخل المسجد ، ولا نهى الله عن ذلك ، فأين ياسيدي هذا من قولك « أيقبل شرعاً أو ذوقاً أن يبطل الله شرعه » ؟ .

لما أخطأت ياسيدي الدكتور في فهم النص ، أصدرت تعليقات لا تطابق الشرع ، واحترت في أمر الشيخ ابن العربي والمؤذن ، أيهما خير من صاحبه ؟ فشغلك هذا عن روح

المسألة ، وزعمت أن المؤذن كان أفقه من الشيخ لقوله للشيخ « يا سيدي ومع هذا فالأدب مع الشرع أولى » وغاب عنك يادكتور أن الأدب مع الشرع فرض لا أولى ، عندما يتعلق بأمر بمعروف أو نهي عن منكر ، ولو تفطنت لقول المؤذن لعلمت أنه يعلم أنه لم يفعل حراماً ولا خالف نهياً ، وأن ما كان سيطلبه منه الشيخ ابن العربي من باب الأولى ، لا الواجب الذي يتضمن النهي عن المنكر ، الذي الانتهاء عنه فرض لا أولى .

ثم ننتقل إلى مثال آخر من نظراتك ، حيث تنقل في كتابك في ص ٥٤ عن كتابي وعن الشيخ من ص ٢١٨[1] مايلي ، تحت عنوان ألسنة العالم كلها أقوال الله :

ذلك أن الخطاب الإلهي العام في ألسنة القائلين من جميع الموجودات . . فإنه قول إلهي في نفس الأمر، وإن كان لا يعلمه إلا القليل ، فإذا سمعت العبد يتكلم فذلك تكوين الحق فيه ، والعبد على أصله صامت . . ومن حضرة الفتاح يعلم العبد أن كل نطق في العالم ـ كان هذا النطق ما كان ـ مما يحمد أو يذم أنه يسبح ـ بوجه ـ لله بحمده ، فيسب إنسان إنساناً ، وهو عند هذا السامع صاحب هذا المقام تسبيح بحمد الله ، فيؤجر السامع ويأثم القائل .

ونص العبارة كما جاءت في كتابنا ص ٢١٨[1] كما يلي :

ألسنة العالم كلها أقوال الله ، وتقسيمها لله ، فيضيف إلى نفسه منها ما شاء ويترك منها ما شاء ، فإذا سمعتم العبد يتكلم فذلك تكوين الحق فيه ، والعبد على أصله صامت ، فإن الأمر الإلهي نافذ في المأمور لا يتوقف لأمره مأمور ، ومن حضرة الفتاح يعلم العبد أن كل نطق في العالم ـ كان ذلك النطق ما كان ـ مما يحمد أو يذم أنه يسبح بوجه لله ـ بحمده . . . فيسب إنسان إنساناً ، وهو عند هذا السامع صاحب هذا المقام تسبيح بحمد الله ، فيؤجر السامع ويأثم القائل . . ولله رجال هان عليهم مثل هذا ، فبنفس ما يسمعون الخطاب من الله تقوم معهم مرتبة هذا الخطاب ، فيتنزلونه فيها من غير مشقة ، والحمد لله الذي رزقنا الراحة في هذا المقام ، فإنه كشف لطيف ، وذلك أن الخطاب الإلهي العام من جميع الموجودات مرتبة ذلك من القول تصحبه ، فإنه قول إلهي في نفس الأمر ، وإن كان لا يعلمه إلا القليل ، فعندما يسمعه الكامل من رجال الله تعالى يشهد مع سماعه مرتبته ،

---

(١) هذا رقم الطبعة الأولى، أما في هذه الطبعة فهو ص ٢١٥ .

فيجمع بين السماع وشهود الرتبة ، فيلحقه بها عن كشف من غير مشقة .

هذا هو ترتيب الكلام دون تقديم أو تأخير ، ودون بتر أو حذف ، فعجبت لك يادكتور كمال ، كيف لم تفرق بين خلق الله للأفعال ومنها الكلام ، وبين الحكم على الأفعال بالحلال والحرام ، والحسن والقبيح ؟ فحملت كلام الشيخ كله على الحكم على الأفعال ، وهذا يخالف ما يقصده الشيخ ، فإن السطر الأول الذي بترته وحذفته ، ينص بوضوح على أن الشيخ يتكلم عن الأقوال من نظرتين ، نظرة إلى كونها خلقاً لله ، وهي قوله : « ألسنة العالم كلها أقوال الله » ونظرة إلى الحكم عليها وهي قوله « وتقسيمها لله فيضيف إلى نفسه منها مايشاء ويترك مايشاء » يؤكد النظرة الأولى قوله « فذلك تكوين الحق فيه » وقد أثبت هذه العبارة في كتابك ، ويؤكدها أيضاً الجملة التي حذفتها وهي قوله : « فإن الأمر الإلهي نافذ في المأمور لا يتوقف لأمره مأمور » ويؤكد النظرة الثانية الكلام الذي حذفته (وهو كل ما وضع تحته خط) من الكلام عن المرتبة ، وخاصة قول الشيخ « مرتبة ذلك القول تصحبه » فإنه من تمام الجملة وتمام المعنى ، والمرتبة هنا المقصود بها الحلال أو الحرام ، الخير أو الشر ، الحسن أو القبيح ، وهو الحكم .

مثال يقرب إليك يادكتور كمال قصد الشيخ :-

لو أن إنساناً رمي إنساناً آخر بحجر فأصابه ، ورآهما ثلاثة نفر ، أحدهما رأى الحجر يصيب المرميَّ فالرامي عنده آثم ، والثاني سمع تسبيح الحجر(*) وغاب عن الرامي وعن المصاب ، والثالث سمع تسبيح الحجر ورأى الحجر يصيب المصاب فالرامي عنده آثم ، فأي الثلاثة أكمل ؟ فإن قلت : الذي سمع تسبيح الحجر وحكم بإثم الرامي ، قلنا لك : هذا قصد الشيخ الذي التبس عليك ، والسباب هناك بدل من الحجر هنا . وإن قلت : هذا افتراض وادعاء ومزاعم لا تستند إلى دليل ولا يقبلها العقل ، فإنا لم نسمع بمثل هذا عن أبي بكر ولا عمر ، ولا نقل عن أحد من السلف أو الخلف ، قلنا : هذه نظراتك في معتقدات ابن عربي .

فهل بعد هذا البيان يادكتور ترى أن ما قاله الشيخ عن « طيب كل شيء » ذوق وشطح كما قلت في ص ٦٦ من نظراتك ، أم أنك أخطأت فهمه ولم تصب قصده ، لما

(*) قال تعالى : ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ وورد في الصحيح سماع الصحابة تسبيح الحصى في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قدمت وأخرت وبترت وحذفت ، فنسبت إلى الرجل ما لم يقله في المثال الأول ، وما لم يقصده في المثال الثاني ؟ ياويلتي ماذا يقول قسم الدراسات الإسلامية في جامعة الملك عبد العزيز ورئيسه ، عندما يتضح له خطؤك بعد دراسة سنة كاملة لكتابي ؟ وماذا تقول الجامعات الأخرى في العالم عن قسم الدراسات الإسلامية في جامعة الملك عبد العزيز عندما تكتشف هذا الخطأ الفاحش ، في أمر هو في غاية الوضوح للقارىء العادي ، فضلاً عن الباحث المحقق المتخصص ؟ هذان المثالان قدمتهما إليك ، نموذجاً ينطبق على كل ما جاء في نظراتك في معتقدات ابن عربي .

رابعاً : موضوع ختم الولاية المحمدية :

سيدي الدكتور كمال ، لقد أوضحت في كتابك وهو حق ، أن الذي يعنينا النصوص ذاتها ، كما جاء في ص ١٢ ، ١٣ ، ٢٤ فإن الرجال يعرفون بالحق ولا يعرف الحق بالرجال ، فلِمَ لم تلتزم بهذا الشرط يا أخي ؟ وقد أشرت في كتابٍ موضوع دراستك في ص ٢٤٣[1] ونبهت إلى الرجوع إلى كتابنا « الرد على ابن تيميه » عند بحث هذا الموضوع ، والكتاب بين يديك في مكتبة الجامعة ، هذا الموضوع قد جمع فيه كل النصوص الواردة عن ابن تيمية وعن ابن العربي ، ويتضح منها للمنصف المتجرد خطأ ابن تيمية في فهم موضوع ختم الولاية العامة وختم الولاية الخاصة ، فضلاً عن خطئه في كل ما نسبه إلى ابن العربي في فتاويه .

لماذا كررت ياسيدي كلام ابن تيمية في هذا الموضوع والتزمته ، وتغاضيت عن النصوص الثابتة في هذه المسألة ، وفي حق أبي بكر وعمر كما جاء في كتابنا « الرد على ابن تيمية » هذا نقص في دراستك ومناقشتك للمسألة بأسلوب علمي وفكر متجرد ، كما تقول في ص ٢٤ ، فأرجو منك الرجوع إلى النصوص التي بين يديك ، لعلك ترجع عن كل ما قلته في هذا الموضوع في نظراتك . . . . أو قد لا ترجع عنها .

خامساً : الإسراء والمعراج :

سيدي الدكتور كمال ، كيف سمحت لنفسك ، وأنت الرجل الفاضل والباحث المكلف بالدراسة ، بإيهام القارىء أن الشيخ ابن العربي يزعم أنه أسري به وعرج كما أسري

(١) هذا رقم الطبعة الأولى أما في هذه الطبعة فهو ٢٤٢

برسـول الله ﷺ وعـرج؟!! كما جاء في كتـابـك ص ٨٨ وأخفيت عن القـارىء النص الصريح ، وهو ما التزمت به في البحث ، فلم تشر لا من قريب ولا من بعيد إلى ما قدم به هذا الموضوع في ص ١٢٦[1] من كتابنا موضوع دراستك وبحثك ، من أن إسراء الأولياء ومعراجهم معنوي لا حسي ، وليس كإسراء وعروج النبي ﷺ حيث يقول الشيخ : « إن للأولياء الإسراء في الأرض وفي الهواء، غير أنهم ليست لهم قدم محسوسة في السماء ، وبهذا زاد على الجماعة رسول الله ﷺ بإسراء الجسم واختراق السموات والأفلاك حساً ، وقطع مسافات حقيقية محسوسة ، وذلك كله لورثته معنى لا حساً من السموات فما فوقها».

لا لا يادكتور ، ليس هذا ما ارتضيته وجعلته منهاجاً للبحث كما جاء في نظراتك ص ٢٤ .

سيدي الدكتور كمال ، هذه نماذج من نظرتي في نظراتك ، ولا أحب أن أتتبع كل ما قلته فيها حتى لا تطول هذه الرسالة وتصبح كتيباً مثل كتيبك ، بل أكتفي بما قدمت ليدل على أن كل ما جاء في دراستك مردود عند كل فاحص متجرد ، غير متأثر بمذهب معين ولا مدرسة مخصوصة، معلوم رأيها وحكمها على الصوفية وأولياء الله تعالى . ولقد صدقت ياسيدي الدكتور في قولك في ص٢٤ « وعين المحب لا تعطي الحقائق خالصة ، وإنما تلونها بالقبول بل بالاستحسان وكذلك عين المبغض . . وقال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... كما أن عين السخط تبدي المساويا

ولا أظنها البغض كما جاء في نظراتك .

وأقول ياسيدي الدكتور إن لبعض الناس ، في هذا البيت على انفراد فهماً خاصاً، أعمق وأرق وأدق مما ذهبت إليه ويذهب إليه أكثر الناس من المفهوم الأول فيه ، وهو أن الشطر الأول يشير الى صفة من أحبك لنفسه ، فإنه ينظر إليك بعين الحب ليهنأ ويسعد ، فإنه لنفسه يعمل ويسعى ، ويبقي عليك العيب وإن كنت تشقى به ، وأما الشطر الثاني فهو يشير إلى صفة من أحبك لك ، فيظهر لك عين السخط ويبدي لك مساويك لتقلع عنها فتسعد ، فإنه لك يعمل ويسعى .

---

(١) هذا رقم الطبعة الأولى أما في هذه الطبعة فالرقم ١٢٤ .

وعلى أي المفهومين شئت واخترت ياسيدي الدكتور ، أقول لك : لقد أوضحت خطأ الإمام ابن تيمية فيما نسبه إلى الشيخ ابن العربي في فتاويه في كتابي « الرد على ابن تيمية »

وبقي أن أوضح لك ولقسم الدراسات الإسلامية في المملكة العربية السعودية ، لا في جامعة الملك عبد العزيز فحسب ، أن كتاب « مدارج السالكين » لابن القيم ، وقد جعلته مرجعاً من مراجع بحثك ، وهو في المملكة وعند علمائها من أهم مصادر الأدلة ، لا يصلح أن يكون مرجعاً علمياً ، لما فيه من فاحش الأخطاء والمثالب التي لا تصدر عن عامي ولا معلم ولا مؤدب ، فضلاً عن فقيه ، وإني على استعداد إن لم تكن دراستكم هذا المرجع المقدم عندكم قد كشفت لك عما فيه ، فإني على استعداد أن أوقفك وقسم الدراسات الإسلامية على هناته مسألة مسألة ، مع رقم الجزء والصفحة ، ولا تأخذ من دراستكم سوى دقائق لا سنة ولا سنوات ، لتقف منها كيف يخطىء ابن القيم ضبط عبارة الإمام الهروي لغوياً ، فيفسد جميل المعنى الذي أتى به الإمام الهروي ، ثم ينحو باللائمة على الإمام الهروي في تعبيره ، هذا فضلاً عما في « مدارج السالكين » من قبيح التصور والافتراض وسوء البيان .

سيدي الدكتور كمال ، لقد كانت خلاصة بحثك ودراستك لكتابي « الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي » هي ما جاءت في ص ٨٧ من نظراتك وهو قولك « كل ما قدم ادعاءات ومزاعم لا تستند إلى دليل . . ولا يقبلها عقل » فالحمد لله الذي هداني وما غاب عني أن هناك من لا ينكر الولاية أصلاً في العموم ، ولكن لا يقبل عقله بعض الروايات ويشك في صدق الراوي ، وقد أثبتُّ يا سيدي الدكتور أنك واحد منهم بنص عبارتك ، أما تمام كلامك « منها ما هو كفر وإلحاد » فهذا هو محل الخلاف بين العلماء ، فمنهم مصيب ومخطىء في التأويل ، وقد أوضحت لك في رسالتي هذه ، كيف أخطأت في فهمك النصوص الواضحة ، والباقي متروك للسادة العلماء لمن أراد أن يدخل معك في المناظرة .

سيدي الدكتور ، أما عن دفعي إلى طريق أهل الحق من قبل مشايخي كما جاء في نظراتك ص ٢٤ وتساؤلك وتعجبك ، فهي ياسيدي قصة حياتي ويالها من قصة يادكتور ، ليس محلها هذه الرسالة .

ووالله يا سيدي الدكتور كمال إن عذرك عندي قائم ، لأنك لم تجتمع بمن اجتمعت أنا به من الرجال والنساء ، ولم تر منهم ما رأيت ، ولا سمعت منهم ما سمعت ، فإنك ياسيدي حددت حدوداً للولاية عند الله ، تصورتها وأتيت بنصوص تأولتها ، وظننت أن هذا هو الدين الخالص لا شيء غيره ، فلم تسلم الأمر لمن خالفك أو رأى غير رأيك ، وكم كنت أود أن أكتب إليك بعض ما حدث لي مع شيخي الشيخ محمد المختار رحمه الله ، وهو من أفاضل علماء أهل المدينة المنورة ، وهو من أهل ديرنكم ، وإخوته من علماء جامعة أم القرى ، ولكن تضيق هذه الرسالة عنها .

أختم رسالتي هذه بالتعليق على دعوتك إلى إحراق كتابي ، فأقول : لو أنك ياسيدي الدكتور قرأت آخر ما جاء في ردي على الشيخ علي الطنطاوي لكفاك ، ولكني أزيدك مع هذه الرسالة صورة أربعة كتب ، واحد من رئيس قسم بجامعة دلهي بالهند وهو الدكتور سليمان أشرف ، والثاني للمهندس عاطف مخلوف من مصر ، وهما عن نفس الكتاب الذي تدعو إلى حرقه ، والثالث للدكتور عدنان الخطيب رئيس مجلس الدولة سابقاً بسوريا ، والرابع آخر رسالة وصلتني من السودان بتاريخ ١٩٨٦/١/٣٠ يطلب صاحبها كتبي بأي ثمن ، فأقول ياسيدي الدكتور إن هؤلاء الرجال وأمثالهم ، إما فهموا من كتابي الذي درسته ومن كتبي الأخرى ما لم تفهمه ، وإما أنهم وأمثالهم لم يكتشفوا ما اكتشفته أنت فيها من كفر وإلحاد ، فأي الفريقين أهدى ؟ الله أعلم .

توافق عجيب يدعو للدهشة والنظر ، الدكتور كمال محمد عيسى يخطىء فهم النصوص في كتاب « الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي » وينسب إلى الشيخ ابن العربي ما لم يقله ، والمجلة العربية في عددها رقم (٩٨) ديسمبر (١٩٨٥) وهي المجلة الثقافية في المملكة العربية السعودية ، تقدم لكتاب الدكتور كمال عيسى « نظرات في معتقدات ابن عربي » فتخطىء في فهم مقاصد الكاتب وتنسب إليه ما لم يقله!! فهل هذا ياسيدي الدكتور ، مظهر من مظاهر آخر الزمان ، أم هو مصيبة من المصائب التي تحل بالمسلمين في هذا الزمان ؟

أنا معرفش .

سيدي الدكتور كمال ، لك كامل احترامي ، وأرجو أن يتصل حبل الود بيني

وبينكم ، فتستمـر هذه المنـاقشـة العلمية الهـادئـة الـرزينـة ، فنستفيد من دراستكم وتوجيهاتكم ، وتستفيدون من اكتشافنا لأخطائكم .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

محمود محمود الغراب

سوريا - دمشق - ص. ب ٢٣٣ .

صورة إلى رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز - جده .

صورة إلى الشيخ عبد العزيز بن باز كبير علماء المملكة العربية السعودية - الرياض .

صورة إلى شيخ الأزهر - جمهورية مصر العربية - القاهرة .

صورة إلى المجلة العربية - المملكة العربية السعودية - الرياض .

هذه صورة رسالة الدكتور عدنان الخطيب، رئيس مجلس الدولة بسوريا سابقاً، ونائب رئيس المجمع العلمي بسوريا

عدنان الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى فضيلة الاستاذ المحترم الشيخ محمود محمود غراب حفظه الله

تحية طيبة مباركة وبعد ،

لقد وافتني هديتك القيمة وهي تضم كتبك الخمسة من فقه وحياة وآراء الشيخ الاكبر محيي الدين ابن العربي رضي الله عنه . لقد سعدت بقراءتها ، كما أفدت منها زيادة اطلاع وسعة معرفة وتفسير غموض .

لقد رأيتك في كتبك هذه ، تضيف إلى مكانة الشيخ الاكبر تغمده الله بالرحمة والرضوان ، عالما متصوفا ومفكرا حكيما ، فقيها على درجة عالية من الاجتهاد برأى يجمع بين طياته التسهيل والتخفيف مستندا في ذلك الى سماحة الشريعة ومقاصدها الغائية .

وكما انك سهلت في كتبك وعرا يلاقيه سالكو الطريق والباحثون عن معالمه ، ويسرت صعبا على مبتدئ الفهم والطامحين الى ادراكهما ، فانك فيما كتبت وجمعت ، قد قربت البعيد من ظاهر الحنيفية السمحاء ما استطعت إليها ، كما بعدت القريب من الشبهات ما تمكنت عنها ، اضافة الى تفسيرك بعض ما انغلقت معانيه على طائفة كبيرة من الباحثين والدارسين

جزاك الله خير الجزاء على ما بذلته من جهد ودأب وزادك علما ينتفع به .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

عدنان الخطيب

دمشق في ١/٢/١٤٠٤هـ

هذه صورة رسالة الدكتور محمد سليمان أشرف رئيس قسم اللغة العربية بجامعة دلهي ـ الهند

M. S. Ashraf
M.A., Ph.D. (Cairo)

Department of Arabic
University of Delhi
DELHI-110007

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلوة والسلام على رسوله الكريم



Dated ...

الأستاذ الفاضل المحترم

تحية وإجلالا

وبعد فقد استلمت قبل مدة قليلة هديتكم القيمة الغالية "الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي، ترجمة حياته من كلامه" من الأخ الكريم ذكر الرحمن. وإنه انتقل الآن إلى الهند للظروف غير الملائمة هناك ولم يستطع الإتيان ببعض النسخ لهذا الكتاب (أو بالضبط نسختين إحداهما لي والأخرى للأستاذ أعزازي).

والحمد لله والشكر لله على أنني ما حرمني من استفادة هذا الكتاب العظيم النفيع وجم الفوائد. جزاكم الله خير الجزاء على هذا الجهد العظيم. فجمعتم ما جمعتم من معلومات لا تعد ولا تحصى عن حياة الشيخ الأكبر من كلامه. وبدون شك أنكم جديرون بكل تقدير وثناء.

وأخيرا تقبلوا مني وافر الاحترام

ودمتم للمخلصين

المخلص
محمد سليمان أشرف

Zakir Husain College Staff Hostel
Ajmeri Gate
Delhi-6

هذه صورة رسالة الأستاذ أحمد عبد الله أبو بكر من أم درمان ـ السودان

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على مولانا محمد السلطان الأعظم ... والنائب العام الأكرم، باب الرحمة المفتوح عند إنغلاق جميع الأبواب في وجوه المذنبين وقبس الرجاء المتموج عند سيطرة اليأس على تأوب المعذبين ... الباسط يد الإحسان لكل تائب ليأخذ بيمينه إلى الصف الأول والمستغفر للغافلين من أمته لينقذهم بجاهه من الهبوط للدرك الأسفل وطوبى لكل منتسب إليه ويا فرحة المكثرين من الصلاة والسلام عليه

جعلنا الله والكرام المنتسبين إليه ومن المكثرين من الصلاة والسلام عليه .. آمين

حضرة الأستاذ الفاضل الأخ في الله تعالى فضيلة مولانا / محمود محمود الغراب .. حفظه الله وأكرمه ونفعه وجعلنا وإياكم من زمرة رجال سيدنا محمد .. خاصة خاصته صفوة أحبابه .. خلص جنده خواص أعتابه .. أتقى فرسانه أشبه غاياته .. ببركته وجاهه وجنابه .. آمين آمين ...

سلام الله عليكم ورحمته تعالى وبركاته .. ومغفرته ورضوانه .. تحية من عند الله مباركة طيبة .. وبعد ...

لقد وقعت عيني على بعض مؤلفاتكم العظيمة النادرة عن الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن العربي قدس الله سره العالي .. ونفعنا وعامة المسلمين به فحمدت الله تعالى أن قيض الله لهذه الأزمنة أمثالكم ممن يؤلفوا ويشرحوا ويحققوا ويحفظوا لنا هذه الدرر الثمينة فجزاكم الله عن الإسلام وعن أمة محمد ما أنتم أهله خيراً في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله ..

ثم إني تمنيت أن أشتري هذه المجموعة كاملة سواء أكان ذلك عن طريق الإهداء أو بأي قيمة وثمن ... وها أنذا أبعث إليكم طالباً التكرم بإرسالها إلي كاملة مع التفاصيل بكيفية السداد وتفضلوا بقبول عاطر تحياتي وعميق شكري وإعجابي وأمنياتي .. وصلى الله والملائكة والمؤمنون على سيد البشر محمد صاحب الزعامة والإمامة، النبي الخاتم للإسلام والزعيم الجامع للمسلمين ﷺ

أخوكم في الله ورسوله /

أحمد عبد الله أبو بكر

أم درمان / السودان

ملحوظة: [illegible]

العنوان بعد:

جمهورية السودان الديمقراطية

أم درمان ص ب ٨٨

إبراهيم عباس ومنه لسيد/ أحمد عبد الله أبو بكر

بزاوية الأسرة الإدريسية

أم درمان

هذه صورة رسالة المهندس عاطف مخلوف من القاهرة - جمهورية مصر العربية - وفيها يقول:

فأما كتاب «ترجمة حياة الشيخ الأكبر» فقد وجدنا فيه أكثر ما غاب عنا من سلوك الشيخ وطريقته وهي طريقة فريدة تدل على عظم اتباع الشيخ الأكبر واستقامته على الطريق المستقيم ونفي ما اتهمه به ابن تيمية ومن سار على دربه كما أن الكتاب يكشف عن علو مقام الشيخ الأكبر بما فتحه الله عليه من العلوم الغريبة وبما من الله عليه من المقامات العالية. ومن يقرأ هذا الكتاب - وإن كان مخالفاً - لا يملك إلا أن يشهد بصدق الشيخ الأكبر فيما يخبر عنه وعلو كعبه فيما يكتب لعمق الفكرة وتناسقها، فجزاكم الله خيراً على ما جمعتم وحققتم وبيّنتم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد
المبعوث رحمة للعالمين

دمشق في ٦ رجب ١٤٠٦ هـ الموافق ١٦/٣/١٩٨٦ .

حضرة صاحب السماحة الشيخ / عبد العزيز بن باز(*) .

كبير علماء المملكة العربية السعودية، ورئيس مراكز الدراسات الإسلامية .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحية واحتراماً وبعد :ـ

أكتب إلى سماحتكم هذه الرسالة أقصد بها الاحتكام إليك ، وتحكيمك فيما أعرضه عليك، وذلك لما أولاك الله تعالى وولاك واسترعاك، وأنا أعلم أن فضيلتكم تذكر الناس بقوله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل، إن الله نعما يعظكم به ، إن الله كان سميعاً بصيرا ﴾ وبقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا لله إن الله خبير بما تعملون ﴾ ولذلك فإني أطلب النَصَف في هذه القضية .

سيدي كُلِّف الدكتور كمال محمد عيسى من قسم الدراسات الإسلامية، بجامعة الملك عبد العزيز بجده بإجراء دراسة عن كتابي « الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي ، ترجمة حياته من كلامه » وقد أصدر بعد دراسته كتيبا تحت عنوان « نظرات في معتقدات ابن عربي » يرد فيه على ما تخيله مخالفاً للأصول واختصاصات النبوة ، وقد أرسلت إليه رداً على كتيبه بينت فيه خطأه في فهم النصوص الواضحة ، وتجاهله النصوص الثابتة ، وقد أرسلت إلى فضيلتكم صورة هذا الرد بالمسجل رقم ٧٦ بتاريخ ٤/٢/٨٦ للوقوف على خطأ الدكتور كمال عيسى في دراسته ، واحتفظت لفضيلتكم بمسألة واحدة أضعها بين أيديكم ، أطلب منكم الحكم فيها لأنها تتعلق بمسؤوليتكم عن رعاية الدراسات الإسلامية في المملكة العربية السعودية، والمسألة هي :

(*) أرسلت هذه الرسالة بالمسجل رقم ١٧٥ بتاريخ ١٧/٣/١٩٨٦ من دمشق .

جاء في كتاب الدكتور كمال محمد عيسى « نظرات في معتقدات ابن عربي » في ص ٤٦ ما نصه : اسمعه يقول (يعني الشيخ ابن عربي) .

العبد رب والرب عبد :	ياليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك رب :	أو قلت رب أنى يكلف

ثم أخذ الدكتور كمال يشرح فهمه في هذه الأبيات ويتكلم عما يراه من رأي هدام مدمر فيها . سيدي فضيلة الشيخ .

إذا سئل الدكتور كمال محمد عيسى عضو قسم الدراسات الإسلامية في جامعة الملك عبد العزيز ـ ولابد أن يكون باحثاً محققاً لا شخصاً يلقي الكلام على عواهنه ـ إذا سئل : أين قال ابن العربي هذا الكلام؟ وفي أي كتاب من كتبه ذكر هذه الأبيات؟ فبماذا يجيب الدكتور الباحث المدقق، وهو أعجز من أن يجد هذا الكلام في كتاب من كتب الشيخ؟!!

لقد سهلت على الدكتور كمال وغيره من الباحثين تحقيق هذه الأبيات وأوضحنا الدس فيها والتزوير ، في مقدمة كتابنا الرد على ابن تيمية «ص ١٠» ثم ذكرنا الأبيات الصحيحة وهي :

العبد حق والرب حق	ياليت شعري من المكلف .
إن قلت عبد فذاك ميت	أو قلت رب أنى يُكلف

وأوضحنا المراجع الموجودة فيها الأبيات الصحيحة وهي أربعة كتب للشيخ ابن العربي ثابت نسبتها إليه(*)، ثم ذكرت في كتابي «شرح كلمات الصوفية» ما قاله ابن العربي بنص كلامه في شرح هذه الأبيات من ص ٣٦٧ إلى ص ٣٧٥، وهذا الكتاب موجود بجامعة الملك عبد العزيز، بين يدي الدكتور كمال، كما هو موجود بين يدي سماحتكم .

نعم، يحق للدكتور كمال أن يرفض ويبين خطأ ابن العربي في قصده بهذه الأبيات إن وجد فيه ما ينكره ، ولكن لا يحق له أبداً أن يترجم الأبيات إلى معان لم يقصدها صاحبها، وخصوصاً بعد أن نص على قصده بها .

(*) الكتب الأربعة هي : الفتوحات المكية ج ١/٢، ٥٥٢ ـ كتاب مواقع النجوم ـ كتاب التنزلات الموصلية ـ كتاب المسائل.

سيدي فضيلة الشيخ ، هل يجوز شرعاً للدكتور كمال أن ينسب إلى الشيخ ابن العربي ما لم يقله وما ثبت انه مزور مدسوس عليه، ويتجاهل الأبيات الصحيحة مع نص صاحبها على قصده بها؟ هل هذا هو الدين ياسماحة الشيخ؟ وأي إسلام هذا؟ هل هذا عمل يرضي الله ورسوله؟ وهل ترضى أن تكون مراكز الدراسات الإسلامية في المملكة - وفضيلتكم المشرف عليها - مراكز لنشر الزور ودعمه، وطمس الحق وإخفائه، تحت ستار الدراسات الإسلامية؟

سيدي فضيلة الشيخ ، لا أظن أبداً أن هذا العمل يرضيك، كما لا يرتضيه أحد من علماء المسلمين، ولهذا فإني أحتكم إلى فضيلتكم في هذه المسألة المعينة، فإنه لابد أن يكون قد اتضح لكم، كما اتضح للدكتور كمال من رسالتي إليه، كيف أخطأ في فهم النصوص، لخطئه في ضبط اللغة العربية، وتجاهله أصول الالتزام بالنصوص كما أسس لدراسته.

سيدي سماحة الشيخ ، أنا في انتظار حكم منكم في هذه القضية بعد تحقيقها، وفي حال تجاهل فضيلتكم الرد عليّ كما عودتمونا، فالموعد بيني وبينك بين يدي الحكم العدل، يوم فصل القضاء إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمود محمود الغراب

دمشق ص ب ٣٣٣



صورة إلى الدكتور كمال محمد عيسى - جامعة الملك عبد العزيز. مسجل رقم ١٥٦ بتاريخ ١٧/٣/١٩٨٦ .

صورة إلى شيخ الأزهر - مصر - مسجل رقم ١٥٤ بتاريخ ١٦/٣/١٩٨٦ .

صورة الى المجلة العربية - الرياض - مسجل رقم ١٥٥ بتاريخ ١٦/٣/١٩٨٦ .

هذا المقال قامت بنشره باللغة الانكليزية جمعية الشيخ محي الدين ابن العربي في أكسفورد، في كتابها التذكاري عن الشيخ الأكبر الصادر عام ١٩٩٠، بمناسبة مرور سبعمائة وخمسين سنة على وفاته .

الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي بين الأديان والمذاهب

بسم الله الرحمن الرحيم

قيل عن أبي الطيب المتنبي : إنه الرجل الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، ولا شك أن هذه المقولة أولى بالإطلاق على الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي، فإنه ما اختلف الناس بعد النبوات في أحد بمثل ما اختلفوا في الشيخ الأكبر، فذهب البعض إلى أنه قد حاز أعلى المراتب في الولاية المحمدية، وأنه وارث محمدي، وأنه إمام أهل التحقيق والشهود والوجود، وذهب الأخرون إلى اعتباره من أهل الزندقة والإلحاد، ونسبوا إليه القول بالاتحاد ووحدة الوجود، ونظره العلماء في الشرق والغرب على أنه فيلسوف فذ من فلاسفة الإسلام والديانات، واعتبره بعضهم أنه يقول بوحدة الأديان، ونسبه آخرون إلى الباطنية، مثل الإسماعلية وغيرهم، وغرق أكثر أهل العلم في بحور ما جاء به الشيخ من علوم الأسرار، وتاهوا في حل وشرح رموز إشاراته وتلميحاته عن علوم الأذواق، فغابوا عن مكانة الشيخ العلمية والفقهية، وتنازعه أهل السنة والشيعة، كل منهم ينسبه إلى طائفته، كل ذلك دعاني إلى البحث في تحديد أين يقف الشيخ من هذه المذاهب والطوائف، ملتزماً طريقتي في البحث والتحقيق، وهي الاعتماد على النصوص الصريحة من كلام الشيخ الأكبر، في كتبه المتنوعة والتي ثبت صحة نسبتها إليه .

الشيخ الأكبر وأهل السنة

لقد بلغ ونما إلى الشيخ الأكبر في حياته أن بعض أهل العلم ينسبونه إلى تقليد الإمام ابن حزم، فادعى بعض علماء أهل السنة من المتقدمين والمتأخرين أن الشيخ ظاهري المذهب، لذلك نراه يقول :

نســبــوني إلى ابـن حزم وإني لست ممن يقـول قال ابن حزم
لا ولا غيره فإن مقــالي قال نص الكتـاب ذلك علمي
أو يقــول الـرسـول أو أجمـع الخلــق على ما أقـول ذلـك حكمي[1]

ولتحقيق ما قاله الشيخ نجده يخالف الظاهرية في الأصول والفروع، فمن الأصول التي خالفهم فيها، قوله في تعارض الآية من القرآن مع الخبر الواحد الصحيح: إن الخبر عنده ظني الدلالة، وهو في أصول الظاهرية على اليقين والقطع[2] والظاهرية لا تقول بما ذهب إليه الشيخ ابن العربي من مراعـاة المقاصد الشرعية[3] ولا أن القول بالمفهوم ضعيف في الدلالة، لأنه لا يكون حقاً في كل موضع[4]، وأما مخالفته للظاهرية في الفروع فهي كثيرة، مثال ذلك حكم لمس النسـاء، وأنه ليس بناقض للوضوء عنده[5] وقوله بالصلاة على مَنْ قَتل نفسه، وهذا في غاية الوضوح من عدم الوقوف مع جمود ظاهر النص، فإن الحديث الوارد فيمن قتل نفسه جاء بكلمة «خالداً مخلداً في النار» وعند الشيخ هذا الحديث إنما هو للزجر[6] وهذا لا يقول به الظاهري، أما موافقته لأهل الظاهر في عدم القول بالقياس، فإن بالقياس عنده كثر التكليف على الأمة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التقليل والتخفيف على أمتـه من التكـاليف، وبـالقياس زاد التكليف، ومع ذلك نجده يدافع عن القائلين بالقياس، ويجد لهم العذر الشرعي ويثبته[7] وهذا يرفضه الظاهري.

هذا من حيث نسبته للمذهب الظاهري، أما بالنظر إلى المذاهب الأخرى لأهل السنة والجماعة، فمعلوم أنَّ الشيخ رضي الله عنه من المتأخرين، وقد حَصَّلَ الكثير من علوم الكسب، كما ذكر عن نفسه مما تلقاه من شيوخ وعلماء عصره، وقد أشار في الفتوحات المكية إلى أنه اطلع على كل مسألة فقهية، بجميع ما قيل فيها حتى زمانه، مع أدلة القائلين بها[8]، فتيسر له علم الصحيح منها من الضعيف، فنجده قد وافق المذاهب الأخرى ـ مثل الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة ـ في جوانب ومسائل من أصول الفقه وفروعه، وخالفهم في

---

(١) الديوان / ٤٧.
(٢) ف ح ٢/ ١٦٣
(٣) ف ح ٤/ ٤٦٨
(٤) ف ح ٤/ ٢٨٩
(٥) ف ح ١/ ٣٥٥
(٦) ف ح ١/ ٥٣٤
(٧) ف ح ٢/ ١٦٢، ١٦٣ ـ ح ٣/ ٢٣٠
(٨) ف ح ١/ ٣٤٤

أخرى، مثل ما خالف بعضهم بعضاً في اجتهادهم، كما وافق الظاهرية في بعض الأصول والفروع، وخالفهم في بعضها الآخر، ثم انفرد هو باجتهادات لم يُسبق إليها أصلاً، وبذلك كان مجتهداً مطلقاً، غير مقلد أو تابع لمذهب من المذاهب، مثال ذلك قوله في تعريف الاجتهاد «لا نقول بأن الاجتهاد هو ما ذكره علماء الرسوم، بل الاجتهاد ـ عندنا ـ بذل الوسع في تحصيل الاستعداد الباطن الذي به يقبل التنزل الخاص[٩] . . . فلا يُلقى إلى هذا المجتهد الذي ذكرناه إلا ما هو الحكم عليه في نفس الأمر، حتى إنه لو كان الرسول صلى الله عليه وسلم حياً لحكم به»[١٠] ومثال آخر من اجتهاده في الفروع، قوله في المكي ـ يُحرِمُ بالعمرة دون الحج ـ «إنه يحرم من بيته بالعمرة كما يحرم بالحج»[١١] وقد نقل الإمام ابن تيمية ـ وهو من أشد منتقدي الشيخ ابن العربي ـ هذا الاجتهاد ونسبه إلى نفسه[١٢] لأنه ممن قرأ الفتوحات المكية، ولم ينسب هذا الحكم إلى الشيخ الأكبر ولا أشار إلى مصدره، ونرى الشيخ ابن العربي يوسع على الأمة المحمدية فيقول: «لا تصح المنكرات ـ أي الحرام النص ـ إلا بما لا يتطرق إليه الاحتمال»[١٣] فبذلك يُغَلِّبُ رفع الحرج عن الأمة، وييسر على المقلد الذي لا علم له، فيقول بعدم التزام المقلد مذهباً بعينه رحمة به، فله الاتساع في الشرع[١٤] فمذهب الشيخ الفقهي مذهب التيسير على الأمة، فما من رخصة يقول بها الشارع إلا وهو يثبتها في موضعها، ولا يوجد أمران من الشارع إلا اختار أيسرهما، وقد أوضحنا ذلك في كتابنا «الفقه عند الشيخ الأكبر».

الشيخ الأكبر والشيعة

اعتبر علماء الشيعة وأئمتهم الشيخ الأكبر ابن العربي من أكابر علمائهم ومفكريهم، وممن نَسَبَ التشيع إلى الشيخ ابن العربي، عبد الرزاق الكاشاني الذي شرح فصوص الحكم وترجمها إلى الفارسية، وهو شيعي باطني، وله كتاب «تأويلات الكاشاني» الذي يُنْسَبُ (خطأً) إلى الشيخ الأكبر تحت اسم «تفسير ابن عربي» وهو مطبوع في مجلدين، ولا شك أن الكاشاني والحموي وعزيز النسفي وغيرهم ممن ترجم كتب الشيخ إلى الفارسية، قد

---

(٩) يشير إلى قوله تعالى ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾
(١٠) ف ح ٣/ ٣٧٠
(١١) ف ح ١/ ٦٩٨
(١٢) كتاب المناسك لابن تيمية ـ طبعة دار المنار ـ طبعة عام ١٣٦٨هـ
(١٣) ف ح ٣/ ٥٦٣
(١٤) ف ح ٢/ ٢٥٢ ـ ح ٤/ ١٤٢، ٤٩١

أفسد وحرّف فيها عن قصدٍ وتعمد، أو عن سوء فهم لعبارات الشيخ، وقد يكون لهم يد في تحريف النسخ العربية لكتب الشيخ الأكبر مثل «فصوص الحكم» وغيره، مما أساء إلى الشيخ الأكبر عند كثير من علماء المسلمين، الذين اتهموه في عقيدته، ونسبوا إليه ما لم يقله في كتبه الثابت صحتها ونسبتها إليه، وقد أوضحت ذلك في كتابي «شرح فصوص الحكم» بمقارنة أكثر من ثمانين مسألة جاءت مخالفة تماماً لما هو ثابت عن الشيخ في كتبه المعتمدة ـ مثل الفتوحات المكية وغيرها ـ .

يتساءل البعض ـ ممن لم يحقق أو يطلع على آراء الشيخ ـ عن الخلفية المشتركة بين ابن العربي ومتقدمي علماء الشيعة؟ فأقول: إن ما يتوهمه البعض من خلفية مشتركة ناتج عن الفهم الخاطيء، أو التحريف المتعمد، من الشيعة لما كتبه الشيخ ابن العربي في الفتوحات المكية عن الأقطاب المحمديين الاثني عشر[١٥] وظن الشيعة أنه يقصد بذلك الأئمة الاثني عشر عندهم، ثم بنوا على ذلك كل تحريفهم لمفاهيم ابن العربي، مثل معنى الولي عند النسفي، ويسميه صاحب الزمان، وهو مخالف تماماً لما يوجد عند ابن العربي، كما أوضح ذلك الدكتور جيمس موريس JAMES MORRIS فيما نشره[١٦] .

ولتحقيق انتماء الشيخ ابن العربي وجب علينا أن نقرأ ما كتبه بخط يده عن الصحابة عامة وعن أبي بكر وعن عمر رضي الله عنهما خاصة، وعن الشيعة والإمامية، فنجده يقول عن الصحابة عموماً:ـ «أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، فازوا بالمقام العلي هنا وفي دار السلام، أعلى درجات القربة، التحقق في الإيمان بالصحبة، لا يبلغ أحدنا مُدَّ[١٧] أحدهم ولا نصيفه، ولا يصلح أن يكون وصيفه، نحن الإخوان فلنا الأمان، وهم الأصحاب فهم الأحباب»[١٨] ويقول : «أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الظن بهم جميل، رضي الله عن جميعهم، ولا سبيل إلى تجريحهم، وإن تكلم بعضهم في بعض فلهم ذلك، وليس لنا الخوض فيما شجر بينهم، فإنهم أهل علم واجتهاد، وحديثو عهد بنبوة، وهم مأجورون في كل ما صدر منهم عن اجتهاد، سواء أخطؤوا أم أصابوا»[١٩] .

أما عن أبي بكر رضي الله عنه فنراه يقول: «أرفع الأولياء أبو بكر رضي الله عنه،

---

(١٥) ف ح ٣/٣٢٣ـ ح ٤/٧٧، ٨٢ (١٦) مجلة الجمعية الشرقية الامريكية عام ١٩٨٦

(١٧) المُدّ كيل من المكاييل (١٨) كتاب القربة ـ رسائل ابن عربي (١٩) ف ح ١/٥١٨

فلابد من طائع وكاره ، يدخل في الأمر على كره، لشبهة تقوم عنده إذا كان ذا دين، أو هوى نفس إذا لم يكن له دين، فأما من كره إمامته من الصحابة رضي الله عنهم فما كان عن هوى نفس ـ نحاشيهم من ذلك على طريق حسن الظن بالجماعة ـ ولكن كانت لشبهة قامت عندهم، رأى من ذلك أنه أحق بها منه في رأيه وما أعطته شبهته ـ لا في علم الله ـ فإن الله قد سبق علمه بأن يجعله خليفة في الأرض»[20] ويقول: «ما ظهر قط على أبي بكر الصديق رضي الله عنه مما كان عليه من المعرفة شيء ـ لقوته ـ إلا يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهلت الجماعة، وقالوا ما حُكِيَ عنهم إلا الصديق، فإن الله تعالى وفقه لإظهار القوة التي أعطاه، لكون الله أهله دون الجماعة للإمامة والتقدم، والإمام لابد أن يكون صاحياً لا سكران، فقامت له تلك القوة في الدلالة على أن الله قد جعله مقدم الجماعة في الخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته، فعرف الناس حينئذ فضل أبي بكر على الجماعة، فاستحق الإمامة والتقديم»[21] ويقول: «ما بايعه مَنْ بايعه سدى، وما تخلف عن بيعته إلا من جهل منه ما جهل أيضاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو كان في محل نظر في ذلك، أو متأولاً، فإنه رضي الله عنه قد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بفضله على الجماعة بالسر الذي وقر في صدره، ، فظهر حكم ذلك السر في ذلك اليوم»[22] ويقول الشيخ أيضاً: ـ «قد يكون قطب الوقت هو الإمام نفسه كأبي بكر وغيره في وقته»[23] ومن أراد الزيادة فليراجع كتابنا «الرد على ابن تيمية».

أما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فنراه يقول: «هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الصلب القوي، الذي ليس للشيطان عليه سبيل، حسب الشيطان أن ينجو منه. نزل القرآن موافقاً لحكمه، وأداه أن يقول: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»، ما يعرفه من إيمانه وعلمه، قد جمع بين العلم والعيان، وتبرز في صدر مشاهدة الأعيان، ليس أحد من وقته إلى يوم القيامة يبرز أمامه، ولا يكون في حال من الأحوال إمامه»[24].

أما عن الشيعة فنراه يقول: «إذا جالست من تعرف أنه يقع في الصحابة من

---

(٢٠)،(٢١) ف ح ٣/١٦ (٢٢) ف ح ٣/٣٧٢ (٢٣) ف ح ٣/١٣٧

(٢٤) كتاب روح القدس في محاسبة النفس

الروافض، فلا تتعرض ولا تعرّض بذكر أحد من الصحابة ـ الذين تعلم أن جليسك يقع فيهم ـ بشيء من الثناء عليهم، فإن لجاجه يجعله يقع فيهم، فتكون أنت قد عرضتهم بذكرك إياهم للوقوع فيهم»[٢٥] ويقول:

لله فينا ما سكن   وما توارى واستكن
فإنه سبحانه   لقلبنا نِعْمَ السكن
فلا تقولوا ما له   فإنما القلبَ سكن
ولا تكونوا كالذي   غلا لجهل فامتحن
غلو أهل الرفض في   أمر الحسين والحسن[٢٦]؛

ويقول عندما يتكلم على أهل البدع والأهواء: «إن الشياطين ألقت إليهم أصلاً صحيحاً لا يشكون فيه، ثم طرأت عليهم التلبيسات من عدم الفهم حتى ضلوا، فينسب ذلك إلى الشيطان بحكم الأصل، ولو علموا أن الشيطان في تلك المسألة تلميذ لهم يتعلم منهم، وأكثر ما ظهر ذلك في الشيعة، ولاسيما في الإمامية منهم، فدخلت عليهم شياطين الجن أولاً بحب أهل البيت، واستفراغ الحب فيهم، ورأوا أن ذلك من أسنى القربات إلى الله ـ وكذلك هو لو وقفوا ولا يزيدون عليه ـ إلا أنهم تعدوا في حب أهل البيت إلى طريقين:ـ منهم من تعدى إلى بغض الصحابة وسبهم حيث لم يقدموهم، وتخيلوا أن أهل البيت أولى بهذه المناصب الدنيوية، فكان منهم ما قد عُرف واستفاض؛ وطائفة زادت إلى سب الصحابة القدح في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي جبريل عليه السلام، وفي الله جل جلاله، حيث لم ينصوا على رتبتهم وتقديمهم في الخلافة للناس، حتى أنشد بعضهم: ما كانَ مَنْ بعث الأمين أمينا؛ وهذا كله واقع من أصل صحيح، وهو حب أهل البيت، أنتج في نظرهم فاسداً، فضلوا وأضلوا»[٢٧].

ويقول في تفسيره لقوله تعالى ﴿ قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله . . . ﴾ الآية: زعمت اليهود أن الله أمر جبريل أن يجعل النبوة في بني إسرائيل فجعلها في العرب، فاتخذوه عدواً، كما فعلت الرافضة حيث قالوا: إن الله أمر جبريل أن يجعل النبوة

---

(٢٥) ف ح ٤/٤٨٤   (٢٦) الديوان / ٤٦٠   (٢٧) ف ح ١/٢٨٢

في عليّ، فجعلها في محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا من جملة ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يكون في أمته، فقال في الحديث الصحيح: «إنكم تتبعون سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع» الحديث، وفيه «قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ فقال: فَمَن؟» فهذا من ذلك، اتباع الروافض اليهود في نسبة الخيانة لجبريل، فقال تعالى ﴿ قل من كان عدواً لجبريل ﴾ لأجل هذا، فإن جبريل ما فعل شيئاً، ولا تعدى أمر الله، فإن الله أنزله على قلب محمد ﷺ ﴿ بإذن الله ﴾ أي بأمره، فقال تعالى ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك ﴾[٢٨].

[ويقول عند كلامه عن الرجبيين - وهم أربعون نفساً في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون - يقول: رأيت واحداً منهم بدنيسير من ديار بكر، ما رأيت منهم غيره، وكنت بالأشواق إلى رؤيتهم، ومنهم من يبقى عليه في سائر السنة أمر ما مما كان يُكَاشَف به في حاله في رجب، ومنهم من لا يبقى عليه شيء من ذلك، وكان هذا الذي رأيته قد أُبقي عليه كشف الروافض من أهل الشيعة سائر السنة، فكان يراهم خنازير، فيأتي الرجل المستور الذي لا يُعْرَفُ منه هذا المذهب قط، وهو في نفسه مؤمن به، يدين به ربه، فإذا مر عليه يراه في صورة خنزير، فيستدعيه ويقول له: تب إلى الله، فإنك شيعي رافضي، فيبقى الآخر متعجباً من ذلك، فإن تاب وصدق في توبته، رآه إنساناً، وإن قال له بلسانه: تبت، وهو يضمر مذهبه، لا يزال يراه خنزيراً، فيقول له: كذبت في قولك تبت، وإذا صدق يقول له: صدقت، فيعرف ذلك الرجل صدقه في كشفه، فيرجع عن مذهبه ذلك الرافضي، ولقد جرى له مثل هذا مع رجلين عاقلين، من أهل العدالة من الشافعية، ما عُرِفَ منهما قط التشيع، ولم يكونوا(*) من بيت التشيع، ولكن أداهما إليه نظرهما، وكانا متمكنين من عقولهما، فلم يظهرا ذلك، وأصرا عليه بينهما وبين الله، فكانا يعتقدان السوء في أبي بكر وعمر، ويتغالون(*) في عليّ، فلما مرا به ودخلا عليه، أمر بإخراجهما من عنده، فإن الله كشف له عن بواطنهما في صورة خنازير، وهي العلامة التي جعل الله له في أهل هذا المذهب، وكانا قد علما من نفسيهما أن أحداً من أهل الأرض ما اطلع على حالهما، وكانا شاهدين عدلين،

(٢٨) إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن - سورة البقرة / آية ٩٩.

(*) هكذا في الأصل والصحيح: يكونا (*) هكذا في الأصل والصحيح: يتغاليان

مشهورين بالسنة، فقالا له في ذلك، فقال: أراكما خنزيرين، وهي علامة بيني وبين الله فيمن كان هذا مذهبه، فأضمرا التوبة في نفوسهما، فقال لهما: إنكما الساعة قد رجعتما عن ذلك المذهب، فإني أراكما إنسانين، فتعجبا من ذلك، وتابا إلى الله تعالى][29].

ويقول عن غلط الإمامية: «نظر الحق للقطب بالأهلية، ولو نظر الله للإمام الظاهر بهذه العين، ما جار إمام قط، كما تراه الإمامية في الإمام المعصوم، فإنه من شرط الإمام الباطن أن يكون معصوماً، وليس الظاهر إن كان غيره يكون له مقام العصمة، ومن هنا غلطت الإمامية، فلو كانت الإمامة غير مطلوبة له، وأمره الله أن يقوم فيها عصمه الله بلا شك عندنا، وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قررناه كله، فنبه على العرض بفعله، حيث لم يجبر أحداً على ولاية، بل ذكر أنه من تركها كان خيراً له، وأنها حسرة وندامة، إلا لمن قام فيها بصورة العدل، ونبه على عصمة من أُمِرَ بها بقوله: فمن أُعطِيها عن مسألة وُكِلَ إليها، ومن جاءته عن غير مسألة وَكَّلَ الله به مَلَكاً يسدده، وهذا معنى العصمة، والسؤال هنا إشارة إلى الرضا بها والمحبة لهذا المنصب، فهو سائل بباطنه، وغيره ممن يكره ذلك يجبره أهل الحل والعقد عليها»[30].

ويؤكد رضي الله عنه خطأ الإمامية في اعتقادهم عصمة الإمام فيقول: «الإمام يناجي الأحدية خاصة، ولهذا اعتقد مَنْ اعتقد عصمة الإمام في الصلاة حتى يُسَلِّم، وهم أصحاب الإمام المعصوم، لأن الواحد لا يسهو عن أحديته إلا المُعَلِّم بالفعل، فإنه يقوم به السهو ليعلم كيف يكون حكم الساهي من الجماعة، وليس إلا الأنبياء خاصة، وما عدا الرسل فهو متبع، واحد من أهل الصف، فإذا تقدم هو وليس برسول فهو معصوم، لأنه ليس بمُعَلِّم، هذا الذي جعل أصحاب الإمام المعصوم - الذين هم الإمامية - يقولون بعصمة الإمام، والواقع خلاف ذلك»[31].

كيف غاب علماء الشيعة الذين قرؤوا كتب الشيخ الأكبر وترجموها إلى الفارسية عن هذه النصوص الواضحة؟! أم كيف أثبتوها؟!

---

(29) [....] ف ح ٨/٢ - مسامرات ح ٤١٧/١ - وهذه الفقرة لم تدرج في المقال الذي نشر في أكسفورد.
(30) ف ح ١٣٨/٣
(31) ف ح ١٩٤/٣

الشيخ الأكبر والفلاسفة

أما علماء الشرق والغرب من غير المسلمين، فقد رأوا فيما جاء به الشيخ الأكبر من العلم النظري والمعقول والحكمة، ما أداهم إلى أن يجعلوه من أبرز فلاسفة العالم، وغاب عنهم الاختلاف التام في طريق تحصيل هذه العلوم، فإن الفيلسوف يعتمد على العقل والفكر والمنطق، ويجعله أساساً لكل ما يأتي به. والشيخ الأكبر ينص على الفيض الإلهي والتلقي، ويقلل من شأن الفكر ويرجح خطأه على إصابته، ويجعله بلاءً ابتلى الله به الإنسان - ما ابتلى الله به أحداً من خلقه غيره - إما لأن يسعده أو يشقيه على حسب ما يوفقه لاستعماله، فكثرت القالة في الجناب الإلهي الأحمى، واجترؤوا غاية الجرأة على الله[٣٢] فإن الفكر حال لا يعطي العصمة، ولهذا مقامه خطر، لأن صاحبه لا يدري هل يصيب أم يخطىء؟ لأنه قابل للإصابة والخطأ، فإذا أراد صاحبه أن يفوز بالصواب فيه - غالباً في العلم بالله - فليبحث عن كل آية نزلت في القرآن آمراً، فيها ذكر التفكر والاعتبار، ولا يتعدى ما جاء من ذلك في غير كتاب ولا سنة متواترة[٣٣] وفي اجتماع الشيخ الأكبر بابن رشد وما دار بينهما في هذا الأمر الكفاية[٣٤] وكذا يحاول بعض علماء المسلمين ممن لا يعتقدون الشيخ ويعملون في حقل التصوف والفلسفة، أن يظهروا علمهم وتحصيلهم على حساب الشيخ رضي الله عنه، فيربطون بين ما كتبه وبين أقوال الفلاسفة السابقين مثل أرسطو وأفلاطون، وكذا ما يتوهمونه من اتفاق مع عقائد مثل الكونفوشية أو الزرادشتية أو الباطنية، ويوحون إلى القارىء أن الشيخ باطني المذهب، ويجعلونه إماماً من طائفة الإسماعيلية، مع أننا نجد أن الشيخ لم يذكر أبداً الطائفة الإسماعيلية في جميع كتبه، في حين أنه ذكر طوائف أخرى كثيرة عند مناقشة آرائها ومعتقداتها - سواء أقرها أو عارضها - مثل طائفة البراهمة والبنوية والثنوية والحسبانية والحشيشية والدهرية والزيدية والسوفسطائية والطبيعية والغرانية والفيثاغوريين والمانية والمجسمة، فضلاً عن الشيعة والإمامية والأشاعرة والمعتزلة، ولم يأت أبداً على ذكر الطائفة الإسماعيلية، فلننظر ما قاله الشيخ لنرى أنهم لم يؤمنوا ولم يصدقوا يوماً بما قاله الشيخ في كتبه حيث يقول:

---

(٣٢) ف ح ١/١٢٥، ١٢٦ (٣٣) ف ح ٢/ ٢٣٠

(٣٤) ف ح ١/ ١٥٣، ٣٢٤ - راجع كتابنا ترجمة حياة الشيخ

«لا يحجبنك أيها الناظر في هذا الصنف من العلم، الذي هو العلم النبوي المورث منهم (أي الأنبياء) صلوات الله عليهم، إذا وقفت على مسألة من مسائلهم، قد ذكرها فيلسوف أو متكلم أو صاحب نظر - في أي علم كان - فتقول في هذا القائل الذي هو الصوفي المحقق: إنه فيلسوف، لكون الفيلسوف قد ذكر تلك المسألة وقال بها واعتقدها، وإنه نقلها منهم، أو إنه لا دين له، فإن الفيلسوف قد قال بها ولا دين له، فلا تفعل يا أخي، فهذا القول قول من لا تحصيل له، إذ الفيلسوف ليس كل علمه باطلاً، فعسى تكون تلك المسألة فيما عنده من الحق، ولاسيما إن وجدنا الرسول عليه السلام قد قال بها، ولاسيما فيما وضعوه من الحِكَم والتبري من الشهوات ومكايد النفوس وما تنطوي عليه من سوء الضمائر، فإن كنا لا نعرف الحقائق، ينبغي لنا أن نثبت قول الفيلسوف في هذه المسألة المعينة، وأنها حق، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال بها، أو الصاحب أو مالكاً أو الشافعي أو سفيان الثوري، وأما قولك إن قلت: سمعها من فيلسوف أو طالعها في كتبهم، فإنك ربما تقع في الكذب والجهل، وأما الكذب فقولك سمعها أو طالعها، وأنت لم تشاهد ذلك منه، وأما الجهل فكونك لا تفرق بين الحق في تلك المسألة والباطل؛ وأما قولك: إن الفيلسوف لا دين له، فلا يدل كونه لا دين له على أن كل ما عنده باطل، وهذا مدرك بأول العقل عند كل عاقل، فقد خرجت باعتراضك على الصوفي في مثل هذه المسألة عن العلم والصدق والدين، وانخرطت في سلك أهل الجهل والكذب والبهتان، ونقص العقل والدين، وفساد النظر والانحراف»[٣٥].

ونراه يقول عن خطأ الفلاسفة في العلم الإلهي، وتصريحه بمنع التفكر عند أهل الله في تحصيل العلوم، يقول: «هل ثَمَّ أمر - مما يُنال بالفكر - لا يمكن أن يُنال من طريق الكشف والوجود أم لا؟ فنحن نقول: ما ثَمَّ، ونمنع من الفكر جملة واحدة، لأنه يورث صاحبه التلبيس وعدم الصدق، وما ثَمَّ شيء إلا ويجوز العلم به من طريق الكشف والوجود، والاشتغال بالفكر حجاب عندنا... والفيلسوف معناه: - محب الحكمة، لأن سوفيا باللسان اليوناني هي الحكمة، وقيل: - هي المحبة، فالفلسفة معناها حب الحكمة، وكل عاقل يحب الحكمة، غير أن أهل الفكر خطؤهم في الإلهيات أكثر من إصابتهم، سواء

(٣٥) ف ح ١/٣٢

كان فيلسوفاً أو معتزلياً أو أشعرياً أو ما كان من أصناف أهل النظر، ؛ فما ذمت الفلاسفة لمجرد هذا الاسم، وإنما ذموا لما أخطؤوا فيه من العلم الإلهي، مما يعارض ما جاءت به الرسل عليهم السلام، بحكمهم في نظرهم بما أعطاهم الفكر الفاسد في أصل النبوة والرسالة، ولماذا تستند؟ فتشوش عليهم الأمر، فلو طلبوا الحكمة ـ حين أحبوها ـ من الله لا من طريق الفكر، أصابوا في كل شيء، وأما ما عدا الفلاسفة من أهل النظر من المسلمين ـ كالمعتزلة والأشاعرة ـ فإن الإسلام سبق لهم وحَكَم عليهم، ثم شرعوا أن يذبوا عنه بحسب ما فهموا منه، فهم مصيبون بالأصالة، مخطئون في بعض الفروع بما يتأولونه ـ مما يعطيهم الفكر والدليل العقلي ـ من أنهم إن حملوا بعض ألفاظ الشارع على ظاهرها في حق الله، مما أحالته أدلة العقول، كان كفراً عندهم، فيؤولونه، وما علموا أن لله قوة في بعض عباده تعطي حكماً خلاف ما تعطي قوة العقل في بعض الأمور، وتوافق في بعض، وهذا هو المقام الخارج عن طور العقل، فلا يستقل العقل بإدراكه، ولا يؤمن به إلا إذا كانت معه هذه القوة في الشخص، فحينئذ يعلم قصوره، ويعلم أن ذلك حق»[٣٦].

ونراه يقول: «إن علوم المتكلمين في ذات الله والخائضين فيه ليست أنواراً، وما من مذهب إلا وله أئمة يقومون به، وهم فيه مختلفون ـ من المعتزلة والأشاعرة وكذلك الفلاسفة ـ في مقالاتهم في الله وفيما ينبغي أن يُعْتَقَد، ولا يزالون مختلفين، مع كون كل طائفة يجمعها مقام واحد، واسم واحد. . ورأينا المسمين رسلاً وأنبياء، قديماً وحديثاً، من آدم إلى محمد ومَنْ بينهما عليهم الصلاة والسلام، ما رأينا أحداً منهم قط قد اختلفوا في أصول معتقدهم في جناب الله. . . فالزم طريق الإيمان والعمل بما فُرِضَ عليك، واذكر ربك بالغدو والآصال، بالذكر الذي شرعه لك من تهليل وتسبيح، واتق الله. فإذا شاء الحق أن يعرفك بما شاءه من علمه، فأحضر عقلك ولُبّك لقبول ما يعطيه ويهبك من العلم به، فذلك هو العلم النافع، وهو النور الذي يحيا به قلبك، وتمشي به في عَالَمك، وتأمن فيه من ظلم الشُبَه والشكوك التي تطرأ في العلوم التي تنتجها الأفكار. . . وقد دللتك يا أخي على طريق العلم النافع من أين يحصل لك، فإن سلكت على صراطه المستقيم، فاعلم أن الله قد أخذ بيدك،

---

(٣٦) ف ح ٢/٥٢٣

واعتنى بك، واصطنعك لنفسه، فالله يحول بيننا وبين سلطان أفكارنا فيما لم نؤمر بالتفكر فيه»[٣٧].

ويقول في نبذ أحكام الكتب الفلسفية: «النبوة غير مكتسبة بلا خلاف، بين أهل الكشف من أهل الله، وإن كان اختلف في ذلك أهل الفكر من العقلاء، فذلك من أقوى الدلالات عندنا على أن الفكر يصيب العاقل به ويخطىء، ولكنْ خطؤه أكثر من إصابته، لأن له حداً يقف عنده، فمتى وقف عند حده أصاب ولابد، ومتى جاوز حَدَّه إلى ما هو حكم قوة أخرى يُعْطَاها بعض العبيد قد يخطىء ويصيب، فالنبوة اختصاص من الله تعالى، ولذلك لا يشوب رائقها كدر:

ألا إن الرسالة برزخية ... ولا يحتاج صاحبها لنيّة
وإن الاختصاص بها منوط ... كما دلت عليه الأشعرية
وهذا الحق ليس به خفاء ... فدع أحكام كتب فلسفية»[٣٨]

تحصيل العلم بالله عن طريق التقوى والفيض الإلهي

يقول الشيخ رضي الله عنه: «صاحب العلم عن العقل بنظره الفكري في العالم، والآخذ للعلم بالمجاهدة والأعمال، اجتمعا في النتيجة، وزاد صاحب العمل أنه على بصيرة فيما علم، لا يدخله شبهة، وصاحب النظر ما يخلو عن شبهة تدخل عليه في دليله»[٣٩]
ويقول: «ما في الطوائف أعلى ممن حَصَّلَ العلم بالله عن التقوى، فهذا المأخذ أعلى المراتب في الأخذ، فإن له الحكم الأعم، يحكم على كل حُكْمٍ، وعلى كل حاكم بكل حكم، فهو خير الحاكمين، ولا يكون هذا العلم ابتداءً، ولهذا لا يختص به إلا المؤمنون العالمون الذين علموا أن ثَمَّ واحداً يُرْجَع إليه، ويوصل إلى شهوده، وإن لم يعلموا ذلك قصرت هممهم، ولو تجلّى الحق بنفسه أنكروه وردوه، فإنه عندهم مقيد بأمر ما، مهما لم يجدوا ذلك الأمر الذي قيدوه به فيمن تجلى لهم وقال لهم أو قيل لهم: إنه الله، ردوه ولابد، فلما قصرت هممهم، وأعطاهم نظرهم أن الحق لا يراه أحد ـ كالفيلسوف والمعتزلي ـ وإن عُلِم، فبالضرورة

---

(٣٧) ف ح ٨٢/٣ (٣٨) ف ح ٥٩٥/٢ . (٣٩) ف ح ٣٧٢/١ ـ راجع الفقرة ٣٦

ينكرونه في تجلية لهم، فلابد للمؤمن أن يعطيه نور إيمانه ما أعطى لموسى عليه السلام في نفسه»(٤٠).

ويخالف الشيخ الفلاسفة في قولهم بعدم علم الله تعالى بالعلم التفصيلي، فيقول: «الفيلسوف نفى عن الله تعالى العلم بمفردات العالم الواقعة في الحس منهم، فلا يعلم عندهم أن زيداً بن عمرو حرك أصبعه عند الزوال مثلاً، ولا أن عليه في هذا الوقت ثوباً معيناً، لكن يعلم أن في العالم من هو بهذه الصفة مطلقاً من غير تعيين، لأن حصول هذا العلم على التعيين إنما هو للحس، والله منزه عن الحواس، فقد اندرج عندهم هذا العلم بهذا الجزء في العلم الكل، الذي هو أن في العالم مَنْ هو بهذه المثابة، وقد حصل المقصود عندهم، وفاتهم (أي الفلاسفة) بذلك علم كبير، فإن صاحب هذه الحركة المعينة من الشخص المعين يجوز أن تقوم بغيره، فبأي شيء تقوم الحجة لله على تعيين هذا العبد، حتى قرره عليها في الآخرة، أو حرمه ما ينبغي له في الدنيا؟ أو لم يتحرك بتلك الحركة؟ وإن كان من أصل صاحب هذا النظر إنكار الآخرة المحسوسة، وإنكار الوهب في الدنيا، والجزاء لصاحب هذه الحركة، على التعيين، وأن من مذهبه أن تلك الحركة هي المانعة لذاتها أن يحصل لهذا المتحرك بها ما تمنعه حقيقة تلك الحركة، فهو بان على أصل فاسد، وهو أن الله ما صدر عنه إلا ذلك الواحد الأول لأحديته، ثم انفعل العالم بعضه عن بعض عن غير تعلق علم من الله تفصيلي بذلك، بل بالعلم الكل الذي هو عليه»(٤١).

ويخالف الفلاسفة في خلق الأفلاك فيقول: «تخيل القدماء من الفلاسفة أن الأفلاك السماوية مخلوقة قبل الأرض، وأنه يتنزل الخلق إلى أن ينتهي إلى الأرض، فأخطؤوا في ذلك غاية الخطأ، لأن ذلك صنعة حكيم، وتقدير عزيز عليم، يفتقر العلم بذلك إلى إخباره باللسان الصادق، والعلم الضروري، أو إقامة المثل بكيفية الأمر، وليس للقدماء في هذه الطريقة كلها مدخل، فأجالوا الفكر في علم لا يتحصل بالفكر، فأخطؤوا من كل وجه»(٤٢).

ويقول عن الفيض الإلهي: «النور والكشف نتيجة الأعمال المشروعة التي نصبها الحق، ما هي مثل حكم الفلاسفة التي هي نتائج أوضاعهم»(٤٣) ويقول: «إن لله على قلوب

---

(٤٠) ف ح ٣/ ٤٠١ ـ ونور الإيمان أعطى لموسى عليه السلام أن يقول: رب أرني أنظر إليك.

(٤١) ف ح ٣/ ٥٣٦ (٤٢) كتاب عقلة المستوفز / ٧٦ (٤٣) كتاب ذخائر الأعلاق

بعض عباده فيضاً إلهياً، يعلمهم فيه من لدنه علماً. . . من الفيض الإلهي ما هو وراء طور العقل. . . فكان أصل الشريعة في العالم وسببها طلب صلاح العَالَم، ومعرفة ما جُهِلَ من الله مما لا يقبله العقل، ولا يستقل به العقل من حيث نظره، فنزلت بهذه المعرفة الكتب المنزلة، ونطقت بها ألسنة الرسل والأنبياء عليهم السلام، فعلمت العقلاء عند ذلك أنها نقصها من العلم بالله أمور تممتها لهم الرسل. . . خَصَّ الله عباده من النبيين وأتباعهم من الأولياء من العلم بالله، من جهة الفيض الإلهي الاختصاصي، الخارج عن العلم المعتاد عن الدرس والاجتهاد، ما لا يقدر العقل من حيث فكره أن يصل إليه»[44] ويقول في الفرق بين العروج الروحاني لصاحب الشريعة وصاحب النظر: «التابع صاحب الشريعة يقف من علم آدم على الوجه الإلهي الخاص، الذي لكل موجود سوى الله، الذي يحجبه عن الوقوف مع سببه وعلته، وصاحب النظر لا علم له بذلك الوجه أصلاً. . . فكل ما حصل لصاحب النظر حصل للتابع، وما كل ما حصل للتابع حصل لصاحب النظر. . . وزاد التابع على الناظر بما أعطاه الوجه الخاص من العلم الإلهي. . . فارتحلا، المحمدي على رفرف العناية، وصاحب النظر على براق الفكر، ففتح لهما السماء السابعة. . . فيقال للتابع: أيها التابع ميِّز المراتب، واعرف المذاهب، وكن على بينة من ربك في أمرك، ولا تهمل حديثك، فإنك غير مهمَل، ولا متروك سدى، اجعل قلبك مثل هذا البيت المعمور بحضورك مع الحق في كل حال، واعلم أنه ما وسع الحقَّ شيء مما رأيت سوى قلب المؤمن، وهو أنت، فعندما سمع صاحب النظر هذا الخطاب قال: يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين، وعلم ما فاته من الإيمان بذلك الرسول واتباع سنته، ويقول: يا ليتني لم أتخذ عقلي دليلاً، ولا سلكت معه إلى الفكر سبيلاً. . . ويزيد التابع على صاحب النظر بأمور لم تُنْقَش في العالم جملة واحدة، من حيث ذلك الوجه الخاص الذي لله في كل ممكن محدث، مما لا ينحصر ولا ينضبط ولا يتصور، يمتاز به هذا التابع عن صاحب النظر. . . ثم ارتحل (التابع) يطلب العروج، ومُسِكَ صاحبه صاحب النظر هناك، وقيل له: قف حتى يرجع صاحبك، فإنه لا قدم لك هناك. . . فبقي هناك ومشى التابع. . . فعاين منازل السائرين إلى الله تعالى بالأعمال المشروعة»[45] ويقول رضي الله عنه: «الاسم الباعث هو الذي بعث

(٤٤) ف ح ١/٣٢٤ (٤٥) ف ح ٢/٢٧٣ - ٢٨٣

إلى بواطنهم (أي أصحاب النظر) رسل الأفكار بما نطقوا به واعتقدوا في الله، كما أنه بعث إلى ظواهرهم الرسل المعروفين بالأنبياء، والنبوة والرسالة. فالعاقل من ترك ما عنده في الله تعالى لما جاؤوا به من عند الله، في الله، فإن وافقوا ما جاءت به رسل الأفكار إلى بواطنهم كان، وشكروا الله على الموافقة، وإن ظهر الخلاف، فعليك باتباع رسول الظاهر، وإياك وغائلة رسل الباطن تسعد إن شاء الله، وهذا نصيحة مني إلى كل قابل ذي عقل سليم»[٤٦].

بعد هذا العرض، أي مناسبة تربط بين الشيخ ابن العربي والفلاسفة؟ فكل من يحاول أن ينسب الشيخ رضي الله عنه إلى الفلاسفة، أو أنه ينقل أو يحكي أقوالهم، لم يصدّق الشيخ قط فيما قاله عن نفسه «لسنا ممن يحكي أقوال الحكماء في أمر، ولا أقوال غيرهم، فلسنا من أهل التقليد بحمد الله، بل الأمر كما آمنّا به من عند ربنا، شهدناه عياناً، وإنما نورد في كتابنا وجميع كتبنا ما يعطيه الكشف، ويمليه الحق، بالإخبار الإلهي المنفوث في الروع من الوجه الخاص»[٤٧].

الشيخ الأكبر والباطنية

يقول الشيخ الأكبر رضي الله عنه: «لا يخلو الإنسان أن يكون واحداً من ثلاثة بالنظر إلى الشرع، وهو إما أن يكون باطنياً محضاً، وهو القائل بتجريد التوحيد، **وتجريد التوحيد يؤدي إلى تعطيل أحكام الشرع** - كالباطنية - والعدول عما أراد الشارع بها، وكل ما يؤدي إلى هدم قاعدة دينية مشروعة، فهو مذموم بالإطلاق عند كل مؤمن، وإما أن يكون ظاهرياً محضاً متغلغلاً متوغلاً، بحيث أن يؤديه ذلك إلى التجسيم والتشبيه، فهذا أيضاً مثل ذلك ملحق بالذم شرعاً، وإما أن يكون جارياً مع الشرع على فَهْم اللسان، حيثما مشى الشارع مشى، وحيثما وقف وقف، قدماً بقدم، وهذه حالة الوسط، وبه صحت محبة الله للعباد، وصحت السعادة الدائمة»[٤٨] ويقول: «كل من أظهر اعتقاد النبوة، وصرف ما جاءت به من الأحكام الظاهرة إلى معان نفسية لم تكن من قصد النبي بما ظهر عنه ما اعتقدته العامة من ذلك، فإنه لا يحصل على طائل من العلم»[٤٩] ويقول عن الباطنية عموماً: «إنهم أجهل الناس بالحقائق»[٥٠].

---

(٤٦) ف ح ٤/ ٢٧٩
(٤٧) ف ح ٢/ ٤٣٢ - ح ٣/ ٣٥٢
(٤٨) ف ح ٢/ ٢٤٠
(٤٩) ف ح ٣/ ٣٢٣
(٥٠) ف ح ٣/ ٣٧٣

أما عن الإشارة والرمز واللغز فيقول الشيخ : «كلام أصحابنا رضي الله عنهم في شرح كتابه العزيز (يعني القرآن) الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إشارات، وإن كان ذلك حقيقة وتفسيراً لمعانيه النافعة، ورد ذلك كله إلى نفوسهم، مع تقريرهم إياه في العموم، وفيما نزل فيه كما يعلمه أهل اللسان الذين نزل ذلك الكتاب بلسانهم، فعم به سبحانه عندهم الوجهين، كما قال تعالى: ـ ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ﴾ يعني الآيات المنزلة في الآفاق وفي أنفسهم، فكل آية منزلة لها وجهان، وجه يرونه في نفوسهم، ووجه آخر يرونه فيما خرج عنهم، فيسمون ما يرونه في نفوسهم إشارة، ليأنس الفقيه صاحب الرسوم إلى ذلك، ولا يقولون في ذلك إنه تفسير، وقاية لشرهم وتشنيعهم في ذلك بالكفر عليه، وذلك لجهلهم بمواقع خطاب الحق، واقتدوا في ذلك بسنن الهدى، فإن الله كان قادراً على تنصيص ما تأوله أهل الله في كتابه، ومع ذلك ما فعل، بل أدرج في تلك الكلمات الإلهية التي نزلت بلسان العامة، علوم معاني الاختصاص التي فهمها عباده، حين فتح لهم فيها بعين الفهم الذي رزقهم»[٥١] ويقول عن كتابه الإسراء: «ورمزت في هذا الكتاب بعض تلك المعاني (يعني المعاني المجردة) بعبارتي، ليكون ذلك بمنزلة الرؤيا، لكن لا يفكها إلا المُعَبِّر العالِمُ بأصولها، وإن كان الغير يشاركه في سماع الرؤيا، لكن لا يعرف تأويلها إلا هو ومن يجري مجراه»[٥٢] ويقول عن كتابه التنزلات الموصلية وهو في الصلوات الخمس وأسرارها: «هذا كتاب أودعت فيه لطائف الأسرار، وأضواء علوم الأنوار، فهو مبني على اللغز والرمز، ليتحقق المدعي في مناجاة ربه عند وقوفه على هذه النتائج، بالحصر، والعجز، وإنما قصدت أيضاً ستر هذه المعاني الإلهية في هذه الألغاز الخطابية، غيرة من علماء الرسوم، وعقوبة لهم من أجل إنكارهم، كما ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، وجعل غشاوة على أبصارهم، فلم يدركوا من روائح الحقائق شمة، ولم يميزوا بين اللَّمة واللِّمة، تأسياً بمن أخذ هذا العلم[٥٣] من النبي المعصوم، وقال: لو بثثته قطع مني هذا البلعوم؛ وكما قال علي رضي الله عنه حين علم النقلة (يعني الموت) إن ها هنا ـ وضرب على صدره بيده ـ لعلوماً جمة، لو وجدت لها حملة، وكما قال ابنه الذكي الحبر الكبير السَنيّ[٥٤]:

---

(٥١) ف ح ١/٢٧٩
(٥٢) كتاب النجاة / المقدمة
(٥٣) هو الصحابي أبوهريرة رضي الله عنه
(٥٤) هو: زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما

يا رب جوهر علم لو أبوح به لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

فبهؤلاء السادات في سَتْري لهذه العلوم تأسيت، وبهم فيها اهتديت»[55].

هذا الذي أوردناه من كلام الشيخ يرد على كل طائفة باطنية حاولت أن تفسر إشارات الشيخ ورموزه على هواها، بتأويلات فاسدة، بعيدة كل البعد عن قصده الذي نص عليه، وتفعل الباطنية ذلك للدلالة على نسبة الشيخ إليها، وأين قصد الشيخ الصريح مما ذهب إليه من يدعي العلم والتحقيق حين يربط بينه وبين الباطنية لما لم يفهمه من كلامه؟!

أما عن مذهب القائلين بالتناسخ فنراه يقول: «قال صلى الله عليه وسلم في نسمة المؤمن: - إنه طير أخضر، فذلك الطير كالجسم هنا، صورة حييت بهذا الروح الذي كان يحيا به هذا الجسم... ومن هنا زل القائلون بالتناسخ لما رأوا أو سمعوا أن الأنبياء قد نبهت على انتقال الأرواح إلى هذه الصور البرزخية، وتكون فيها على صورة أخلاقها، ورأوا تلك الأخلاق في الحيوانات، تخيلوا في قول الأنبياء والرسل والعلماء أن ذلك راجع إلى هذه الحيوانات التي في الدار الدنيا، وأنها ترجع إلى التخليص، وذكروا ما قد علمت من مذهبهم، فأخطؤوا في النظر وفي تأويل أقوال الرسل وما جاء في ذلك من الكتب المنزلة، ورأوا النائم يقرب من هذا الأمر الذي شرعوا فيه، فاستروحوا من ذلك ما ذهبوا إليه، فما أُتِيَ عليهم إلا من سوء التأويل في القول الصحيح، وهذا معنى قوله «ليبلوكم» أي يختبر عقولكم بالموت والحياة «أيكم أحسن عملا» بالخوض فيها والنظر، فيرى من يصيب منكم، ومن يخطىء كأهل التناسخ»[56] ويقول: «ومن هنا هبت نفحة على القائلين بالتناسخ، فلم يتحققوا معناها، فزلوا وضلوا وأضلوا، ولأنهم نظروا فيها من حيث أفكارهم، فأخطؤوا الطريق فغلطوا، فهم مخطئون غير كافرين، إلا من أنكر البعث الذي هو النشأة الآخرة، فهو ملحق بالكفار»[57].

فالعجب كيف تنسب الطوائف الباطنية الشيخ الأكبر إليها، وهو يصفها بأنها أجهل الناس بالحقائق، وبالضلال، والإضلال؟! وكيف يغيب المحققون من أهل العلم عن هذه النصوص الصريحة؟!

(٥٥) كتاب التنزلات الموصلية / الباب الأول (٥٦) ف ح ٣/٦٦ (٥٧) ف ح ١/٧٥٥

الشيخ الأكبر وعلماء السوء في زمانه

لقد ناصب الشيخَ الأكبر علماءُ السوء من الفقهاء والصوفية العداء في زمانه، فنراه يقول في ذم الفقهاء الراغبين في المناصب من قضاء وشهادة وحسبة وتدريس: «إياك يا أخي عافاك الله من الظن السوء، من أن تظن فيَّ أني أذم الفقهاء من أجل أنهم فقهاء، أو لتعلمهم الفقه، لا ينبغي أن يُظَنَّ هذا بمسلم، وإن شرف الفقه وعلم الشرع لا خفاء به، ولكن أذم من الفقهاء الصنف الذي تكالب على الدنيا، وطلب الفقه للرياء والسمعة، وابتغى به نظر النـاس ليُقَـال، ولازم المراء والجدال، وأخذ يرد على أبناء الآخرة، الذين اتقوا الله فعلمهم من لدنه علماً، فلا أنكر مرتبة الفقه ـ وقد سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم يقول: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ـ ولما كان هذا الصنف غلبت عليهم نفوسهم وشهواتهم، واستولى عليهم الشيطان، وعلى أيديهم جرى الضرر على أولياء الله، وبشهادتهم هلكوا، كما أني قد ذممت الصوفية، ولم أرد به الصادقين، وإنما أعني الصنف الذي تزيّا بزيهم عند الناس، وباطنه مع الله بخلاف ذلك، قال الله تعالى: ـ ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا، ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام ﴾ فذمي الصوفية إنما أذم هذا الصنف الذي ذكرته، فإن الحلولية والإباحية وغيرهم من هذا الطريق ظهروا، وتظاهروا بالدعاوى واتصفوا، فهم قرناء الشيطان وحلفاء الخسران»[٥٨].

فلا عجب أن نرى كثيراً من علماء الرسوم وغيرهم، قد عادى الشيخ رضي الله عنه في حياته وبعد مماته، ونسبوا إليه القول بالاتحاد، وعدم التفريق بين الحادث والقديم، وأنه يقول بوحدة الوجود على المفهوم من آراء فاسدة عند من قال بها من السابقين، هذا فضلاً عما دسوه وحرفوه في كتبه، ولو حقق العلماء ما قاله الشيخ وكتبه بخط يده في كل ما نسبوه إليه، لتيقنوا براءته مما نسبه إليه أعداؤه، إما عن سوء فهم لما كتب، أو لعبارات دست عليه، فنراه يقول عن الاتحاد: «الرب رب والعبد عبد فلا تغالط ولا تخالط»[٥٩] ويقول: «العبد من لا يكون فيه من الربوبية وجه، والرب من لا يكون فيه من العبودية وجه، فلا يجتمع الرب والعبد أبداً»[٦٠] ويقول: «الوجود المُرَجّح لا يساوي الوجود الذاتي، الذي لا

(٥٨) كتاب روح القدس في محاسبة النفس (٥٩) ف ح ٣/٢٢٤ (٦٠) ف ح ٣/٣١٨

يتصف بالترجيح»[61] ويقول في تعريف العالم: «اعلم أن العالم عبارة عن كل ما سوى الله، وليس إلا الممكنات سواء وجدت أو لم توجد، فإنها بذاتها علامة على علمنا، أو على العلم بواجب الوجود لذاته وهو الله، فإن الإمكان حكمٌ لها لازم في حال عدمها ووجودها، بل هو ذاتي لها، لأن الترجيح لها لازم. . . فالعالم إن نظرت حقيقته إنما هو عرض زائل، أي في حكم الزوال، وهو قوله تعالى :ـ ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصدق بيت قالته العرب قول لبيد: , ألا كل شيء ما خلا الله باطل؛ يقول ما له حقيقة يثبت عليها من نفسه، فما هو موجود إلا بغيره»[62] ويقول:ـ «كل شيء سوى الله حادث ولم يكن ثم كان»[63] ويقول «القديم الرب والحادث العبد»[64].

أما رد ما جاء في دعواهم بأن الشيخ يقول بالاتحاد، فهذا كلامه فيه الكفاية، حيث يقول: «ما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد»[65] «مهذب الأخلاق غير قائل بالاتحاد»[66].

ويقول:

لا تقل بالحادنا فتكذبك نشأتي[67]

ويقول:

فإن قلت بالمعنى اتحدنا فإنه يقوم دليل الافتقار حذاه[68]

ويقول:

الاتحاد محال لا يقول به إلا جهول به عن عقله شردا[69]

ويقول:

لا تنسبوني إلى الاتحاد الفرد فإنه السيد وأنا العبد[70]

أما معنى الاتحاد عند الشيخ فهو قوله: «مقام الاتحاد هو التباس عبد بصفة رب، وإن كان المقصود العبدَ فهو التباس رب بصفة عبد»[71] وذلك مثل نسبة الصوم إلى العبد

---

(61) ف ح ٣/٣٩٧ (62) ف ح ٣/٤٤٣ (63) ف ح ٣/٥٠٦

(64) ف ح ٤/٤٣٨ (65) ف ح ٤/٣٧٢ (66) ف ح ٢/٣١٧

(67) ف ح ٤/٣٨٧ (68) كتاب التنزلات الموصلية / الباب الثاني (69) الديوان / ٤٤١

(70) كتاب الإسراء / مناجاة الأدب. (71) ف ح ١/٦٩٠

الصائم، ونسبة الصوم إلى الحق من قوله تعالى في الحديث القدسي «الصوم لي وأنا أجزي به» ومثل نسبة اليد والعين والضحك والهرولة والتبشبش وغير ذلك إلى العبد، ونجد أن الحق سبحانه أطلق هذه الألفاظ على نفسه .

وحدة الوجود(٧٢)

وحدة الوجود عند الشيخ رضي الله عنه على خلاف ما فهمها غيره من الفلاسفة، وأصحاب المذاهب الأخرى، فإن مبناها على التفرقة بين واجب الوجود لنفسه، والموجود بغيره، الذي هو الممكن، فهو في حال وجوده الحادث، لم يخرج عن رتبة الإمكان، التي يتساوى فيها الوجود والعدم، بخلاف واجب الوجود وهو الحق الذي لا تجوز نسبة العدم إليه، فالوجود الحق هو لله تعالى، والممكن الحادث لم يكن ثم كان، فكأنه لا شيء، ثم إن الوجود صفة، والمراد عين، والقول بوحدة الوجود هو أن هذه الصفة هي عين الموصوف، وهذا لا يكون إلا في حق الله سبحانه، فإنه أحدي الذات والصفات، مثل الحياة والعلم والقدرة وجميع الصفات، وأما المخلوق الحادث فليست الصفة فيه عين الموصوف، فقد تبقى العين وتزول الصفة، وتبقى الصفة بمعناها ولا عين للموصوف الحادث موجودة، كما أن الصفة واحدة في المعنى والمفهوم وتختلف بالإضافة، فالوجود من حيث معناه واحد، ويختلف بالحد والحقيقة بالنسبة لإضافته إلى القديم وإلى الحادث، فوحدة الوجود من حيث معناها هي أن البقاء لله وحده، والممكن حتى في حال وجوده ظل زائل وعرض مائل، ومع ذلك إن نظرت إلى الوجود الممكن من حيث أن له بداية وليس له نهاية، وجدته برز ويبرز على صورته في علم الله تعالى ، لم يحدث للحق به تعلق علم لم يكن عليه، فالوجود الممكن - من بدايته إلى ما لا نهاية - مثل الصورة في المرآة، أي هو صورة العلم الإلهي - والممكنات يسميها الشيخ في العلم الإلهي «بالأعيان الثابتة» ليفرق بينها وبين الأعيان الوجودية بعد

---

(٧٢) ف ح ١/٥٢، ٩٠، ١٧٥، ٥٥٠، ٦٠٢، ٦٣٣، ٧٠٣، ٧٠٧ - ح ٢/٣٨، ٥٤، ٥٥، ٧٠، ١٦٦، ١٦٧، ٢١٦، ٣٠٩، ٣١١، ٤٢٦، ٤٥٩، ٤٨٣، ٤٨٤، ٥٠٢، ٥٠٥، ٥١٦، ٥١٩، ٥٨٧ - ح ٣/٤٦، ٧٨، ٨٠، ٣١٣، ٣٧٩، ٤٥٦ - ح ٤/٦، ٤٠، ٨١، ١٠٠، ١٠٧، ١٤١، ٣١٦، ٤٢٧ - الديوان / ٢١٨، ٣٧٧.

الخلق والإيجاد ـ وكما سبق أن أوضحنا أن علم الله ذاته، فإنه أحدي الذات والصفات، فمن هنا أطلقت كلمة وحدة الوجود، وبقي الخلق كالخيال لا ثبات له، وحصل الالتباس عند منتقدي الشيخ لكونهم لم يفرقوا بين وحدة الوجود وبين وحدة الموجود، ومستند الشيخ رضي الله عنه فيما ذهب إليه هو قوله تعالى. ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :ـ «أصدق ما قالت العرب قول لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل» وقوله صلى الله عليه وسلم :ـ «كان الله ولا شيء معه» ومن أراد الزيادة فليراجع كتابنا «شرح كلمات الصوفية» وسيجد القارىء أن كل مَنْ حاول أن يُعربَ كلام الشيخ قدس الله سره في وحدة الوجود فقد أعجمه، ولو ترك كلام الشيخ على ما هو عليه من الوضوح لما التبس الأمر على أحد من أهل العلم.

موقف الشيخ الأكبر من الأديان

يحاول بعض من يكتب عن الشيخ من المستشرقين غير المسلمين، أن يجعل الشيخ الأكبر قاسماً مشتركاً بين الأديان السماوية وغيرها، أي يجعله كالجوكر (Joker) في أوراق اللعب، فهو عندهم معتقد لكل دين، دعاهم إلى ذلك فهمهم الخاطىء لما قاله الشيخ في كتابه ترجمان الأشواق:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة   فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف   وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت   ركائبه فالدين ديني وإيماني[73]

فَهِمَ من قرأ هذه الأبيات ـ معراة عن شرح الشيخ لها ـ خلاف قصد قائلها، فلا هم وقفوا مع نص شرحه لها في نفس الكتاب، ولا هم عملوا على فهم معناها من كتبه الأخرى، وسبب ما ذهبوا إليه، هو الخلط عندهم بين التجلي الإلهي في صور الاعتقادات، ومشاهدة

---

(٧٣) ترجمان الأشواق / طبعة عام ١٣١٣ هـ، وطبعة ١٣٨٨ هـ.

محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار / طبعة عام ١٩٠٦ م وطبعة ١٩٦٨ م.

رأيت كل من ذكر البيت الأخير، أبدل كلمة «فالدين» بكلمة «فالحب» وهو يخالف النص ويخل بالمعنى.

الحق في كل اعتقاد[74] ـ وهو المقصود بهذه الأبيات ـ وبين العقيدة المأمور بها العبد من الحق على ألسنة رسله، فإن التجلي في صور الاعتقادات راجع إلى المتجلي، وهو الحق سبحانه وتعالى، وأما العقيدة فراجعة إلى العبد الذي يجب عليه أن يعتقد في الله ما أُمِرَ به على لسان الرسول، وهذا موجود في الشريعة، ؛ وأقرب مثال له، هو اعتقادنا أن الله خالق كل شيء، بما في ذلك الأفعال الصادرة من العبد، ثم إن العبد مسؤول عن الشرور والمعاصي التي تظهر منه وعليه، ومثاب على الخير الذي يظهر منه وعلى يديه، فما تصوروه ناتج عن فهمهم الخاطىء لتفسير الشيخ لقوله تعالى ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ وقضى هنا عند الشيخ بمعنى :ـ حكم لا أمر، وكذا خطؤهم في فَهم قول الشيخ «ما عبد أحد سوى الله، حتى المشركون ما عبدوه إلا في الهياكل المسماة شركاء»[75] وغاب عن هؤلاء الجمع بين مثل هذا القول ـ ومستنده ما قاله الحق عن المشركين، قولهم ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ ـ وبين ما جاء من التزام الشريعة، ولا تنبهوا إلى قول الشيخ رضي الله عنه: «من سجد لغير الله عن أمر الله قربة إلى الله طاعة لله، فقد سعد ونجا، ومن سجد لغير الله عن غير أمر الله قربة إلى الله فقد شقي»[76].

وسبب آخر لهذا الخطأ عند القائلين بعَالَمية الشيخ في الاعتقاد، هو قول الشيخ بشمول الرحمة، وعدم سرمدة العذاب[77] ولم يثبتوا قوله بأن العذاب والآلام الحسية بالنار من حرق للجلود ولدغ للعقارب والحيات، إلى غير ذلك من ألوان العذاب الحسي والمعنوي، تستمر لمدة يقدرها الشيخ بخمسين ألف سنة من سني الدنيا[78] ولم يدركوا ما نص عليه من أن صورة العذاب، باقية لا تتغير أبداً، بعد انقضاء فترة العذاب وشمول الرحمة أهل الشقاء، فإن الله تعالى يجعل أهل النار ـ الذين هم أهلها وليسوا بخارجين منها ـ على مزاج يتنعمون به بما كانوا به يتعذبون، وأي عاقل يتمنى أن يتنعم بالنتن والصديد وحرق الجلود، ويترك النعيم في الجنان بالحور الحسان، والجَمال في دار الرضوان، وهي الجنة دار السعداء؟!

---

(٧٤) ف ح ١/٢٣٨، ٤٠٥، ٥٨٩ ـ ح ٢/٩٢، ٣٢٦، ٤٩٨ ـ ف ح ٤/١٠٠، ١٠١، ١٦٥، ٤٠٥، ٤١٥
(٧٥) ف ح ٢/٩٢
(٧٦) ف ح ٣/٣٦٧
(٧٧) ف ح ٢/١٤٨، ٢٤٤، ٦٦٢ ـ ح ٣/٢٥، ١٠٠، ١٠١، ٣٨٣، ٤٤٦، ٤٩٦ ـ ح ٤/١٤٦، ١٦٣
(٧٨) ف ح ٣/٣٨٣

أما عن اليهود خاصة فيقول في معرض إشارة مريم عليها السلام إلى عيسى عليه السلام لما أتت به قومها تحمله؛ يقول: «عدلت مريم عليها السلام من أجل أهل الإفك والإلحاد إلى الإشارة»[٧٩] ويقول عنهم في معرض تفسير القرآن «ما ينبغي أن يقدم على تفسير كلام الله بمثل هذه الطوام، كقصة يوسف وداود وأمثالهم عليهم السلام، ومحمد صلى الله عليه وسلم، بتأويلات فاسدة وأسانيد واهية، عن قوم قالوا في الله ما قد ذكر الله عنهم[٨٠] فإذا أورد المذكر مثل هذا في مجلسه مقتته الملائكة ونفروا عنه، ومقته الله، ووجد الذي في دينه نقص، رخصة يلجأ إليها في معصيته، ويقول: إذا كانت الأنبياء قد وقعت في مثل هذا فمن أكون أنا؟ وحاشا والله مما نسبته إليهم اليهود لعنهم الله»[٨١] ويقول عن اليهود والنصارى عند ذكره عيسى عليه السلام: «وسَلَّمَ على نفسه في الثلاثة الأحوال (يعني قول الله تعالى في القرآن على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً ﴾ ثم نزه نفسه تعالى عما قاله أهل الضلال من الإضلال، ﴿ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ﴾[٨٢] فأطلق على اليهود والنصارى اسم أهل الإفك والإلحاد وأهل الضلال.

لا شك أن هؤلاء الذين يظنون أن الشيخ الأكبر يعتقد ويدعو إلى وحدة الأديان لم يقرؤوا كلامه عن الجهاد، ولا عن دعوته إلى قتال الكفار[٨٣] ولا قرؤوا رسالته إلى السلطان عز الدين كيكاوس[٨٤] ولا رسالته إلى السلطان النور بن الرشيد[٨٥] فإنه لو صح ما تصوره هؤلاء الناس، لم يبق أي معنى للكفر ولا للإيمان، ولا للجنة ولا للنار، ولا للسعادة ولا للشقاء، وهو رضي الله عنه يؤكد أن طوائف النار أربعة، الطائفة الثانية المشركون، وهم الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر، والطائفة الثالثة المعطلة وهم الذين نفوا الإله جملة واحدة فلم يثبتوا إلهاً للعالم[٨٦].

---

(٧٩) ف ح ١/ ٢٧٩ (٨٠) يريد قوله تعالى ﴿ وقالت اليهود إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ وغير ذلك.

(٨١) ف ح ٢/ ٢٥٦ (٨٢) التنزلات الموصلية / ١٧٢ طبعة دار الفكر العربي.

(٨٣) ف ح ٤/ ٤٧٠ ـ كتاب إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن ﴿ وقاتلوا في سبيل الله ﴾ البقرة آية ١٩٠

(٨٤) ف ح ٤/ ٥٣٣ (٨٥) كتاب المسامرات / الجزء الثاني (٨٦) ف ح ١/ ٣٠١

الشيخ الأكبر والمحققين

أما الصوفيـة أهـل طريـق الله، فقد اعتبروا الشيخ رضي الله عنه شيخ المحققين، وإمـام أهـل الكشف والـوجود، وصدّقوه في أن الله تعالى قد اختصه برتبة ختم الولاية المحمدية الخاصة؛ وهي خصوصية لا تقتضي الأفضلية، فالختم المحمدي بالنسبة للأولياء لا للأنبياء «أعلم الخلق بالله، فلا يوجد في زمانه ولا بعد زمانه أعلم بالله وبمواقع الحكم منه، فلا يوجد بعده ولي على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، ولا ولي بعده إلا هو راجع إليه»[87] ولم يتعرض الشيخ لا للأنبياء ولا للرسل ولا للأولياء ممن كان قبله، فالشيخ الأكبر ابن العربي عند الصوفية هو المرجع في علوم الأذواق والإلهيات، فإنه ممن حاز **مقام القربة** عند الله، وحصل مقام المحبوبية، وتحقق بمقام العبودة المحضة، واجتمع بجميع طبقات الأولياء على اختلاف مراتبهم، وعَبَدَ الله تعالى على الإحسان، يشهد له بذلك ما دوّنه من علوم ومعارف، لم يُدَوّن مثلُها قبله، ولا بعده حتى زماننا هذا[88].

سلوك الشيخ وطريق المعرفة

يقول الشيخ رضي الله عنه: إن ما فتح الله تعالى به عليه من علوم كان نتيجة «عن اتباعنا سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وما شرع لنا، لم نخل بشيء منها، ولا ارتكبنا مخالفة بتحليل ما حرم الله أو تحريم ما حلل»[89] لأن «لله عباداً عملوا على إيمانهم، وصَدَقوا في أحوالهم، ففتح الله أعين بصائرهم، وتجلى لهم في سرائرهم، فعرفوه على الشهود، وكانوا في معرفتهم تلك على بصيرة وبينة بشاهد منهم، فعليك بعبادة الله التي جاء بها الشرع وورد بها السمع»[90]. فإن النجاة مطلوبة لكل نفس ولأهل كل ملة، فهي محبوبة للجميع، غير أنهم لما جهلوا، جهلوا الطريق الموصل إليها، لا من جهتها (يعني النجاة) ولو علم المخطىء أنه على خطأ ما أقام عليه»[91] لذلك نجد الشيخ رضي الله عنه يدعو إلى التزام الشريعة ظاهراً وباطناً في كل ما يكتب، ويقرر أن الله تعالى خاطب الإنسان بجملته[92] وينص على

---

(٨٧) ف ح ٢/ ٤٩، ٣٣٩
(٨٨) راجع كتابنا ترجمة حياة الشيخ الأكبر
(٨٩) ف ح ١/ ٢٠١
(٩٠) ف ح ٣/ ٣١١
(٩١) كتاب ذخائر الأعلاق ترجمان الأشواق
(٩٢) ف ح ١/ ٣٣٤، ٣٣٨ ـ يعني ظاهراً وباطناً

أن الشريعة هي :ـ المخجة البيضاء، محجة السعداء، وطريق السعادة، مَنْ مشى عليها نجا، ومن تركها هلك[٩٣] ويُثبت التكليف ولا يُسقطه عن أحد، فيقول:ـ «الذي يجرم بالعموم في الخطاب المشروع على واحد، يعم جميع المكلفين، من غير اختصاص، حتى لو قال بتحليل ذلك في حق شخص، يتوجه عليه به لسان الذم في الظاهر، كان كافراً عند الجميع، وكان كاذباً في دعواه»[٩٤] فكان طريقه رضي الله عنه إلى الله واضحاً، لا غموض فيه «الـطريق هي مراسم الحق المشروعة، التي لا رخصة فيها من عزائم ورخص في أماكنها»[٩٥] ويقول «ولا طريق لنا إلى الله إلا ما شرعه، فمن قال بأن ثَمَّ طريقاً إلى الله خلاف ما شرع، فقوله زور، فلا يقتدى بشيخ لا أدب له ، وإن كان صادقاً في حاله»[٩٦].

فكل من يدعي بعد ذلك الانتساب إلى الشيخ الأكبر ابن العربي أو الاعتقاد به، ولا يسلك طريقه الذي نص عليه، فقوله زور، ويعمل في غير معمل، وكل من يحاول الوصول إلى المعرفة الذوقية ـ التي جاء بها الشيخ في كتبه ـ عن طريق التأمل والدراسة الفلسفية، وممارسة بعض الطقوس من ترديد بعض أوراد إلى غير ذلك، دون تطبيق الإسلام في جميع نواحي الحياة من عبادات ومعاملات، ظاهراً وباطناً، علماً وعملاً، فهو كلابس ثوبي زور، لا صلة له بالشيخ ابن العربي لا من قريب ولا من بعيد، فإنه لم يُصَدِّق الشيخ في قوله : «من طلب معرفة الأمور بالدلائل الغريبة التي ليست عين المطلوب، فمن المحال أن يحصل على طائل، ولا تظفر يداه إلا بالخيبة»[٩٧] ولا آمن بقوله «ما حصل لنا هذا الشهود إلا بالاقتداء والاتباع النبوي»[٩٨] وقال «فمن أراد معرفة الحقائق فليسلك طريق الرجال»[٩٩].

---

(٩٣) فـح ٣/٦٩ (٩٤) فـح ٣/٥٥٩ (٩٥) فـح ٢/١٣٣
(٩٦) فـح ٢/٣٦٦ (٩٧) فـح ٣/٤٨٥ (٩٨) فـح ٣/٥٠٣
(٩٩) فـح ١/١٢٠

الخلاصة

من ذلك نخلص إلى أن الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي رحمه الله تعالى: **إمام مسلم سلفي أصـولي صوفي**؛ قولنـا: إمـام مسلم، يعني أنـه فقيه صاحب مذهب مستقل من أئمة أهل السنة والجماعة، وقولنا: سلفي، يعني أنه متبع غير مبتدع، وقولنا: أصولي، يعني أنـه آخـذ بما أجمع عليه الأئمة من الكتاب والسنة والإجماع في أصول الأحكام، وقولنا: صوفي، يعني أنه وارث محمدي آخذ بحظ وافر من مكارم الأخلاق. فالشيخ ابن العربي رضي الله عنـه مرآة محمدية في غاية الصفاء والاعتدال والاستقامة، ما رأى أحد فيه إلا نفسه، وما تكلم فيه متكلم إلا بما هو عليه المتكلم.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
والحمد لله رب العالمين

محمود محمود الغراب

المراجع

١ ـ الفتواحات المكية ـ طبعة الميمنية.
٢ ـ محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار.
٣ ـ ديوان الشيخ الأكبر.
٤ ـ روح القدس في محاسبة النفس.
٥ ـ ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق.
٦ ـ إجازة الشيخ إلى الملك المظفر أبي بكر بن أيوب.
٧ ـ التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية.
٨ ـ عقلة المستوفز.
٩ ـ عنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب.
١٠ ـ التنزلات الموصلية.
١١ ـ النجاة عن حجب الاشتباه في شرح مشكل الفوائد من كتابي الإسراء والمشاهد.
١٢ ـ الإسفار عن نتائج الأسفار.
١٣ ـ تاج الرسائيل ومنهاج الوسائل.
١٤ ـ التجليات.

الفهرس

أشرف على التصحيح والتدقيق كل من السادة:
محمد ماجد الحناوي ـ عبد الفتاح العش ـ محب الدين المصري

للمؤلّف

١ ـ الفقه عند الشيخ الأكبر	صدر
٢ ـ الإنسان الكامل والقطب الغوث	صدر
٣ ـ شرح كلمات الصوفية	صدر
٤ ـ الرد على ابن تيمية	صدر
٥ ـ الحب والمحبة الإلهية	صدر
٦ ـ الخيال عالم الرؤية والمثال	صدر
٧ ـ الرؤيا والمبشرات	صدر
٨ ـ رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن ـ تفسير قرآن	صدر
٩ ـ شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس	صدر
١٠ ـ الطريق إلى الله تعالى ـ الشيخ والمريد	صدر
١١ ـ شرح فصوص الحكم	صدر
١٢ ـ الاعتبار وهو الفقه الباطن	مخطوط
١٣ ـ علماء وأمراء	مخطوط
١٤ ـ الرسائل والمقالات	مخطوط

تطلب كتب المؤلف التي صدرت من:
- دار الإيمان ـ شارع مسلم البارودي ـ دمشق ص.ب ١٠٠٦٥
- مكتبة العروبة ـ دمشق ـ جسر فكتوريا ـ بناية الحايك
- المؤلف ـ دمشق ـ ص . ب ـ ٣٣٣ ـ سوريا

التنضيد الضوئي
مطبعة الكاتب العربي
دمشق - شارع خالد بن الوليد - ☎ ٢٣٨٨٦٧ ٢١٩٢٣٨